

مذكرات

# فرانز فون پاپن

ترجمة : فاروق الحريري

مذكرات

# فرانز فون پاپن

ترجمة : فاروق الحريري

الطبعة الاولى

# مقدمة المؤلف

تبدو المذكرات مختلفة عن بعضها البعض من حيث الأساس فهي اما تمجيد صاحبها لنفسه او اعتذاره عما بدر منه . اما تقريري هنا عن حياتي فهو يصف حياة صادفت التحول الزمني وعايشت التمزق الذي طرا على العالم الاوربي ولذا فانني لم اكتب هذه المذكرات تعبيرا عن رغبة يحدوها الطموح .

وقد اتجهت رغبتي للناي عن السـرد التاريخي البحت الذي يتناول تطور الحوادث عبر السنين التي عشتها . كما انني راقبت التقديرات الخاطئة لتطبيق مفاهيم الاشتراكية والعقائد المتعلقة بها نتيجة لسوء تقديرات الاشـخاص او بسبب اخطائهم الخاصة . وساكون صريحا في سردي للحوادث دون التنصل من اية واقعة امانة مني للبحث التاريخي وكذلك حبا مني للحقيقة .

والرجل الذي يتولى مسؤولية المناصب الرفيعة ويتصـرف بحكم تلك المناصب لابد ان ياخذ في حساباته التعرض للنقد الطني . الا انه لن يكون قادرا على الدوام على الرد او دحض تلك الانتقادات بصورة موضوعية . ثم انه لن يتمكن من بيان المسببات لجميع فعالياته لان ذلك قد يتعارض مع طبيعة اهدافه السياسية والواضح من حياتي انني غالبا ما مارست النقد المرير وتعرضت له .

فمع بداية الحرب العالمية الاولى دعاني الواجب لاعمل ملحقا عسكريا للدول المركزية ضد موقف الولايات المتحدة الأمريكية الذي تبين لنا بجلاء انها لم تتخذ موقفا محايدا في تلك الحرب وانما كان موقفها غير ودي منا الى ابعد الحدود . ولقد رغبت في اسدال ستار الكتمان على طبيعة فعالياتي العسكرية التي قمت بها آنذاك . وسوف لن آبه للافتراءات والاكاذيب والتشهير التي تعرضت لها من جراء تلك الفعاليات .

وعندما ظهرت بوادر الوهن على حكومة فايمار نتيجة لمعاناتها من ازمات الاقتصاد الدولي ولتفاقم ازمة البطالة والاضطرابات الداخلية التي لم تتمكن من التحكم بها واضطر المستشار بريونينغ على الاستقالة لاختلافه بالآراء مع رئيس الجمهورية فون هندنبورغ وجدت نفسي على استعداد لتحمل المسؤولية فأصبحت خلفا لبريونينغ .

وقد وجدت لزاما عليّ ان اتكتم ايضا على الملابسات التي رافقت وصولي للسلطة ولما تم القرار على جعل هتلر مستشارا لالمانيا بعدئذ ولم تفلح جميع المساعي التي بذلت لابعاده عن تولي السلطة قررت قبول منصب نائب المستشار لكي اساهم في ادارة دفة الحكم معه . لكن فعالياتي تعثرت بسبب تعرضي للمتاعب التي دبرها لي خصومي السياسيين واصطدمت ايضا بالمؤامرات الناتجة عن الطموح او الانتقام او محاولات الدس ثم تعرضت بعدئذ لانتقاد الكثير من الاصدقاء نتيجة لفعالياتي آنذاك وافضل ان الوذ بالصمت ازاء تلك الانتقادات .

ولما قبلت في عام ١٩٣٤ منصب السفير في ڤينا ثم في عام ١٩٣٩ منصب السفير في انقرة فقد كانت لي اسبابي المبررة لذلك القبول بطبيعة الحال . وهي مبررات جديرة بالاعتبار . واذا ما وجهت لي اشد الانتقادات نتيجة لقبولي ذينك المنصبين ولفعالياتي السياسية خلالهما فانني اتقبل تلك الانتقادات بصمت وهدوء .

لكنني اقرر هنا بان جميع الفعاليات التي قمت بها خلال اشغالي لتلك المناصب جعلت غرضي الاول منها خدمة وطني وتحقيق ارتقائه . ولقد اتسم عملي الدائب خلال مدة امتدت نصف قرن بالرغبة في الاستعانة على قضاء كل حوائجي بالكتمان وانني لآمل ان تكون هذه المذكرات بصيصا من الحقيقة يوضح ملابسات الاختلافات في الآراء المتعلقة بالسياسة الداخلية لكي تكون نبراسا للساعين نحو اقامة اوربا الجديدة الموحدة وهذه لعمري حاجة ملحة تفرضها المرحلة الراهنة .

فرانز فون پاپن

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المترجم

قد تكون شخصية فون پاپن غير معروفة بالنسبة للكثيرين من مثقفي الجيل الحالي ولكن فون پاپن كان علماً بارزاً من اعلام السياسة الأوربية في حقبة الثلاثينات وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وكانت سيرته التي دونها في كتابه هذا قد صدرت منذ عام ١٩٥٢ وترجمت الى معظم اللغات الحية ولكنها لم تترجم للعربية وقد اقدمت على ترجمتها بناء على رغبة كريمة لسيد فاضل .

وفون پاپن يدعى في الاوساط السياسية ( الثعلب العجوز ) لدهائه وحصافته . والذي يهمنا في مذكراته هذه هو انصافه لقضية العرب المركزية قضية فلسطين واقدامه على ذكر رايه النبيل دون وجل رغم دقة موقفه السياسي ونجاته قبيل اصداره لكتابه هذا من محاكمات نورمبرغ .

كما ان مذكراته هذه مفعمة بالتجارب الفنية في ميادين السياسة والدبلوماسية والحرب والاجتماع . وهذا امر بديهي لمن عاش حياة حافلة عريضة وتميز بوضوح الرؤية .

واخيرا وليس آخراً فان من يتمعن في هذه المذكرات سيكتشف مدى حب الرجل لبلاده واخلاصه لها حتى في ادق الظروف وفي مختلف العهود . وهذا هو سر اكتسابه لاحترام اصدقائه وخصومه على حد سواء ذلك لأن من يحب بلاده ويخلص لها بكل تجرد فانه دوماً على صواب .

هذا والله من وراء القصد .

بغداد : مطلع العام السادس من قادسية صدام .

فاروق الحريري

# الفصل الأول

# من عهد الامبراطورية الى عهد الجمهورية

**النشاة والطفولة والصبا .**

**العائلة وبيت الوالدين . وراثة آل زالتسبرغ . التقاليد والثقافة . شباب مجند . وصيف في بلاط صاحب الجلالة الامبراطور . شخصيات مشهورة : بسمارك ، مولتكه ، مينزل ، هايدهبراندت، بينغسن ، فيندهورست ، الملكية والديموقراطية ، اللورد سالسبوري يتحدث عن الديموقراطية ، ملازم ثان في جيش مملكة بروسيا .**

كم هو ممتع أن يرجع المرء بذاكرته للوراء وصولا الى عهد الصبا . وكم هو شاعري أن أرجع بخيالي نحو الايام الحلوة التي كنا نرنو فيها لخرائب قلعة ڤيرلر أو تتطلع برهبة وخشوع نحو الكنيسة السامقة الرمادية اللون التي كانت الأثر الواضح الذي يميز مدينتنا الصغيرة ڤيرل التي كان والداي من سكانها الأصليين.

والمعروف في تلك المدينة ان اسلافنا الذين عاشوا فيها منذ مئات السنين تركوا الكثير من الآثار والرموز الدالة على امجادهم السالفة • ولربما يعود السبب في تخليدهم واستقرارهم فيها لامتلاكهم لمنجم ملح الطعام في ڤيرل ولكن تلك الأسرة العريقة لم يبق منها سوى عائلتين هما آل البارون فون ليلين التي قوامها فردين فقط وعائلتي•

أما المنجم الذي ارتبطت به الاسرة زهاء الألف عام فقد تخلت عنه اما لنضوب الح أو لتأثره بأعمال مناجم الفحم العميقة المجاورة له والتيتستخدم فيها المعدات الحديثة في باطن الأرض على أعماق سحيقة ولذا فقد اصبحت قضية ابتعاد الأسرة عن المنطقة مسألة وقت • وهكذا اصبحت أسرة «اصحاب منجم الملح في ڤيرل» أثرا بعد عين•

ومما لا شك فيه ان لهذا التراث العائلي العريق ابلغ الأثر في ارتباطي الوثيق بالتقاليد وتمسكي بها .• اضف الى ذلك ارتباطي المحكم بالكنيسة التي تطوع لخدمتها الكثيرون من ابناء أسرتي وبناتها عبر مئات السنين وحازوا مراتب رفيعة في سلك الكهنوت•

وعندما شرع القديس سويت بطرس في مطلع القرن الثامن بنشر المذهب البروتستانتي في المنطقة الواقعة بين الروهر وليبه كانت أسرتي من أولى الاسر التي تقبلت آرائه وصارت من معتنقي مذهبه•

وقد حازت الأسرة منذ القرن الخامس عشر ـ وبصورة مستمرة ـ ملكية ارض زراعية قريبة من ڤيرل وأنشأت لها قلعة فيها سميت « موئل كويننغن[1]» كان أخي الاكبر آخر مالكيها•

وقد أقيمت كنيستنا في عام ١١٦٣ في عهد هاينريش الأسد • وتضم سجلات تلك الكنيسة أسماء أفراد الأسرة على مر السنين كما انها لا تزال

---

(١) درج الالمان على تسمية بيوتهم الاثيرة وقلاعهم باسماء محببة على سبيل التمجيد او الظرافة احيانا . وهم ينقشون تلك الاسماء على واجهة الدار عادة . ـ المترجم ـ

تحتفظ بقطعة من الرخام تخلد اسم الأسرة منذ عام ١٤٨٥ وعليها شعار الأسرة الذي نقش مع شعارات ثماني أسر أخرى من اهل المنطقة • وقد شارك أجدادي في جميع الحروب التي شهدتها البلاد وبذلوا دمائهم في سبيل الوطن •

وحدث ان حضرت حفلا تكريميا لتمجيد الشهداء في كنيسة سانت ميخائيل عام ١٩٠٠ ممثلا لأسرتي • والآن وقد مر اكثر من نصف قرن على ذلك الاحتفال فان أسرتنا لم تعد تملك في تلك المنطقة لا دارا ولا عقارا ولا حتى كوخ من اكواخ الصيد كرمز لماضيها التليد • ألا اننا بقينا على تمسكنا بتقاليدنا الموروثة واني لواثق من ان اجيالنا المقبلة ستحافظ على التقاليد دون ان تتناسى الماضي الحافل •

لقد خدم رجال أسرتي على مر الأزمان في الدولة الالمانية بمختلف عهودها سواء في امارة كولن أو في امبراطورية آل هابسبرغ في النمسا والمجر التي كانت عاصمتها ڤينا مقرا لاتحاد الامارات الالمانية • وكان هذا من الاسباب التي دعتني للاهتمام بقضية وحدة النمسا مع المانيا عندما وجدت انها تعيش ازمة سياسية عاصفة عام ١٩٣٤ ولما ذهبت الى ڤينا لم أجد نفسي غريبا فيها •

كما انني أجد في نفسي ميلا وديا نحو بروسيا التي طالما مجدها أبي وحدثنا عن مآثرها عندما ساهم بحروب الوحدة الالمانية الثلاثة في اعوام ١٨٦٤ و١٨٦٦ و١٨٧٠ والتي تمخض عنها نشوء الامبراطورية الالمانية الحديثة التي أقامها بسمارك •

وكان جد أبي فريدريش ليوپولد الذي عاش من ١٧٨٢ حتى ١٨٥٦ قد حاز مكانة مرموقة في عهد الثورة الفرنسية وتزوج من النبيلة مارغريته هيدزدورف التي كانت أسرتها من أسر منطقة الراين المعروفة • وبهذه الوشيجة اصبحت لنا قرابة مع أسر جنوب المانيا • ولم تكن لنا أية قرابة مع البروسيين • الا ان جدي فرانز يوسف الذي أبصر النور في عهد نابليون بونابرت الحافل شهد حروب التحرير كطفل صغير وادرك ببصيرته الثاقبة

التحول الجذري من النظام البروسي المتسم بالتزمت الى روح الغرب الميالة نحو التحرر.

ثم ولد ابي عام ١٨٣٩ فشهد مع جدي تنامي الافكار الحرة في اواخر القرن التاسع عشر وخيبة الامل التي أعقبت مداولات التجمع الوطني في فرانكفورت التي جرت في كنيسة باولوس وشهدا أخيرا نشوء الامبراطورية الالمانية ولكن بدون النمسا مع الأسف.

ولابد ان من يسمع مثل أبي وأبناء جيله عن معارك ديوپل وكونيغ غراتس وميتز وسيدان وپاريس وعن تتويج ملك بروسيا امبراطورا على المانيا في قاعة المرايا بقصر فرساي بباريس يكون فخورا بامبراطورية المانيا التي أقيمت في وسط أوربا بفضل مساعي مستشارها البارع بسمارك. ولاعجب اننا اطفال ذلك العهد سمعنا الكثير عن ذكريات تلك الايام الرائعة وقرأنا كتابات الأدباء الالمان واستوعبنا قصص فرار الملكة لويزه الى ميمل ومعركة لايبزك ووصول بلوخر في آخر النهار لانقاذ الدوق ولنغتون والقضاء على نابليون في معركة واترلو.

ولم تكن تلك القصص بالنسبة لنا أحاديث خرافية وانما كانت واقعا متجسدا بوجود الامبراطور وابنه ولي العهد الامير فريدريش ڤلهلم وحفيد ملكة بريطانيا المشهورة ڤيكتوريا والمستشار الحديدي بسمارك والقائد اللامع فون مولتكه الذي صارت اساليبه السوقية فنا يدرسه جميع قادة الجيوش على مر الأزمان. أضف الى ذلك ما شهده ذلك الجيل من ازدهار للصناعة السلمية الحديثة . والملاحظ آنذاك ان البروسيين الشديدي التدين والمتمسكين بالمذهب البروتستانتي لم يكونوا محبوبين ولكنهم كانوا يحظون بكل التقدير والاحترام.

وبعد ان اتم أبي دراسته الجامعية في جامعة بون انتمى لعصبة البروسيين ببون وكون علاقات صداقة وطيدة مع الكثيرين من رجال المجتمع البارزين وكان احدهم غراف هوغو ليرشنفيلد الذي خدم مع المستشار بسمارك وكان أخلص معاونيه قرابة الثلاثين عاما بصفته ممثل ملك باڤاريا لدى الدولة

الالمانية ببرلين .• وكان هذا الرجل النبيل وفيا لصداقة ابي فحباني بمودته لدرجة اجدني معها عاجزا عن وصف اللطف الذي لقيته منه كلما زرته بقصره الرائع في شارع فوس•

ولما كان الامبراطور ڤيلهلم الثاني من اعضاء عصبة البروسيين ببون ايضا عندما كان وليا للعهد فقد كان على معرفة بأبي • ولقد حاز أغلب اعضاء تلك العصبة بعدئذ على مناصب رفيعة سواء في عهد الملكية أو في عهد الجمهورية الالمانية فيما بعد•

خدم أبي في الجيش البروسي خلال الفترة من ١٨٦٤ حتى ١٨٧١ في وحدات الخيالة لمقاطعات الراين وديوسلدورف ثم انصرف بعد ذلك لادارة مزارعه وممتلكاته • والذي أذكره عنه انه كان خادما مخلصا لبلاده يتحلى بالكتمان ويولي وطنه وشعبه كل الحب والاخلاص•

وأجد لزاما علي — وقد أسهبت في سرد تأريخ أسرة ابي — ان اشير هنا لأسرة أمي التي تعتبر من اسر منطقة الراين العريقة .• فأبوها هو النقيب الخيال المتقاعد البرت فون شتيفنس دريمبورن الذي سبق ان أقام ردحا من الزمن في ديوسلدورف .• وكان جد الاسرة حارسا لاحدى الغابات في عهد نابوليون بونابرت وقد حاز الى جانب وسام النسر الاحمر البروسي نوط صليب جوقة الشرف الفرنسي•

كانت أمي باعثة الحماس ضمن الاسرة• فقد انشأتنا على تقوى الله وتوخي البساطة في الحياة • وقد بقيت قطب الرحى الذي يتجمع حوله شمل الاسرة حتى وافتها منيتها قبيل هجوم هتلر على بولونيا بأيام قلائل•

أما انا فقد ولدت لهذه الأسرة في ٢٩ تشرين الاول عام ١٨٧٩ وترعرعت مغمورا بحنان الوالدين والاخوة الذين غلب على حياتهم طابع المرح وفي سن الخامسة بدأت بتلقي العلوم .• فقامت معلمة عجوز بتعليمي أسرار الالفباء • ولكن أهلي سرعان ما أدركوا ان من الاسهل عليهم ارسالي

للمدرسة • فارسلوني فعلا للمدرسة الابتدائية المجاورة للكنيسة والحقت بالصف الثاني تحت اشراف المعلم بويغمان، وهو رجل صارم كان مشهورا بعصاه الطويلة الموجعة،

وكان التأديب بالعصا من الأمور المألوفة بالمدارس آنذاك الا ان معلمنا كان قد حاز شهرة في ترويض التلاميذ المشاكسين في منطقة ڤيرل برمتها وقد حاز نجاحا باهرا في جلبهم للطريق القويم،

كان أول اصدقائي بالمدرسة جورج شيفر وهو ابن صانع مكانس وقد اكملنا دراستنا الابتدائية سوية • واني لمدين لوالدي ما حييت لحسن تربيتهما ورعايتهما التي كانت حافزا لتقدمي في المدرسة ثم في العمل،

ما ان اكملت دراستي الابتدائية الا وتحولت للدراسة في الثانوية العسكرية التي كانت في مدينة ڤيرل ولكنني لم ابق فيها سوى عاما واحدا، ولو سألني أحد عما اود ان اكونه في المستقبل لأجبته دون أي تردد بأن رغبتي تنحصر في الالتحاق بالخدمة العسكرية، ولربما يتهم البعض جيلنا في هذه الأيام[٢] بأنه كان متأثرا بالافكار البروسية العدوانية التي نالت من الشباب فجعلتهم يميلون للجندية بغية الاستعداد للاستيلاء على العالم فيما بعد عن طريق شن الحروب • الا انني لا اتفق مع هذا الرأي مطلقا لأن التربية العسكرية التي تلقيتها انطوت على حب الوطن والذود عن حياضه وليس الاعتداء على اوطان الآخرين ثم انني كنت اهوى العسكرية لأنها مهنة تسري في دمائي ولقد احببتها لأنني ورثتها عن أبي كما انني ورثت عنه حب الفروسية • الا ان أخي الاكبر ورث عن ابي مزرعته وانصرف لها متمتعا بحياة هانئة سعيدة،

وكانت الفرص المتاحة لي في حياتي هي اما ان اكون موظفا أو عالما أو جنديا • وقد استشرف أخوتي ميلي الجامح للجندية فلقبوني (بالرائد) على سبيل الملاطفة، ومن سخريات القدر انني رغم اندفاعي ومثابرتي وحبي

(٢) الف هذا الكتاب عام ١٩٥٢ • — المترجم —

لمهنتي الاثيرة فانني لم اصل ابدا لاكثر من رتبة رائد في الجيش الالماني.

وكان التحاقي بالخدمة العسكرية في نيسان ١٨٩١ خلافا لرغبة أمي التي ابدت معارضة عنيفة في التحاقي بمدرسة الضباط. وسرعان ما ادركت انها كانت مشفقة علي من المعاملة الفولاذية والتربية الاسبارطية الصارمة التي كنا نعامل بموجبها في المدارس العسكرية آنذاك . ولما وصلت للقلعة التي اتخذت مدرسة لنا ادركت مدى المرارة التي يشعر بها الفتى عندما يفارق بيت أهله لأول مرة . وكان ذلك الألم ممضا لدرجة فاقت تصوري.

وجدت حال التحاقي بالمدرسة العسكرية انني يجب ان اخوض امتحان القبول . وكان امتحانا عسيرا لكنني اجتزته بسهولة ثم تم تنسيبي للسرية الخامسة فذهبت مع رفاقي لاستلام التجهيزات ولما تسلمناها الفينا أنفسنا في عالم جديد انسانا معاناة فراق الاهل لأننا صرنا تتطلع نحو اسرار حياتنا الجديدة فنكتشفها بأنفسنا.

ولقد كان من العسير حقا على صبي لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ان يتحول من حياته الوادعة للحياة العسكرية الفظة ويتمسك بالضبط الشديد فيحيا حياة عسكرية يومية تنطوي على الصرامة المتناهية . فقد كانت قاعات سكنانا عالية السقوف وليست فيها أية وسائل للتدفئة . وغالبا ما كنا نجد مياه المغاسل متجمدة عندما نهرع من أسرتنا الدافئة في الصباح الباكر على صوت بوق النهوض.

أما الطعام فكان بسيطا الى أقصى الحدود . اذ يقتصر فطورنا على صحن من حساء الطحين مع كسرة من الخبز اليابس . وكان الزبد من الاطعمة النادرة . وكنا نزود باللحم مرة في الاسبوع وفي ايام الاعياد . ولكن ابداننا الغضة اشتدت رغم ذلك وازددنا نموا يوما بعد يوم. وتنامى في نفوسنا بمرور الزمن حب الضبط والنظام وكان الشعار الذي جعلناه نصب اعيننا هو ان نكون قدوة صالحة لجنودنا من جميع الوجوه . ولم يكن هذا – لعمري – بالامر الهين.

اتممت دراستي العسكرية في ربيع سنة ١٨٩٥ وحصلت على أول رتبة عسكرية تؤهلني لقيادة الرجال فأصبحت عريفا في السرية الثانية من احدى وحدات فيلق المقر العام وكانت ترابط بمعسكر ليختر فيلده الكبير الكائن في احدى ضواحي برلين . فلما وصلت الى ذلك المعسكر مع عدد من رفاقي وجدنا ان معاملتنا قد اختلفت وصرنا نعامل كرجال بالغين . وصار بمقدورنا ارتداء القيافة العسكرية الخارجية الانيقة والاشتراك مرتين بالسنة في الاستعراض الكبير الذي يقام في كل ربيع وخريف تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الامبراطور . وكنا نبذل جهودا جبارة في الاستحضار لكل استعراض بغية الظهور بمظهر يفوق كتائب الحرس المدربة . الا أن العقبة التي صادفتني هي عدم اقتناع رؤسائي بقدرتي على اتقان مشية الاوزة السائدة في استعراضات الجيش البروسي نظرا لأنهم يزعمون بأنني (افحج) لانفراج ساقي نتيجة التدريب المتواصل على الفروسية فأهتبلت هذه (العلة) وتذرعت بها لأكون خيالا بدلا عن المشاة .

ولقد رسخت في خاطري ايام الاستعراضات بالملابس المبهرجة والبنادق المعلقة على الجانب والمسير بالخطوات الهادرة امام حضرة الامبراطور .

وكنا في تلك الحقبة من حياتنا المفعمة بالحماس نعتبر الجيش البروسي رمزا لمجد الوطن ومشعلا ينير لنا درب الحرية وموئلا للتقاليد التأريخية لشعبنا كما اننا جد فخورين بأمجاد ذلك الجيش التي حازها في مختلف المعارك سواء عند مقاتلته لنابليون في واترلو او في معارك حروب الوحدة الالمانية.

ولقد تعلمنا في وحدات ذلك الجيش كيف اننا ينبغي ان نبذل دمائنا رخيصة في سبيل الدفاع عن دولة الوحدة الالمانية . ولكنني لم اسمع قط لا في خلال وجودي بالمدرسة العسكرية ولا بالاكاديمية الحربية بعدها ولا حتى في اوساط هيئة ركن الجيش بأية دعوة لتعديل وضعية حدود الدولة الالمانية على حساب جيرانها كما لم اسمع ابدا أية دعوة لشن هجوم على البلدان الاخرى . بل اننا كنا نتلقى تعليما ينص على وجوب المحافظة على السلام في

وسط قارة أوربا وذلك امتـــدادا للفترة الهـــادئة التي مرت على بلادنا في تأريخها منذ الف عام • وكنا نبرر تنامي القوة البحرية البريطانية كضرورة للمحافظة على مستعمراتها التي فيما وراء البحار • ولن انسى تلك الرسالة التي كتبها الامير بسمارك في ٥ شباط من عـــام ١٨٨٤ للسفير فون شڤاينتز الذي كان يعمل في بلاط سان بطرسبورغ[٣] والتي جاء فيها:

« سوف لن تقـــوم المانيا بشن أي هجوم على فرنسا طـــالما بقيت انا مستشارا للدولة الالمانية • واذا ما صدر لي الأمر من المرجع الأعلى باتخـــاذ مثل هذا الاجراء فسأستقيل»•

تمتعنا خلال وجودنـــا بمعســـكر ليختر فيلده بكثير من المناسبـــات الاجتماعية والعلمية فكنا نتردد على المتاحف والمعارض والمسارح والمعـــاهد لدرجة باتت تهدد بالانتقاص من الوقت اللازم لتدريبنا الأساسي • وكانت الموسيقى من الدروس الضرورية لنا ولذا فقد طلب الي أحد اساتذتي وهو السيد فون ايكاردت ان اتلقى ساعة في كل اسبوع تدريبا على آلة الكمان صحبة الأمير فريدريش ڤيلهلم فون پرويسن وهو اصغر اولاد الأمير البرخت الوصي على مقاطعة براون شڤايك في قصره المنيف الكائن في شارع البرخت ببرلين•

في ربيع ١٨٩٧ حلت الفترة الحاسمة المقررة لاختبـــارنا التنافسي من أجل الحصول على رتبة نائب ضابط مرشح وكان المقرر انتخاب افضـــل تسعين تلميذا من مجموع ستمائة ليلحقوا بالكلية الحربيـــة • ثم يعودوا بعدها للخدمة في السرايا المقاتلة • وعلى الرغم من الحياة البائسة التي تنتظرنا وراء جدران الكلية الا ان التنافس من أجل المستقبل كان له ما يبرره • ذلك لأننا سنحوز رتبة الملازم قبل رفاقنا بستة اشهر أضف الى ذلك اننا سنحصل على فرصة الانتماء لافضل القطعات الفعالة التي ستتنافس بدورها لاستمالتنا

---

(٣) هي مدينة لينينغراد التي كانت عاصمة روسيا القيصرية آنذاك .
ـ المترجم ـ

للخدمة في صفوفها ، وعلى الرغم من رداءتي في تعليم المشاة فقد حالفني الحظ ونجحت بتفوق بحيث كنت من ضمن اولئك التسعين.

ثم ما لبثت ان بدأت تلك السنة الحافلة بفعاليات اعدادنا لنكون ضباطا محترفين وقد ساعدنا التدريب الأساسي والضبط الشديد الذي جبلنا عليه في التخفيف من وطأة المجهود الذي بذلناه في هذا السبيل ، ولقد أثبت ذلك التعليم والتأهيل الصارمين جدواهما اذ تدرج الكثيرون من زملائي في مدارج الرتب العسكرية وفي هيئة الركن فيما بعد واصبح بعضهم من القادة اللامعين ووصل عدد منهم الى رتبة المشير الرفيعة كما وحاز البعض الآخر وظائف مهمة في المجالات الاقتصادية وفي مختلف مرافق الدولة الحيوية.

حل يوم ٢٢ آذار ١٨٩٧ جالبا لنا مفاجأة مفعمة بالسرور وسوف لن انساها ما حييت ، ذلك انني حزت فيها اول وسام لي عندما صدرت الاوامر بمنح جميع رجال الجيش الألماني الذين بالخدمة آنذاك «الوسام المئوي» بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد الامبراطور الراحل ڤيلهلم الأول.

ولقد سمينا ذلك الوسام «الليمونة» بسبب لون شريطه الاصفر الفاقع. كما اننا حصلنا على الكثير من الذكريات المتعلقة بالبيت المالك الألماني بحكم اشتغالنا مع قطعات الحرس الامبراطوري أو اشراكنا في احتفالات البلاط. فقد حدث ان طلب امين البلاط اضباراتنا الشخصية وتقارير مفصلة عن فعاليات كل فرد منا وقابلياته مرفقة بتصاويره بغية اختيار افضل العناصر للالتحاق بكتائب الحرس ، ولما وقع الاختيار علي ضمن مجموعة من رفاقي حملتنا من محطة القطار عربات ملكية انيقة الى قصر شپري[٤] العريق لكي تتسلم من مستودعاته ما يلائمنا من سترات الحرس المموهة بقصب الفضة والقبعات المدببة والسراويل البيضاء الناصعة والتي تكون بمجموعها قيافة بمنتهى الاناقة الدالة على الذوق الرفيع. وكانت المناسبات الاجتماعية

(٤) سمي على اسم نهر شپري الصغير الذي تقع عليه مدينة برلين .

ـ المترجم ـ

للبلاط الامبراطوري تفتتح في الخريف عند افتتاح مجلس النواب أو مجلس الشيوخ في القاعة البيضاء . ويحضرها الامبراطور بنفسه يرافقه المستشار والوزراء فيتلو خطاب العرش . وكانت هذه المناسبة تتيح لنا امكانيةالتعرف على أهم الشخصيات السياسية في بلادنا وزعماء الأحزاب فتعرفنا مثلا على هايده براندت زعيم المعارضة والذي كان يدعى «ملك بروسيا غير المتوج» وكذلك على اولدنبورغ وليڤتسوڤ والشيخ كارورف وكان يكلف بحضور جلسات المجلس ملازم وثلاثة رجال ، وعندما يجيء دوري لانجاز هذه المهمة كنت اسعد كثيرا بالتعرف على الرؤوس المدبرة لادارة الدولة الالمانية.

وكان يوم الثامن عشر من كانون الثاني هو يوم ذكرى تتويج أول ملك على عرش بروسيا ليكون امبراطورا على المانيا وكان ذلك التتويج في قاعة المرايا بقصر فرساي بباريس[٥] وبحلول ذلك اليوم من كل عام تفتتح الاحتفالات الرسمية واهمها احتفال منح نوط النسر الاسود . ويحضر هذا الاحتفال جميع السادة الممنوحين لقب (فارس) وعندما يلتئم جمعهم يحضر الامبراطور تحيط به نخبة من رجال الدولة ويصطف جمع من الضباط بنظام متقن لتحيته واستقباله . وكانت مراسيم منح هذا النوط الرفيع تتطلب ركوع الممنوح أمام العرش ليتلقى النوط ذي السلسلة والمعطف ثم يتلقى ربتة يصحبها النطق الامبراطوري بتسميته فارسا من فرسان الدولة . وكان لهذه المراسيم تأثير عميق في نفوسنا فهي تشدنا للارتباط الوثيق بشخص الامبراطور.

الا اننا نستمتع برؤية المستشار بسمارك. ذلك لأن الامبراطور كان قد استدعى المستشار الشيخ قبل ذلك العام بثلاث سنوات أي في ١٨٩٤

---

(٥) حدث هذا اثر سقوط باريس بيد الالمان في حرب ١٨٧٠–١٨٧١ وكان امبراطور المانيا ڤيلهلم الاول ومستشارها بسمارك وقائدها فون مولتكه الكبير . اما امبراطور فرنسا فكان نابليون الثالث .

– المترجم –

ليحضر احتفالات الشعب بعيد ميلاده ببرلين ولما اوشكت الذكرى نفسها على الحلول في ١ نيسان ١٨٩٥ والتي تصادف الاحتفال بمرور ثمانين عاما على ميلاد المستشار لم يؤيد البرلمان بتأثير من حزب الوسط اقامة الاحتفال المقترح اذ صوت ١٦٣ نائبا ضد الاحتفال بينما حبذه ١٤٦ فقط. واعلن ذلك فون ليفتسوف رئيس المجلس. وقد بقي المستشار بسمارك مستقرا في غابة سكسونياه ولكنه لم يدر بخلده ما تضمره الايام لتقويض العمل الرائع الذي انجزه.

وبعد ايام قلائل من الاحتفال بتقديم نوط النسر الأسود يقيم الامبراطور وليمة كبرى يدعو لها جميع الموظفين والضباط الذين منحوا ذلك النوط ويتلقاهم بترحاب وبشاشة. ثم يتحلقون حول الموائد العامرة بمنتهى المساواة بين الوزير ومدير البريد وقائد الشرطة المحلية وقائد الفيلق فكلهم خدام لبلدهم. أما عدد المدعوين في تلك الولائم فيصل الى الألفي مدعو.

وكانت احتفالات البلاط البرليني السنوية تصل الى اوجها عند اقامة حفلة الرقص الكبرى التي يدعى لحضورها عدد من الأمراء الاجانب. ويفتتح الرقص عادة في الصالة البيضاء بالقصر الامبراطوري المزينة جدرانه بروائع الفن التأريخية ويحضر الاحتفال جميع أفراد البيت المالك من آل هوهنسولرن. وتجري قبيل اقامة حفلة الرقص الكبرى حفلات عديدة يحضرها علية القوم من رجال وسيدات وتتميز كل هذه الحفلات بالروعة المتناهية فالى جانب قيافات رجال الجيش والقوات المسلحة الأخرى المزركشة كنت تجد بدلات سيدات المجتمع الانيقة التي يتفنن بألوانها وطرزها وهي تضوع بالعطور الثمينة وكنا نستمتع آنذاك برؤية تلك المجموعة الرائعة من الناس والتي كانت تضم بطبيعة الحال عددا من الصبايا الفاتنات.

وكانت مهمتنا ـ نحن ضباط الحرس ـ الاحاطة بالعرش وايصال الشخصيات التي تقدم للذات الامبراطورية بالوقت المطلوب وبالحالة المقتضية وفقا للاصول المرعية وكم كنا نضحك في سرنا عندما نلاحظ اصابة احدى السيدات بحمى الرهبة وتعلو وجهها حمرة الخجل.

كان مدير المراسم في البلاط الامبراطوري رجلا تغلب الدعاية على طبعه ولقد حدثنا ملياً عن طبيعة عملنا معه مختتما ذلك الاسهاب بقوله:

« يجب ان تبذلوا قصارى جهودكم في هذا السبيل بحيث تحاول كل أميرة مكافأتكم بقبلة».

فلما بذلنا الهمة طمعا بنوال ذلك الثواب وجدنا انفسنا وقد غشنا السراب ذلك لأن التزمت كان سائدا في تلك الأوساط . فلم نحصل على القبل وانما رجعنا للمعسكر وجيوبنا محشوة بالحلوى الملكية النفيسة . الا اننا كنا نغتنم الفرصة عندما تقام حفلة راقصة كبرى ويحتشد في قاعة القصر الرئيسة اربعة آلاف مدعو فنراقص لفترة وجيزة احدى كرائم المدعوين في ركن قصي عن موقع رئيس المرافقين المرهوب الجانب المشير غراف اوغست أويلنبورغ . وكذلك بمنأى عن مديرة شؤون القصر البارونة بروكدورف.

وكنا ـ نحن الملازمين الشباب ـ نعتبر رئيس المرافقين قدوة لنا ومثالا يحتذى به . فهو رجل انيق ودقيق ومتواضع . اذ كان يعاملنا ـ رغم مكانته الرفيعة في الجيش والبلاط ـ مثل معاملته لقادة الفيالق الذين يحظون بمقابلة الامبراطور.

ومما لا شك فيه ان كل انسان ابن عصره ولا غرو اذا بقيت طوال حياتي متأثرا بالايام التي قضيتها في البلاط الامبراطوري . ذلك لأنني تلقيت هناك التعاليم الاولى للتمسك بالتقاليد والمحافظة على الانتظام.

في ختام سنة الاختيار التي قضيتها في الحرس ترتب علي أن اخوض اختبارا انهيته بالنجاح فلما اتيحت لي فرصة الانتماء للوحدة التي افضلها آثرت الالتحاق بكتيبة الأولان الخامسة المرابطة في اقليم ويستفاليا . لأن ابي كان قد خاض في صفوفها حربين فنسبت لها برتبة ملازم ثان وعمري ثمانية عشر ربيعا ونصف . وبذا أكون قد خطوت الخطوة الأولى من حياتي الحافلة.

الا انني لم يأخذ مني الغرور اي مأخذ، نظرا لأن نمط التعليم البروسي الصارم كان يستوجب التركيز على التعليم الاساسي المتقن لمهنة الجنديـــة ويعتمد فيه المرء على نفسه مقتديا بأحسن الآمرين الذين يخدم بمعيتهم.

والآن وقد مرت تلك الأيام الجميلة فانني كثيرا ما اتلذذ بالذكريات التي عشتها آنذاك والتي ستبقى مصدرا لسرور خاطري ما حييت.

# الفصل الثاني

# الحياة في سني تحول القرن

**ديوسلدورف وكتيبة الأولان الخامسة . الفنون والجنود . الفروسية واجتياز العراقيل . مدرسة الخيالة في هنوفر . في انكلترا الفيكتورية . سوسكس الشرقية . سوق هاربورو . مفارقة بريطانيا في عام ١٩١٣ .**

استقبلتني كتيبة ديوسلدورف بأذرع مفتوحة . كما ان بيت جدي القديم في شارع هوف غارتن اعاد لخاطري ذكريات عزيزة على النفس . وقد خصص لي مسكن مستقل في ثكنة كتيبتي . وكان آمر الكتيبة آنذاك غراف فرديناند بروهل وهو سيد كريم المحتد وشخصية محترمة يقتدى بها .

كانت تلك السنين التي تحول بها عصرنا من القرن التاسع عشر الى مطلع القرن العشرين حافلة بالحماس من اجل الارتقاء الصناعي والتقني والفني بحيث صرنا نلمس التحول نحو الافضل وجني ثمار الحضارة المزدهرة من يوم لآخر . وقد ضمت كتيبتنا عددا كبيرا من ابناء الأسر الصناعية المشهورة في منطقة الراين امثال هانيل وپويسنغن وكارپ وهايه وتساپ وشايدت

وهويش وغيرها . وثمة افراد آخرين ينحدرون من عوائل معروفة في مجالي العلم والفن مثل اويدر وايكن بريخر وروبير وماتيس. وكان لاتصالنا مع هؤلاء وهؤلاء فوائد جمة بتعرفنا على جوانب عديدة لنهضتنا الصناعية واطلاعنا على دقائق اسرارها.

والعجيب ان النهضة الفنية رافقت النهضة الصناعية ولعبت دوراً مهما في تقدم الاخيرة . فقد انجبت اكاديمية الرسم والنحت جيلا معتبرا من الفنانين الكبار امثال كامپ هاوزن ولودڤيك كناوز وآرنولد بيوكلين والأخوة آخن باخ وابن ريتل وغيبهاردت واويغن كامپف الذين حازوا مكانة مرموقة في عالم الفن بفضل الروائع التي قدموها والتي لا زالت تسر الناظرين . وكانوا كلهم يساهمون في المناسبات الوطنية والاجتماعية والاعياد بتقديم تناجاتهم الفنية النفيسة . اما «بيت الفن» في ديوسلدورف فهو موئل معروف منذ اكثر من مائة عام وهو بناء شامخ جوار بوابة المدينة القديمة كان مالكه الأول الفيلسوف الشاعر ياكوبي الذي عاصر غوتيه . وكان قد شيده بعد عودته من الحملة على فرنسا عام ١٧٩٢ . ويقال ان قصة «هرمان ودروتيه» قد تم تأليفها في هذا البيت[١]. وبعد نصف قرن من ذلك التأريخ ـ أي في فترة الغليان الشعبي التي انتهت بثورة ١٨٤٨ ـ اصبح بيت الفن في ديوسلدورف من المنازل المشهورة في جميع ارجاء العالم.

ولقد سرت في تلك الفترة موجة من الفن الشعبي الذي امتد تأثيره ليس فقط الى مدن الدولة الألمانية وحدها وانما تعداها للمدن الاتحادية[٢]. وكانت تلك الموجة تذكي جذوة الحماس في نفوس المواطنين وتمجد روح الفروسية . ويمكن اعتبار تلك الموجة بداية ميلاد الفن الألماني الحديث.

كما ان احد فناني تلك الفترة اقام جسرا فنيا مع امريكا . اذ حدث ان

---

(١) قصة « هرمان ودروتيه » من تأليف الكاتب الالماني الكبير غوتيه .

(٢) ان المدن الاتحادية هي موانىء المانية تضامنت فيما بينها قبل قيام الوحدة ومنها مدن هامبورغ وبريمن ودانزك . ـ المترجم ـ

قابلت في واشنطن احد اصدقائي القدماء من ابناء ديوسلدورف في عام١٩١٤ فقلت له:

«لابد انك تستمتع هنا برائعة ايمانويل لويتسه!»

فأجابني صاحبي ضاحكا:

« أنا لا اعرف ايمانويل لويتسه هذا ولا رائعته التي تتحدث عنها فأنا لم أشاهد اية صورة رسمها الرجل».

فراهنته على زجاجة من الشراب الفاخر على ذلك فلما قبل الرهان قلت له:

« ألم تشاهد اللوحة الكبرى المعلقة في قاعة الاستقبال بالبيت الابيض؟» فأجابني نادما على قبول الرهان:

« يا الهي ، انها لصورة يعرفها كل طفل في امريكا . وهناك الملايين من الاعلانات التي تنشر وعليها صورة اللوحة الخالدة ولكنني لم اتصور انها من رسم الفنان الألماني لويتسه».

فشربنا معا القنينة التي خسرها صاحبي نخب الفنان الخالد لويتسه. وقضينا ساعات من مرح الشباب سوف لن انساها ما حييت.

وللمرء أن يقدر طبيعة الحياة الصاخبة التي عشتها آنذاك وأنا ملازم غر لم اتجاوز الثامنة عشرة وجدت نفسي فجأة وأنا في وسط تلك الدوامة من الحياة الصاخبة ، فعلى الرغم من انهماكي بالواجبات الكثيرة التي تستدعي مني كل جهودي في الليل والنهار كنت اختلس بعض ساعات اليوم ـ مضحيا براحة النوم ـ لاستمتع بمباهج الحياة. لكنني كان علي انا كون في الساعة الرابعة من صباح كل يوم ممتطيا جوادي لأبدأ بالتدريب الذي يتطلب مني اقصى طاقات التحمل البدني. لاسيما وان ـ خدمة الملك ـ كانت تقضي بوجوب ممارسة القسوة على النفس الى ابعد الحدود ، وكان ضباطنا الاقدمين يحرصون على المحافظة بشدة على معنوياتنا وقاية لنا من الاخطار المحيقة بنا أو من تلك التي يحتمل أن تتعرض لها في حياتنا العسكرية.

وكان الحفاظ على التقاليد يعتبر من الأمور البديهية بالنسبة لنا • ذلك لأن جميع الأمم العظيمة لابد ان يعتز ابناؤها بأمجادهــا وبتاريخهــا. ولما شهدنا بعد الحرب العالمية الأولى أوامر المنتصرين بالقضــاء على التمــاثيل والنصب التذكارية للشــهداء اعترتنــا موجة عارمة من الكره والاشمئزاز • وكان ان استغل هتلر بعدئذ ذلك الشعور الوطني العارم فأمر باعادة تلك النصب والتماثيل فظهر ازاء الشعب الألماني بمظهر الحريص على التقــاليد الموروثة .•

ولما علمت بأن النية متجهة لاقامة نصب تذكاري لشهداء كتيبة الأولان الخامسة في مدينة ديوسلدورف تمجيدا لأبطالها الذين سقطوا في ميــادين الشرف ابان حروب الوحــدة الالمانية وفي القرن العشرين ــ وكنت آنذاك سفيرا لبلادي في أنقرة ــ تقدمت برجــاء لوزير المالية التركي لكي يسمح بتصدير خمسة اطنان من النحــاس بغيــة نقلهــا الى ادارة الجيش الألماني للاستفادة منها في صنع التمثال المذكور فوافقت الحكومة التركية على الطلب• وتم نقل الكمية المطلوبة من النحاس الى المانيا ثم ما لبث وزير المالية التركي ان اخبرني بأنه مسرور لقرار حكومته باهدائي تلك الاطنان الخمسة من النحاس تقديرا منها لوفائي لرفاق السلاح وتمجيدا للروح العسكرية•

في ربيع ١٩٠٠ ســمح لي آمر كتيبتي بالمساهمة في مسابقة « الجري بين الاعلام» وكانت قد تنامت رياضة الفروســيــة آنذاك في جميع ارجاء المانيا واحتدم التنافس بطبيعة الحال بين ضباط الخيالة بالدرجة الاولى .• وتميز اقليما الراين وويستفاليا بتنظيم أحسن المسابقات في اجتياز الموانع المعقدة ولابد من الاشارة هنا للمبرزين في ذلك الميدان اخص بالذكر منهم پوشكه هايدن ليندن آمر كتيبة الاولان ١٣ والأخوة كونيغسمارك وابرزهم فريتز والفارس ڤالينبرغ على حصانه المشهور تيير لاسكي من مدرسة الخيــالة وشپونك الذي ذاع صيتــه الى يوم الناس هذا كمدرب ممتــاز للخيول واخيراً وليس آخراً صديقي الحميــم اوتو زويرموندت الذي كان يرتدي قيافة فرسان دارمشتادت وقد حاز الأولوية في ما لا يقل عن ثمانية سباقات

لاجتياز الموانع.

ولقد تعلمت الكثير من اولئك الفرسان الأبطال . حيث وجب علي آنذاك أن لا يزيد وزني عند الركوب عن ثمانية وستين كيلوغرام وهذا معناه المحافظة على وزن جسمي بحيث يتراوح بين الستين والاربعة والستين كيلوغراما . وهذا الوزن يتطلب التعرض للجوع والتعرق والعزوف عن تناول الكحول.

ولم اكن موسرا لدرجة تتيح لي امكانية شراء حصان خاص لأنالخيول الاصيلة كانت ولا تزال مرتفعة الاثمان . ثم ان اقتناء الفرس يتطلبالمواظبة على تدريبه في كل صباح. ولذا فقد استفدت من أحد خيول صديقي بارون رومبرغ الذي دأب على اعارتي ذلك الحصان في مختلف المناسبات.

ولما حالفني الحظ بعد ثلاثين عاما واصبحت رئيسا للحكومة تعرضت للكثير من الانتقادات الممضة والتعريض حيث زعم البعض بأنني كنتمدرب خيول ولذا فانني آخر من يصلح لمنصب مستشار المانيا .

ولقد اكدت لمنتقدي كلهم بأن ممارستي لرياضة الفروسية منحتني أسعد ساعات المتعة التي عشتها . ثم ان رياضة الفروسية تتطلب السرعة في التفكير والحسم والصبر والقسوة على النفس وعدم التخوف من التعرض للاصابة بكسور العظام وهذه كلها من الفضائل التي لابد للمرء أن يتدرب عليها. اما ممارسة السياسة فأمر آخر يختلف عن ممارسة الفروسية لأن السياسة تتطلب اتخاذ القرارات الصعبة والمعاناة الموجعة للقلب . وأنا أزعم بأن ممارسة الفروسية لم تكن ابدا ولن تكون مثلبة للسياسي.

أرسلتني كتيبتي للاشتراك بدورة في مدرسة الخيالة بهانوفر خلال الفترة ١٩٠٢ــ١٩٠٤ وكانت تلك الدورة ــ دورة ركائب ــ وهي من اصعب دورات الفروسية لأنها تتطلب البقاء في المضمار أو الجري وراء كلاب الصيد السريعة على خيول ثقيلة او ترويض الافلاء الفتية مع التمسك بأدق القواعد الرفيعة والتحلي بالرشاقة في ممارسة فن الفروسية . ولقد اعجبت

آنذاك بالوصف الذي جاء بمحاضرة «وايت ميلفل» عن الفروسية فيبريطانيا وخصوصا «سوق هاربورو» فعقدت العزم على زيارة ذلك الموقع وحصلت فعلا على موافقة آمر المدرسة فسافرت مع صديق لي هو حفيد المصمم الميونيخي المشهور «كلينتسه» وكان ان عبرنا القنال الانكليزي في كانون الأول ١٩٠٢ .

كان الانطباع الذي حصلت عليه عن بريطانيا التي كانت قد شهدت العصر الفيكتوري الذهبي رائعا . اذ ان بريطانيا وصلت في تلك الفترة الى أوج القوة الامبراطورية في جميع المجالات . وحدث أن تعرفنا في مناسبة هناك على فارس بريطاني من المحاربين القدماء له صولات مشهودة في الحروب التي خاضتها بلاده.

ولما ذهبنا الى احد الاصطبلات المعروفة للبحث عن خيول جيدة قابلناه هناك فرمقنا بعين المتفحص وسألنا:

« هل انتما فارسان متمكنان ؟»

فأجبناه بتواضع:

« نأمل أن نكون كذلك ».

فقال لنا عندئذ :

« سأبعث اليكما غدا بحصانين لتحضرا بهما سباق صيد ابن آوى في بيلفوار» .

ففارقناه مؤملين انه سيبعث لنا بحصانين ثقيلين لكي يختبر بهما مقدرتنا على التصرف . لكن الرجل فاجأنا باليوم التالي عندما بعث الينا بجوادين كريمين رشيقين فلما امتطيناهما وجدناهما مدربين على القفز والعدو هذباً بحيث يمكنني التأكيد بأنني لم استمتع في كل حياتي بأي ركوب كذلك الركوب الذي وجدت به حصاني وكأنه على معرفة قديمة بي ولذا فقد سهل علي اجتياز جميع الموانع التي صادفتني بالريفالانكليزي وأنا على ظهر ذلك الجواد الرشيق الخفيف الحركة والذي احببته حقاً.

كانت كلفة تأجير الحصان في اليوم الواحد أربعة جنيهات[٣] استرلينية فقط. ولو حدث للحصان اثناء ممارسة الرياضة أي حادث يؤدي الى نفقه فان مالكه يتقبل ذلك برحابة صدر ولا ينبس ببنت شفة. لقد لمسنا في تلك الزيارة الكرم الانكليزي عندما تعرفنا على عدد من رجال المجتمع وتقبلنا دعواتهم وكانت آخر تلك الدعوات هي الدعوة التي وجهها لنا السيد أوغوست نيڤن دومونت الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس ادارة سوسكس الشرقية. ولنا أن نتصور مدى العلاقة الوطيدة التي كانت تربط الشعبين الانكليزي والبروسي متمثلة بالتكريم البالغ الذي لقيناه من لدن اولئك السادة الأماجد.

وحدث ان قمت بعدئذ بزيارة أخرى قصيرة لبريطانيا واستصحبت زوجتي معي. وكان ذلك في تشرين الثاني من عام ١٩١٣ عندما رجاني مدير الاصطبلات الامبراطورية بارون ڤيستنفالن – قبيل سفري الى واشنطن– مرافقته في زيارة لبريطانيا بقصد شراء بضعة رؤوس من الجياد الأصيلة لاصطبلات الامبراطور . وقد دعانا لورد آنالي لمشاركته في حفلة لصيد ابن آوى على ظهور الخيل.

وكانت تلك السفرة افضل فرصة اتيحت لي للتمتع برؤية أجمل الخيول الأصيلة . وقد اعجبت انا والبارون ڤيستنفالن بحصان رشيق ففاتحنا صاحبه متسائلين عما اذا كان على استعداد لبيعه لأمبراطور المانيا فأجاب على التو:

« «لا يا سادة سوف لن ابيعه حتى ولا لملك بريطانيا»

كانت تلك آخر زيارة قمت بها لبريطانيا . وكم يحز في نفسي أن أجد تلك الامبراطورية العتيدة والمنقطعة النظير وقد اصبحت في ذمة التأريخ.

---

(٣) يعادل الجنيه الانكليزي ٢١ شلن اي انه أكثر من الباون بشلن واحد ويعتبر التعامل بالجنيه من مظاهر الوجاهة في المجتمع الانكليزي الارستقراطي .
– المترجم –

ذلك لأن حربيها العالميتين اللتين خاضتهما ضد المانيا جعلتها تفقدمستعمراتها المترامية الاطراف والمنتشرة في جميع ارجاء المعمورة.

واني لاغبط بريطانيا على نظامها البرلماني. والواقع هو انني لم افهم ابدا لماذا بقيت هذه البلاد محافظة على الرغم من متحرريها واشتراكييها الذين شهدوا انهيار النظام الملكي في المانيا بكثير من التشفي. ولو ان اولئك الناس تمعنوا بعقابيل الحرب لما اقدموا على خوض الحرب العالمية الاولى التي تمخضت عن فقدان اواسط اوربا لمركزها السياسي الذي كانت تتصدى منه لاطماع اوربا الشرقية في التوسع.

# الفصل الثالث

## في ليلة نشوب الحرب العالمية الأولى

**بدء الحياة الجدية . اكاديمية الحرب . پوتسدام . هيئـة الاركان الكبرى . في الوحدات النمسوية . غراف شليفن ومولتكه الصغير . التوترات الأوربية . تم تحقيق الغرض .**

عندما رجعت الى ديوسلدورف في عام ١٩٠٥ ادركت بأن الوقت قد حان لوضع أسس حياتي العائلية . وقد حدث ان تزوجت في هذه الفترة احدى بنات عمي من ابن المستشار فون بوخ غالهاو وكان هذا الزواج بادرة خير لي لأنه كان المناسبة التي تعرفت بها على الأسرة الكريمة التي اتحفتني بزوجتي العزيزة وهي من أسر مدينة ميتلاخ الأثرية الجميلة . وفي مايس ١٩٠٥غادرت عروسي معي بيت اهلها الموتق الكائن على ضفة السار وقد حظينا بلطفهم الجم عند وداعهم لأصغر بناتهم حيث استقرت في بيت الزوجية الذياشاعت فيه الكثير من اللمسات الحانية التي جائت بها من أهلها ومن وطنها وحاولت تطبيقها في منزلي . وانني لعاجز عن تصور حالتي لو لم أتعرف على هـــذه

السيدة الأصيلة الكريمة المحتد والتي صحبتني طوال خمسة واربعين عاما عشناها بسعادة منزلية وواتانا خلالها الحظ السعيد.

عندما اقيمت حفلة العشاء لاعلان خطوبتنا القى والد قرينتي كلمة موجزة بالمناسبة باللغة الفرنسية جريا على عادة عوائل ميتلاخ آنذاك • ولم افهم من كلمة الرجل سوى نصف فحواها وكان هذا مدعاة لغيظي الذي كظمته على مضض • وقد قال حماي لابنته فيما بعد بأنه يكن تقديرا خاصا لضباط الركن .• ولذا فقد حزمت أمري على تعلم اللغة الفرنسية أولا ثم اردت كسب التقدير الاستثنائي الذي يكنه والد زوجتي لضباط الركن فقررت الانتماء لهيئة الاركان وكان قراري سهلا ولكنه استوجب علي سلوك الطريق الشاق الذي تعتوره الصعاب ويتطلب الكثير من الجهود المضاعفة.

كانت أسرة بوخ غالهاو أسرة شديدة التأثر بالعلاقات السياسية الالمانية ـ الفرنسية ولذا فان مرد اهتمامي الشخصي الكبير بمشكلة علاقة المانيا مع فرنسا يعود لتأثري بالمسألة بحكم اهتمام أسرة زوجتي بها • وللأسرة المذكورة وشائج قربى ببعض أسر لوكسمبورغ كما انها ذات قرابة مع أسر أخرى لورينية .• حيث ان احدى عمات زوجتي متزوجة من ضابط فرنسي • والاخرى متزوجة من المركيز الفرنسي دونسيو دي شافاردون والثالثة متزوجة من النبيل اللوكسمبورغي لامورال ڤيلرز• اما الشقيقة الكبرى لزوجتي فهي قرينة حفيد البارون نوت هومب الذي كان احدابطال استقلال بلجيكا•

ولقد ورثت زوجتي عن عمها ادولف فون غالهاو منبع المياه المعدنية في السار الذي اقامت اسرتنا على ارضه فيما بعد منزلها • وهكذا يجد القاريء ان جميع هذه العوائل ساهمت بحروب الحدود الطويلة التي دارت في مناطق سكناهم منذ عهد لويس الرابع عشر • ولذا فليس من الغريب ابدا ان تجد ابناء تلك الأسر يفكرون دائما بالوفاق الدولي والوحدة الأوربية بحثا عن السلام• وهذا ما انعكس علي بالذات فحذوت حذوهم وكأنني احدهم • واصبحت بحكم المصاهرة متأثرا بالافكار السائدة في مجتمع

ميتلاخ.

ادرك والد زوجتي واسلافه في وقت مبكر المشاكل الاجتماعية المترتبة على النهضة الصناعية والقضايا الناتجة عن معيشة العمال في اماكن ضيقة في المدن الصناعية وهي المشاكل التي برزت بوضوح خلال القرن العشرين . وعليه فلم يدخروا وسعا ــ لاسيما وانهم كانوا من الموسرين ــ في تأسيس ملاجيء للايتام والعجزة ومستشفيـات وصناديق للرعاية المالية التي تونى بانتظام للعوائل الفقيرة.

ولما تولت الدولة فيما بعـد مهمـة الاشراف على هذه الفعاليـات الانسانية استمر الرجل على فعالياته ببذل المساعي الحميدة لخدمة المجتمع في شتى مناحي الحياة . وقد اقتديت به فيما بعد في اغلب نشاطاتي البرلمانية المتعلقة بالرعاية الاجتماعية وجعلته مثلي الاعلى.

عندما رشحت نفسي للالتحاق بكلية الاركان اشركت بدورة تمهيديـة تفتح في كل حامية تحضيرا للاشتراك باختبار القبول الذي يتم في مقر كلية الاركان ببرلين . وهي دورة تتطلب الكثير من الجهود المضـاعفة . حيث يشترك في الاختبار التنافسي الذي يجري في كل سنة اكثر من الف ضابط لكي يفوز منهم بالقبول زهـاء مـائة وخمسون ضابطا فقط. وتشتمـل الاختبارات على دروس التأريخ والجغرافيا واللغـات والتعبيـة والتأريخ العسكري والدروس العسكرية الاختصاصيـة الاخرى كالتحصين وتعليم الاسلحة والادارة .. الخ. وكان الحافز الاضافي الذي دعانا لترشيح أنفسنا للقبول في كلية الاركان هو تحول الضابط من الخدمة في حاميات الحدود الصغيرة الى الاقامة ببرلين طوال ثلاث سنوات تتاح له خلالها فرصةالدراسة الاختصاصية الرفيعة. واذا حاز المرء نجحاً في مساعيه وواتاه الحظ السعيـد ليكون ضمن أول ١٥٪ من الخريجين فانه يجب ان يتوقع لنفسه مستقبلا باهرا.

وهناك الى جانب مشاغل الدراسة في الكلية مناسبات فريدة يتشوق كل ضابط للمساهمة فيها كالمناورات الكبرى التي تنفذ في منطقة هيسن ــ راين

يفالتس • والتي دعي لحضورها في احـدى السنين الفريق الاول الانكليزي فرينش ولم نستشرف غياهب المستقبل آنذاك حيث أصبح ذلك القائد بعـد بضعة اعوام «قائدا لقوة الانقاذ البريطانية» التي ارسلت عبر القنال الانكليزي في آب ١٩١٤ لمساعدة الفرنسيين ضدنا .•

وفي السنة التالية أجرى المقر العام « تمرين القيصر » في منطقة هانوفر ـ ويستفاليا • وتم تنسيبي آنذاك مرافقا لضيف القيصر الامير دون كارلوس آل بوربون وهو نسيب ملك اسبانيا • فصحبت الضيف الى معسكر وحـدتي السابقة واستقبلني آمرنا فون پيليه ناربونه حيث أعد لنا اقامة مريحة في قصر مجلس الامراء القديم بهانوفر .•

ولقد اتيحت لي بطبيعة الحال فرصة التعرف على آراء الامير وصديقـه الامير نيكولايڤيتش اذ وجدت ان الامير الاسباني واسع الثقافة ويمكنه ادارة دفة الحديث بموضوعية تامة في المجالات العسكرية والسياسية ويقدم آرائه الصائبة بصدد المعضلات التي كانت قائمة آنذاك •

وحدث ان باغتني مرة بقوله :

« انني لا أفهم قيصركم • فهو يدلل اليهود كثيرا .• وقد قلت له مرة بأنه سيجني عاقبة عمله هذا لانه أمر في غاية السوء » •

ولقد تعجبت كثيرا لهذا الانتقاد السافر من الامير لمضيفه .• وكان ان بقيت أتمعن بقوله هذا بين آونة وأخرى • فالمعلوم للجميع ان غليوم الثاني كان قد منح الكثيرين من أساطين الصناعة الالمانية اليهود القابا نبيلة وأسـبغ عليهم المكارم الوفيرة ووطد لنفسه معهم علاقات صداقة حميمة • وكان ان حاز القيصر

لقاء تلك المودة على الاخلاص[1].

ولقد عجبت فيما بعد لتنكر يهود الولايات المتحدة الامريكية لالمانيا وللقيصر بالذات ابان الحرب العالمية الاولى . حيث سمعت تهجم اليهودي الامريكي ـ الالماني الاصل ـ تشارلس شقاب من شركة بيت لحم للفولاذ على المانيا وعلى القيصر شخصيا .

أما الامير الروسي نيكولايفيتش الذي صار فيما بعد قائدا عاما للجيش الروسي فقد لاحظت عليه أيضا شدة انتقاده لالمانيا في ذلك الحين . ويبدو ان ذلك الرجل لم يدرك بأن عهد الحلف المقدس قد مضى وان عهد بسمارك قد انقضى وان قيصره الضعيف اصبح العوبة بيد الغلاة من دعاة القومية السلافية .

في تشرين الاول ١٩٠٧ وجب علينا ان نغادر مدينة ديوسلدورف الحبيبة وان اودع كتيبتي العزيزة لكي أبدأ مهمتي الجديدة في برلين التي استوجبت مني مفارقة القطعات وهذه حالة افتقدتها ما حييت لانني خسرت العلاقة الحميمة والمستمرة بين ضابط القطعات ورجاله الاشاوس . فعلى الرغم من الضبط الصارم تبقى روح المودة والعلاقة الرفاقية مستمرة على مر السنين طوال أيام

---

(١) لا نؤيد المؤلف برايه هذا لان الوقائع التاريخية الثابتة تناقض ما ذهب اليه. فقد كان غليوم الثاني من أشد اباطرة اوربا مودة لليهود الذين استغلوا صداقته للسلطان العثماني عبدالحميد الثاني الذي دعاه لزيارة القسطنطينية في عام ١٨٩٨ وعرج منها على دمشق والقدس حيث قابل هناك ـ نتيجة تدبير مسبق ـ داعية الصهيونية الاول تيودور هرتسل الذي اقنعه بمفاتحة السلطان لمنح فلسطين لليهود لقاء رشوة مجزية فلما فاتحه فعلا رفض السلطان الطلب ولم يتزحزح عن رايه بأن الارض المقدسة تعتبر جزءا من مسؤوليته المقدسة .
الا ان اليهود ما ان استشفوا خسارة المانيا الوشيكة للحرب العالمية الاولى الا وحولوا جهودهم و ( ولائهم ) لخدمة الحلفاء وخصوصا بريطانيا التي احتلت فلسطين بغية استمالتها وتنفيذ مخططاتهم الاجرامية وخانوا القيصر وبلاده . وقد أثار هذا الجحود حفيظة القوميين الالمان فيما بعد وخصوصا هتلر الذي انتقم منهم شر انتقام . ـالمترجمـ

العمر . فالعوائل الويستفالية والراينية كانت تبعث اولادها الينا لأنها تقدر مدى التثقيف وتعاليم النظافة والطاعة والاخلاص التي يحصل عليها اولئك الشباب .

وليس ادل على وفاء جنودي النجباء من الرسائل التي لا ازال اتلقاها من بعضهم بين آونة وأخرى رغم مرور أكثر من نصف قرن على خدمتنا معا .

على تلميذ الاركان ان يتم دراسة ثلاث سنوات في اكاديمية الحرب وتبدو مباني الاكاديمية التي كانت في شارع دوروتين ببرلين مثل مباني أية جامعة أخرى ولكن المحاضرات التي تلقى فيها تختلف عن المحاضرات الجامعية اختلافا تاما . اذ لا تسود في اكاديمية الحرب القواعد المعتادة وانما تعتبر الاستثناءات هي الاسس المعتمدة لترصين المعلومات التي تتضمن دراسات عديدة من أجل تقوية قابليات الدارسين فيها . وتستمر الدراسة العسكرية المتسمة بالدقة المتناهية خمس ساعات في اليوم وتتطلب كلها التحضير المسبق . أما ساعات العصر فتترك لتنظيم الامور المعاشية للتلاميذ وتلقى الدروس الاخرى غير العسكرية كالتأريخ والجغرافيا واللغات . ثم تأتي الاختبارات الصارمة لتقييم قابليات كل تلميذ وتحديد مستواه . وواضح ان الضبط الصارم والحرص الشديد على توخي العدالة لابد ان يؤديان الى بروز المتفوقين بجدارة دون غيرهم . وكان زملائي في الدورة ينحدرون من أسر المقاطعات الالمانية المختلفة. وقد اقمت علاقات صداقة وطيدة مع معظمهم استمرت طوال السنين الماضية التي تخللتها الكوارث والحروب ولقد برز من رفاقي الذين واصلوا الخدمة في المجال العسكري عدد كبير من القادة المرموقين في تأريخ المانيا العسكري امثال الفريق البارون فون فريتش والفريق البارون فون هامرشتاين اكوورد والمشير فون بوك .

وكان تعليمنا يشتمل على الالتحاق بوحدات من الصنوف الاخرى ولانني ضابط خيالة فقد الحقت لبضعة اشهر في لواء المشاة السكسوني الملكي في شتراسبورغ[٢] ثم بكتيبة مدفعية الميدان المرابطة في ترير[٣] .

(٢و٣) ضمت شتراسبورغ وترير الى فرنسا منذ نهاية الحرب العالمية الاولى لانهما تقعان ضمن اقليمي الالزاس واللورين .

ــ المترجم ــ

وعندما انهيت دراسة الاركان حصلت على اجازة طويلة قضيتها في فرنسا من أجل تقوية لغتي الفرنسية • وللتعرف على طبيعة الشعب الفرنسي •

الحقنا ـ نحن المائة والخمسون ضابطا ـ بعد تخرجنا في الكلية بمختلف وحدات وتشكيلات الجيش الالماني لمدة ستة اشهر تم خلالها انتقاء عـــدد يتراوح بين ثلاثين واربعين ضابطا منا لكي يعملوا في هيئة الاركان الكبرى • وكان من نصيبي ان الحقت في تلك الاشهر الستة بلواء مشاة قديم كان بأمرة آمري السابق العقيد فون پيليت ـ ناربونه وكان اسكان اللواء في بوتسدام وقد حظيت برعاية آمر اللواء ولطفه اللذين لن أنساهما ما حييت •

في ١ نيسان ١٩١١ صدر الامر بانتقائي للعمل في هيئة الاركان الكبرى ببرلين ولعلي قضيت أفضل سنتين من سني الخدمة طراً في عملي هناك • حيث اقمت مع اسرتي الصغيرة في دار تقع قبالة الحديقة الجديدة لقصر المرمر الذي أقام به ولي العهد آنذاك والقائم في أرقى أحياء برلين الحديثة وهو حي تحف به الحدائق الغناء الساحرة • وكان هذا السكن المريح والحياة الهادئة مدعاة للعمل المثمر الى ابعد الحدود •

ابدى المشير غراف شليفن رئيس هيئة الاركان الكبرى سروره البالغ عندما رآني احمل شعار كتيبته التي سبق أن خدم فيها ثم صار آمرها ردحـا طويلا من الزمن قبل ان يصبح رئيسا لهيئة الاركان الكبرى • واستبشر لعملي معه ـ بصفة ضابط ركن حديث ـ في المقر العام الذي اقام في بناية فخمـة بميدان الملك ببرلين •

وبعد فترة وجيزة من التحاقي بالمقر العام تخلى المشير غراف شليفن عن منصبه وحل محله الفريق فون مولتكه الصغير وهو ابن أخ المشير فون مولتكه الكبير • الا ان الروح التي نفحها غراف شليفن بادارة العمليات الالمانية بقيت سائدة ردحا من الزمن رغم تقاعده وحلول فون مولتكه الصغير بمحله •

وقد حصلت على انطباع رائع لا يمحى من الذاكرة عندما استأنست باللقاء مع القائد غراف شليفن في مناسبات العشاء التي كانت تقام في المقر العـام

واستمعت خلالها لآرائه العسكرية والسياسية السديدة والمتعلقة بموقف الدولة الالمانية في ذلك الحين .

كنت منسبا للعمل في الشعبة العاشرة التي كانت مختصة بالنمسا . ولم تكن امبراطورية النمسا والمجر تكتم عنا اي سر من اسرارها العسكرية وانما كان هناك تبادل لوجهات النظر فيما بين قادتنا وقادتها يتم على أعلى المستويات . ولذا فقد كان رئيس هيئة اركان الجيش النمسوي الفريق كونراد فون هوتيسندورف يبادل رئيس الاركان الالماني اخلاصا باخلاص . وكانت الفكرة السائدة آنذاك هي ان نشوب الحرب بين امبراطورية النمسا والمجر وامبراطورية روسيا يعتبر من الامور التي لا سبيل لتفاديها نتيجة لسياسة الوحدة السلافية التي شرعت روسيا بممارستها والتي استنكرتها حكومة برلين آنذاك .

وكان العمل في هيئة الاركان الكبرى يتسم ببذل الجهود المضنية من أجل انجاز الكثير من الفعاليات بمنتهى الدقة والانتظام . بالاضافة الى تعدد الواجبات التي كنا نكلف بها . وكنا نطبق في كل اسبوع تقريبا تمرينا فحصيا اما ان يكون تعبويا أو سوقيا لكي تتاح لرئيس كل قسم التعرف على امكانيات ضباط ركنه وقابلياتهم عن كثب لكي يتسنى له تمييز الغث من السمين . والامر الذي أثار اعجابي من هذا الموضوع كله هو تمتع الرؤساء بكامل مسؤولياتهم في تقدير كل فرد وتقديم تقرير جازم عن قابلياته . اما انا فقد استفدت من التقييم الذي صدر بشأني في السنوات التي أعقبته وخصوصا عندما كنت أقوم بتقييم العاملين معي فيما بعد في رئاسة الحكومة وصادفت نجاحا ملحوظا في هذا المجال ولم اتعرض للنقد الا لماما وأصبحت قادرا على اتخاذ القرارات السريعة الصائبة والتصرف المباشر دون أي تلكوء . وقد تكون هذه الاجراءات اقل ملائمة لي كسياسي منها كعسكري ولكنني استفدت من هذه التجربة في كلتا الحالتين الى أبعد الحدود طيلة حياتي . وانني لمدين بالشكر لمن علمني واحسن تثقيفي .

كان عملنا في مركز القيادة الحيوي الرفيع المقـام وثيق العلاقة بكثير القرارات السياسية المؤثرة على اوربا الوسطى • ولقد استشففنا بوادر الحرب العالمية الاولى من غيوم الاختلافات التي بدأت تخيم على علاقات الدول • ولما كنت من مركزي المتواضع كضابط ركن صغير جزءا من الآلة الحربية الضخمة فقد قدرت فداحة الخسائر التي سوف تتمخض عنها الحرب الكبرى المتوقع نشوبها•فعلى الرغم من معلوماتنا المحدودة عن تأثيرات الاسلحة الحديثة ومدى تسلح الدول الاوربية فقد حدسنا الحاجة للسلام بدرجة تفوق الكثيرين من ساسة اوربا في ذلك الحين •

كانت مهمتنا تتلخص بادامة الماكنة العسكرية الالمانية بحيث تكون قادرة في كل حين • ولذا فقد كان من واجبنا في ١ نيسان من كل سنة تقديم خطط الحركات وخطط النفير المنجزة لذلك العام • وتكون عـادة بالشكل الملائم لتوجيهات القيادة السياسية • وغالبا ما كانت تلك الخطط تتضمن التعرض على فرنسا ــ عند اقتضاء الحال ــ والدفاع ازاء الشرق • او الهجوم على روسيا مع اتخاذ التدابير الدفاعية ازاء الغرب وانني لاتذكر جيدا بأن هيئـة الاركان الكبرى تلقت امرا من القيصر في كانون الثاني ١٩١٣ بعدم وضع أيفة خطط في نيسان من ذلك العام للتعرض على روسيا • ولعل الغرض الذي رمى اليـه القيصر من اصدار ذلك الامر هو اعطاء الاستخبارات الروسية ايماءة بنواياه التي عبر عنها بهذا الاجراء غير الاعتيادي لكي يزيل حـالة التوتر القائمة بين الدولتين •

ولما تأزمت العلاقات بين المانيا وروسيا بعد فترة وجيزة بسبب ازمـة البلقان عاد القيصر فأصدر أمرا مضادا يقضي باعادة اصـدار لائحة الحركات التي تتضمن التعرض على روسيا.• وواضح اننا تملكنا الحنق الشديد لضرورة انجاز تلك الخطط التي يتطلب اكمالها عمل بضعة أشهر خلال اسابيع قليلة • وقد تضمنت فعالياتنا انجاز خطط التنقل بالقطارات وهي لعمري خططا مرهقة لنا نحن الذين تكلفنا باعدادها بدقة متناهية الى حد الدقيقة الواحدة • ولم نكن نعمل لمدة معينة في تلك الايام وانما كنا نواصل الليل بالنهار حتى انجزنا المهمة

الموكلة بنا خلال فترة وجيزة .

وكثيرا ما كنا نشاهد رئيس اركان الجيش النمسوي بين ظهرانينا ابان الاشهر التي نشبت فيها حرب القرم. وكان القائد النمسوي دائبا على السعي لاستمالة الفريق مولتكه الصغير وموضحا له بأن المانيا سوف لن تكون لوحدها عندما تخوض أي نزاع مع روسيا . ويذكرني هذا الموقف بالموقف السائد بعد الحرب العالمية الثانية والذي يدعو فيه الكثيرون الى ضرورة القضاء على الشيوعية الدولية بوقت مبكر وان السبيل الوحيد لتحقيق هذه الضرورة الملحة هو اللجوء للحرب التي لا مفر من شنها.

الا ان الفريق مولتكه الصغير واعوانه كانوا يدركون تماما مدى ضعف حلفائنا النمسويون. وكانوا يتمثلون برأي بسمارك الذي ينص على وجوب عدم تورط المانيا بأية حرب في سبيل البلقان. وكان من رأيه ايضا عدم شن أية حرب وقائية . وهذا الرأي الاخير يشاركه فيه الفريق آيزنهاور الذي يتفق معه بآرائه السياسية والعسكرية.

في ٩ آذار ١٩١٣ وبعد خمس سنوات من العمل تحت التجربة في مختلف الشعب تم تثبيتي بأمر وزاري بمنصب ضابط ركن في هيئة الاركان الكبرى. وقد فرحت لهذا التثبيت غاية الفرح لأنه كان دليلا حاسما على نجاحي في اعمالي. وللمرء أن يتصور مدى تعجبي عندما استدعاني مدير ادارة الاشخاص بعد أشهر قليلة أي في خريف ذلك العام وسألني عما اذا كنت على استعداد لقبول منصب الملحق العسكري في واشنطن. وكان مثل هذا المنصب اكثر ملائمة لضابط مجرب من ضباط الركن كما انني كنت مشغوفا بالامبراطورية البريطانية الى درجة الهوس حيث ان رفاقي كانوا على علم بمدى متابعتي لقوة بريطانيا وحيويتها وأساليبها السياسية . أما الولايات المتحدة الامريكية فقد كانت ذات قوة بعيدة عن اوربا ولم تكن قوتها العسكرية معتبرة كما هي الآن.

ساورني الشك في مدى ملائمتي لقبول المنصب المعروض علي. الا انني

بقيت ارنو بفضول متزايد لمشاهدة القارة غير المعروفة بالنسبة لي والتي سمعت الكثير عن امكاناتها غير المحدودة.

تلقيت قبل مغادرتي المانيا لاستلام منصبي الجديد في كانون الاول ١٩١٣ امرا بمقابلة حضرة صاحب الجلالة القيصر . ولما قابلته دعاني لتناول الفطور على مائدته فوجدته مهاب الجانب وقد اتخذ الفطور صفة عائلية . وتحدث القيصر خلال الفطور عن اصدقائه ومعارفه الكثيرين في الولايات المتحدة ثم قال لي بأنني محظوظ جداً لتولي هذا المنصب. واردف قائلا:

« تعلم جيداً كيف تتكلم الانكليزية . وادرس البلاد والناس وخصوصا روحية الشعب الامريكي. وسأبعثك فيما بعد لتكون ملحقنا العسكري بلندن » .

ولما استأذنته للانصراف حملني تحية خاصة للرئيس تيودور روزڤلت وكان لهذه التحية الودية أبلغ الأثر في نفس الرئيس الامريكي.

وعندما ابحرت بعد بضعة ايام تركت زوجتي واطفالي في المانيا على أمل استدعائهم في صيف ١٩١٤. لكنني لم أعلم بأنني سأبقى في امريكا لوحدي طوال سنتين دون ان اراهم خلالها أبداً.

## الفصل الرابع

# في الخدمة الخارجية لأول مرة

**واشنطن . منصبي في المكسيك . حرب اهلية . حرب في ڤيراكروز . غيوم تتلبد فوق اوربا . غداء مع الاميرال كرادوك . اعلان الحرب . على ظهر مدمرة امريكية الى غالفستون . نظرة تأريخية .**

كان لواشنطن في تلك الايام سحر المناطق الزراعية لأنهـا خاليـة من ناطحات السحاب وتحف بها حدائق غنـاء ومروج مخضرة تبعث المسرة في النفوس. كما ان بيوتها ذات طراز مريح. وكانت السفارة الالمانية تقيم في منزل منيف في شارع ماساشوسيتس. وقد خصص الطابق الارضي من بناية السفارة لدائرة المستشار . وخصص الطابق الاول لاقامة السفير . أمـا دائرتي فكانت في الجزء الخلفي من البناية ولا يمكن الوصول اليها الا بعد المرور بالقن الذي كان اصحاب الدار قد اقاموه لتربية دجاجاتهم.

كان السفير غراف بيرنستورف دبلوماسيا من المدرسة القديمة . ولذا فقد استقبلني ــ وانا الملتحق بالخدمة الخارجية لاول مرة ــ بمودة ظاهرة

مشوبة بالتحفظ وحذرني قائلا:

« تذكر دائما يا عزيزي فون پاپن بأنه ليس من مهمة الملحق العسكري ابدا ارسال أية تقارير سياسية للوطن»،

فقدرت عندئذ بأن سلفي ربما أعيد الى المانيا لهذا السبب بالذات. وعليه فقد تم تحديدي بالانصراف كلياً للقضايا العسكرية.

أما مستشار السفارة فكان السيد فون هانيل وهو من ابناء اسرة هانيل المشهورة في ديوسلدورف.

وكان سكرتير السفارة البارون فون ليرسنر وهو من اصدقائي القدماء ي كتيبة الخيالة. وكان ابان دراسته الجامعية من اعضاء عصبة بون البروسية. كما عمل معنا في السفارة آنذاك غراف بيركهايم وهو ابن المبعوث الدبلوماسي لولاية بادن . وكان الملحق البحري في السفارة القبطان بوي اد الذي سرعان ما كونت معه علاقة صداقة حميمة لأننا كنا نتبادل الآراء ويقوم كلا منا بالوكالة عن رفيقه عند تغيبه عن العمل في السفارة لسبب او لآخر.

لم يكن هناك ما يستأهل الاهتمام في واشنطن من الناحية العسكرية بصورة عملية. فقد كان «الجيش الاتحادي» في تلك الايام منظماً وفق الأسس الاوربية السائدة وكان يقتبس منها مفاهيمه التعبوية والسوقية . الا انني لاحظت بأن العلاقة بين الآمرين والمرؤوسين تتخذ طابع الفظاظة في المعاملة. وسرعان ما وجدت نفسي منهمكا بالعمل المجهد. كما كانت هناك دعوات كثيرة توجه الي من أناس لا اكاد اعرفهم ثم انني غالبا ما كنت التقي بهم للمرة الأولى والاخيرة. ولذا فمن البديهي الا اتفهم الحياة في المجتمع الامريكي لاختلافها الواسع عن الحياة في العالم القديم.

ولكي اروّح عن النفس وامارس الرياضة بانتظام فقد انضممت لنادي اقليم تشيڤي تشيز وفي هذا النادي تعرفت على رجل يبدو للوهلة الاولى عدم امكانية ممارسته الرياضة وكان ذلك الرجل فرانكلين ديلانو

روزفلت، ولم يخطر ببالي مطلقا آنذاك بأن هذا الرجل ـ رغم العاهة التي اقعدته نتيجة لاصابته بشلل الاطفال ـ سيلعب دورا مهما بعد ثلاثين سنة فيؤثر على انهيار الامبراطورية الالمانية الثالثة وانـه سيؤثر علي بالذات لأنه سيساهم في تحديد مصير بلادي ومسيرتها التأريخية . ثم انني تعرفت على شخص آخر خلال ممارستي للفروسية صباح كل يوم في منتزه «روك كريك» هو الفريق ليونارد وود، وكان هذا قد خدم حاكما عاما لكوبا ثم حاكماً عاماً للفليبين فأظهر جـدارة تستحق التقدير . وليس أدل على نبله من حفظه لذمام صداقتنا الوطيدة حتى في الايام الحرجة التي عشتها بعد نشوب الحرب . وقد خصص لسكناه منزلا فاخرا في جزيرة الحاكم المطلة على ميناء نيويورك تقديرا لخدماته العسكرية الجلى.

أقام الرئيس وودرو ويلسون اول حفلة استقبال في البيت الابيض في شباط ١٩١٤ وقد كان لطيفا معي عندما تبسط في الحديث الا انني تصورت عينيه من خلال النظارة الطبية المؤطرة بأطار ذهبي وكأنهما عينـا استاذ التأريخ الذي كان يحرجني بأسئلته عن تواريخ الوقائع وهي اسئلة لم اكن اتوقعها ابداء

اخبرت الرئيس ويلسون بعزمي على زيارة المكسيك لأنني اعمل ملحقا عسكريا لبلادي في تلك البلاد ايضا، فعلق على قولي: «انني احسدك ايها الشاب فلطالما رغبت انا ايضا بزيارة المكسيك ورؤيتها عن كثب لكن لكثرة مشاغلي حالت دون تحقيق هذه الرغبة.»

تضمنت خطة سفري للمكسيك شيئا من التسكع، اذ كان القيصر قد امرني بالسفر للمكسيك بقصد رؤية اكثر ما يمكن ولذا فقد وضعت منهجا لزيارة قنـاة بنمـا خلال اشهر الصيف حيث يجري افتتاح المعرض الدولي في سان فرانسيسكو وتقوم بعض السفن الحربية من مختلف الدول ـ ومنها بعض السفن الالمانية ايضا ـ باجتياز قناة بنما . ثم اقوم بالتعريج على المكسيك. وكانت في المكسيك حرب اهلية الا ان هذا كان أمرا ممتعا بالنسبة لي بدرجة تفوق متعتي بالحياة الاجتماعية في واشنطن.

سافرت مع كلا من ليرسنر وبيركهايم في اواخر شباط ١٩١٤ الى كوبا ومنها الى جامايكا ثم الى مدينة مكسيكو حيث قدمت نفسي لرئيسي فيها القنصل الالماني العام الاميرال فون هينتسه. وكنت قد استحضرت لزيارة المكسيك بدراسة تأريخ تلك البلاد بامعان. ومع ان تزويق التأريخ يعطي للمرء صورة مشرقة عن البلاد الا ان الذي لمسته كان امرا آخر. وحسبي ان اسوق هنا ما صادفته في اول لقاء لي مع الرسميين. اذ ما ان وصلت الى مدخل القصر الجمهوري الشاهق لتقديم نفسي لوزير الحرب المكسيكي وأنا بكامل ملابسي العسكرية وعرّفت الحرس بمنصبي ورتبتي بأفضل ما أحسنه من العبارات باللغة الاسبانية. الا واشار آمر الحرس الى راية مركونة فيزاوية المدخل قائلا بأنني يقتضي علي اداء التحية لتلك الراية قبل ان اخطو داخل القصر. فأمتثلت لأمره وحييت الراية وواصلت سيري. ثم علمت فيما بعد بأن الراية المذكورة تخص كتيبة المشاة ٢٩ الميمونة النقيبة لأنها هي التي نفذت جميع ثورات المكسيك بنجاح.

وعندما قابلت وزير الحرب المكسيكي الفريق بلانكَيت وجدته سيدا لطيفا متقدما بالسن. وقد حياني الرجل بأدب جم وابدى اعجابه بالجيش الالماني . وقال ان الجيش المكسيكي يقتدي به ويحذو حذوه .

ولربما أراد الرجل ان يعرض لي نبذة عن فعالياته الشخصية للتدليل على قوة مركزه فحدثني قائلا انه كان عريفا في الجيش وقد قام مع حضيرته باطلاق النار على الامبراطور مكسيمليان في كويريتارو . الا انني حاولت تغيير اتجاه الحديث نحو الحالة المضطربة في المكسيك آنذاك وأخبرت الوزير بخطتي التي تتضمن السفر للمقاطعات الشمالية التي تدير فيها حكومته قتالا مستمرا مع عصابات پانشو ڤيلا الثائرة.الا انه نصحني بعدم السفر الى هناك وقال انه غير مسؤول ابدا عن سلامتي ولما قلت له بأنني على استعداد للسفر على مسؤوليتي الخاصة هز كتفيه متشككا بعودتي من السفرة سالما.

كانت العاصمة المكسيكَية تعيش حالة من الحصار في تلك الايام اذ كان

هناك زعيم ثوري يدعى «ثاپاتا» يشن غاراته الليلية الجريئة من المناطق الجبلية المحيطة بالعاصمة. وقد بدى لي بأن الجيش والشرطة عاجزين عن صد تلك الغارات. ولذا فقد قام الاوربيون المقيمين في حي خاص بهم بتنظيم الدفاع عن حيهم بقصد المحافظة على ارواحهم وارواح عوائلهم وممتلكاتهم والفوا قوة من المتطوعين لهذا الغرض.

ونظرا لانني كنت العسكري الوحيد بين افراد السلك الدبلوماسي فقد رجاني اولئك الناس لكي اتولى مهمة قيادتهم. وكانت المدمرة الالمانية «دريسدن» راسية قبالة ميناء «ڤيراكروز» وقد اعدت رشاشتين متوسطتين مع اعدادهما جاهزتين لتقديم الاسناد اللازم لقوتي. وقد حذت حذوها مدمرة يابانية كانت تلقي مراسيها على الساحل الغربي لذلك الميناء. واستطعنا بتلك القوة البسيطة رد غارات عصابة ثاپاتا على اعقابها لكنني أرى لزاما علي ان اعترف بأن الاجراءات الوقائية الصارمة كانت اكثر مما ينبغي بكثير لأن قوة ثاپاتا لم تكن تستحق كل تلك التدابير لكن الاوربيين أرادوا ضمان سلامتهم باتخاذ تدابير أمنية مضاعفة .

فرحت كثيرا عندما سمح لي الفريق بلانكيت أخيرا بزيارة المقاطعات الشمالية لأنه أتاح لي فرصة ذهبية للحصول على فكرة جيدة ومعلومات دقيقة عن الناس والبلاد . وقد أدى بي الطريق في أول الأمر الى كويريتارو وتمثلت مصير الامبراطور مكسيمليان البائس وسمعت فيها نواقيس كنيسة سان فيليبه وهي تقرع كما كانت في عهد ذلك الامبراطور المنكود.ثم وصلت الى تل (كيرو) الكائن في مشارف المدينة وكانت حوله بيوت قليلة متناثرة.وهو المكان الذي كتب فيه للامبراطور وصحبه أن يلقوا فيه مصائرهم . وكان قد أعدم معه كلا من الفريقين ميرامون وميخيا. وعندما سمعوا صوت البوق أجفل الامبراطور سائلا الفريق ميخيا المجبول على حب الدعابة:

« هل هذا اشعار بتنفيذ احكام الاعدام ؟»

الا ان الفريق ميخيا لم تزايله دعابته الاصيلة فأجاب سيده قائلا :

« لست ادري يا سيدي فاليوم سيتم اعدامي رميا بالرصاص لأول

مرة» عندئذ جاء من يسأل الامبراطور عما اذا كان لديه ما يقوله قبل ان يموت.

فقال الامبراطور بصوت هامس :

« انني اتعرض هنا لمبارزة غير عادلة . ومع ذلك فانني أرجو المعذرة. فبلغوا معذرتي للجميع . وآمل ان يكون دمي المسفوك قربانا لسعادة هذه البلاد . تحيا المكسيك».

واصلت سفرتي الى توريون ومنها الى سالتيليو وهي قلعة حكومية لا يحميها سوى مدفع واحد. ووجدت عليه حارس واحد فلما تبسطت مع الرجل بالحديث الفيته يعاملني بحذر وكأنني جاسوس. وعندما ابتعدت عنه مسافة كافية اطلق علي صلية من بندقيته الحديثة . فبدى لي ان المعلومات التي جمعتها عن الحرب الاهلية المكسيكيك ضئيلة القيمة وهي بالتالي لا تستأهل المغامرة. وعليه فقد قررت الرجوع الى العاصمة.

وصلت حالة التوتر بين الولايات المتحدة الامريكية والمكسيك الى أقصى مدى. وكان الغوغاء قد انزلوا علما امريكيا في ميناء النفط «تامپيكو» فقامت الولايات المتحدة باجراءات انتقامية عنيفة الى ابعد الحدود . اذ اقتربت سفن اسطول الاطلسي الامريكي تحت قيادة الاميرال «باجر» من ميناء «ڤيراكروز» فأسرع المكسيكيون في تأليف قوة انقاذ ولما نزلت القوات الامريكية تحت قيادة اللواء فونستون. نشب قتال بين الطرفين دون اعلان الحرب . وعلى الرغم من المساعي المضنية التي قمت بها انا والجهود التي بذلها القنصل العام فون هينتسه فاننا لم تتمكن من ايجاد اية وسيلة لفض النزاع القائم بين البلدين.

وفي ١٩ نيسان ١٩١٤ أعلن الامريكان عن عزمهم على الانتقام من المكسيك فكان همنا الاول تحقيق أمن الرعايا الالمان في المكسيك وضمان سلامتهم ثم رعاية الاوربيين الآخرين قدر المستطاع. أما الرئيس المكسيكي هويرتا فقد كان بموقف بالغ الحرج ذلك لان قلقه كان موزعا بين الحرب الاهلية التي تهدد الوضع الداخلي وتكاد تعصف ببلاده وبين التهديد الامريكي الموجه لبلاده من

الخارج . وكان الجو السائد في العاصمة المكسيكية ينذر بالانفجار وان أنسى فلا أنسى تلك الليلة التي دعيت فيها الى حفلة رسمية كبرى بقصر « شاپولتيبك » اذ حدث ان انقطع التيار الكهربائي فجأة ولما عاد التيار بعد ثوان قليلة تم فيها اصلاح الخلل عجبت كثيرا لأن جميع الوزراء وأغلب الضيوف كانوا قد أشهروا مسدساتهم التي كانوا يخفونها تحت ملابس السهرة الانيقة تحسبا من أي خطر غامض قد ينالهم خلال فترة الظلام المفاجئة ولم اصادف طوال حياتي الحافلة بالاحداث الجسام اي موقف مثير للسخرية كذلك الموقف .

ويبدو من الممتع الآن ان اشير هنا لتصرفات القنصل البريطاني العام سير ليونيل كاردن لان لندن كانت قد اعطته ايمائة بالتدخل في الصراع الناشب بين المكسيك والولايات المتحدة الامريكية بأقصى طاقاته لانه يعتبر الاشارة الاولى لبداية الاستعمار الامريكي . وهكذا فترت العلاقات بين بريطانيا والولايات المتحدة . لكن هذا الفتور لم يستمر اكثر من بضعة اشهر تآلفت بعدها الدولتان وتوطدت علاقاتهما .

تدبرنا في اول الامر قطارا لنقل جميع الاجانب الذين رغبوا بمغادرة المكسيك . وقد رافقت هذه القافلة الى ڤيراكروز . ثم حصلت على موافقة الامريكان بالمرور من الارض الحرام وأوصلت القطار الى القاطع الامريكي وقدمت نفسي للقائد الامريكي بمقره . ولم تكن قوة الانزال الامريكية قد تكبدت ضحايا تذكر . كما ان الامريكان لم يوسعوا المنطقة التي احتلوها واقتصرت فعالياتهم على احتلال الميناء . وقد وجدت نفسي في تلك الاثناء بموقف يتيح لي القدرة على المقارنة بين القوتين المكسيكية والامريكية ولما تأملت ترتيبات كلا الطرفين وجدت ان قوة الحملة الامريكية كانت اكثر تنظيما . وقد جرى استقبالي في المقر الامريكي بحفاوة واضحة . وقد تعرفت بمقر الفريق فوستون على ضابط من هيئة ركنه أثار اعجابي بصورة خاصة ويدعى النقيب ماك آرثر[١] . وقد صحبني هذا الضابط في جولتي التفقدية

(١) اصبح المشير دوغلاس ماك آرثر من أشهر قادة الامريكان في الحرب العالمية الثانية لانه شغل منصب القائد العام في ميدان المحيط الهادي وهو الذي وقع وثيقة استسلام اليابان وهو احد ثلاثة قادة امريكان وصلوا الى رتبة المشير الرفيعة . — المترجم —

وعرض عليّ كل ما رغبت برؤيته ووجدت منه منتهى اللطف . ولما قرأت السيرة الذاتية لهذا الرجل بعد ردح طويل من الزمن صار فيه قائدا مرموقا وذاعت شهرته في ارجاء المعمورة ــ وكان كاتب السيرة السيد كيرونان ــ قرأت فيها ان ماك آرثر ارتدى في الفترة التي قابلته فيها بالمكسيك قيافة رعاة البقر واجتاز نقاط الحراسة المكسيكية بسهولة ثم غنم ثلاث قاطرات وعاد بها للخطوط الامريكية سالما غانما . وزعم المؤلف بأنني ساهمت في هذه المغامرة . ولابد لي أن أقول هنا حبا بالحق بأنني لم أشارك القائد ماك آرثر في تلك الغزوة .

الا ان ماك آرثر شهد لصالحي في محاكمات نورمبرغ مشكورا . كما أيد أفادتي بالاقوال التي اشرت فيها للقائي معه بالمكسيك .

كان الجيش الامريكي صغيرا الا انه ضم ضباطا ممتازين وجنودا مدربين من الطراز الاول ولذا فقد كتبت في تقاريري الى برلين آنذاك بأن تلك البلاد يمكنها التحول ــ بحكم قابليتها الصناعية الكبيرة ــ خلال فترة وجيزة الى انشاء قوات مسلحة على غرار القوات المسلحة الاوربية . ثم توقعت ان الموقف الدولي المتوتر في اوربا لابد ان يكون حافزا للولايات المتحدة لكي تجعل من نفسها قوة مؤثرة على أوربا .

وسرعان ما تحققت نبوئتي عندما ادلهمت الخطوب اثر انطلاق الرصاصات القاتلة في سراييفو وتسببها في نشوب الحرب العالمية الاولى . وكنت قد وطدت صداقتي مع كثير من اعضاء السلك الدبلوماسي في مدينة المكسيك وخصوصا مع الوزير المفوض لامبراطورية النمسا والمجر السيد فون كانيا الذي كان قد عمل رئيس تحرير في احدى دور الصحافة الكبرى ببلاده ابان قيام ازمة البوسنة وكذلك خلال حرب البلقان التي وضعت اوزارها قبل فترة وجيزة . وعلى الرغم من ان الرجل لم يقدر مدى الخطورة التي انطوت عليها حادثة الاغتيال التي وقعت في سراييفو الا انه كان متحسبا من النتائج المترتبة على مؤتمر السفراء الذي عقد بلندن .

اما الممثل الدبلوماسي الالماني الاميرال فون هينسه فقد سبق له ان خدم اكثر من عشرة أعوام في بلاط سان بطرسبرغ بصفة ممثل عسكري مطلق

الصلاحيات . ولذا فهو يعرف دقائق السياسة السلافية التي تمارسها روسيا أكثر من غيره • وبديهي ان فون هينتسه لم يشارك فون كانيا الرأي واكد بأنه يعتقد ـ بناء على خبرته بالشؤون الروسية ـ بأننا على وشك الاشتراك في حرب ضروس لا مناص منها مع روسيا • والمؤسف ان نبوئة فون هينتسه قد تحققت . وقد التقيت فيما بعد بالسيد كانيا ببرلين بعد ان اصبح سفيرا فيها للمجر ـ اثر انفصالها عن النمسا ـ وقد بقي الرجل على العهد في صداقته معي التي استمرت حتى فترة اشتغالي سفيرا لالمانيا بالنمسا حيث وافاه الاجل •

من بين هذه الذكريات تحضرني واقعة الاميرال البريطاني سير كريستوفر كرادوك الذي استضافني على ظهر سفينة القيادة وهي المدمرة (Good Hope) وكان الرجل من أشد المعجبين بقيصرنا غليوم الثاني وعليه فقد زين قمرته بالعديد من صور القيصر •

كان سير كريستوفر بهي الطلعة ودودا وقد تحدثنا مليا بشأن الموقف الاوربي الخطير بمنتهى الصراحة . ولما ادركنا الاحتمالات الواردة قلت له بأنني آمل بقاء بريطانيا على الحياد فيما لو اضطرت المانيا على خوض حرب على جبهتين • وكان جوابه ملائما تماما لموقف بريطانيا آنذاك :

« ان بريطانيا سوف لن تدخل الحرب ضد المانيا مطلقا » •

ثم اردف قائلا بعد ثوان معدودة :

« على الاقل من أجل صداقتنا الشخصية » ..

بذلت جهودي في تلك الفترة لاعطاء برلين صورة واضحة عن الموقف في المكسيك فقابلت الرئيس المكسيكي هويرتا وتحدثت اليه مليا بشأن النزاع الناشب بين بلاده والولايات المتحدة الامريكية • لكن ذلك النزاع ما لبث ان تلاشى وئيدا لانهماك الولايات المتحدة بالاحداث الخطيرة التي عصفت باوربا والتي ساهمت الصحافة الى حد بعيد في اذكاء نارها • واذكر انني كنت اتناول الفطور في ضحى أحد تلك الايام مع المبعوث الروسي البارون ستاليفسكي

فتمعنت آنذاك بمدى اقترابنا من خطر الحرب عندما حدثني البارون بصراحة تامة عن سفر ملحقه العسكري العقيد غوليڤسكي بصورة مفاجئةالىواشنطن. ولما استفسرت منه عن اسباب سفر الملحق العسكري اجابني :

« أظن انه ذهب الى هناك لتنظيم وتأسيس مكتب للخدمة السرية . ولكنني لا أعلم الغرض من ذلك المكتب بالذات » .

الا انني فهمت الغرض بطبيعة الحال لانني كنت مكلفا من قبل هيئة الاركان الكبرى بتأسيس مكتب مشابه في نيويورك وكنت قد هيأت جفرة خاصة للاتصالات البالغة السرية والسريعة مع برلين . وقد اخبرت المقر العام بالواقعة بنفس اليوم وبكل تفاصيلها .

دعيت في ١ آب ١٩١٤[٢] الى وليمة اقامها الفريق فونستون . وقد استقبلني مضيفي في باحة الفندق الذي يقيم فيه وهناك التقيت بزميلي الملحق العسكري الروسي الذي كان مدعوا هو الآخر . وبينما كنا بالانتظار قبيل الغداء أطل علينا الفريق بصورة مفاجئة وبيده ورقة يلوح بها خلال هبوطه من السلم . ثم ابتدرنا قائلا :

« عندي نبأ مثير لكم ايها السادة . فقد أعلنت المانيا الحرب على روسيا»

وما اتم الفريق كلامه الا ورمقني العقيد غوليڤسكي وعلق على قول مضيفنا :

« انني والحالة هذه أجد لزاما عليّ الا اشارككم الغداء » .

وقد ذهبت محاولات الفريق الامريكي سدى في اقناع الروسي بقبول تناول الطعام فاعتذر الرجل وانسل من الفندق بهدوء . وكان ان حذوت حذوه وغادرت الفندق .

جعلت همي الاول الوصول الى واشنطن بأسرع ما يمكن فاستعنت بقائد الاسطول الامريكي الاميرال بادجر فدعاني لمرافقته في سفينة القيادة وتحدثنا مليا احاديث مفعمة بالمودة . حيث تبين لي ان الرجل يولي المانيا الكثير من

---

(٢) اعلنت الحرب العالمية الاولى في ٢٨ تموز ١٩١٤ بعد سلسلة من اجراءات النفير التي اعلنتها الدول الاوربية المتحاربة . —المترجم—

عطفه . ولما لم تكن لديه أية معلومات عن الحرب فقد وعدني بنقلي في صباح اليوم التالي الى غالفستون على ظهر احدى مدمرات اسطوله . وللمرء ان يقدر مدى دهشتي عندما قابلت على ظهر المدمرة الامريكية التي تقلني زميلي الملحق العسكري الروسي الذي اراد الابحار الى واشنطن على وجه السرعة هو الآخر. ولما اقلعت المدمرة هتف بحارتها بحياة المانيا ثلاثا ثم اردفوا ذلك بالهتاف ثلاثا بحياة روسيا على سبيل المجاملة .

ولا يمكنني الزعم بأن تلك الرحلة كانت مريحة . اذ كانت المدمرة صغيرة الحجم والحرارة فيها مزعجة جدا ولذا فقد أراد القبطان تكريمنا فجعل سريرينا – انا وزميلي الروسي اللدود – على جسر ضيق تلعب فيه الرياح ولم تكن المسافة بين السريرين اكثر من نصف متر . كما لم تكن تفصلنا عن المحيط الواسع سوى دكة ضيقة . وسرعان ما حدست بأنه من السهل على ذلك الروسي ان يرفسني رفسة هينة خلال استغراقي بالنوم فيجعلني طعما لاسماك المحيط التي تساير مدمرتنا . وعليه فقد آثرت النوم مع رفاقي في عنبر المدمرة متحملا حرارته المرهقة لان النوم المأمون أفضل من النوم بعين مغمضة واخرى يقظة طوال ليالي السفر .

ولما مرت علينا يوما السفر تأملت بهدوء صرح الصداقة التقليدية القائمة بين بلدينا الاوربيين الذي قوضته الحرب . اما انا وصاحبي الملحق العسكري الروسي فقد وجب على كل منا أن ينجز واجبه على أفضل ما يستطيع وهذا لعمري اختبار عسير كنا نأمل الا يستمر طويلا.

كان العقيد الروسي قد عمل ملحقا عسكريا لبلاده في لندن لفترة ليست بالقصيرة ولذا فهو لديه تصور للتحرك السياسي المتوقع يفوق تصوري لسير الاحداث . وقد اراد الرجل ان يغمز من قناتي فتحداني قائلا : « انه ليس من العجيب ابدا اذا ما زعمت بأننا سنتغلب على المانيا . ذلك لاننا اباة الضيم وانكم ستخدعون انفسكم اذا ما ظننتم بأنكم ستقضون علينا سريعا . فهذه الحرب ستستمر سنتين او ثلاث أو عشر سنوات ان شئتم » .

ثم اردف قائلا بنبرة ذات معنى :

« سنستمر حتى نحصل على النتيجة المرجوة »

وبعد ان مرت على افتراقنا سنين طويلة وعندما اصبحت مستشارا لالمانيا في عام ١٩٣٢ تلقيت من ذلك العقيد الروسي بصورة غير متوقعة برقية تهنئة حيث يبدو انه هاجر اثر الثورة الروسية واقام في باريس.

ولربما اعتبر رجال الدولة الالمانية مسؤولين عن تحول بلاده للنظام الشيوعي وهذا يختلف عن ــ النتيجة المرجوة ــ التي هددني بها في آخر عهدي به.

في ٤ آب ١٩١٤ وصلنا الى غالفستون فكان اول ما فعلته هو انتوجهت الى أقرب بائع صحف واشتريت منه رزمة كبيرة من مختلف الصحفالصادرة في ذلك اليوم . فقرأت فيها عناوين مثيرة مثل:

« استسلام جيش الماني قوامه ٤٠٠٠٠ رجل في لييجــانتحار وليعهد المانيا».

ولم أصدق هذه المزاعم لكنني قدرت مدى النتائج المترتبة على هــذه الاباطيل . وفي مساء ذلك اليوم استقللت القطار الى نيويورك لأن الحرب كانت قد بدأت بالنسبة لي أيضا.

وأود في هذا المقام ان اسمح لنفسي بألقاء نظرة على تطور الموقف في اوربا آنذاك . والاسباب الحقيقية التي اعتقدت في ذلك الحين بأنها تكمن وراء اصرار الدول الكبرى على خوض تلك الحرب الضروس.

لقد كانت هيئة الاركان الكبرى الالمانية تتابع تطورات الموقف الدولي باهتمام كبير . وقد تعلمــت انا في هــذه المؤســســة العتيدة للمرة الاولى الاتجاهات السياسية للدول الكبرى ومدى تأثير تلك السياسة على حفظ السلام.

فخسارة الروس للحرب الروسية ــ اليابانية لم يضعف من شأن قيصر روسيا فحسب وانما ادت الى تراجع روسيا عن مركز الصدارة في المساهمة

بالسياسة الاوربية لسنين عديدة.

وعلى الرغم من عدم استغلال قيصر المانيا غليوم الثاني او الحكومة الالمانية للوهن الذي أصاب روسيا في تلك الفترة الا ان بريطانيا دأبت على التمسك بسياسة التوازن الاوربي بصورة سافرة وعليه فقد رغبت في تغيير حالة روسيا لأنها لاحظت ان سياستها التقليدية المتعلقة بالتوازن الاوربي اصبحت مهددة بالاختلال . وعليه فقد بدأت بريطانيا اول الامر بعقدالميثاق الانكلو روسي في ٣١ آب ١٩٠٧ وهو الميثاق الذي سمي فيما بعد «سياسة التطويق» التي تبناها الملك ادوارد السابع . وقد تضمن الميثاق اقتسام ايران الى منطقتي نفوذ تكون الشمالية منهما لروسيا والجنوبية ـ التي تحوي منابع النفط والمطلة على الخليج العربي ـ لبريطانيا على ان تتعهد روسيا بالحياد وعدم التدخل في كل من افغانستان والتبت . أي انها تضمن بذلك حماية ظهرها في آسيا.

وكانت فرنسا وروسيا قد اعترفتا قبل ذلك التأريخ بشهرين لليابان بحرية التصرف بالصين. وبذا اصبحت بريطانيا راضية بتحقيق مبدأ التوازن الاوربي.

ولو ان الاوربيين في عهد سالزبوري وبسمارك اعتبروا روسيا دولة آسيوية وحجبوا عنها حق المشاركة في ادارة دفة السياسة الاوربية لكانت دول اوربا الغربية قد حافظت على سطوتها الاستعمارية لمدة اطول.

اننا هنا في معرض التحول الذي أدى الى نشوب الحرب العالمية الأولى. وقد زعم مؤرخ انكليزي شاب هو سير تشارلس پيتري بأن الميثاق الانكلو روسي كان يهدف الى انقاذ اوربا من الخطر الالماني وقد حقق هذا الهدف لمدة سبعة اعوام لأنه من شأنه اجبار المانيا على قبول الحرب على جبهتين. اما انا فأظن ان هذا التحليل يدل على عدم تفهم التأريخ لأن الميثاق انقذ بريطانيا من المانيا لبضعة اعوام الا انه أودى بأوربا فيما بعد.

خلال اشتغالي في هيئة الاركان الكبرى نشبت حرب بين ايطاليا

والدولة العثمانية بسبب احتلال الاولى لاقليم ليبيا لأن ايطاليا لم تشأ تجاهل التوسع الفرنسي في شمال افريقيا كما انها ارادت ان تغنم لنفسها شيئا من تركة «الرجل المريض» وهذا هو اسم الدولة العثمانية في أواخر ايامها، ولم يفلح العثمانيون باستعادة ليبيا من الطليان.

وعلى الرغم من عضوية المانيا في الحلف الثلاثي الذي يربطها مع ايطاليا الا انها كانت صديقة للدولة العثمانية. ولذا فقد لعبت دورا دبلوماسيا حاذقا في معالجة قضايا انتهاب الدول الكبرى لاجزاء عديدة من مناطق سيادة الدولة العثمانية . واذكر ان الحرب الايطالية ـ العثمانية جعلتنا بموقف شديد الحرج وبعد تقليب الموضوع على مختلف الأوجه في مقر هيئة الاركان الكبرى تم القرار على ايفاد بضعة مراقبين من الشباب . الا ان عواطفنا كانت مع العثمانيين بشكل قاطع.

كانت ادارة الحرب الايطالية بأحدث الأسلحة المعروفة آنذاك ضد الجيش العثماني المسلح بمعدات قديمة من الامور السهلة التي تجعل النصر الرخيص مضمونا . وقد كرر الطليان غلطتهم الفاحشة هذه مع الحبشة فيما بعد . لأنهم في كلتا الحالتين اصطدموا بمقاومة شعبية مديدة قاسية كبدتهم خسائر جليلة . ولكن الملاحظ تأريخيا ان الاتراك لم ينسوا للطليان ذلك العدوان قط . فعندما تقدم موسوليني في عام ١٩٣٩ لاحتلال البانيا توجست تركيا من ذلك العدوان خيفة وصارت تمارس سياسة التقرب من التحالف الانكلوفرنسي المناويء لايطاليا.

ان المثال الايطالي ـ العثماني الذي سقته يعتبر حالة مبسطة لمسببات التوتر السياسي المعهودة في اوربا فالصراع المميت الذي تخوضه روسيا من اجل التدخل في الشؤون الاوربية بقصد بسط نفوذها على اقطار البلقان اصطدم اول ما اصطدم بسياسة امبراطورية النمسا والمجر المتسمة بالنظام المحافظ الى حد التزمت.

توفي ملك بريطانيا ادوارد السابع في عام ١٩١٠ ألا ان خطوط سياسة لتوازن الاوربي التي وضع اسسها ادت الى انحياز اقطار البلقان نحو

اقطار غرب اوربا . اما المانيا فقد اخذت تنظر بعين الريبة والقلق لاتساع رقعة الامبراطورية الفرنسية التي كانت تلقى تعاونا مباشرا من بريطانيا بحكم اتفاقهما على اقتسام الغنائم. ولذا فمن البديهي ان تقف المانيا ضد الدولتين عند نشوب أزمة مراكش في تلك الفترة.

فعندما تقدمت القوات الفرنسية في تموز متذرعة بالنجدة التي طلبها منها السلطان مولاي حافظ واحتلت مدينة فاس اعتبرنا ذلك اخلالا بالمعاهدة المعقودة بيننا وبين فرنسا لاسيما وان الفرنسيين وثبوا من فاس الى اغادير فأستثاروا حفيظة الانكليز ووصف الهجوم سير ادوارد غراي[٣] بأنه «عدوان لا فائدة من ورائه» كما ندد بالهجوم السيد لويد جورج وانتقده بمرارة في خطاب مطول لأسباب بسيطة هي ان بريطانيا لم تشأ ان نصل الى شواطيء مراكش في خضم تنافسنا مع الفرنسيين لأن ذلك يهدد وجودها البحري في البحر الابيض المتوسط.

ومع ان المؤرخين الانكليز اجمعوا على صحة رأي المانيا بصدد مشكلة مراكش الا انهم لم يعترفوا مطلقا بأن تسوية تلك المشكلة تمت بفضل مساعي السلام التي بذلها القيصر الألماني غليوم الثاني في شهر آب ١٩١١ لكن فرنسا عادت ففرضت حمايتها على مراكش في عام ١٩١٢ دون ان تأبه لألمانيا. هذه المواقف السياسية البريطانية المتعاقبة ولدت الفتور المشوب بالمرارة بين بريطانيا والمانيا.

فقد ادى النزاع الايطالي ــ العثماني بسبب ليبيا الى وقوف المانيا الى جانب الدولة العثمانية على حساب ايطاليا المنتمية الى الحلف الثلاثي الذي يجمعها مع كل من المانيا وامبراطورية النمسا والمجر مما جعل ايطاليا تنحاز لبريطانيا بصورة تدريجية . وقد حصلت بريطانيا لقاء ذلك على صمت كل من ايطاليا وفرنسا عندما وطدت وجودها في مصر على حساب الدولة العثمانية.

في هذه الاثناء اقدمت المانيا على الاتفاق مع الدولة العثمانية على مد سكة حديد بغداد ــ برلين فأثارت بذلك موجة بريطانية من العداء السافر

(٣) وزير خارجية بريطانيا آنذاك . ــالمترجمــ

قام بشنها السياسي البريطاني ادوارد غراي الذي لم يقدر أبدا بأن المانيا لم تشأ مزاحمة المصالح البريطانية في الشرقين الأدنى والاوسط وانما كان مشروعها مجرد مشروع تجاري انتجته الصناعة الالمانية المزدهرة. وان العقد الثاني من القرن العشرين يعتبر وقتا متأخرا للتحري عن مستعمرات جديدة.

في تشرين الأول ١٩١٢ عقدت اتفاقية «اوخي» التي فقدت بموجبها الدولة العثمانية بلاد ليبيا لصالح ايطاليا وفقدت جزر الدوديكانيز لليونان بسبب اتحاد مجموعة من دول البلقان ضمت صربيا وبلغاريا واليونان ومونتنغرو وكانت هذه كلها قد عقدت اتفاقا سريا مع روسيا لمناهضة الدولة العثمانية . وفي اواخر عام ١٩١٢ وبداية عام ١٩١٣ تدهورت العلاقات بين روسيا وامبراطورية النمسا والمجر وباتت تنذر بخطر نشوب حرب بينهما.

رفض القيصر غليوم الثاني مساهمة المانيا في النزاع بين الدولتين بسبب البلقان سيرا على سياسة بسمارك الداعية لتجنب المانيا لأية مطامع في بلاد البلقان . واخيرا أفلحنا في المحافظة على السلام في اوربا بفضل التعاون الوطيد مع بريطانيا . والمؤسف ان هذا التعاون بقى محدودا. ولقد اوشكت اتفاقية لندن الموقعة في كانون الاول ١٩١٢ على انهاء النزاع حول البلقان الا ان انور باشا[٤] ـ الذي دافع بشجاعة عن ليبيا ـ مارس ضغطا شديدا على حكومته لالغاء تلك الاتفاقية فعادت للحرب واحاقت بها انتكاسة عسكرية اخرى وفي مايس ١٩١٣ تم التوصل الى سلام جديد حصلت بموجبه اليونان على اقليم سلانيك وجزيرة كريت وحصلت صربيا على شمال مقدونيا بينما حصلت بلغاريا على ثرازيا وساحلا على بحر ايجة.

وبعد فترة وجيزة قامت بلغاريا بمهاجمة كل من صربيا واليونان ولكنها

---

(٤) كان انور باشا ابرز اعضاء حزب الاتحاد والترقي الثلاثة وهم ( انور وطلعت وجمال ) وقد اشغل منصب وزير الحربية ويعتبر الداعية الاول لاشتراك الدولة العثمانية بالحرب العالمية الاولى . ـ المترجم ـ

خسرت معهما الحرب واستغلت الدولة العثمانية ظروف هذا القتال فأستعادت ادرنة بهجوم مباغت • ثم انتهت حرب البلقان بصورة نهائية اثر التوقيع على معاهدة بوخارست في آب من عام ١٩١٣ التي فقدت بلغاريا بموجبها اقليم مقدونيا وساحلها على بحر ايجة• كما وجب عليها التخلي عن دبروجة التي اعطيت الى رومانيا•

ولما لم تكن لصربيا سواحل على بحر الادرياتيك فقد اعطى الاستقلال لالبانيا المطلة على ذلك البحر • وتقدمت المانيا في أواخر عام ١٩١٣ باقتراح لتنصيب رفيقي القديم في هيئة الاركان الكبرى الامير فون ڤيد رئيسا لتلك الدولة الناشئة•

يمكن الجزم بأن الفضل في عدم اتساع حرب البلقان أو تحولها الى ازمة دولية يعود للتعاون الوثيق بين بريطانيا والمانيا • ولكن المؤسف ان ازمة أخرى ما لبثت ان سببتها فرنسا باحتلالها السافر لمراكش• وبتقويتها لأواصر التحالف مع روسيا • بينما بقيت بريطانيا تتجاهل ما يجري وكأن الأمر لا يعنيها حتى بعد ان اصدر قيصر روسيا قراره العلني المتضمن عزمه على اسناد صربيا بكل قواه • وقد وجد هذا القرار الموجه ضد امبراطورية النمسا والمجر ترحيبا من حكومة فرنسا•

بذلنا جهودنا السياسية لدى بريطانيا بقصد استمالتها للتعاون معنا من أجل وضع أسس ثابتة لاقرار السلام الذي بات مهددا في اوربا • واستطعنا في حزيران ١٩١٤ التوصل الى تفاهم مع بريطانيا ازلنا به اسباب الخلاف الذي كان قائما بشأن مد سكة حديد بغداد ــ برلين حيث اعترفنا بمصالح بريطانيا في الخليج العربي بينما اقرت لندن اطلاق ايدينا في العراق• وهكذا استطعنا تسوية المشاكل الاستعمارية ايضا بالطرق الودية • الا اننا لم نتمكن بطبيعة الحال من ازالة جميع الاختلافات القائمة بيننا وبين بريطانيا وخصوصا تلك المتعلقة بأوربا•

ولقد فشلت جميع المحاولات التي قام بها اللورد هالدان بشأن الموازنه بين القوى البحرية وكان يجب ان تفشل لأن بريطانيا ارادت تقوية الاسطول

الفرنسي ـ بعد ان تحالفت فرنسا مع روسيا ـ من اجل اخضاع الاسطول الالماني لمشيئة القيادة البحرية البريطانية.

في هذا الموقف المشحون بالمتناقضات السياسية انطلقت الرصاصات في سراييفو يوم ٢٨ حزيران ١٩١٤ وراح ضحيتها الامير النمسوي فرانز فرديناند فكانت اشارة البداية لاثارة الصراع القديم بين السلاف والالمان. فهل يمكن اعتبار مبدأ بسمارك الذي يقضي بتحاشي أي نزاع قد ينشب في البلقان قائما حتى في تلك الظروف؟

كلا . اننا لا يمكن ان نقبل بتحرك روسيا لتزعم بلدان البلقان لأن هذا سيهدد وجود امبراطورية النمسا والمجر لحساب الشعوب السلافية وبذا ستفقد المانيا مكانتها المرموقة في الحفاظ على التوازن الاوربي.

أما الادعاء بأن المانيا لا تريد المحافظة على السلام الا اذا بقيت الامبراطورية البريطانية بأسطولها المتفوق وراء المانيا فهذا امر غير وارد.

وهكذا تعقد الموقف وازداد غموضا . فبينما كنا نسعى لانقاذ السلام في اوربا اذا بدعاة الحرب يدعونا للتدخل . يشجعهم على ذلك ان الدبلوماسية الالمانية كانت غير واضحة المقاصد وضعيفة الى ابعد الحدود.

أما قيصر روسيا فقد أمر باجراء نفير جزئي ضد امبراطورية النمسا والمجر الا ان وزير حربيته اصدر امرا من وراء ظهر سيده بتقدم القوات الروسية ضد المانيا ايضا. لقد كانت روسيا وفرنسا تريدان الحرب بينما لم تشأ بريطانيا ثنيهما عن عزمهما. وهكذا اصبحت الكارثة وشيكة الوقوع وليس هناك من سبيل لتفاديها.

واليوم وبعد مرور اكثر من اربعين سنة على تلك الاحداث فقد بات من الواضح للجميع ان حدود امبراطورية شارلمان المقدسة قد اكتسحت وامتهنت حرماتها بسبب خطل سياسة الدول الاوربية الكبرى آنذاك . وقد اعتدنا نحن الالمان على تقبل الاتهام بمسؤولية بلادنا عن ايقاد نار الحرب

العالمية الاولى • وانني اشهد هنا من موقعي المهم آنذاك بأن عهد القيصر غليوم الثاني الذي كان امتدادا طبيعيا لعهد المستشار الحديدي بسمارك كان كثيرا ما يخطيء باتباع سياسة «الدفاع التعرضي» ازاء الدول المجاورة الا ان القيصر غليوم الثاني كان شديد الحرص على سلام المانيا • وليس ادل على ذلك من تصميمه للاسطول الالماني وجعله قوة دفاعية متجنبا الافكار التي تنطوي على المغامرة•

لم تكن اخطائنا في اتخاذ القرارات السياسية فاحشة لدرجة يمكن ان تؤدي الى نزاعات دولية • ثم ان الحقيقة الدامغـة تتمثل بأن المانيا كانت الدولة الوحيدة ــ الى جانب بريطانيا ــ التي دخلت الحرب الاولى دون ان تكون لها اية مطامع اقليمية في البلدان المجاورة • ولقد امتشقنا الحسام من اجل الحفاظ على مركزنا التأريخي في الدفاع عن وسط القارة وهو هدف دفاعي محض لمجرد الدفاع عن النفس ليس الا•

ولابد للمرء في النهاية من الاعتراف بالتأريخ•

ولكن قد يتهمنا البعض قائلا:

« ألم تبدأوا تلك الحرب بالاعتداء على بلد صغير مجاور وتتجاوزوا على حياده؟»

والاجابة على هذا السؤال في منتهى السهولة • ذلك لأن تقدمنـا في الاراضي البلجيكية ــ وانتهاكنا لحرمـة حيادهـا ــ لقي في بدايـة الامر استهجانا من العالم ثم تبين بأن اقتحامنا لبلاد البلجيك لم يكن لمقصـد الاستيلاء على أية أراض بلجيكية والاحتفاظ بها • ولكن السبب هو ان هيئة الاركان الكبرى خشيت من اضطرار المانيا على اللجوء للقتال على جبهتين في وقت معا ولم تجد مناصا من وضع خطة لتحقيق النجاح السريع في الجبهةالغربية وقد تضمنت خطة شليفن تطويق الجناح الشمالي للجيش الفرنسي وهذهالخطة لا يمكن تنفيذها ما لم تمر الجيوش الالمانيـــة من الاراضي البلجيكيـة •

والغلطة الوحيدة التي ارتكبتها المانيا هي ان هـــذه الخطة لم تتم مناقشتها واقرارها من قبل قيادة المانيا السياسية ولذا فانها لم تتمكن من موازنتها مع المواقف السياسية التي ستنجم عن تطبيقها • ولما سئل فون مولتكه الصغير عن أسباب انتهاك حياد بلجيكا أجاب قائلا :

« لو لم تتقدم عبر بلجيكا لخسرنا الحرب منـذ اليوم الاول للقتال » • وهذا التخبط سببته الهوة الواسعة بين القيـادتين السياسـية والعسكرية الالمانيتين •

ولو القينا نظرة على التأريخ الالماني منذ فترة الانتصارات المؤزرة التي حققها الالمان بالاستيلاء على كل الاراضي الواقعـة بين انهر البه والاودر وفايكسل وكذلك احتلال بروسيا وأقاليم بحر البلطيق أخذ الشعب الالماني على عاتقه ــ بالاضافة الى النضال في سبيل العقيدة المسيحية ــ مهمة حماية وسط اوربا من أي عدوان آسيوي • وسواء أكان الغزاة جنود جنكيز خـان الذين وصلوا الى ليغنتس[٥] ام العثمانيون الذين حاصـروا فينا أم الروس الذين هاجموا الموانىء الشمالية المنجمدة • فان الجبهة الرئيسة التي قاتل فيها الالمان في جميع حقب التأريخ كانت الجبهة الشرقية •

لقد أصبحت هذه المهمة التأريخية للشعب الالماني مطبوعة في اعماق ضمير كل الماني • ولذا فان اشتراك المانيا بالحرب العالمية الاولى لم يكن سوى أمر طبيعي يتسق مع هذه المهمة •

وقد يتبين الدارس المتعمق للتأريخ الالماني ان بروسيا طالما عقدت من وقت لآخر أحلافا مع روسيا من أجل تحقيق مقاصد معينة • وانها حاولت كثيرا دمج دولة النمسا العظيمة في الاسرة الاوربية • ولعل الحلف المقدس الذي اقيم بين النمسا وبروسيا وروسيا في عهد قيصرها الكسندر الاول يعطينـا الدليل القاطع على ان زعماء الدولتين الالمانيتين ارتكبوا نفس الخطأ الذى ارتكبـه

---

(٥) تقع الآن ضمن الاراضي البولندية . ــ المترجم ــ

روزفلت في يالطا فيما بعد • فروسيا تعتبر قوة آسيوية ولا يمكن أوربتها بحال من الاحوال •

واننا لنشهد الآن بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها موقف الغرب وهو يعاني نفس المعضلة التي شهدتها المانيا لوحدها وتحملت وطأتها منذ مئات السنين • ولعل هذا الموقف بالذات يجعل الناس الآن يفهمون تماما لماذا اعتبرت أنا ومعي الكثيرين من الالمان معاهدة فرساي معاهدة مجحفة بحق المانيا لانها جعلت منها بلاد بلا حول ولا قوة بينما هي القوة الاولى التي تقف بمواجهة الشيوعية •

والحقيقة هي ان ظهور الاشتراكية الوطنية كحركة مضادة للشيوعية في المانيا كان النتيجة الطبيعية لمناهضة العنف الشيوعي وهذا ربما يمكننا من القاء الضوء على مبررات الاخطاء التي تقلل من الانتقادات الموجهة لنا •

ان سير الوقائع المتعاقبة وفقا للظروف التي تصاحب الاحداث يكو ن بمجموعه هيكل التأريخ • فهل لي ان اســـرد بعض الملابسات التأريخية التي اكتنفت القرارات التي اتخذتها عندما أصبحت فيما بعد مستشارا لالمانيا ؟

# الفصل الخامس

# أمريكا والحرب

**اساطير وحقائق ، اقالة برنستورف ، منظمة للخدمة السرية ، انفلاقات على قناة ويلاند وجسر فانكيبورو ، سير روجر كاسيمينت ، شراء كل منتجات امريكا من المواد الحربية ، مشكلة الغواصات ، الباخرة لوزيتانيا ، وثائق المدير البرت ، قضية رنتلن ، رسالة دومبا ، « شخص غير مرغوب به » ،**

لو لم أجد نفسي مشغولا بصورة تامة طوال حياتي ولو اتيحت لي فرصة قصيرة من التفرغ لانبريت لتفنيد هالة الاساطير والافتراءات التي حيكت حول فعالياتي عندما عملت ملحقا عسكريا لبلادي في الولايات المتحدة الامريكية ، فلقد ظهرت مختلف المذكرات والقصص بين آونة وأخرى وكلها مفعمة بالنيل مني وكان أشدها وقاحة كتاب يحمل عنوان « الشيطان الذي يرتدي القبعة العالية» وكلها مكتوبة بأساليب روائية حاذقة ومشوقة على غرار قصص الجرائم الغامضة ، وكلها تتحدث كما يشاء كتابها بلا وازع من ضمير عن نشاطات وهمية

نسيت الي عن فترة اشتغالي في تلك البلاد خلال الفترة الممتدة لمدة الثمانية عشر شهرا الاولى من الحرب العالمية الاولى .

اذ اتهمني البعض بتنظيم شبكة واسعة كانت مسؤولة عن التخريبات وعن الاضرابات التي حصلت في معامل الانتاج الحربي وفي الموانىء . ونعتني البعض الآخر « الجاسوس الاستاذ » الذي يتربع على قمة منظومة سرية من الوكلاء الذين دأبوا على استعمال القنابل والمفرقعات في طول الولايات المتحدة وعرضها بقصد شل المجهود الصناعي العسكري الامريكي . وارجو ان يقدر القارىء الكريم بأن أخشى ما خشيته من هذه الحملة الظالمة هو تصديق الرأي العام لتلك الاتهامات الباطلة . ويجب التأكيد بأنها كانت حصيلة نشاط مصلحة الدعاية التي نظمها الحلفاء لانني كنت هدفا لحملة دعائية مدبرة شنها اعداءالمانيا في الولايات المتحدة الامريكية . ولم تكن لنا آنئذ أية تجربة في هذا المجال . أما اليوم فنحن نعرف ان هناك ما يسمى « بادارة الحرب النفسية » وهي اداة ذات قيمة تفوق التصور . ولا بد من الاعتراف بأن الحلفاء قد سبقونا في هذا المضمار . فهم لم تتيسر لديهم الوسائل الفنية المساعدة فحسب وانما تتوفر لديهم أيضا حرية الاتصال الهاتفي مع مختلف ارجاء العالم . ثم انهم مارسوا أساليب خبيثة في شن دعايات موجهة الغرض منها اذكاء حملة من الكراهية الشاملة ضد نظام المانيا الامبراطوري باعتباره يمثل قمة العداء لكل ما هو ديموقراطي والادعاء بأنه نظام عسكري يتصف بالاجرام .. ولذا فمن البديهي ان تنسج الخرافات وتنسب للملحق العسكري الالماني في واشنطن لا سيما وان مصدر تلك الدعايات المضللة كان امريكا نفسها[١] .

لم تتيسر لي بعد الحرب العالمية الاولى فرصة الرد على تلك الاباطيل ودحضها . الا ان الحكومة الالمانية أرادت تحليل الوقائع التي حصلت ابان الحرب فتألفت لجان لتقصي الحقائق وكلفت أنا بكتابة تقرير ضاف عن فعالياتي

(١) ان الصهاينة هم الذين يمتلكون ناصية وسائل الاعلام الامريكية ويسيطرون عليها قبل ذلك الحين وحتى يوم الناس هذا وعليه فهم المسؤولين عن امثال هذه الفعاليات باعترافاتهم الواردة في بروتوكولات حكماء صهيون .
ـ المترجم ـ

في واشنطن • ولكن الحقيقة بقيت مطموسة خـــارج برلين الا للقليلين من المنصفين •

هذا والا لما ذكر فرانسوا پونسيه السفير الفرنسي ببرلين لسنين عديدة[٢] بأنني المسؤول عن اغراق العديد من السفن ابان الحرب العالمية الاولى •

ويشير التأريخ الرسمي الالماني للحرب العالميـــة الاولى الى فعالياتي بملحوظة مقتضبة • وعليه فليس من الغريب بل من المؤسف تماما ان تخرصات الصحافة المعادية لالمانيا عادت للظهور في عام ١٩٣٢ عندما وقع عليّ الاختيار لاكون مستشارا لالمانيا • وفي تلك الاثناء كنت منهمكا بمسؤولياتي كرئيس للحكومة لدرجة لم استطع معها الرد على تلك الافتراءات لانني كنت بصدد ما هو أهم من ذلك • ولما شرعت الآن بكتابة مذكراتي رأيت ان من المناسب ايضاح هذه الحقائق •

عندما رجعت من المكسيك الى واشنطن وجدت نفسي بموقف لا أحسد عليه • فأنا الملحق العسكري الوحيد لدول الحلف المركزي •لان بلغارياوالدولة العثمانية وامبراطورية النمسا والمجر لم يكن لديها ملحقين عسكريين مع بعثاتها الدبلوماسية في واشنطن • وكان اعتمادها كلها على المانيـــا التي كنت أقوم لوحدي بمهمة تنفيذ سياستها العسكرية في قارة امريكا الشمالية • ولما كانت مواصلاتي مقطوعة مع المانيا في اول الامر ثم أصبحت متيسرة ولكنها عسيرة جدا فقد كنت أعتمـــد على نفسي في اتخاذ أغلب القرارات وأصبحت السفارة الالمانية في واشنطن بموقف العاجز نتيجة لاشتراك المانيا بالحرب •

ويبدو ان وزارة الخارجية الالمانية لم تكن قد أخذت في حساباتها احتمال دخولنا في حرب عالمية وانقطاع مواصلاتنا الهاتفية بفعل الاسطول البريطاني • وقد استمرت هذه الحال بضعة أشهر حتى استطاع غراف برنستورف ارســال تقاريره الى برلين عبر طريق ملتوية تمر من السويد •

---

(٢) عمل فرانسوا بونسيه سفيرا لبلاده ببرلين قبل الحرب العالمية الثانية • — المترجم —

اما هيئة الاركان الكبرى فكانت في قلق واضح بشأني • لانها كانت قد زودتني بأوامر سرية لا يسوغ لي فتحها الا في حالة اشتراك بلادي بالحرب. فلما نشبت الحرب وفتحت تلك الاضمامة وجدتها تحتوي على عناوين لبعض الشركات في اقطار محايدة وتحتوي على جفرة اتمكن باستعمالها مع تلك الشركات من ايصال المعلومات العسكرية ببرقيات ظاهرها التجارة فتصل الى برلين بطريقة مضمونة • وكانت احدى الشركات الهامبورغية لها فرع في شارع هانوفر بنيويورك قد تكرمت باعارتي غرفة من ذلك المكتب فجعلت منها نقطة للاتصال بجميع ارجاء العالم هاتفيا واخذت اعبر منها المعلومات العسكرية المهمة •

وكان خصمنا قد أحكم سيطرته على الصحافة في وقت مبكر. ولكننا رغم ذلك استطعنا الحصول على معلومات عسكرية ثمينة وبمقادير وفيرة من المراسلات المستمرة مع بريطانيا وفرنسا • اذ استطعت مثلا اخبار هيئة الاركان الكبرى بأن قوة من حملة الانكليز التي ارسلت للمساهمة في الدفاع عن فرنسا كانت بقوة ٦٠٠٠٠ رجل وقد وصلت الى ميناء (آبفيل) خلال الايام الاولى من شهر آب ١٩١٤• واذكر ان برقيتي البسيطة تضمنت ما يلي تقريبا:

« تم شراء ٦٠ ٠٠٠ بالة قطن مطروحة في ميناء الاسكندرية لنقلها فورا الى جنوة • بسعر ٠٠٠. دولار وينتظر وصولها كلها للميناء يوم أمس• ويمكن نقل اقسام من الحمولة الى الموانيء الايطالية الاخرى — شركة لويسفيل للقطن • »•

وقد ارسلت البرقية الى عدة شركات لتصنيع القطن في كل من ايطاليا وهولندا والسويد• كما ارسلت برقيات أخرى تتحدث عن صفقات السكر او الزيت أو مواد أخرى وكلها تعني معلومات عسكرية عن فرنسا وبلجيكا وتعتبر مهمة لادارة الحركات من قبل هيئة الاركان الكبرى•

وقد مرت مقترحاتي الى وزارة الحرب الالمانية في ايلول ١٩١٤ بشراء كل منتجات امريكا من الاسلحة والعتاد بنفس طريقة تعبير المعلومات•

وكان اشد ما اثار ايلامنا نحن وابناء الشعب الامريكي الذين ينحدرون من اصل الماني ان الصحافة الامريكية دأبت على بث اخبار مغلوطة متعمدة الغرض منها التقليل من شأن القوات الالمانية المقاتلة في جبهتي فرنسا وبلجيكا . وبينما كانت برقيات الصحافة تشير الى اندحار القوات الالمانية وتكبدها خسائر فادحة نجد ان حركة التطويق الالمانية كانت تسير بنجاح وتجتاح المدن البلجيكية تباعا . ولابد لي ان اذكر القاريء الكريم بأن الاتصالات الهاتفية كانت لا تزال في اول عهدها وهي غير مضمونة وتتأثر كثيرا برداءة الطقس وهكذا وجدنا انفسنا معرضين لحملة مدبرة من الدعاية المناوئة لنا بينما كنا نبذل جهودنا لتبرير اخلالنا بحياد بلجيكا بحجج واهية .

وكانت هيئة الاركان الكبرى قد جعلت في حساباتها احتمال تقدم الجناح الشمالي للقوات الفرنسية عبر بلجيكا والوصول سريعا الى منطقة الروهر الصناعية الالمانية .

والواقع ان هذه التصورات كان لها ما يبررها . لأن هيئات ركن الحلفاء كانت قد اجرت محادثات بهذا الشأن مع هيئة الاركان البلجيكية . ولكننا عاجلناهم بحيث اننا عندما اجتازت قواتنا حدود البلجيك لم يكن على ارضها ولا جندي فرنسي واحد . وكان لاخلالنا هذا بحياد بلجيكا اسوأ الاثر على سمعتنا في الولايات المتحدة الامريكية منذ الايام الاولى للحرب.

وثمة محذور آخر تعرضت له المانيا في الولايات المتحدة الامريكية ويتمثل بعدم وجود اية علاقة اتصال بين السفير غراف بيرنستورف والحكومة الامريكية الجديدة التي هي من الحزب الديموقراطي ولا بد لنا من التذكير بأن الرئيس الامريكي ويلسون قد تم ترشيحه للرئاسة من قبل وليام جننغس برياز على الرغم من معارضة مجموعة متنفذة من الرأسماليين . وكان انتخابه البادرة الاولى لتأثير أزمات اوربا على انتخاب الرئيس الامريكي منذ ذلك الحين. وقد أثار كل من بييربونت مورغان وأوغوست بيلسونت وغيرهما من كبار الماليين غضب رجال الحزب الديموقراطي ولكن هذه الازمة تمثل وجهة

نظر المجتمع الارستقراطي الامريكي التي كانت ذات تماس مباشر بالهيئات الدبلوماسية الاجنبية في البلاد. وكان الديموقراطيون يعتبرون غير مريحين سياسيا وهم غير قادرين على الاندماج بالمجتمع بدرجة قلت ام كثرت. وكان بريان الذي أصبح وزيرا للخارجية رجلا فظا لا يطاق ويتجنبه الكثيرون.

اما الجمهوريون فكانوا ـ ومنهم اغلب الامريكان الذين هم من اصل الماني ـ اكثر مودة وميلا نحو المانيا . ومع انه منا لصعب اثبات ما أؤمن به الا انني ارى بأنه لو تم تجديد انتخاب الرئيس تيودور روزفلت لاقدم الرجل على سحب الولايات المتحدة من الحرب العالمية الاولى . وهو مشهور بدور الوساطة الذي لعبه في انهاء الحرب الروسية ـ اليابانية . وكان قمينا بالتوسط لانهاء النزاع الناشب في اوربا . حيث ان مسانة بلقنة اوربا لا يمكن وضع حد لها الا بتدخل دولة كبرى محايدة. ولما زجت واشنطن بنفسها في اتون الحرب وبعد انتخاب الرئيس ويلسون لم يعد بمقدورها لعب دور الوساطة بصفة الحياد.

ولكي نتمكن من ستر الثغرة الحاصلة في معلومات الشعب الامريكي عن تطورات الحرب فاننا بذلنا جهودنا لتزويد وسائل الاعلام الامريكية بوجهة نظرنا . وكان ان لقينا ترحابا من الصحف الامريكية الصادرة باللغة الالمانية وتلقينا اسنادا من الكثير من المؤسسات والاتحادات الثقافية التي يشرف عليها مواطنينا الاماجد.

ومن نافلة القول ان اشير هنا الى ان عواطف هؤلاء كانت كلها صالح المانيا. لكن هؤلاء ما لبثوا ان تعرضوا لحملات شعواء من الصحافة لامريكية المناهضة لألمانيا.

ونظرا لأن الامريكان الذين ينحدرون من اصل الماني تقتصر علاقاتهم لسياسية على الحزب الجمهوري فقط. فليس من العجيب تبادلنا الكره مع شياع الحزب الديموقراطي حتى اننا صرنا ننعت أي فرد منهم بالنعت لمشهور «الامريكي القبيح» . اما صحف الديموقراطيين فقد اخذت تسمي عضاء الحزب الجمهوري وانصاره «خونة» «وحلفاء دول المعاهدة المركزية».

كان من العسير علي في تلك الظروف تمثيل المصالح الالمانية على الوجه الاكمل. ولا افشي سرا اذا ما قلت بأنني اضطررت على خوض نزاع مع السلطات الامريكية في مناسبتين من اجل النهوض بواجباتي. فقد قادني تقدير الموقف العسكري الى احتمال نقل قطعات كندية كبيرة لنجدة فرنسا. ولابد ان تنقل تلك القوات سيتم على خط قطار كندا ـ المحيط الهادي وعليه فقد قررت تخريب سكة الحديد في عدة مواضع مهمة من أجل تأخير وصول تلك القوات الى ميدان المعركة وكانت هذه هي المرة الاولى التي خضت فيها النزاع مع الامريكان خلال الاسابيع الاولى من نشوب الحرب اما المرة الثانية فكانت في صيف ١٩١٥ (وبتحريض من هيئة الاركان الكبرى) ولما كانت تصلني يوميا مجموعات كبيرة من الشباب الالمان ـ من جميع الرتب العسكرية ـ وكلهم يتحرقون شوقا للعودة للوطن بغية القيام بواجباتهم الوطنية . فقد حاولت بذل المستطاع من اجل ايصال اعدادمحدودة منهم بطرق ملتوية لاسيما وان الاساطيل الانكليزية تتحكم بالملاحة البحرية وهي تمنع الشباب الالمان من الوصول الى وطنهم بطبيعة الحال .. وعليه فقد نظمت مكتبا لتزويد العسكريين الاحتياط الالمان بجوازات سفر مزيفة وهذه الفعالية لم تشكل أي خطر على المصالح الامريكية ـ المحايدة رسميا آنذاك ـ ولو انها كانت فعالية مخالفة للقوانين السائدة.

في الاسابيع الاولى من الحرب راجعني ايضا عدد من الالمان الذين لديهم آراء مفيدة ومقترحات جيدة تتعلق بادارة الحرب ولكنني عند التمعن بها وجدت ان اغلبها خيالية ويتعذر تطبيقها. وكان احد الذين راجعوني في تلك الفترة شاب متحمس هو الذي اقترح تخريب سكة حديد كندا وحدد بالذات الجسر المقام على قناة «ويلاند» بقصد تعويق وصول القطعاتالكندية الى الجبهة الغربية .. وكانت كندا بالنسبة لنا بلادا معادية . مع ان مبدأ مونرو ينص على تجنب قارة امريكا الشمالية ـ بما فيها كندا ـ لزج نفسها في الصراعات التي تنشب في اوربا.

سلمت للشاب المذكور خمسمائة دولار وقام احد اصدقائي في نيويورك

بتسليمه رزمة من المفرقعات . الا ان المحاولة احبطت قبيل تنفيذ التخريب وتمكن الحراس من اعتقال اثنين من المنفذين . وكان رئيس الزمرة قد قدم نفسه لي بأسم هورست فون دير غولتز بينما كان اسمه لدى السلطات الكندية برجمان تايلور. وتبين فيما بعد ان الرجل زودني بمعلومات مغلوطة عن فعالياته في الجيش الالماني كما لم يقدم نفسه لي بأسمه الصحيح. ولما عاد بعد اطلاق سراحه للولايات المتحدة لفه ستار النسيان واندمج بالمجتمع باحثا عن مصادر جديدة للحصول على المال.

كما ان محاولة نسف الجسر المقام على نهر سانت كروا بائت هي الاخرى بالفشل. وكان الرجل الذي كلف بتنفيذ هذه المهمة ضابط احتياط الماني يدعى ڤيرنر هورن. وقد تطوع لتنفيذ مهمة نسف الجسر لأنه لم تتح له امكانية الخدمة في صفوف الجيش الالماني.

واجد لزاما علي ان اعترف بأنني لم اتصرف في كلتا الحالتين بذكاء كاف ـ اذ ان نشوب الحرب كان حافزا لاثارة حماسي واندفاعي رغبة مني ـ وانا البعيد عن وطني ـ في القيام بأي عمل مثير مفعم بالنجاح. الا ان الواضح هو ان الانفلاقات واعمال التخريب لم تكن ابدا لتحقق اية مزايا سياسية. وقد تعلمت الكثير من هذه الدروس في الاشهر القليلة التالية.

في صيف ١٩١٥ وضعت هيئة الاركان الكبرى الالمانية خططا واسعة للتعرض على روسيا بقصد انهاء الحرب مع روسيا واخراجها من الحرب. وتضمنت هذه الخطط اهمية ابقاء قوات المانية ضعيفة لستر الجبهة الغربية على ان نبذل جهودنا لمنع وصول اية نجدات كندية او يابانية لتعزيز القوات الفرنسية.

ولتحقيق هذا الغرض فقد تلقيت توجيهات جديدة تتضمن اعادة محاولات تخريب سكة حديد كندا ـ المحيط الهادي لتعويق تنقل القوات الكندية الى سواحل المحيط الاطلسي . وقد قمت بسفرة لاستطلاع خط الحدود الكندية ـ الامريكية وتكلمت عن تفاصيل الخطط المناسبة مع السيد

فون رايتسڤتز قنصل المانيا في شيكاغو الذي قدم لي المانيا متحمسا هو السيد البرت كالتشميدت الذي كان مندفعا لتنفيذ كل ما يطلب منه بالاضافة الى خططه الخاصة التي تتضمن رغبته في تخريب مصانع العتاد . الا انني منعته من التصرف على هواه. ثم ان مصلحة الاستخبارات الكندية افلحت في القاء القبض على المشتركين بالعملية قبل الشروع بتنفيذها واستنطقتهم فأدلوا بكل ما لديهم من معلومات.

وهكذا لم تنجح اية محاولة لتدمير خط سكة الحديد الكندية . الا اننا مع ذلك كله كنا سعداء بحقيقة مهمة هي ان القوات اليابانية لم تنتقل الى فرنسا ابدا لا عن طريق كندا ولا عن اي طريق آخر.

في خلال الاسابيع الاولى للحرب تعرفت على مسؤول احدى المنظمات الايرلندية وهو «السيد جون ديڤوي» وكان يتزعم مجموعة كبيرة من الايرلنديين المقيمين في الولايات الشرقية . وهو شديد الكره لبريطانيا ـ شأنه في ذلك شأن اغلب المواطنين الايرلنديين ـ وقد ابدى استعداده لتنفيذ اية مهمة يكلف بها طالما هو يناضل من اجل استقلال ايرلندا . وقد تعرفت بواسطته على «سير روجر كاسيمنت» المناضل الايرلندي المعروف . فقال لي الاخير ان انتصار المانيا يعتبر اسرع وسيلة لتحقيق استقلال ايرلندا . ولذا فقد رحب الرجل كثيرا باقتراحي المتضمن سفره الى برلين لتنسيق التعاون مع رجال الدولة الالمانية. ثم انه ابدى استيائه لتزايد انجراف الولايات المتحدة نحو الحلفاء. وقد كان هذا الرجل هو الذي تقدم بمقترحات لحكومة برلين لتنفيذ فعاليات التخريب ضد عمليات شحن الاسلحة والاعتدة الامريكية ومنع وصولها لأيدي اعدائنا.

وهكذا تلقيت في ٢٦ كانون الثاني ١٩١٥ امرا صادرا عن الشعبة «٣ ب» وموقع من قبل معاون رئيس هيئة الاركان الكبرى للاستخبارات يتضمن عددا من عناوين الوطنيين الايرلنديين الذين يمكن التعاون معهم عند الحاجة. ونظرا لتجاربي في هذا المضمار فانني لم اكن متحمسا للاندفاع مع اولئك الغلاة في ذلك المجال.

وقد انجز سير روجر كاسيمينت جميع فعاليات التدخل في الصراع دون مساهمتي وأذكر ان الرجل وصل في عيد الفصح[٣] من عام ١٩١٧ الى سواحل ارلندا الجنوبية على ظهر غواصة المانية بقصد الاتصال بجماعته وتنظيم المقاومة ضـد الانكليز لكنه القي القبض عليه حال وصوله ثم أعدم في برج لندن. وقد حاز هذا البطل الايرلندي الغيور الذي لا يعرف معنى الخوف والذي ضحى بحياته في سبيل بلاده على احترامي الدائم.

برزت لي واجبات اخرى جديدة نتيجة لتشديد وكلاء الخدمة السرية الامريكان والانكليز النكير على فعالياتي من اجل تعويق وصول المعلومات الدقيقة الى المانيا.

وكان لشركة النقل البحري هامبورغ ـ اميركا رجل حصيف يعمل رئيسا لادارة التحقيق في فرعها بنيويورك يدعى پاول كونيغ، ولما توقف النقل البحري استطعت تجنيده في العمل لخدمة مكتبي . وحددت له مهمة مألوفة بالنسبة له وتتضمن جمع المعلومات. والعمل على تعويق نقل المهمات العسكرية من امريكا الى اوربا بالاضافة الى تحقيق الامن الضروري لمكتبي وحجب الامور المهمة عن اعين الفضوليين من وكلاء العدو . وقد تمكنت بفضل همته من اخبار هيئة الاركان الكبرى بالمعلومات المهمة المتعلقة بشحن المعدات الحربية الى اوربا اولا بأول . كما ان كونيغ استطاع التدقيق بمهارة تامة في شخصيات الجموع الغفيرة من المراجعين الالمان والذين هم من اصل الماني مهما تستروا بالحماس او زعموا استعدادهم لتخريب المنشآت الصناعية العسكرية الامريكية . كما انه علمني كيفية تجنب مراقبة هيئات الاستخبارات المعادية لاسيما واني كنت عديم التجربة تماما في ذلك المضمار . وكنا نلجأ لتضليل معقبينا باللجوء مثلا الى متجر كبير والتحول بالمصعد من طابق الى آخر صعودا ونزولا ثم التحول الى باب اخرى ـ غير التي دخلنا منها ـ والتسلل باطمئنان بعيدا عن اعين المطاردين . ولابد لي من الاعتراف بأن مثل هذه الأساليب كانت تختلف مع طبيعتي.

(٣) يكون عيد الفصح بين منتصف آذار ومنتصف نيسان .

ـ المترجم ـ

اصبح من الواضح بعد معركة المارن ان الحرب ستستمر لفترة طويلة جداء وان النصر سيكون حليف من تتوفر لديه احتياطات اكثر عددا ومعدات أوفر، وتبين ان العامل المؤثر الى درجة الحسم سيكون الولايات المتحدة الامريكية لأنها لديها قدرة انتاجية واسعة، الا انني لاحظت ـ قبل اشتراك الولايات المتحدة بالحرب ـ انها اذا ما بقيت على الحياد فليس هناك أيأمل بحصول دول الحلف المركزي على اية معدات عسكرية امريكية لأن الحصار البحري الانكليزي المشدد على المانيا يجعل وصول المعدات متعذرا، وعليه فليس من غرابة في حرصنا على حرمان الحلفـاء من الحصول على المعدات العسكرية التي تنتجها امريكا،

عندما قابلت القيصر مستأذنا بالالتحـاق بمنصبي بأمريكا في كانون الاول ١٩١٣ ثم ودعت رئيس هيئة الاركان الكبرى المشير فون مولتكه الصغير سمعت من كليهما تنويها عن احتمال نشوب حرب أوربية • ولكنني لم اتلق اية وصايا تتضمن ما يجب علي القيام به في حالة نشوب الحربفعلا، وواضح ان السبب في ذلك هو عـدم توقع احد لامريكا ان تلعـب دورا حاسما في مثل هذا الصراع، ولكنني عجلت في كتابة تقارير ضافية حـال نشوب الحرب اخبرت فيها وزارة الحرب الالمانية بمدى اهمية الانتاج الحربي الامريكي لاستمرار الحرب • وفي ١٢ أيلول ١٩١٤ تقدمت باقتراح يتضمن قيام المانيا بشراء بعض مصانع السلاح الامريكية او ربط تلك المصانعبعقود تشتري بموجبها كل منتجاتها .، ويبدو ان وصول ذلك المقترح في الايامالاولى للحرب جعله لا يلقى الاهتمام اللازم من ضباط المقر العام • وعلى الرغممن تأكيدي بعد مرور شهر ببرقية استفسار عن مآل مقترحي الا انني لم اقابل بغير الاهمال • والذي حز في نفسي ان وكلاء الحلفاء شـرعوا يتقاطرون في هذه الاثناء على الولايات المتحدة الامريكية واخذوا يتفاوضون مع وكلاء شركات الاسلحة والاعتدة في نيويورك ومع انهم صادفوا صعوبات ليست بالهينة الا انهم استطاعوا التعاقد اخيرا مع مصنع للمدافع وآخر للبنـادق وكذلك مع مؤسستين اخريين لانتاج البارود والعتاد • وقد تأكد لدي بأن

الحلفاء سوف لن يكتفوا بالتعاقد مع تلك المصانع وسرعان ما تحققت مخاوفي عندما اقيمت مصانع جديدة للاسلحة والاعتـدة في امريكا . وكان هـذا مغامرة اقتصادية بحتة اذا ما اردنا التساؤل ببسـاطة . الى متى ستستمر الحرب؟ واذا انتهت الحرب غدا فماذا سيفعل الامريكان بهذه المصانع ؟ ومما لا شك فيه ان التجار الامريكان يرغبون في تسديد اثمان مصانعهم الجديدة من تكاليف الصفقات الاولى التي يعقدونها وكانت حصيلة ذلك ان الاسعار التي ترتب على الحلفاء دفعها كانت مرتفعة الى اقصى الحدود.

كنت احصل على ادق المعلومات عن تلك الصفقات التجارية التي عقدها ممثلو الحلفاء لأن المصارف الكبرى في الولايات المتحدة كانت تضم نسبة عالية من الموظفين الذين هم من اصل الماني. وكان هؤلاء يتبرعون بتقديم اية معلومات اريدها عن طيب خاطر خدمة لوطنهم السابق.

ولقد فكرت في هذه الاثناء بامكانية بنـاء مشروع مستقل للانتـاج الحربي في امريكا يعمل لحساب المانيا ولما اختمرت الفكرة في خاطري كتبت مقترحا بهذا الشأن الى برلين مشيرا الى ان القوانين الامريكية لا تمنع اقامة المشروع. وفي ٢٤ آذار ١٩١٥ تلقيت موافقة برلين على المضي في تنفيذ مقترحي.

كانت الخطة بسيطة نسبيا . وقد كلفت صديقا امريكيا يدعى جورج هودلي بتأسيس مصنع للمدافع والعتاد على ان يحمل اسماً امريكيا بحتاً وتكون له واجهة شركة أمريكية بحيث تتمكن من استمالة ممثلي الحلفـاء فقام الرجل بتأسيس «شركة بردج بورت المحدودة» لصناعة المحركات واجهزة الارجاع الهايدروليكية والمهمات الاخرى الضرورية للانتاج الحربي وانشأ لها مصانع ضخمة جعلها تنتج بأقصى طاقاتها . وصارت تلك المصانع تعمـل لصالحنا بموجب العقود التي وقعناها مع الشركة. وكنا نتوقع ان يكون اجرائنا هذا كفيلا باعاقة المشاريع الجديدة المشابهة لمدة تتراوح بين السنة والسنتين. ولما تقبل ممثلو الحلفاء في ربيع ١٩١٥ دفع فروق الاسعار اخيرا

وأرادوا التوسع في مشترياتهم بالتحول لحجز مشتريات المصانع الجديدة ذهلوا لأنهم وجدوا منتجات المصانع الجديدة محجوزة لنا لأننا اشترينا تلك المنتجات قبل صنعها بسنة . وكانت مصانع شركة بردج پورت المحدودة من بين المصانع الجديدة التي اشترينا منتجاتها سلفاء والجدير بالذكر اننا افلحنا في كتمان السر . ولو أن احدى لجان الكونغرس امرت بفتح التحقيق مع السيد جورج هودلي واتهمته بتصرفاته المتعارضة مع ولائه لامريكا لامكنه الدفاع عن نفسه متذرعاً بتمسكه بحياد امريكا المعلن آنذاك طالما ان امريكا باعت آنذاك سلاحا وعتادا للحلفاء فان حيادها يبرر بيع السلاح والعتاد لالمانيا ايضا . لاسيما وان الدعايات المناهضة لالمانيا لم تكن قد استشرت في امريكا آنذاك لدرجة الادعاء بأن المانيا تريد احتلال العالم كله.

نجحت شركة بردج پورت في شراء كل منتجات «شركة ايتنا للبارود» خلال سنة ١٩١٥ بمبلغ خمسة ملايين باون انكليزي. وكانت اكبر مشكلة صادفتني آنذاك هي كيفية خزن تلك المقادير الكبيرة من المفرقعات . ولكنني تغلبت على تلك المعضلة على اية حال.

أما معضلة تمويل المشروع برمته فقد تكفل بمعالجتها الدكتور البرت الذي كان قد سافر قبيل نشوب الحرب الى سان فرانسيسكو بقصد المساهمة في تنظيم المعرض الالماني المزمع اقامته هناك . ثم نقل منها ليكون مستشارا ماليا للسفارة الالمانية في واشنطن. ولما كان الامريكان الذين هم من اصل الماني قد تبرعوا بمبالغ طائلة للصليب الاحمر الالماني وحيث اننا لم نستطع تحويل الاموال اللازمة لتغطية نفقات المشتريات الحربية من امريكا فقد اقترضنا اموال التبرعات الممنوحة للصليب الاحمر وعوضنا تلك المؤسسة نقودا من المانيا فيما بعد.

وثمة مسألة أخرى جعلتني عرضة للانتقادات اللاذعة فيما بعد وخلاصتها ان عددا كبيرا من الالمان الذين فاجأتهم الحرب وهم خارج الوطن لم يستطيعوا الرجوع بأية وسيلة . فأشتغلوا في امريكا بشتى المهن وفقا

لاختصاصاتهم وكان منهم المهندس والعامل الماهر وغيرهم. وقد عمل عدد من هؤلاء في مصانع الاسلحة الامريكية . ولما تبين لنا انحياز امريكا لبريطانيا ثم تحولها لموالاة الحلفاء ومعاداتنا بصورة سافرة اصبح من غير المعقول ابقاء العمال والمهندسين الالمان يعملون في مصانع التسليح الامريكية فأنشأت مكتبا للتشغيل بقصد سحبهم تدريجيا من مصانع الاسلحة وتحويلهم للاشتغال في مجالات اخرى سلمية لكي احرم صناعة الاسلحة الامريكية من مهاراتهم وخبراتهم . ويبدو هذا الاجراء منطقيا وقد لقى التأييد من جميع المسؤولين الالمان.

وكما ذكرت آنفا فانني كنت في تلك الاثناء منهمكا بمعالجة مسألة خزن مقادير كبيرة من المفرقعات ثم نقلها للوطن. واردت نقل المفرقعات الى بلدان محايدة معينة مثل المكسيك والنرويج والسويد واسبانيا دون ان تتسلل منها اية كمية الى أيدي الاعداء. وقد زعمت شركة وهمية انها تصدر المفرقعات للمكسيك للاستفادة منها في مشروع نصب التلغراف المقرر انجازه خلال عام ١٩١٧ . وكان لالمانيا نشاط دبلوماسي بارز في المكسيك لدرجة ان وزير الخارجية الالماني اقترح على حكومة المكسيك اعلان الحرب على الولايات المتحدة الامريكية لقاء قرض مالي كبير تحصل عليه من المانيا. وقد اتهمني الكثيرون فيما بعد بأنني كنت وراء تلك المساعي الفاشلة التي اردت من ورائها عقد معاهدة مع طرف لا ترتجى منه أية فائدة .

اعتمدت في "مبيعاتي" للاسلحة والاعتدة الصورية على «كارلوس هاينن» الذي سبق ان تعرفت عليه في «فيراكروز» اذ كان يعمل فيها لسنين طويلة ممثلا لاتحاد صناعة لويد الالمانية . كما ان الرجل ساعد في قضية اخرى تتضمن خطط التعاون مع الوطنيين الهنود. ولم نكن نتوقع من وراء تلك الخطط مساعدة الهند على تحقيق استقلالها عن بريطانيا لأن الامبراطورية البريطانية كانت رصينة جدا آنذاك. الا اننا كنا نأمل من الاضطرابات التي قد يثيرها اولئك الوطنيون اشغال جزء من القوات البريطانية في تدابير الامن الضرورية على حساب القوات المرسلة الى فرنسا او الى ميادين القتال الاخرى.

افتتحت المقاومة الهندية مكتبا لها في نيويورك وفتحت لها حسابا في احد المصارف بمبلغ مائتي الف دولار لشراء الاسلحة والاعتدة وتسويقها من كاليفورنيا الى المكسيك عن طريق البحر . وعندما أصدرنا أمر الشحن حملت الأسلحة المطلوبة على ظهر السفينة «آني لارسن» لكي تبحر بها من ميناء سان دييغو الى «جزيرة سوكورو» في المحيط الهادي وهنـاك تقابلها ناقلة النفط «ماڤيريك» التي دبرنا ايصالها الى هناك لنفس الغرض حيث تستلم السلاح والعتاد من «آني لارسن» وتبحر به الى ميناء كراجي.

والمؤسف ان خطتنا المدبرة باتقان صادفها الفشل الذريع. ذلك لأن السفينة «آني لارسن» ما ان وصلت الى جزيرة سوكورو قبل حلول الوقت المحدد لها الا وصادفتها معضلة عـدم توفر ماء حلو في الجزيرة وكانت السفينة خلوا من جهاز تحلية مياه البحر فأضطرت الى التحول الى ميناء «هواكويم» الصغير فأستغرق ذهابها وايابها بضعة ايام علمت خلالهـا الاستخبـارات البريطانية بالسر ـ ولو انني لم اعلم ابدا بالوسيلة التي تسلل منها الخبر اليها ـ فصدرت الاوامر لمدمرة بريطانية بالتحرك فورا الى جزيرة سوكورو وتفتيش حاملة النفط «ماڤيريك» ولما لم تعثر فيهـا على شيء فقد اخبرت السلطات الامريكية بشأن «آني لارسن» فتم تفتيشها من قبل الامريكان ومصادرة شحنتها.

في هذه الاثناء تفاقم شر الغواصـات الالمانيـة التي اصبحت تقض مضاجع مسؤولي الولايات المتحدة الى ابعد الحدود. اذ استطاعت الغواصات الالمانية تحطيم الحصـار البحري الذي فرضـه الانكليز والفرنسيون على المانيا. ولم يعد ذلك الحصار قائما لأن الحصار البحري معناه شل النشاط البحري لدول المعاهدة المركزية. وهذا امر لم يتحقق بصورة كاملة ابداء ولما لم يستطع الحلفاء محاصرة الموانيء فقد حاولوا التصدي للسفن الالمانية في اعالي البحار. وطبيعي ان حكومة المانيا اتخذت جميع الوسائل الكفيلة باحباط هذه المحاولات التي يراد منها تعريض ١٢٠ مليون من الناس لمجاعة محققة . وكانت الغواصات اجدى الوسائل لتحقيق هذا الغرض.

الا ان هذه الوسيلة الدفاعية عرضت المانيا للاشتباك مع حكومة الولايات المتحدة الامريكية بنزاع مباشر. اذ كان من رأي قيادة البحرية الانكليزية ان حرب الغواصات يجب انتتم وفقا لنظرية حرب المدمرات. أي انه عندما تقوم غواصة ما باغراق سفينة تجارية فلربما يعني هذا ان الغواصة الالمانية تقوم اولا بالاستيلاء على السفينة ودراسة الوثائق التي يحملها القبطان وتخلي من جميع رجالها ثم يجري اغراقها بعد ضمان ارواحهم. الا ان الواقع هو عدم امكانية تطبيق هذه القاعدة في حرب الغواصات . ذلك لأن جميع السفن كانت مسلحة وهي قادرة على اغراق اية غواصة تقتربمنها لغرض تنفيذ هذه المحاولة كما انه من المتعذر تماما نقل بحارة اية سفينة من عابرات المحيط الى غواصة صغيرة . ولعل اقصى ما يمكن ان يفعله آمر الغواصة في مثل هذه الحال هو السماح لركاب السفينة المسيطر عليها بالتحول عن سفينتهم الى زوارق النجاة . والتأريخ العسكري للحرب البحرية في ذلك العام مليء بسرد روايات حافلة بالفعال التي تنطوي على الشهامة والفروسية . وكانت البحرية الالمانية قد دونت صفحة مشرقة في تأريخها لأن تلك الافعال الكريمة انطوت على المغامرة بأرواح البحارة الألمان من طوائف الغواصات فيما لو تعرضت اية غواصة لانتقام غادر.

الا ان الحكومة البريطانية استمرت على ترديد الادعاءات بأن حرب الغواصات تخل بالقوانين الدولية الى ان صدقت الحكومة الامريكية تلك المزاعم.

وعندما وجدت المانيا ان بمقدورها التصدي للسفن المعادية في عرض المحيط واغراقها دون أي انذار مسبق اعترضت الولايات المتحدة الامريكية على هذه الاجراءات. زاعمة تعرض سفن الدول المحايدة لخطر الغرق او انها يجب ان تقبل المرور من تلك السبل البحرية بتقبل الكثير من المغامرة. وقد أوضح الرئيس الامريكي بأن حرية البحار تعطي الحق الكامل لكل أمريكي بالانتقال الى أي جزء من العالم حسبما يشاء ويجب التصدي لأية تحديدات تفرض على هذا الحق.

في محاكمات نورمبرغ عام ١٩٤٥ اعاد الحلفاء اتهام البحرية الالمانية بادارة حرب الغواصات والاخلال بالقوانين الدولية للملاحة البحرية • ولما سئل الاميرال نيميتز قائد الاسطول الامريكي عن الادلة الثبوتية لهذا الاتهام افاد بأن البحرية الالمانية تلقت امرا في اليوم الاول لنشوب الحرب باغراق اية سفينة معادية تصادفها دون أي انذار مسبق•

لقد مرت ثلاثين عاما منذ عام ١٩١٥ لم يتغير فيها أي شيء من القوانين الدولية للملاحة البحرية • ومع ذلك فان قيادة القوات البحرية أصرت على ادانة اساليب القتال التي اتبعها الاسطول الالماني• الا ان الحال في عام ١٩١٥ وصلت الى درجة الخطر لأن الاتهامات الانكليزية كان يراد منها زج الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الى جانب الحلفاء• اما بعد الحرب العالمية الثانية فلم تأخذ محكمة نورمبرغ بأقوال القائد البحري الامريكي لأن الحلفاء ليس من حقهم معاقبة الالمان عن اعمال قامت اساطيل الحلفاء بأعمال مشابهة لها •

أما الحادث الذي ادخل الولايات المتحدة الامريكية الحرب العالمية الاولى فكان حادث غرق الباخرة (لوزيتانيا) • اذ ان البحرية الالمانية شرعت منذ نيسان ١٩١٥ بتطبيق صفحة جديدة في حرب الغواصات • واصدرت تحذيرا للامريكان بتجنب المرور من المناطق الممنوعة في عرض المحيط• وفي ٣٠ مايس ١٩١٥ وصلت الى نيويورك انباء غرق الباخرة البريطانية (لوزيتانيا) وكانت هذه اكبر باخرة لنقل الركاب آنذاك• وقد غرق معها عدد من الركاب الامريكان المسافرين من نيويورك الى الموانيء الانكليزية • ولقد انكر الامريكان في اول الامر ان السفينة المذكورة كانت تحمل شحنة من المفرقعات• لكن المانيا حصلت على وثيقة تتضمن حمولة الباخرة المذكورة جاء فيها : في ١ نيسان ١٩١٥ اقلعت الباخرة لوزيتانيا من نيويورك متوجهة الى ليفربول وعليها ما يلي «١٢ صندوق قداحات و٦٠٢٦ صندوق خراطيش و٤٩٢ صندوق مهمات عسكرية و٢٢٣ صندوق اطارات سيارات • مجموع اثمانها ٤٦٤٤٧٠ دولارا•



وهذه الشحنة تهدد ارواح ركاب السفينة دون ادنى شك. ومع ذلك فان الرئيس الامريكي ويلسون استشاط غضبا لغرق تلك السفينة وارسل مذكرة لاسلكية شديدة اللهجة الى برلين وجاء فيها:

« انه يستنكر الوسائل الشيطانية واللاانسانية التي تتبعها دول المعاهدة المركزية في ادارة الحرب».

في نفس تلك الليلة صادف ان اقامت الجالية الالمانية في نيويورك حفلة ساهرة في دار الاوبرا لمنفعة جمعية الصليب الاحمر الالمانية. وما كدنا نفتتح الحفل بكلمة بأسم السفير الا وتناهت الى اسماعنا التفاصيل الاولية للواقعة والاتهامات التي تضمنتها وكلها تنحي علينا باللائمة لاننا تسببنا في قتل ركاب الباخرة الابرياء . وقد انهينا الاحتفال على عجل. ولما هممنا بمغادرة البناية وجدنا جموعا من المتظاهرين الهاتفين ضد المانيا بصخب وحماس وسرعان ما تعاقبت الاحداث الخطيرة لدرجة ادركنا معها مدى تدهور العلاقات بين بلادنا وبين الولايات المتحدة الامريكية.

بينما كان وزير خارجية امريكا بريان يولي المانيا الكثير من مودته وعطفه فان خلفه لانسنغ تحول الى عكس ذلك التصرف وتجرد من كل حياد وصار يعامل المانيا بكل جفاء ومناكفة فلما وقعت حادثة السفينة «لوزيتانيا» جاءت ضغثاً على ابالة. وقد سافرت حال علمي بالواقعة الى واشنطن واقترحت على السفير مقابلة رئيس الولايات المتحدة الامريكية والتحدث اليه بشأن العلاقات الالمانية ــ الامريكية من جميع جوانبها السياسية. وكانت للسفير غراف برنستورف علاقات شخصية وطيدة مع رئيس مرافقي الرئيس الامريكي العقيد هاوس الا ان هذه العلاقات لم تنفع ابدا في تسهيل مقابلته للرئيس لأن العقيد هاوس كان منحازا للحلفاء بصورة جازمة . ولدي اسباب كافية تؤكد بأن اصدقاء الرئيس الامريكي المقربين اكدوا له ضرورة اهتبال هذه الفرصة لأثبات وجود امريكا على ارض اوربا. وواضح ان الرئيس الامريكي لم تخطر على باله مسألة اهمية بقاء قوة دول المعاهدة المركزية من اجل التصدي

للخطر السلافي الذي اخذ يهدد اوربا بالاجتياح• كما يبدو انه لم يفهم مسألة حرب الغواصات على حقيقتها التي تتمثل بكونها الوسيلة الوحيدة المتاحة لنا آنذاك لحماية خطوط مواصلاتنا البحرية مع العالم الخارجي•

وقد ذهبت كل محاولاتنا لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة هباء• بينما استرسلت تلك الدولة في تموين اعدائنا بأسلحة واعتدة وفيرة بشكل متزايد جعل حيادها المعلن وهمياء وقد استطعت آنذاك البرهنة على مدى خطورة المساعدات المالية التي اسدتها الولايات المتحدة للحلفاء فذكرت في احد تقاريري:

« ان ديون الحلفاء من الولايات المتحدة الامريكية وصلت الى حد جعل أية حكومة امريكية تصل الى السلطة تحرص على انتصار الحلفاء على الاقل من اجل استعادة تلك الديون»•

نجحت اعمال شركة (بردج پورت) بشكل رائع وكنت احول المبالغ التي تصلني كل شهر من ارباحها الوفيرة الى البرت الذي كان يقوم بأعمال تغطية نشاطها بمهارة تامة • وفي مساء ٣١ تموز ١٩١٥ وعندما كان راجعا الى بيته وهو في غاية الارهاق سرقت منه حقيبة يده المحشوة بتقاريري وحساباتي وواضح ان سراقها كانوا من وكلاء الاستخبارات الانكليزية او الامريكية•

وانني لا ازال اذكر بكل دقة مدى القلق الذي ساوره عندما وصل الينا في النادي الالماني وهو في اقصى درجات الغضب وكيف اننا بذلنا قصارى جهودنا لاستعادة محتويات تلك الحقيبة دون جدوى• وبعد ثلاثة ايام من تلك الواقعة نشرت صحيفة (نيويورك ورلد) بحروف كبيرة معلومات مسبقة من تقاريري الرسمية واستمرت على نشر نتف منها طوال اسبوع كامل بحيث جعلتها مثارا لاحاديث المجتمع الامريكي مما جعلني بموقف دقيق لا يوصف•

وعلى الرغم من عدم تصديق بعض القراء الامريكان لتلك المعلومات الا ان هؤلاء كانوا اقلية صغيرة ازاء الاغلبية الساحقة من رجال المال الاقوياء

الذين كانت عواطفهم وفعالياتهم لصالح الحلفاء بشكل سافر وقد ابدت هذه الاغلبية قلقها من فعالياتنا في احباط مساعيها المحمومة لتسليح الحلفاء الغربيين بالاسلحة والاعتدة والتجهيزات الامريكية. وكانت حصيلة ذلك ان امرت الحكومة الامريكية بالغاء عقودنا مع جميع الشركات الامريكية التي لم تكن قد جهزتنا بالمعدات المتفق عليها لأن تلك العقود كانت قد ابرمت بأسماء مستعارة وبعبارة اخرى فاننا فقدنا بضياع تلك الحقيبة كل ما وضعناه من خطط متقنة في ذلك السبيل.

وكان الفريق فون فالكنهاين قد اصدر لي امرا في العام السابق بوجوب بذل محاولاتي لاعاقة وصول المعدات الامريكية المرسلة الى الجبهة الغربية في صيف وخريف ١٩١٥ كلما استطعت الى ذلك سبيلا. وقد حاول في ذلك الصيف ضرب الروس ضربة حاسمة مما تطلب منه سحب قوات كبيرة من الجبهة الغربية وكان قد اختتم برقيته المعنونة لي آنذاك بالعبارة الآتية: «.... واذا تمكنت من تحقيق هذا الهدف فستكون وبجدارة تامة من المساهمين الفعالين في تحقيق نصرنا المؤثل». والمؤسف ان امله بانهاء الحرب خلال عام ١٩١٥ لم يتحقق. كما انني لم تكن خططي ـ ولفترة طويلة ـ مؤثرة بالشكل المطلوب لأن الامريكان لم يرسلوا الى الجبهة الغربية فيذلك العام سوى النزر اليسير من المعدات كما ثبت فيما بعد . ولكن يمكن القول بأن خططي حققت الغرض المنشود منها الى حد ما على الرغم من سرقة الوثائق التي كانت في حقيبة مستشار السفارة.

ولو سأل رجل صاحبه في أي مكان من العالم «ما الذي تعرفه عن فون پاپن؟» لتلقى عليه الاجابة التالية بكل تأكيد «انه الرجل الذي سرقت منه اوراقه» او «انه الرجل الذي فقد حقيبته» وقد تجلت الحقيقة الناصعةللعيان بعد مدة طويلة جدا أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ببضعة اعوام فيمقال نشرته صحيفة المانية بمدينة ميونيخ واكدت فيه بأنني رغم الاجحاف الذي اصابني لم احاول الرد على هذه الاكاذيب. ولكنني أجد بأن من المناسب

الآن توضيح القضية خدمة للحقيقة المجردة حيث انني سبق ان اقسمت اليمين امام هيئة رسمية بأن حقيبة صديقي مستشار السفارة البرت هي التي سرقت وليست حقيبتي.

ويطيب لي في هذا المقام ان ازجي الشكر الجزيل للسيد هوادلي على افضاله السابغة لأنه هو الذي اضفى على خططي مسحة من خبرته ومعلوماته فجعلها مفعمة بالحيوية وهيأ لها اسباب النجاح لتماشيها مع النمط الذي يتقبله الامريكان . وعلى الرغم من تأخري في الاعتراف بفضله فانني لا تتوفر لدي لحد الآن أية فكرة عن آرائه السياسية كما انني لست متأكدا من ميل عواطفه لصالح المانيا . الا انني اذكر بأنه سلمني صكا بمبلغ كبير جدا يمثل نسبة ١½٪ من قيمة جميع المبيعات باعتباره (المكافأة القانونية) التي استحقها . ولقد استغربت منحي هذا المبلغ الكبير وقلت له بأنه من المتعذر علي تماما قبول أي مبلغ لقاء اصداري لاوامر وظيفية تخص الحكومة الالمانية . الا ان السيد هوادلي اعتراه الاستغراب الشديد لموقفي هذا ولم يفهم ابدا رفضي للمبلغ فبذل جهوده محاولا اقناعي بقبول الصك بكل ما اوتي من قوة للاقناع ولكنني لم اتزحزح عن موقفي قيد انملة . واخيرا توصلت واياه الى حل مقبول يتمثل بوعدي لاستحصال موافقة السفير على ايداع المبلغ المذكور في صندوق هيئة الصليب الاحمر الالمانية ويبدو انالسيد هوادلي لم يرتضي لي هذا التصرف المجافي لروح التجارة وشعر بأنني الحقت بنفسي شيئا من الضرر فأهداني علبة ذهبية نفيسة للسيكار . وقد بقيتهذه التحفة بحوزتي تذكرني بالواقعة المذكورة حتى عام ١٩٤٥ عندما استولى عليها احد المحققين بعد الحرب واحتفظ بها لنفسه (تذكارا لفعالياته).

ويظهر ان رجال القيادة الالمانية تطلعوا نحو امكانيات احباط عمليات نقل المعدات الحربية من امريكا الى الحلفاء الغربيين في اوربا بغير النظرة الواقعية التي تطلعنا بها نحو القضية من واشنطن . فهذا العمل بنظر الكثيرين اخلال لموقف امريكا الحيادي وهو بالتالي يستدعي من الطرف المتضرر ـ المانيا ـ بذل مساعيها لأحباطه . كما كان بعض الناس في المانيا وفي امريكا

يعتقدون بأن قيام الولايات المتحدة بتزويد احد الاطراف المتقاتلة في اوربا بالسلاح ينطوي على اخلال بحيادها وهذا ما يبرر القيام بالاعمال التخريبية لاعاقة النشاط الامريكي . وكنت أتلقى في كل يوم عشرات الرسائل وكان اغلبها من وكلائي الذين يتقدمون لي بمقترحاتهم لاعاقة نشاط الامريكان بمختلف الوسائل . اما انا فكان رأيي منذ بداية القضية عدم اللجوء للاساليب المقترحة. وكان من الواضح ان الدعاية البريطانية كانت تتوخى جر امريكا للحرب وتوريطها بالدخول فيها الى جانب الحلفاء. ولذا فان اعمال التخريب التي سنقوم بها لابد ان تصبح فرصة ثمينة لاجهزة الدعاية المعادية لكي تحفز الرأي العام الامريكي ضد دول المعاهدة المركزية وتزيد من موجة السخط التي دبرتها ضدها.

ومن الطبيعي انني لم اكن بموقف يتيح لي امكانية منع تنفيذ فعاليات التخريب التي كان ينفذها عدد من المتحمسين الذين يتدفقون وطنية وشجاعة. وكان ان حصلت سلسلة من الانفجارات في مصانع الاسلحة الامريكية واتخذت صفة الحوادث التي تنجم عن اهمال تدابير الامن الصناعي. وكثيرا ما كان يتردد على مكتبي اناس من وكلائي فيزعمون انهم نفذوا اعمال تفجير معينة فيتلقون مني وسام الصليب الحديد مكافأة على تلك الاعمال الباهرة.

ومن القضايا التي اشتهرت آنذاك قضية القبطان فون رنتلن وهو ضابط احتياط من ضباط القوة البحرية الامبراطورية ومهنته المدنية هي الصيرفة وقد استغلت الاستخبارات الالمانية اتقانه للغة الانكليزية وعلاقاته الواسعة بمختلف الاوساط الامريكية فأوفدته الى نيويورك. وفي احد ايام مطلع نيسان ١٩١٥ دخل مكتبي القبطان فون رنتلن ولم اكن على معرفة سابقة به فقدم لي نفسه وقال لي بوضوح تام وبصراحة بأنه ارسل الى نيويورك بمهمة تنظيم عمليات تخريب سفن الشحن الامريكية التي تنقل الاسلحة الى أوربا. وكذلك تدبير فعاليات الاضراب لعمال الموانيء بالاتفاق مع بعض عناصر نقاباتها بقصد تعويق شحن الاسلحة ايضا . ومع ان الرجل سرد كل فعالياته فيما

بعد في كتاب اصدره وقرأته مليا الا انني القي عليه تبعة جميع افعاله التي جانبها الحظ والمؤسف هو انه لم يذكر في كتابه اول مقابلة اجراها معي في واشنطن فقد حدث ان بادرته فور انتهائه من وصف خططه وبلا مجاملة:

« وهل تريد ان تنفذ خططك هذه التي تدور برأسك مفتتحا زيارتك الاولى للولايات المتحدة الامريكية بالوصول الى مكتب الملحق العسكري؟ ألا تعلم بأن كل من يتردد على مكتبي يقوم وكلاء الاستخبارات الانكليزية او الامريكية بالتقاط تصويره لكي تسهل مراقبته ».

والعجيب انه اجابني قائلا :

« ان هذا لا يفت في عضدي مطلقا بل العكس هو الصحيح. فأنا ارغب ان يطلع احدهم الرئيس الامريكي ويلسون وكم اتمنى لو انك تدبرت هذا الاخبار يا سيد فون پاپن».

واكفهرت الدنيا بعيني ازاء هذه العقلية الضحلة وأردت مخلصا ان اوضح للرجل بأن فرص تنفيذ خططه التخريبية ضئيلة جدا ثم انه يجب ان يدرك - وهذا مهم جدا - بأن فعالياته التخريبية ستترتب عليها نتائج سياسية لابد ان تؤثر علينا جميعا وعليه فقد اوضحت له بصورة جلية طبيعة الجو المشحون الذي كنا نعيشه آنذاك والذي لم يكن لديه ادنى تصور بشأنه ولما قرأت علائم البلادة على محياه ادركت بأنني ازاء رجل محدود الذكاء ولا فكرة لديه عن طبيعة علاقاتنا السياسية مع الولايات المتحدة الامريكية الا انه يريد ان يعمل شيئا لصالح المانيا وهو مغرور بحيث يزعم بأنه سيستعرض نشاطه امام الرئيس الامريكي بينما هو موشك على القيام بأعمال يعاقب عليها القانون . وعليه فقد حررت برقية الى القيادة العامة للقوات البرية مؤملا تقديم رجاء للقوة البحرية كي تأمر باستعادة القبطان الاحتياط فون رنتلن لأنني قدرت بأن قيادة القوة البحرية لم يكن لديها وضوح تام بشأن الموقف السياسي وما يترتب على فعاليات الوكلاء بينما يتوفر لدى هيئة الاركان العامة تصورا واضحا للقضية بحكم متابعتها المستمرة للموقف السياسي. وقد ايد السفير بيرنستورف هذا الاجراء فأرسلت البرقية مجفورة عن طريق السويد الى برلين.

اما خاتمة القصة فقد ذكرها فون رتلن بكتابه فبعد اسابيع قليلةوبينما كان منهمكا في تنفيذ خططه المتعلقة بتدبير التحريضات على اضراب عمال الموانيء تلقى أمر العودة الى الوطن. ومع إنه رجع تحت اسم مستعاروبجواز سفر مزيف الا ان الانكليز عرفوه عند وصول السفينة التي يستقلها الى القنال الانكليزي في اواسط تموز ١٩١٥ واعتقلوه وقدموه للمحاكمة ثم ارسلوه ـ لأسباب دعايوية ـ الى الولايات المتحدة الامريكية فيما بعد حيث اودع سجن اطلانطا ومكث فيه الى ان اخلي سبيله بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها.

والواقع ان هذه المعاناة التي كابدها هذا الوطني الغيور الذي اراد أن يخدم بلاده بتضحية وشجاعة تعتبر من الامور المؤسفة جدا الا ان الذي يختار مهمة تنفيذ الفعاليات السرية لابد ان يتوقع التعرض لاكثر من هذا المصير. ومع ان فون رتلن القى علي تبعة فضحه وزعم في كتابه بأنني انا الذي وشيت به للانكليز بينما اعترف هؤلاء بعد الحرب بأنهم كانت بحوزتهم نسخة من جفرة السفارة الالمانية في واشنطن مما سهل القبض عليه. وقد ذكر الرجل بأنه سرد للمحققين الامريكان كل فعالياته بما في ذلك زيارته لمكتبي في واشنطن.

ويذكرني ارتباط اسم فون رتلن بأسمي في فضيحته بحقيقة تعاون فون رتلن مع كيمياوي الماني يدعى الدكتور شيله وكان الاخير قد زارني عند نشوب الحرب وعرض علي فكرة تتضمن قدرته على تحويل النفط الى مسحوق وشحنه الى المانيا بهذه الطريقة ولما كان النفط من اهم المواد الضرورية التي يشكل قلة الرصيد منها نقطة ضعف جهاز التموين الالماني فقد كلفت الدكتور شيله باستخدام مصنع صغير لانجاز منتجاته وارسالها بصفة مواد زراعية الى بلاد محايدة وشحنها من هناك الى المانيا . وكانت (شركة نيوجرسي للمنتجات الزراعية) تغطية جيدة للكيمياوي الالماني الا ان فون رتلن كان قد تحرى عن الكيمياوي المذكور وقابله في مايس ١٩١٥ واقنعه باتتاج محركات لتفجير السفن التي تنقل السلاح الى اوربا وقد بقي

هذا الاتفاق بينهما فقط ولم اعلم به في حينه ومن الطبيعي انني استشطت غضبا عندما علمت به فيما بعد واخبرت وزارة الحرب بتفاصيله في برقية ارسلتها الى برلين.

وعندما انتهت الحرب العالمية الاولى الف الكونجرس الامريكي لجنة للتحقيق في حوادث تفجير السفن الامريكية خلال الحرب والتي بلغ عددها بضع مئات فان نتائج التحقيقات لم تسفر عن اشتراك فرد واحد من اعضاء السفارة الالمانية بواشنطن في أي من هذه التفجيرات.

أدت فعالياتي الاخرى في سبيل رعايا دول المعاهدة المركزية الى الاهتمام بموضوع آخر غير موضوع التسليح وكانت النتيجة غير مسرة هذه المرة. فقد تعرض عدد كبير من رعايا امبراطورية النمسا والمجر العاملين في الولايات المتحدة الامريكية الى موقف دقيق ولذا فقد رجوت السفير النمسوي كونستانتين دومبا ان يقدم لي الاسناد اللازم لمساعدتهم. وقد ارسل الرجل تقريرا رائعا الى ڤينا في صيف ١٩١٥ وضمنه طلب الموافقة على مقترحاتي بشأن اولئك العمال . وقد تحدث السفير في تقريره المذكور بصراحة مطلقة ونال من حياء الحكومة الامريكية وقال اننا تسعى بكل ما أوتينا من قوة لتغيير هذا الموقف بحيث يمكن الجزم عند التمعن ببعض فقرات التقرير بأننا نحاول تحطيم الاقتصاد الامريكي بوسائل غير شرعية اذ جاء بالتقرير ما يلي :

« ... واذا لم نتمكن من ايقاف الانتاج الحربي الأمريكي بصورة تامة فاننا نتمكن في جميع الاحوال من ارباك ذلك الانتاج الى حد كبير وتأخيره لعدة أشهر . ويرى الملحق العسكري الالماني بأن هذا من الامور المهمة جدا وسيكون الانتاج الضئيل دليلا على تحقيق نجاحنا ... » .

وقد ارسل هذا التقرير مع عدد من رسائل السفارتين النمسوية والالمانية بيد صحفي امريكي مؤتمن يدعى آرشيبالد كنا نستخدمه معتمدا لايصال الرسائل وهو صديق حميم لكل من السفير الالماني والقنصل العام لامبراطورية النمسا والمجر في نيويورك السيد فون نوبر ويعتبر من أشد المخلصين لنا والمؤسف ان الاستخبارات الانكليزية تمكنت من الحصول على جميع الوثائق

المرسلة مع ارشيبالد واعادتها الى الولايات المتحدة الامريكية حيث أثار نشرها عاصفة جديدة من الاستنكار .

وكنا قد اعتبرنا الصحفي آرشيبالد مهملا لتدابير أمن المعلومات بعض الشيء . الا انني بقيت في شك من الواقعة الى ان تكشفت اسرارها فيما بعد وعلمت بأن القبطان النهري التشيكي[1] فوسكا يعمل باتصال وثيق مع الملحق

البحري الانكليزي بواشنطن القبطان غوي غاونت وقد نشر فوسكا كتابا عن فعالياته خلال الحرب العالمية الاولى وصدر بلندن عام ١٩٤١ بعنوان ( جاسوس وضد الجواسيس ) ذكر فيه كيف انه تمكن من تجنيد عدد من التشيكيين العاملين في قنصلية النمسا والمجر بنيويورك وكان تقرير السفير دومبا قد كتب في القنصلية النمسوية المجرية في نيويورك وبذا فقد سهلت معرفته مع عدد من الوثائق النمسوية والالمانية من قبل اولئك الوكلاء التشيك الذين زودوا الملحق البحري الانكليزي غاونت بقوائم دقيقة تتضمن كل ما حمله السيد آرشيبالد الى ڤينا وبرلين ولما سافر الصحفي الامريكي على ظهر الباخرة الهولندية (روتردام) ووصلت الى ( فالماوث ) قبض عليه الانكليز واستولوا على تلك الوثائق .

جنح فوسكا في كتابه نحو الخيال محاولا اضفاء صفة البطولة على أعماله التجسسية بقصد تمجيدها فتحدث عن عصا مجوفة زعم بأنني زودته بها وكنت قد تلقيتها هدية من البارون لينار وانني استخدمتها لنقل الوثائق البالغةالكتمان ولكن عصاه المشار اليها لم يعثر عليها أحد رغم تفتيش السفينة بكل دقة .

أصدرت الحكومة الانكليزية كتابا أبيض يتضمن محتويات الوثائق المستولى عليها مع الصحفي الامريكي آرشيبالد وكان من الوثائق المنشورةفيه تقريرا كتبته الى وزارة الحرب ورسالة كتبها السفير غراف بيرنستورف وفيهما

---

(١) كانت تشيكوسلوفاكيا جزءا من امبراطوريه النمسا والمجر آنذاك .

ـ المترجم ـ

اشارة صريحة لمحاولاتنا احباط نقل الاسلحة الامريكية الى اوربا • وواضح اننا كنا نبغي من محاولاتنا حماية الجنود الالمان في الميدان من التعرض للجرح أو القتل بفعل السلاح الذي ترسله الولايات المتحدة ( المحايدة ) الى اعدائنا •

وكنت قد كلفت السيد آرشيبالد بايصال رسالة شخصية الى زوجتي ولما أرسل الانكليز تلك الرسالة مع بقية الوثائق الى امريكا ولما لم يدرك المحللون الامريكان معاني بعض العبارات الواردة في تلك الرسالة فانهم نشروا نتفا من الرسالة مع المعاني المحتملة لها والمقتبسة من قاموس المحادثة وكانت بعضها ذات معانٍ محتملة بلغت الخمسة في ترجمتهم التي تدل على الغباء • والذي همنا كثيرا من الواقعة برمتها هو تقرير السفير دومبا لأنه تضمن اعترافا صريحا باللجوء الى وسائل غير شرعية لاعاقة الانتاج الحربي الامريكي • وكانت حصيلة ذلك ان اعتبرت الحكومة الامريكية ذلك السفير شخصا غير مرغوب فيه وطلبت من امبراطورية النمسا والمجر سحبه فورا • وكان سحبه من منصبه خسارة كبيرة لدول المعاهدة المركزية كما كان ذلك بالنسبة لي شخصيا حادثة مؤلمة • ذلك لأنه كان يتفهم تماما الصعوبات التي اصادفها عند ادائي لمهمتي ، ولما أصبحت سفيرا لالمانيا في ڤينا عام ١٩٣٤ التقيت به مرارا واستعدنا ذكرياتنا القديمة وحافظنا على روابط الصداقة الحميمة •

حاولت دعاية الحلفاء في الولايات المتحدة الامريكية التشهير بموقف المانيا باثارة عاصفة صحفية تتضمن اتهامات شديدة من شأنها الاساءة للالمان وتم التركيز على تقرير السفير دومبا باعتباره الدليل المادي على ( الوسائل الاجرامية ) التي يمارسها الوكلاء الالمان • وقد أفلحت تلك الدعايات في ايجاد موجة استنكار عدائية ضد التخريبات التي تدبرها المانيا ضد فعاليات تموين الولايات المتحدة للحلفاء بالاسلحة الامريكية • كما زعمت تلك الدعايات بأن الغواصات الالمانية تساهم هي الاخرى في اغراق السفن الامريكية المحايدة • وهذا ما أكده لي الفريق ليونارد وود حاكم نيويورك العسكري بصورة رسمية عند زيارتي له بمكتبه في ايلول ١٩١٥ وكان هذا من اكبر الشخصيات العسكرية الامريكية آنذاك وقد ذكرت له في جولة التريض الصباحية على ظهور الخيل

في حديقة ( روك كريك بارك ) بواشنطن حقيقة الاتهامات التي تكال لالمانيا جزافا فتفهم ذلك بروح المودة الصادقة التي تربطني به • ولما زرته ثانية في ( جزيرة الحاكم ) فاجأني بخطة كاملة زاعما بأنني كنت قد وضعتها وتتضمن نسف ميناء نيويورك ومحطتها التي تحت الارض وقال ان الاستخبارات الامريكية وجدت الخطة المذكورة في مكتبي • فلم يسعني سوى أن أضحك ضحكة كبيرة اعقبتها بحديث تفصيلي صريح مع الفريق الامريكي ذكرت له فيه تفاصيل الموقف السائد واوضحت له مبررات الهجمات الظالمة التي تكيلها لي الصحافة الامريكية وقلت له ان الخطة المزعوم وضعها من قبلي ـ مثلا ـ يتطلب تنفيذها وجود آلاف الوكلاء وجيش صغير من أجل تدمير جميع الاهداف المبينة فيها • وليس هناك ما هو اسهل من تنفيذ مزاعم وضعها من قبلي لكل ذي بصيرة ثاقبة ، ولذا فمن الواضح انها وثيقة مزعومة الغرض منها تحطيم العلاقات الحسنة السائدة بين بلدينا • وبعد تحقيق هذا الغرض ستظهر الخطوة الثانية المخطط لها ألا وهي جر امريكا للحرب الى جانب الحلفاء •

أيد الفريق وود وجهة نظري تماما ورجوته بدوري عدم التسرع في الحكم علينا بأية مزاعم تنطوي على اتياننا لاعمال من شأنها تقويض العلاقات الحسنة القائمة بين بلدينا • لكنني حصلت منه على انطباع مؤكد بأن الموقف بين البلدين تدهور لدرجة لا تطاق •

في كانون الاول ١٩١٥ قدمت الحكومة الامريكية مذكرة للسفارة الالمانية تعتبرني بها انا والملحق البحري النمسوي القبطان ( بوي إد ) شخصين غير مرغوب بوجودهما على الارض الامريكية وتطالب بترحيلنا للوطن خلال فترة محددة • وهكذا حققت صحافة الحلفاء هدفها الأولي عندما أزاحت المستشارين العسكريين لدول المعاهدة المركزية في الولايات المتحدة الامريكية • ولما طلبت الحكومة الالمانية من الحكومة الامريكية بيان الاسباب الموجبة لاستبعادنا جاءها الجواب ( بأن الحكومة الامريكية لا تريد أية فعاليات عسكرية أو بحرية في بلادها ) ولم توجه نحونا أية اتهامات معينة بصورة رسمية •

والحقيقة هي انني كنت مسرورا لقرار الاستبعاد لأنني بصفتي جندي

محترف لم أكن مرتاح الضمير لبقائي وراء منضدة المكتب بينما تخوض بلادي حربا تتقرر فيه حياتها أو مماتها . كما ان لرجوعي شخصيا فائدة أخرى هي تمكني من اعطاء الشخصيات المهمة في الدولة الالمانية صورة واضحة عن تغير الموقف كليا بالنسبة لنا في الولايات المتحدة الامريكية لأن الملابسات المعقدة التي حصلت في تلك البلاد لا يمكن أن يوضحها أي تقرير مكتوب . فالخطر المتوقع من دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب الى جانب الحلفاء بذريعة تفاقم فعاليات الغواصات الالمانية لا يمكن توضيحه الا بصورة شفوية لاسيما وان هذه الخطوة اصبحت وشيكة في ذلك الحين .

لقد حاولت طوال ثمانية عشر شـهرا عسيرة خدمة بلادي من الولايات المتحدة الامريكيـة بكل ما أوتيت من قوة . وقـد كنت عسكريا ولم اكن دبلوماسيا ـ ولذا فان النتائج المترتبة على فعالياتي كانت غير ملفتة للانظار . وكان بمقدوري أن أحيا حياة فراغ هادئة ووديعة دون ان اتعرض لأية مغامرة مجهولة العواقب لا سيما وانني كنت في بلد محايد واتمتع بالحصانةالدبلوماسية وأنا بمنأى تام عن ميادين القتال . ولكنني ربأت بنفسي ان انحدر الى التجرد من مسؤوليتي الوطنية وكان مصير بلادي نصب عيني طوال فترة ابتعادي عن الوطن وظللت قلقا من التقارب بين امريكا ودول العدو لأنه ينطوي على تهديد المانيا بالاندحار ولقد حظيت بتشجيع المسؤولين في برلين واسـنادهم لانهم ـ والحق يقال ـ لم يدخروا وسعا في العمل للنأي بأمريكا عن الألاعيب المدبرة لجرها نحو الحرب الى جانب الحلفاء .

# الفصل السادس

## حرب الغواصات بين التأييد والانتقاد

**العود احمد . محادثات حاسمة ببرلين . كفاحي ضد حرب الغواصات . مهمة مع فالكنهاين . لا احد يعلم بالتطورات الحاصلة في الولايات المتحدة الامريكية . تيربيتس يناضل من أجل غواصاته . الاسطول ضدي . مهمة مع المستشار فون بيتمان . لقاء مع الامبراطور . فون بيتمان يريد نشر محاضرتي في الصحافة الالمانية . أمر فالكنهاين: تستلم فوجك في الجبهة الغربية خلال ٢٤ ساعة . عجلة الحظ تدور .**

مع انني أبعدت عن الولايات المتحدة قسرا الا أن وداعي كان مفعما بالعواطف الودية اذ ملئت عربتي التي اقلتني الى ميناء نيويورك بالورود والهدايا وأحطت بالوجوه الحانية التي ودعني أصحابها متمنين لي الحظ السعيد على الرغم من الجو الرسمي المعادي الذي اسبغته على سفري حكومة تلك البلاد .

سافرت على متن الباخرة ( نوردام ) ولما وصلنا الى ميناء ( فالماوث ) حدث ما لم أتوقعه عندما صعد الى السفينة أفراد من الحرس الانكليزي

ووضعوا حارسا على باب قمرتي وشرعوا بتفتيشها بدقة متناهية واستولوا على جميع ما بحوزتي من وثائق مطبوعة أو مكتوبة وقد ذهبت احتجاجات السفير الامريكي بلندن ( السيد بيج ) واشارته الى تمتعي بالحصانة الدبلوماسية ادراج الرياح ولم يحصل الرجل على أية اجابة.

استولى الانكليز ( ضمن ما استولوا عليه من مقتنياتي ) على حساباتي الشخصية في المصارف ودفاتر الصكوك . وواضح انهم قدروا استيلائهم على مصدر ثمين مفيد لاغراضهم الدعايوية . حيث اعتبروا مصروفات الغسيل لغسالة ملابسي أو وصولات الصيدلية التي كنت اشتري منها الأدوية اسماء رمزية لمصروفات سرية للوكلاء المعادين لبريطانيا . ( ولابد أن اعترف بأنهم استولوا فعلا على بعض الأدلة المهمة على نشاطي السابق حيث كنت قد صرفت في ١ و ١٦ أيلول ١٩١٤ (٢٠٠) دولار الى كل من برجمان تايلور والياس فون ديرغولتز والياس ڤاخندورف لقاء جهودهم في اجتياز الحدود الكندية بقصد نسف سكه الحديد الكندية لاعاقة نقل القطعات من كندا الى بريطانيا الا ان ما عثر عليه الانكليز كانت صكوكا باسم السيد ڤيدل الذي زيف جوازات السفر لأولئك الوكلاء . وكان هناك صك آخر بتاريخ ٢ شباط ١٩١٥ باسم السيد هورن والحقيقة هو انه صرف على سبيل المكافأة عن نسف جسر ڤانكوڤر لاعاقة تنقل القطعات الكندية . وكان ان خفت الاستخبارات البريطانية للاتصال باوتاوا من أجل التحري عن السيدين تايلور وهورن. كما ان الانكليز ضاعفوا اهتمامهم بصك بمبلغ ٦٨ دولار باسم السيد ( هـ ) وهو ممثل شركة ( كروب ) عن ثمن كمية من مادة ( حامض البكريك ) وأثار قلقهم صك آخر بمبلغ ١٩ دولار للسيد فون هويغن وعليه ملحوظة ( من أجل بحوث عتاد دم دم ). أفلا يعني هذا بأنني أسعى لتجهيز الجيش الالماني بعتاد ( دم دم ) المحرم دوليا؟ والواقع هو ان احدهم قدم لي عرضا لتجربة عتاد تصنعه الولايات المتحدة الامريكية بناء على طلب روسيا ( القيصرية ) وفق مواصفات خاصة أعدها الخبراء .

وحيث اني راجع لبلادي بعد انتهاء مهمتي فانني معرض للمحاسبة المالية

الى حد الفلس الواحد عما انفقته خلال تنفيذي لمختلف واجبات وظيفتي لاسيما وان رئاسة المحاسبات البروسية كانت صارمة في التحري عن المصروفات وتدقق في أصغر التفاصيل مهما كانت زهيدة او تافهة. ولما تجاهل الانكليز (حصانتي الدبلوماسية) وفتشوا مقتنياتي الخاصة ادركت بأن الحصانة الدبلوماسية والتدقيق المالي ليس لهما أية أهمية طالما ان الحرب قائمة .

ولقد منحتني وزارة الخارجية البريطانية شرف اصدار كتاب ابيض يتضمن كل ما عثر عليه رجال الاستخبارات الانكليز في تحريهم لقمرتي بالسفينة . وعلى المرء ان يتذكر بأن امريكا لم تكن قد انحازت لجانب الحلفاء بصورة رسمية بعد ، ولذا فان بريطانيا كانت حريصة على جمع الادلة الدامغة التي تبرهن بها للرأي العام ولامريكا بأن القيادة العسكرية الالمانية هي هيئة مجرمة وان من المهم للشعوب المحبة للحرية ان تتظافر للقضاء على هذا العدو الذي يهدد الانسانية برمتها . والذي زاد في الطين بلة هو ان السفير الامريكي بلندن السيد بيج كان من أشد انصار دخول بلاده الحرب ضد المانيا وبأقرب وقت ممكن .

عندما صعد الى سفينتنا عدد من الانكليز قام بعضهم بمناقشتي رجاء قيامي باحاطة المسؤولين ببرلين علما بأن الحكومة الانكليزية تريد السلام. ومن الطبيعي ان مثل هذه المحادثات لا تتضمن أية تأكيدات ملزمة لأن المرء لا يمكن ان يحدس ما ستتمخض عن تطورات الاحداث بالنسبة للطرف الآخر . وكانت خلاصة شروط الانكليز المسبقة تتضمن وجوب انسحاب القطعات الالمانية من اراضي فرنسا وبلجيكا وكذلك الموافقة على اعادة انشاء دولة بولندا . فأدركت في خاطري آنذاك ان روسيا لا يمكن ان توافق على انشاء دولة بولندا الا بعد أن تتلقى منا ضربة قاصمة. لكنني وعدت الانكليز بعرض مقترحهم على القيادة ببرلين.

وبعد تأخير لا يطاق في ميناء روتردام وصلت في ٦ كانون الثاني ١٩١٦ حدود الوطن الالماني. وكان لقائي مع زوجتي واطفالي الذي اعقب ذلك الغياب الطويل من المناسبات المفرحة النادرة المثيل في حياتنا. وقد تحدث

القوم ببرلين عن المساعي الحثيثة التي بذلتها بكل همة خلال السنة والنصف التي قضيتها في الولايات المتحدة الامريكية من اجل توضيح طبيعة الموقف غير المحايد الذي تتخذه تلك الدولة وهذه حقيقة لم يدركها اغلب المسؤولين الالمان آنذاك. ثم انني كنت اول شخصية رسمية تقوم بايضاح التطور النفسي الذي تحول به الرأي العام في امريكا بصورة مدبرة بحذق تام منذ بداية الحرب وعايشت ذلك التطور عن كثب بحيث صار بمقدوري تقديم تقارير مفصلة بهذا الشأن الى أعلى المستويات. وعليه فلا عجب ان اجد الكثير من اوساط قيادتي الجيش والاسطول وحتى اعداد كبيرة من معارفي يخفون الي بكل مودة مؤملين توقفي عن التحدث بهذا الشأن لكن ذلك لم يكن ليقف دون ما عزمت عليه في سبيل عرض الحقيقة المجردة.

وتم تكليفي في هذه الفترة بالقاء محاضرة على مسامع رئيس أركان جيش الميدان الفريق الاول فون فالكنهاين. وقد جلست مع الرجل عدة ساعات وانا اوضح له صورة الموقف السياسي للولايات المتحدة وتطوراته واعقبت ذلك بتصوراتي لمعالجة الامريكان للمعضلات المتعلقة بالحرب وانهيت محاضرتي بخلاصة ما يمكن ان تؤول اليه الحال في المستقبل . وقد شكرني فون فالكنهاين على ما اسديته من اسناد للجيش خلال وجودي في امريكا بتزويده بالكثير من المعدات التي استطعت الحصول عليها من المصادر الامريكية. وقد أيد آرائي في جميع ما ذهبت اليه. الا انه قال حيث اننا لم نحقق انتصارا مؤزرا على اعدائنا خلال عام ١٩١٥ فقد زاد احتمال تدخل امريكا بالحرب لصالح الحلفاء بقصد الاخلال بتوازن قوتينا.

أما انا فقد اعطيت الفريق الاول فون فالكنهاين فكرة عن الانتاج الحربي الهائل الذي تستطيعه الولايات المتحدة وكيف انها بمقدورها تجهيز الحلفاء بكميات غير محدودة من اية مادة يحتاجها الحلفاء وان المشكلة الوحيدة التي يمكن ان تقوم بين الطرفين هي تسديد اثمان تلك المواد وهذه يمكن النظر بها فيما بعد على ضوء المواقف السياسية التي ستتحكم بها واشنطن على حساب الحلفاء لقاء الديون الكبيرة المتوقعة وهذا ما سيتجلى اما في

اتفاقية السلام التي ستعقد بعد الحرب او بموجب شروط مساهمة امريكا بالحرب.

لقد بذل الحلفاء ـ وخصوصا بريطانيا ـ جهودهم لادخال امريكا الحرب الى جانبهم ولجأوا الى مختلف الوسائل في هذا السبيل . وقد راقبت عن كثب مدى حرصهم ـ لتحقيق هذه الغاية ـ على اساءة العلاقات السياسية بين المانيا والولايات المتحدة الامريكية حيث انهم اتهموا وكلاء المانيا بجميع فعاليات التخريب التي حصلت في امريكا آنذاك وادعوا مرارا كثيرة بأن الغواصات الالمانية تمارس فعالياتها ضد سفن البحرية التجارية الامريكية رغم اصدار حكومة المانيا بيانات عديدة تستنكر فيها قيام الغواصات الالمانيه بمثل هذه الفعاليات.

في ختام المقابلة اوضحت للفريق الاول فون فالكنهاين بأننا كان علينا منذ حادثة غرق الباخرة (لوزيتانيا) المبادرة لاصدار ايضاح صحفي لمنع اعدائنا من مواصله الحرب النفسية التي يشنونها ضد المانيا في الولايات المتحدة الامريكية على نطاق واسع. لاسيما وان كل محب لالمانيا لا يمكن ان يقبل بأثارة دولة كبيرة وصديقة لالمانيا ويحولها للانحياز الى جانب العدو بينما تخوض المانيا حربا مصيرية. ثم ان المانيا ليست لديها اية مصلحة من معاداة الولايات المتحدة ولا يمكن ان تحقق اية مزايا من اثارة الحرب ضد تلك البلاد . وقلت للفريق الاول بأنني لو سئلت عما اذا كانت الولايات المتحدة ستبقى محايدة او انها ستنحاز للحلفاء في الحرب لأجبت بأن اغلبية شعب الولايات المتحدة الامريكية تفضل بقاء بلادها على الحياد وهذه هي الحقيقة المجردة الا ان الاحصائيات التي تقدمها الصحافة الامريكية وتزعم بأنها دقيقة وعلمية تشير الى ان ٩٠٪ من سكان الولايات المتحدة عازمين على خوض هذه الحرب ضد المانيا وان مسألة اشتراك الولايات المتحدة بالحرب مسألة مفروغ منها ولن تزيد عن كونها قضية وقت. ثم ان دخول امريكا الحرب سيجعل قوة الحلفاء البحرية اكبر بكثير من قوة المانيا البحرية وستسيطر اساطيل الحلفاء على الملاحة في المحيط الاطلسي وخصوصا على

السبل البحرية المؤدية الى بريطانيا ، وانني لواثق من ان هذه الحقيقة وحدها كافية لتبرير سعي الانكليز لجر امريكا الى الحرب في صفهم.

ولما سألني رئيس اركان الجيش الالماني عن تصوراتي لمسير الحرب على الرغم من المعوقات الماثلة ازاء دول المعاهدة المركزية اجبته بأن الدبلوماسية الالمانية بدأت بداية سيئة جداء فالكل يعلم اننا لم ندخل هذه الحرب من اجل الاستيلاء على مناطق تعود للآخرين لأننا ليست لدينا اية مشاكل تتعلق بالحدود مع جيران المانيا ، وكانت مصلحتنا الاولى من الاشتراك بالحرب حماية الاسواق ومحاولة ايجاد اسواق جديدة لمنتجاتنا بتوسيع مستعمراتنا فلماذا لم نعرض هذه الحقيقة بصورة جدية وواضحة الآن لكي نخرس التخرصات المفرصة والمزاعم القائلة بأننا نخوض حربا عدوانية؟ ثم انه لم يعد سرا بأننا قد دخلنا الحرب لكي نساعد امبراطورية النمسا والمجر في كفاحها ازاء التضامن السلافي الموجه ضدها ، كما ان المانيا ليست لديها اية اهداف سياسية في المستقبل تدعوها للقتال ضد الولايات المتحدة الامريكية ، لكننا يجب ان نعمل بتفهم وبذكاء لكي نعرض هذه الحقائق ليس في الولايات المتحدة الامريكية وحدها وانما في بلدان العدو ايضاء وبذا سنتصدى لدعايات الحلفاء المغرضة ونفندها.

كان الفريق الاول فون فالكنهاين رجلا ذكيا ، وكان قد سافر كثيرا في حياته وعليه فهو يعرف العالم خارج المانيا بصورة جيدة ، وهو بصفته رئيسا للاركان فان جميع الوسائل المحدودة التي كانت دول المعاهدة المركزية تعتمد عليها في المحافظة على وجودها معروفة بالنسبة له تماما ، وكان معلوما بالنسبة له وللامبراطور غليوم الثاني ان سياسة تقوية الاسطول الالماني وهي السياسة التي وضعها امير البحر (تيربيتس) موضع التنفيذ وخصوصا ادارة حرب الغواصات كانت السياسة الاشد حسما في ادارة الحرب برمتها وقد ارجعت تحليلي هذا لما ستترتب عليه اتهامات الولايات المتحدة لنا بتأثير غواصاتنا على الملاحة البحرية الامريكية مما سيجر امريكا

للحرب ضدنــا وهو أمر سيؤدي بنا الى خسران الحرب بصورة مؤكدة وهذا ما لا سبيل لتفاديه٠

أجريت في الايام التالية محادثات اخرى كثيرة ومنها محادثات مع قادة البحرية امثال أمير البحر فون هولتسندورف وامير البحر فون ميوللر٠ وقد اختفى تعجبهـم من الافكار التي جئتهم بهـا بشأن الموقف الذي تتخـذه الولايات المتحدة الامريكية حالما لاحظوا بأنني خصم عنيد لمواصلة الحرب التي تشنها غواصاتنا الا انهم ادركوا جميعا مدى الخطر الذي تتعرض له المانيا من مغبة السياسة التي يسيرون عليها والتي نبهتهم لنتائجها٠ ولما اثير التساؤل القلق في المانيا عن كيفية الخروج من هذه الحرب بنتيجة تكون في صالح المانيا وعما اذا كانت حرب الغواصات تحقق هذا الغرض أم لا فلن اكون مغاليا اذا ما قلت بأنني اول من استشرف النتائج وحذر اغلب المسؤولين الكبار ببرلين قبل وقوع المحذور٠

وحتى المستشار السيد فون بتمـان ـ هولفيغ اراد الاستماع الى تقريري الشفوي٠ وقد ادليت لحضرته بحديث مطول على غرار ما فعلت مع رئيس هيئة الإركان٠ لكنني لم اكن هذه المرة ازاء عسكري يتحرى عن الوسائل التقنية فقط من اجل تحقيق النتيجة المطلوبة في الحرب وانما التقيت هنا بأكبر رأس سياسي مدبر مسؤول في المانيا وهو رجل مدرك تماما لحدود اشد القضايا العويصة التي تعترض سبل النصر الالماني٠ وهو الذي يلم بكل الاسباب الحقيقية التي دعت المانيا للاشتراك بالحرب والوسائل التي يمكن ان تصل بها الى السلام وهو يعرف تماما موقف دول المعاهدة المركزية وهو بالتالي لا يريد تكليف المتحمسين من ابناء الوطن خسائر أخرى رهيبة ٠ ولهذا كله فان التحدث الى شخصية ذكية كالسيد فون بتمان كان متعة كبيرة بالنسبة لي٠

اوضح لي المستشار بأن الحرب لا يمكن انهـائها بالسلاح وحده٠ فتحقيق الاهداف القومية بصورة مثاليـة لا يمكن ان يتم بعد ان تعرض

قسم من ابناء الشعب الالماني للأذى ثم اننا تكلفنا حتى الآن ضحايا جليلة وحققنا انتصارات لا يمكن اغفالها وقد ايد الرجل وجهة نظري بأن الحرب غير المحدودة التي تشنها الغواصات الالمانية ستؤدي الى دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب اعدائنا فتميل كفة الحلفاء للرجحان وتكون خسارة المانيا مؤكدة. وعليه فان التصدي لحرب الغواصات اصبح من الامور الواجبة الا انه يخشى من اثارة الصحافة الالمانية والرأي العام الذي تعتبر اغلبيته ادارة حرب الغواصات من مستلزمات تحقيق النصر الوشيك مما يجعل ايقافها مدعاة لاثارة سخط تلك الاوساط التي تخشى على دول المعاهدة المركزية من الحصار البحري وما يتبعه من خطر المجاعة حسبما اعلنه امير البحر فون تيربتس. ولذا فقد قال المستشار بأن ايقاف حرب الغواصات يتطلب اجراء محاولة جديدة لتوضيح الاخطار المترتبة على مواصلة حرب الغواصات قبل الاقدام على ايقافها فعلا.

وقد رجاني المستشار ان اقوم بالقاء محاضرة على مجموعة من الصحفيين سيدعوها من مختلف ارجاء المانيا لاحدث اولئك السادة عن حقيقة الموقف الذي تتخذه الولايات المتحدة الامريكية وما سيؤول اليه . فأجبت المستشار بأنني سأكون مسرورا للقيام بهذه المهمة ورجوته ان يؤجل التقائي بالصحفيين الى ما بعد مقابلتي لحضرة صاحب الجلالة الامبراطور في اليوم التالي حيث سأعرض على جلالته خلاصة آرائي والوسائل التي يمكن ان نسند بها سياسة المستشار . ثم قلت للمستشار بأن محاضرتي هذه على الصحفيين تتطلب موافقة رئيس الاركان العامة لأنني لم اعد مرتبطا بوزارة الخارجية وانما انا مجرد عسكري يمتثل لاوامر قائده المباشر. ويبدو ان المستشار السيد فون بتمان لم يشك ابدا بأنه سيحصل على موافقة رئيس الاركان لقيامي بالقاء المحاضرة.

وفي احدى الأمسيات تلقيت امرا بالمثول امام الفريق الاول فون فالكنهاين

في صباح اليوم التالي لكي ارافقه في سفرة الى پوتسدام[1] لكي اقدم تقريرا شفويا لحضرة صاحب الجلالة الامبراطور في القصر الجديد • وقبل ان يتحرك بنا الركب قلت لرئيس الاركان بأنني اعلم رأيه بضرورة مواصلة حرب الغواصات • ولعله غير راغب في قيام احد مرؤوسيه بمناقضة هذا الرأي في حضرة الامبراطور عند القاء المحاضرة على اسماع صاحب الجلالة• ولذا افضل حضوره للاستماع للمحاضرة لأنني لست على استعداد للأدلاء بآراء تخالف ما اعتقده• فأجابني الفريق الاول فون فالكنهاين بايجاز:

« تعال معي ثم قل للامبراطور كل ما تعتقد بصوابه »

بدى لي القصر الجديد كالحا على غير ما الفته في زيارتي السابقة التي اجريتها في احد ايام كانون الاول ١٩١٣ عندما استأذنت من الامبراطور قبيل التحاقي بمنصبي في الولايات المتحدة الامريكية وتناولت مع جلالته طعام الفطور واستمتعت بحديثه الطلي عن اصدقائه في تلك البلاد واعجابه بالرئيس تيودور روزفلت• اما هذه المرة فقد اراد الامبراطور ان يعرف لماذا يعتبر الامريكيون حرب الغواصات موجهة ضدهم واستفسر بحرص بالغ عن توقعاتي لمسار الحرب اذا كانت الولايات المتحدة على وشك الاشتراك فيها•

والذي اثار تعجبي التام هو عدم اهتمام الامبراطور لمحاضرتي الموجزة وعدم طرحه لاكثر من ملحوظات عابرة وقد تضمنت وجهة نظره بأن كل ضغوط الحلفاء سوف لن تجر امريكا الى الحرب حيث قال نصا:

« يمكنك التأكد بأن الشعب الامريكي ومجلس نوابه سوف لن يعلن علينا الحرب مطلقا»•

ولما تطلع لعيني المستنكرتين لكلامه مستفسرا عن اجابتي قلت له على الفور:

(١) تعتبر پوتسدام ـ الواقعة الآن في المانيا الشرقية الحي العسكري لمدينة برلين لان فيها موئل ملوك بروسيا وقصر ( سان سوسي ) الذي انشأه فردريك الكبير وثكنات الحرس الامبراطوري في عهد قياصرة المانيا .
ـ المترجم ـ

« لعلك لا تعلم يا صاحب الجلالة بأن الامور تغيرت بصورة جذريةفي امريكا منذ نشوب الحرب ومن يعيش ذلك الجو الذي عشته وخبرته عن كثب مع بقية اعضاء السفارة الالمانية ــ بدئاً من السفير غراف برنستورف حتى أصغر أمين سر ــ فلابد أن يدرك بأن آخر مجلس نواب امريكي يقرر كل ما يطلبه الرئيس ودرو ويلسون • فهو يتمتع بما يسمى بالافكار الحرة وعليه فلابد ان يعود اليها في يوم ما عندمـا يعرض وجهة نظره مع جميع الحقائق على اعضاء برلمان بلاده• وان سفير جلالتكم في الولايات المتحـدة ونحن العاملين معه جميعا لعلى ثقة من ان الولايات المتحدة الامريكية سائرة

حثيثا نحو الحرب ضـد المانيا اذا لم تتوقف عن ادارة حرب الغواصـات او تتفاهم معها بشأن هذه الحرب»•

الا ان الامبراطور اجابني باصرار مشفوع باشارات من يده:
(كلا• كلا• فصديقي بالين يعرف الامريكان بصورة افضل• اذ قال لي بأن الرئيس ويلسون رجل عنيد ولكنه بموقفه غير المحايد سوف لن يتمكن من اقناع مجلس النواب الامريكي لاعلان الحرب ضد المانيا)•

ولم استطع سوى التعليق بأنني لا افهم كيف توصل السيد بالين الى هذا الاستنتاج ثم خرجت شبه مسخوط علي من حضرة الامبراطور•

وواضح ان جميع رجـال الحاشيـة الكبار غيروا موقفهم مني ولم يستبقني احد لحضور وليمة الفطور المعتادة وهي الفرصة التي اردت اغتنامها لازالة الجفاء مع الامبراطور على أمل تغيير موقفه واقناعه بوجهة نظري•

أما الفريق الاول فون فالكنهاين فانه سبق له الاستماع لمحاضرتي ولم يقتنع بها • وقد حصلت على انطباع بأن الامبراطور سبق ان احيط علماً بخلاصة آرائي من قبل قادة القوة البحرية واعتبروها قضية موجهة ضدهم•
وبعد أيـام قلائل التقيت في فندق (ايسپلانادا) ببرلين بالسيد بالين صديق الامبراطور ومدير الاستخبارات فأظهرت له تعجبي للانطباع الذي اعطاه للامبراطور فبانت على وجهه امارات التحرج بعض الشيء لأن الامبراطور

استشهد به في ادعائه بأن الولايات المتحدة الامريكية ستبقى بعيدة عن الحرب في جميع الاحوال . ومن الواضح جدا ان السيد بالين كان متفقا بالرأي مع امير البحر فون تيرپيتز بأننا ليس امامنا أي اختيار سوى مواصلة حرب الغواصات لانهاء الحرب وآثرا اللجوء للمغامرة أملا في تحقيق هذا الغرض . والمعروف ان البحار الرائع فون تيرپيتز لم يشأ ان يرى نهاية الاسطول الالماني ( الذي يعود له الفضل الاول في اخراجه من البحار الى المحيطات بعد ان ادخل عليه تطورات هائلة) نتيجة لخسارة المانيا الحرب.

أبدى المستشار دهشته لابدائي آراء مناقضة لرأي الامبراطور ولكنه كان من رأيه ورأي امين سر الدولة للشؤون الخارجية السيد فون ياكوف ان اجتمع بالصحفيين وقد أمرني المستشار بيتمان بالحضور للالتقاء بالصحفيين بالساعة السادسة من مساء اليوم التالي في بناية مجلس النواب وأشعر بذلك رئيس الاركان العامة الفريق الاول فون فالكنهاين الا أن هذا الاجراء انتهى نهاية غير متوقعة . اذ ما ان تلقيت بطاقة المستشار الا ووصلتني بعد ساعتين رسالة سرية ذات لون ازرق من ذات الرسائل المألوفة التي تصدر عن وزارة الحرب ولما فضضت مظروفها قرأت الرسالة التالية :

« عليك الالتحاق بالجبهة الغربية خلال ٢٤ ساعة واخبارنا بالتحاقك بمنصبك الجديد آمرا لفوج مشاة في لواء المشاة الاحتياط ٩٣ ( من فرقة مشاة الحرس الرابعة ) » .

وكم كنت اتمنى لو تم تعييني في لواء خيالة الحرس الذي سبقت لي الخدمة فيه بصفتي ضابط خيالة حيث انني يصبح بمقدوري تطبيق الآراء التعبوية الحديثة بشكل أفضل. الا ان نقلي كان حلا جيدا للمأزق الذي وجدت نفسي به عندما اصبحت في موقع النيران المتقاطعة بين السياسة والطاعة العسكرية . وواضح ان اوساط قيادة القوة البحرية الامبراطورية ابتهجت كثيرا لازاحة ضابط الركن الصغير الذي حاول دس انفه في شؤون السوق البحري

وخصوصا في قضية حرب الغواصات التي لم يدرك اسرارها بنقله الى الجبهه الغربية لكي يكف عن التحدث بما لا يعنيه • أما أنا فقد تحولت لما يهمني وانهمكت بالقتال الشديد الذي تخوضه وحدتي في سهول الفلاندر •

الا ان خبرتي بقضايا امريكا لم يتم تجاهلها تماما•اذ تلقيت في عام ١٩١٧ رسالة ــ وأنا في خندق شقي أثناء معركة الفلاندر الموضعية الطويلة ــ من رئاسة الاركان العامة تتضمن أمرا ببيان رأيي بمدى قدرة الولايات المتحدة على ارسال جيش حديث الى اوربا في حالة دخولها الحرب بسبب استمرار حرب الغواصات • وكان الاتجاه السائد ان الجيش الامريكي غير مجهز بتجهيزات حديثة وغير مدرب ولذا فلا يحتمل اشتراكه بسرعة في معركة فرنسا الا بعد مرور مدة طويلة • الا انني اجبت على هذا التساؤل بالنفي اعتمادا على خبرتي بالقدرة الهائلة للمصانع الامريكية وطاقاتها الانتاجية الواسعة ونظام الاحتياط المتقن للجيش الامريكي الا ان المؤسف هو عدم انصات أحد لصوتي •

ثم تلقيت مرة أخرى وأنا في مقر فرقتي بمدينة ( آرتوا ) رجاء من وزارة الخارجية لبيان رأيي بصدد اعتقاد وزير الخارجية (تسمرمان) باحتمال دخول المكسيك في حرب ضد الولايات المتحدة الامريكية فكتبت تقريرا الى وزارة الخارجية ربما أثار غضب السادة في وزارة الخارجية فلم يولوا ما كتبه المقاتل الصريح أي احترام والقوه في سلة المهملات•

وبعد مدة قصيرة ضحك العالم كله من قصر نظر كل اولئك المسؤولين الالمان لأن الولايات المتحدة الامريكية أعلنت الحرب على دول المعاهدة المركزية وعندئذ ادركت بأن نهاية الحرب قد اقتربت لغير صالح بلادي •

# الفصل السابع

# في الخدمة الفعليّة

# الفصل السابع

# في الخدمة الفعليّة

**الجبهة الغربية . في ميدان القتال مع العثمانيين . محاولة لاستعادة بغداد ؟ . جبهة فلسطين . نزاع فون فالكنهاين مع جمال باشا . اللنبي يهجم. الانسحاب من القدس . ليمان فون ساندرس. لورنس. تعرض شرق الاردن . زيارة للجبهة الغربية . لودندورف . انهيار جبهة فلسطين. العثمانيون يبرمون الهدنة. اصطدام مع المشير ليمان. الفرار الى المانيا . قدمت نفسي الى هندنبورغ . قبلت الاستقالة . الاخطاء التاريخية لكلا الطرفين ودروس للسلام .**

ان تجربتي في حرب المواضع بالجبهة الغربية لا تختلف عن تجارب الملايين من مقاتلي الطرفين ولذا فانها لا تستحق التفصل باحداثها الصغيرة . فعندما تسلمت امرة الفوج الثاني كان لوائنا يدافع عن مرتفعات ( ڤامي ) المعروفة ثم شارك بعدئذ في معركة ( السوم ) و ( الفلاندر ) وكانت فرقة مشاة الحرس الرابعة التي كان لوائنا ( لواء المشاة الاحتياط ٩٣ ) من نظام معركتها تعتبر من خيرة تشكيلات الجيش الالماني ولذا فان من الطبيعي قيام القيادة بزجها

والتشكيلات الاخرى الممتازة في جميع المواقف الحرجة والقتـالات الضارية وعندما يوشك الخصم على القيام بخرق في أي قاطع من الجبهة. وفي خلال الايام الاولى من معركة السوم تلقيت امرا من قيادة الفرقة باستخدامي للحلول محل ضابط ركن من ضباط مقر الفرقة لاصابته بمرض وبذا اتيحت لي فرصة الاستفادة من تدريبي الاساسي السابق وتجربتي القليلة مع القطعات من اجل تسهيل مهمة قطعات الفرقة في المواقف الصعبة التي تتعرض لها قدراستطاعتي. وفي ١٥ أيلول ١٩١٦ هاجمت مواضع فرقتنا عدة فرق انكليزية وكندية بين (آنكر وشولنيه) مستخدمة الدبابات لاول مرة . وقد جاء في تقرير القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية في احد تلك الايام بأن العدو افلح في احداث خرق عميق بالجبهة الالمانية ولم تصمد في مواضعها سوى فرقة مشاة الحرس الرابعة.

ان اعتراف القيادة هذا بتقريرها الموجز ينطوي على معان عميقة . فقد بدت ساحة القتال في نهاية المعركة خالية من المقاتلين وفي صباح اليوم التالي احصينا خسائر الفرقة فكانت ٧٢ ضابطا و٤٢٠٠ جنديا بينما كانت ورائنا مئات الكيلومترات التي ليست لدينا فيها أية فرقة احتياطية يمكننا استخدامها لرأب الخرق العميق الذي احدثه الخصم فما كان مني الا ان أسرعت فيتجميع كل ما تيسر لدي من مراسلين وكتبة وطباخين وغيرهم سواء من مقر الفرقة او من بقايا القطعات الاخرى المحطمة وسلحتهم بالرشاشات المتيسرة وزججتهم في الثغرة لكي اضلل العدو واجعله يتصور وصول نجدات جديدة. وقـد حصلت في هذه الظروف على خبرة مفيدة خلاصتها ان الانكليز عندما يحققون نجاحا في الهجوم فانهم لا يستغلون اللحظة المناسبة لاستثمار الفوز في الموقع الحاسم الذي حققوا به النصر التمهيدي حرصا منهم على امن قطعاتهم.

زجت فرقتنا ثلاث مرات في ذلك الصيف المزعج بمعارك السوم الرهيبة واصبح قائدي واستاذي في التعبية ابان عهد التلمذة في الكلية العسكرية اللواء فون لوسبرغ من اشهر قادة الميدان . وهو رجل ذو اعصاب فولاذية يتفهم ويتقن السيطرة على كل موقف خطير تتعرض له الفرقة. وقد حظيت بشرف

الخدمة تحت قيادته في فرقته الباسلة التي بلغت خسائرها في معارك السوم المنيفة وحدها خلال صيف ١٩١٦ فقط ١٧٣ ضابطا و٨٦٦٩ جندياه

اشتبكنا مع العدو في قتال ضار يوم عيد الفصح الموافق ١١ نيسان ١٩١٧ بين (آراس) ومرتفعات (ڤيمي) وكنا نحاول فيه صد هجوم انكليزي شديد على المواضع الالمانية • ومع اننا فقدنا المبادأة في تلك المعركة الا ان العدو لم يحقق الخرق الذي اراد احداثه في جبهتناه وكان ان اثرت الخسائر الفادحة التي تكبدها العدو سـواء في السوم او في عيـد الفصح على عزمه المعروف في مواصلة الهجوم.

كما ادرك الجانب الالماني بأن الدفاع المستكن قد كلفه خسائر رهيبـة في الرجال، وان التمسك بمواضع غير مهمـة من اجل تحقيق بعض المزايا التعبوية التافهة وان حرب المواضع المديدة على طول الجبهة الواسعـة لن يؤدي الى تتيجة حاسمة • ولذا فقد اشغلت المواضع الامامية بعدد قليل من الجنود وسترت الجبهة بمواضع مبعثرة على غرار توزيع احجـار الشطرنج اقتصادا بالقوة وتقليلا للخسائر التي تلحقها المدفعية المعادية بحشود جنودنا على طوار الجبهة وفي عمقهاه وقد جائت هذه الفكرة سابقة لنفس الفكرة التي طبقها الفريق الاول فون لودندورف فيما بعد والتي حظيت بتأييد المقر العام الحماسي لهاه وقد سألني المشير فون هندنبورغ آنذاك عما اذا لم تكن هذه الطريقة مؤثرة بعض الشيء على معنويات القطعات في حالة تقسيم الوحدات الى قطعات صغيرة بدلا عن تجميعها بتشكيلات كبيرة تحت سيطرة افضل، وقد ايد القائد الكبير وجهة نظري عندما قلت له بأن المعنويات هي حصيلة التعليم الجيد والعلاقات الوثيقة بين الضباط وجنودهم، وكانت هذه المحادثة مع المشير ذات طبيعة عسكرية بحتة، الا انها تلقي الضوء على طبيعة العلاقا الشخصية التي كانت سائدة وهذه حالة افتقدناها في السنين الاخيرة معرانتنا نفترض قيامهاه

بينما كنت في زيارة لتفقد وحدات لوائي السابق في مواضعه وكان ذلك في احد ايام حزيران ١٩١٧ استدعيت لمكالمة هاتفيه، وكان المتكلم صديقي

القديم ليرسنر الذي تربطني به علاقة حميمة منذ ايامنا في ديوسلدورف وخدم معي في سفارتنا بواشنطن وقد اصبح ضابط ارتباط وزارة الخارجية لدى القيادة العامة للقوات البرية، وقد قال لي مبشرا (لقد تم تعيينك ضابط ركن للحركات في مقر مجموعة جيوش الفريق الأول فون فالكنهاين وعليك السفر معه الى العراق) فلم اصدق ما سمعته اذني ورددت آخر كلمة قالها (العراق) اين تقع هذه البلاد من العالم؟ الا ان ليرسنر لم يضع وقته بتفاصيل اخرى يبثها هاتف الميدان فأوجز ندائـه قائلا بأن القوم ينتظرونني ببرلين وعلي الوصول اليها فوراً.

وانني لاستميح القاريء عذرا اذا ما عرضت له ما شاهدته في الشرق الادنى والاوسط ببساطة تامة لأن ذلك مجرد ذكريات لضابط شاب شهد جزءا من سير الاحداث في جبهتي العراق وفلسطين الا انني حصلت على صورة واضحة عن تطورات الموقف على تينك الجبهتين • ويظهر ان كتابات التأريخ العسكري الالماني الرسمي تصف سير الاحداث في ذلك الجزء من الحرب بشيء من الانتقاص المتعمد ومن يطلع على سيرة المشير اللنبي او لورنس فلابد ان يلاحظ بعض الايماءات التي تؤيد هذا الرأي، وقـد تعرفت على شخصيات تركية قيادية لعبت فيما بعد ادوارا مهمة والتقيت بهـا ثانية بعد عشرين عاما عندما اصبحت سفيرا لبلادي في انقرة.

أبدل فالـكنهاين بعـد معركـة ( ڤردون )[1] بالمشير هنـدنبورغ[2] والفريق الاول لودندورف[3] الا انه استعاد مقامه الرفيع بعد النصر المؤزر الذي حازه في الحملة على رومانيا ولما دعتنا الدولة العثمـانية لاسداء معونة عاجلة كان الفريق الأول فون فالـكنهاين الرجل المناسـب للنهوض بهـذه المهمة، وهو قائد يتميز على الرغم من ذكائه الحاد ووضوح رؤيته الىالأفتقار للموازنة بين تحمل المسؤولية المسموح به والمقدرة وكذلك اتخاذ القرارات التي لا يحمد عليها عندما تستدعي الضرورة.

وكان المشير الالماني فون ديرغولتز[4] هو المستشار العسكري للدولة العثمانية وقد ابدى هذا القائد اللامع مشورة نادرة المثيل لاصدقائنا

---

(١) جرت معركة ڤردون عام ١٩١٦ بين الجيشين الالماني والفرنسي وقد صمدت قلعة ڤردون الفرنسية بوجه الهجمات الالمانيـة المتعاقبة وكانت حصيلة المعركة ان تكبد الطرفان زهاء مليون قتيل وهي من معارك الدفاع الموضعي المشهورة .

— المترجم —

(٢) كان المشير فون هندنبورغ شيخا متقاعدا عندما نشبت الحرب العالميـة الاولى فاستدعي من التقاعد ونسب قائدا للجبهة الشرقية فأبلى بلاءحسنا بتحقيق الانتصار على جيشين روسـيين في البحيرات المازورية ببروسيا الشرقية في معركة تاننبرغ الحاسمة التيتكبد بها الروس ٠٠٠ر٢٥٠ قتيل.

ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها واعلنت الجمهورية الالمانية تم انتخابه رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس ايبرت ثم تجدد انتخابه وبقي بمنصبه الرفيع حتى وفاته عام ١٩٣٤ . — المترجم —

(٣) كان الفريق الاول فون لودندورف رئيسا لاركان المشير فون هندنبورغ أبان الحرب العالمية الاولى.

— المترجم —

(٤) كان المشير فون ديرغولتز مستشارا عسكريا المانيا لدى الدولة العثمانية وقد اشرف على المعارك الافتتاحية لحصار الكوت لكنه توفي ببغداد عام ١٩١٦ ودفن في مقبرة الكلدان بالباب الشرقي.

— المترجم —

الاتراك ولما هاجم الانكليز بغداد حوصر القائد طاونزند[٥] في كوت الامارة حتى استسلم للعثمانيين وفي هذه الاثناء توفي فون ديرغولتز اما الانكليز فقد واصلوا ضغطهم على بغداد حتى سقطت بأيديهم[٦].

وضع الوزير العثماني انور باشا[٧] خطة تتضمن اشتراك الجيش السابع بقيادة الفريق مصطفى كمال باشا[٨] والجيش السادس بقيادة الفريق خليل[٩] باشا بالتعرض لاستعادة بغداد وأراد جعل الفريق الأول فالكنهاين قائدا لادارة هذه الحركة، الا ان القائد فون فولكنهاين ابدى تحفظه من برلين بشأن تنفيذ خطط انور باشا لأنه يجهل مدى امكانية تنفيذ الخطط على مختلف جبهات القتال للدولة العثمانية، وكان من رأيه قيام المانيا بأعداد قوة انقاذ لاسناد القوات التركية في تنفيذ خططها على تلك الجبهة، ولما استلمت منصبي الجديد لم تكن لدي ادنى فكرة عن الصعوبات الجمة التي تنتظرنا . فالى جانب المشاكل المختلفة في جميع الحملات كانت معضلة المواصلات العويصة تقف حائلا دون تحقيق مختلف اغراضنا بالاضافة الى تعدد شعوب الامبراطورية العثمانية ورداءة الطقس التي كانت بالنسبة لنا أم البلاء، ثم ان التعامل مع القادة العثمانيين لم يكن من الامور السهلة لأننا نجهل تماما

---

(٥) حوصرت قوة اللواء طاونزند في الكوت وكانت مؤلفة من فرقة مشاة ولواء خيالة ولم تفلح محاولات فك الحصار فأستسلم طاونزند مع قواته يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦.

ـ المترجم ـ

(٦) احتل الانكليز بغداد يوم ١١ آذار ١٩١٧ ـ المترجم ـ

(٧) كان انور باشا وزيرا للحربية العثمانية وهو ابرز الزعماء الثلاثة الذين حكموا باسم حزب الاتحاد والترقي وكان من اشد المتحمسين لدخول تركيا الحرب الى جانب المانيا.

ـ المترجم ـ

(٨) هو الغازي مصطفى كمال اول رئيس للجمهورية التركية فيما بعد.

ـ المترجم ـ

(٩) كان خليل باشا عم الوزير انور باشا وقد عينه حاكما عاما للعراق وقائدا للجيوش العثمانية المدافعة عنه.

ـ المترجم ـ

طبائع القوم. كما ان بعض القضايا المقبولة او البديهيـة من وجهـة النظر العسكرية كانت تصطدم في كثير من الاحيان بأمور سياسية تستحق الاهتمام. وصفوة القول ان تجاربي التي اكتسبتها في تلك المهمة تغيرت بصورة جذرية عندما اوفدت الى تركيا الحديثة بمهمة أخرى بعد سنوات عديدة.

عندما وصلت الى برلين وجدت الاستحضارات المتخذة لتشكيل الفيلق الآسيوي الالماني قد قطعت مرحلة جيدة على الرغم من اعتبار القطعات جاهزة للقتال بعد حلول خريف ١٩١٧ وصار من الضروري ارسـال طلائع الفيلق المؤلفة من الوحدات الامامية فورا الى تركيا . وفي بداية تموز ١٩١٧ وصل الفريق الاول فون فالكنهاين مع هيئة ركنه الى القسطنطينية التي اصبحت تسمى (اسطنبول).

وبديهي انني اصطحبت معي مرافقي الأمين هانس ميده ماير الذي رافقني في جميع المعارك التي خضتها في الجبهة الغربية . ولكي تتكون لدينا صورة واضحة عن البلاد والسكان فقد جعلنا ضمن هيئة ركننا نخبـة من خبراء الآثار والفنون الاسلامية امثال ساري وفيفاند وغيرهما. ومن حسن طالعي انني التقيت حال وصولي الى اسطنبول بصديقي القديم هانس هومان الذي توطدت صداقتي معه أبان عهد الشباب في برلين. وهو ابن العالم الآثاري المشهور الذي اكتشف آثار (بيرغامون) في منطقة أزمير وقد نشأ صديقي هذا مع انور باشا وكان لصداقته الحميمة مع اقوى قائد سياسي وعسكري عثماني آنذاك ابلغ الاثر في تعيينه ملحقا بحريا في سفارتنا لدى عاهل اسطنبول صحبة السفير فون ڤانغنهايم ولقد لعب صديقي (وصديق انور باشا) دورا حاسما في استمالة الدولة العثمانية الى صفوف دول المعاهدة المركزية حـال نشوب الحرب . وكان هومان بمعلومـاته المستفيضة عن الحيـاة الشرقية وادراكه لمفاتن الشرق والصعوبات التي تجابه الغربيين هناك في اول عهدي بتلك الانحاء نعم الصاحب الثمين.

عكفت شعبتي (شعبة الحركات) رغم حر اسطنبول اللاهب خلال الصيف على وضع خطة رائعة على الورق لاستعادة بغداد من الانكليز وقد تضمنت

الخطة تكامل الجيش العثماني السابع في منطقة حلب خلال خريف ذات السنة على ان يلتحق به الفيلق الآسيوي الالماني وقد تقرر بموجب خطتنا تقدم الجيش المذكور على طوار مجرى نهر الفرات مع الاستفادة من النهر لايصال مواد الادامة الضرورية للجيش. ويكفي القاء نظرة على الخارطة لادراك الصعوبات البالغة التي تنتظرنا عند تنفيذ مثل هذه الخطة عند مرورنا من الصحراء. ولم تتيسر في الفرات آنذاك أية وسائط نقل حديثة كالسفن او الصنادل وانما كانت الاكلاك هي واسطة النقل النهرية الوحيدة المتيسرة وهـذه الاكلاك ترقى للعهد البابلي وتتألف من جلود الماعز المنفوخة بالفم والمربوطة معا والتي يعلوها مشبك من جذوع الاشجار ثم تنطلق بقوة تيار الماء وهي تسير باتجاه التيار فقط اما عند التنقل باتجاه معاكس فلا تتيسر لدينا الا نقلية الحيوانات المؤلفة من الجمال والبغال وهذه طريقة غير ملائمة ابدا لادامة جيش حديث.

وأود ان اذكر القاريء الكريم بأن سكة حديد بغداد ــ برلين المشهورة لم تكن قد امتدت لا الى جبال طوروس ولا الى جبال آمانوس. ولم يكمل حفر نفق جبال آمانوس الا في صيف ١٩١٧ اما نفق جبال طوروس فلم يكمل الا في خريف ١٩١٨ ومن غريب الصدف ان انجاز نفق طوروس تم يوم اعلان الهدنة وانتهاء الحرب العالمية الاولى . وهكذا تم تموين الجيوش العثمانية المنتشرة من القفقاس الى العراق وفلسطين اعتمادا على طرق بدائية ونياسم جبلية تسير عليها نقلية الحيوانات. والمثير للاعجاب ان تلك الجيوش العثمانية حافظت على تماسك جبهاتها وارهقت اعدائها بالخسائر الرهيبة حتى انتهاء الحرب في تشرين الثاني ١٩١٨.

صادفنا مشكلة سوقية اخرى تستحق الاهتمام. فالجبهة العثمانية الجنوبية كانت تمتد على حافة الصحراء السورية بين غزة وبير السبع وتقاتل القوات العثمانية فيها تحت قيادة الفريق الالماني كريس فون كريسنشتاين

الذي يتلقى اوامره من حاكم سوريا العام جمال باشا[١٠]. وقد واصل الفريق فون كريسنشتاين بعد فشل الهجمات التي شنها جيشه على قناة السويس ترصين جبهته بطاقته الفولاذية المعهودة. فهذا الجندي الرائع اثبت جدارته وكفائة الجيش العثماني الذي بأمرته رغم ادامته المحدودة وتمكن من صد هجومين بريطانيين عنيفين على جناحه الايسر بقصد احتلال غزة وأجبر الانكليز على النكوص خائبين.

ألا ان الانكليز تداركوا موقفهم المحرج على جبهة فلسطين فنقلوا اليها قائدهم الفذ الفريق الاول اللنبي من الجبهة الغربية وواضح ان وصول هذا القائد الى القاهرة معناه الاستحضار لشن تعرض جديد على فلسطين. واستمرت الاستحضارات المتواصلة كشأن الانكليز دوما بمد سكة حديد وعلى امتدادها مشروع لايصال المياه النقية وهذان المشروعان مهمان جدا لادارة أية حركات في الصحراء.

خشي الفريق فون كريستشتاين على جبهته من مغبة الاستحضارات الانكليزية المتواصلة وكان لتخوفه ما يبرره. وقد كنت انا قد قاتلت فرق اللنبي آنفا في مرتفعات (ڤيمي) ولذا فلا شك عندي بأنه سيلجأ لنفس طريقته التي الفناها في فرنسا وستتعرض مواضع العثمانيين لأشد ما يمكن من نيران المدفعية قبل شروع الانكليز بهجومهم الجديد.

واذا تعرضت جبهة فلسطين للخطر الداهم المنتظر فان حركتنا التي ننوي تنفيذها لاستعادة بغداد لابد ان تتعرض - من الناحية السوقية - للاحباط . ذلك لأن أي خرق يفلح الانكليز بتحقيقه في جبهة فلسطين يسهل عليهم اجتياح بلاد الشام برمتها والظهور وراء جيش انقاذ بغداد . وعليه فقد قرر الفريق الاول فون فالكنهاين القيام بزيارة شخصية لجبهة فلسطين

(١٠) هو جمال السفاح الذي حكم بلاد الشام خلال الحرب العالمية الاولى وقتل احرار العرب بعد محاكمات جائرة . وقد هام جمال باشا في فيافي روسيا بعد اندحار بلاده حتى قتل بالرصاص في مدينة تفليس في اوائل تموز ١٩٢٦. - المترجم -

للاطلاع على طبيعة الموقف السائد هناك وفي اواسط آب سافر الى فلسطين واستصحبني انا ومدير ميرة قيادته في تلك الرحلة.

اجتزت لأول مرة في حياتي هضبة الاناضول ومررت من تلك الاصقاع التي تكاد تكون خالية من الناس والتي ليست عليها الا مسحة أثرية من معالم المدنية الحديثة. ثم اجتزنا سلسلة جبال طوروس ولم نكد نجتازها الا ومررنا من (قره‌پونار) لنتسلق هضبة (اطنه) ومررنا من مضائق وعرة سلكتها كل الاقوام التي أرادت الوصول للاناضول على مر القرون منذ فجر التاريخ وقد سلك هذه المسالك الاسكندر المقدوني وغيره من الفاتحين ولم تبق من آثار كل هؤلاء سوى بضعة قلاع متداعية ماثلة للعيان.

لاحظت ان حرارة الشمس تزداد شدة كلما واصلنا رحلتنا باتجاه الجنوب وعندما وصلنا الى حلب كانت تلفها عاصفة ترابية عاتية بينما كانت تقترب منها قوافل الجمال الموقرة بمختلف البضائع. وتنتصب على تل في وسط المدينة قلعتها القديمة المجردة من مظاهر الجمال . اما دمشق فعلى العكس منها لأنها واحة مونقة تحف بها الغوطة وتنساب حولها الينابيع الثرة.

واصلنا سفرتنا من دمشق الى فلسطين باتجاه الجنوب وفي احد تلك الايام توقف القطار فجأة بالساعة الرابعة فجرا فتطلعت من عربة النوم لتقع عيني على بحيرة فلما استفسرت من فاحص بطاقات القطار عن السبب في التوقف اجاب هذا بأننا سنتوقف لمدة نصف ساعة فما كان مني الا انهرعت وانا بثياب النوم لاستحم في تلك البحيرة . وبعد ان استحممت وارتديت ثيابي شاهدت مدير المحطة فسألته عن اسم محطته فأجابني بأنها (العفولة) المطلة على بحيرة الناصرة اما القرية الرابضة على التل والمؤلفة من بيوت مطلية بالجص الابيض فكانت الناصرة فسرعان ما ادركت بخشوع ران على خاطري بأن هذه القرية الصغيرة تلعب دورا مهما في تأريخ البشرية الحديثة لأن السيد المسيح نشأ فيها وترعرع قبل ما يقرب من عشرين قرنا ومن هنا انبعثت رسالة الايمان بالله لتنتشر في مختلف أصقاع الارض وقد آليت على نفسي ان اهتبل

كل فرصة تسمح لي بها طبيعة مهمتي لزيارة الناصرة والتبرك بآثارها . ولم أعلم آنذاك بأنني سوف اتمكن من قضاء احد اعياد الميلاد وبضعة اسابيع في تلك المدينة المحببة الى نفسي.

استأنف قطارنا سيره مارا من جبل الكرمل وقد ظهر ورائه البحر بزرقته الصافية ثم مررنا بميناء يافا والى جانبه المستعمرتين الالمانيتين (ڤيلهلما وزارونا) وهناك وصلت رحلتنا الى نهايتها حيث يتفرع خط حديدي يتجه شرقا حتى يصل الى مدينة القدس . الا اننا تحولنا الى سيارة نقلتنا مع فون كريس الى الجبهة. وبعد ان استمعنا الى محاضرة مفصلة عن الموقف السائد أراد الفريق الاول فون فالكنهاين القاء نظرة على الترتيبات المتخذة فأعدت لنا الخيول واتجهنا نحو الجنوب حيث قضينا اليوم الاول بتفقد قاطع غزة واليوم الثاني باستطلاع الجناح الايسر للموضع وصولا الى بئر السبع فلاحظنا عدم وجود اية ترتيبات دفاعية متقنة وكل ما يحمي ذلك الجناح مجرد نقاط دفاعية غير متساندة.

استنفذت حرارة الصحراء الشديدة والحاجة المستمرة للماء كل طاقاتي البدنية بسرعة فائقة . وكان لمكوثي وراء المكتب المريح في اسطنبول لفترة غير قليلة ابعد الأثر في ضعف مقاومتي وسرعة ظهور الاجهاد على بدني. ولكن سرعان ما تم انقاذي من تلك الازمة عندما عدنا بالقطار في مساء اليوم الثاني لزيارتنا.

أصدر الفريق الاول فون فالكنهاين أوامره بناء على مقترحاتي التي قدمتها له والتي تضمنت بايجاز:

ان الجبهة طويلة جدا وهي مشغولة بقوات رقيقة . وعلى الرغم من احتفاظنا باحتياطات ضعيفة فان اغلب احتياطاتنا كانت معبأة في الخطوط الامامية . ولا تتيسر لدينا اية احتياطات كافية بالعمق. وان تحصينات الميدان غير كافية وكلها ترقى الى عام ١٩١٤ ولا يمكن الاحتفاظ بهذه الجبهة مطلقا ازاء أي هجوم جديد مسند باستحضارات قصف مدفعي تمهيدي شديد . ثم ان المدافع والعتاد المتيسرين لنا غير كافيين لتنفيذ مهمتنا الدفاعية. ومعاننا

حصلنا على انطباع جيد عن القطعات الا ان بقائها بالمواضع طوال سنين عديدة دون اي تبديل يجعل الملل يتسرب الى نفوس المقاتلين • اضف الى ذلك ان الطعام لا يكاد يكفي والتموين صعب الوصول لأن النقل يتم اعتمادا على الحيوانات وهي وسيلة نقل بطيئة، ولا تتوفر اعداد اضافية من حيوانات النقلية للتعويض عن الجمال والخيول والبغال النافقة، ومما هو جدير بالذكر ان القطعات ذبحت نصف جمال القوة وتغذت بلحومها،

واذا ما اردنا الاحتفاظ بالموضع ازاء الهجمات المتوقعة التي سيشنها الفريق الاول اللنبي وفق أحدث الاسس بكل تأكيد فلابد لنا من اعادة النظر في تعبئة قواتنا وجعلها بعمق كاف مع اتباع احدث مباديء الدفاع التي تعتمد على توفير قوة نارية ومواضع متساندة واحتياط سريع ومؤثر وقوي • وان الموضع الحالي للجيش العثماني في فلسطين يجعله مهددا بصورة مؤكدة لدرجة يتهدد معها الجناح الجنوبي لمجموعة جيوش حلب،

أيد رأينا الفريق الاول فون فالكنهاين لأنه كان لديه نفس التصور للموقف • وقد تأملنا خلال رحلتنا بالقطار بالايام المنصرمة المفعمة بالفعاليات وادركنا ان ادارة الحركات في المناطق الصحراوية ليست من الأمور التي يسهل القيام بها على أي كان وانما تتطلب خبرة طويلة • وقد ثبت فيما بعد ان هذا الرأي هو الصحيح حسبما ذكره خبراء القتال في الصحراء ابان الحرب العالمية الثانية، وقد حدث في الحرب العالمية الاولى نفس ما قام به الحلفاء في العلمين فيما بعد، حيث اعد اللنبي ـ كما فعل مونتغمري بعدئذ ـ مقادير وفيرة من مواد التموين عبر البحر وبالسكك الحديد ولم يتعوق سيل الادامة ـ كما حصل بالنسبة للالمان في الحرب العالمية الثانية نتيجة لتقصير الاسطول الايطالي ـ الا ان ايطاليا كانت في عام ١٩١٧ في (الجانب الصحيح) وكانت قوافل التموين البحري الانكليزية تمضي بهدوء في البحر الابيض المتوسط دون اية مضايقات،

بينما كنا نحرص على تقديم افضل ما لدينا لمعاونة الفريق الاول فون كريس من اجل تحشيد قواته قرب حلب واعدادها للقتال وصلتنا انباء سيئة مفادها ان بضعة عربات حمل محملة بالاعتدة المرسلة الينا انفلقت في محطة

قطار حيدر باشا الواقعة في رأس سكة حديد بغداد في الجانب الآسيوي من اسطنبول فأدى انفلاقها الى تدمير عدد آخر من العربات المحملة بالذخائر. كما وصلنا نبأ آخر بالوقت نفسه مفاده تدمير مقادير اخرى وفيرة من مواد ادامة جيشنا الثمينة قرب مدينة حلب.

ولما كنا بصدد تنفيذ المراحل الاولية من الاستحضارات للحملة في سبيل انقاذ بغداد فقد كنا على ثقة من ان المعوقات التي تعرضنا لها لابد ان تكون بفعل تخريبات العدو وقد ارجعت هذه التخريبات عجلة استحضاراتنا لعدة أسابيع واشهر الى الوراء. وكان ان اعدنا النظر بجداول التوقيت المعدة للتنقل باتجاه بغداد. كما ان الفيلق الآسيوي الالماني تعرضت اجراءاته التمهيدية للتأخير هو الآخر.

في هذه الاثناء حاز فون فالكنهاين ترقية في الجيش العثماني ووصل الى رتبة مشير. وقد توصل هذا القائد ـ مثلي ـ الى الحقيقة المتمثلة بضرورة تخصيص كل القوات المتيسرة لدينا للمحافظة على فلسطين اولا قبل التفكير بخطط استعادة بغداد . لأن استعادة بغداد كانت مسألة معنوية اكثر من كونها ضرورة عسكرية. بينما يتمخض عن انهيار جبهة فلسطين فقدان العراق وسوريا برمتهما.

كان قرارنا هذا صائبا . الا ان الذي حز في نفسي هو الاستنتاج الذي توصل اليه فون فالكنهاين وكانت خلاصته:

انه يعترض على جعل جزء من جيشه جاهزا للخدمة بأمرة فون كريس لأن هذا الاجراء من شأنه أن يجعل للفريق الأول فون كريس نصيب كلمة حاسمة في قيادة الحركات في جبهة فلسطين وقد يفكر الرجل بشن هجوم آخر على قناة السويس . ثم أن وزير البحرية وحاكم سوريا العثماني جمال باشا لم يكن بالرجل الذي يتخلى عن صلاحياته قيد أنملة . وهو يتمسك بحقه في ممارسة القيادة العليا بقسوة شرقية لا يعترف معها بأية سلطة للقائد فون فالكنهاين.

ولما رجعنا الى دمشق لمقابلة الحاكم العام وجدنا انفسنا ازاء رجل ظاهر اللطف والذكاء لكنه عنيد الى ابعد الحدود وهو عنيف ازاء حركات التحرر العربية ويناصب الأسرة الهاشمية عداء سافرا. وكان رئيس اركانه العقيد علي فؤاد وهو من اذكى الضباط العثمانيين واقدرهم وسأتحدث عنه مليا في فصل لاحق.

ولما لم يجد فون فالكنهاين أية وسيلة ملائمة للتعاون مع الحاكم العثماني العام جمال باشا فقد اصبح التعاون الألماني ـ العثماني بالغ الصعوبة في بلاد الشام. وقد توسمت مدى الصعوبات التي سنتعرض لها بسبب ذلك الموقف الحرج. وخصوصا تعقد قضايا ادامة تشكيلاتنا التي يشرف عليها خصمنا اللدود بحكم موقعه المؤثر جدا وكذلك مسألة اتصالنا بقواعدنا الخلفية .

أصر فون فالكنهاين على موقفه بعناد شديد. وقد بات من الواضح لي آنذاك ان لعناده الذي لمسته كل الفضل في رصانة موقف المانيا في معركة (ڤردون) فهو لا يريد الاعتراف بالفشل مطلقا وكان ينحي باللائمة على رئيس هيئة الاركان العامة الالمانية بصدد تلك الواقعة لأنه كان يفتقر للكفاية . وهو متشوق في مهمته بفلسطين لتحقيق مجد عسكري مؤثل جديد . ولذا فقد حرص على عدم اشراك أحد معه في مهمته القيادية هذه.

ولقد اعجبت كثيرا بشخصية القائد فون فالكنهاين الذكي والمتدين الذي كثيرا ما كنت انصت باهتمام لمواعظه وسرده التأريخي للعهد القديم[11] الا انني كنت اعزي عدم نجاحه لمغالاته في التطرف مما جعله موضع انتقاد القائدين فون مولتكه الكبير وفون دير غولتز.

وكان السبب المباشر في نشوب الخصومة المريرة بين فون فالكنهاين والوزير انور باشا وفون لودندورف هو عدم رغبة جمال باشا في التخلي مطلقا عن صلاحياته بأي ثمن. وكانت حصيلة ذلك الخصام ان اثار فون فالكنهاين ازمة وزارية في تركيا وبقي منتصرا على خصومه.

(١١) التوراة .

كان قائد الجيش السابع العثماني المتحشد حول حلب الفريق مصطفى كمال باشا وهو من اكفأ قادة الميدان الشباب الاتراك. وكان قد ابلى بلاء حسنا في معارك البلقان ثم في معارك الدردنيل[١٢]. وهو يتميز بمرونته في ادارة الحركات وقد حصلت عنه على انطباع رائع. وكنت اتحدث معه باللغة الفرنسية وقد لاحظت انه متأثر الى حد بعيد بالادب والثقافة الفرنسيين وبالتالي فهو اكثر ميلا الى فرنسا منه الى المانيا . وكم انا سعيد الحظ عندما واتتني هذه الفرصة للتعرف على هذه الشخصية التي تبلورت اهميتها في المجتمع الدولي بعد سنين قليلة ولعبت دورا مهما في تأريخ تركيا الحديثة.

اما رئيس اركان الجيش السابع العثماني فكان صديقي الرائد الركن فون فالكنهاوزن الذي صار في الحرب العالمية الثانية الحاكم الالماني العام لبلجيكا.

ولما وافتنا المعلومات المتواصلة الى مقر الفريق الاول فون كريس مشيرة الى ان الفريق اللنبي يوشك على انجاز استحضاراته النهائية لشن الهجوم المنتظر ارسلني الفريق الأول فون فالكنهاين مرة اخرى الى مقر فون كريس في أيلول ١٩١٧ وكانت مهمتي انجاز الاستحضارات لاستخدام جزء من تشكيلات الجيش السابع في المهمات المكلف بها مقرنا.

وعندما غادرت حلب كان برفقتي هانس ڤيدماير فأتيحت لي الفرصة الاولى لزيارة القدس التي اتخذناها مركزا لتموين جيش فلسطين.

تنازعتني مشاعر قدسية غامرة عندما وصلت الى المدينة المقدسة التي يقدسها ابناء الأديان السماوية الثلاثة عن طريق يافا. وعندما يتوجه المرء للقدس من الناصرة فانه يمر من الانحاء التي شهدت صراعا طويلا خاضه المؤمنون من مختلف الشعوب في سبيل الله واستمر اكثر من الف عام.

(١٢) هي معارك ( جناق قلعة ) المشهورة التي اراد بها الانكليز والفرنسيين اجراء انزال بحري بقصد احتلال العاصمة العثمانية اسطنبول ولكن الدفاع العثماني المجيد عن مضيق الدردنيل من جانبيه الاوربي والآسيوي ادى الى فشل الحملة الانكلو فرنسية فشلا ذريعا وتكبد المهاجمين خسائر فادحة .
ـ المترجم ـ

بتنا ليلتنا في مدينة القدس وعندما انبلج الصباح اسرعنا في القيام بجولة لمشاهدة معالمها المهمة قبل ان يحين موعد اداء واجبنا العسكري الذي كنا بصدده. ثم اتخذنا من بقعة تطل على جبل الزيتون مقرا لمركز تموين الجيش وكانت تلك المنطقة غنية بأشجار الزيتون الدائمة الخضرة.

وقد لاحظت ان مدينة القدس غنية بمختلف الآثار النصرانية التي تتكامل بها قصة حياة السيد المسيح المفعمة بالمعاني العميقة لتلك الحياة الحافلة بالاضافة لوجود الكنائس والمستشفيات وملاجيء الايتام ومعاهد التعليم الديني كما انها تحتوي على آثار اسلامية جليلة اهمها (الحرم القدسي) في المسجد الاقصى وقبة الصخرة ومهبط البراق وكذلك مسجد عمر الذي يدل مجرد وجوده على النبل والتسامح الديني. اما اليهود ـ الذين يحلمون منذ آلاف السنين بالاستقرار في القدس ـ فليس لهم فيها سوى حائط المبكى. ولما منح لورد بلفور وعده المشهور للصهاينة في عام ١٩١٧ لم يراع حقوق النصارى ولا المسلمين ولم يقدر ما انطوى عليه وعده من اجحاف لأبناء الطوائف المسيحية والمسلمين نتيجة لتجاوزات اليهود على الآثار والمعالم الثقافية والحضارية والدينية التي تخص الأديان الأخرى.

لقد راقبت خلال وجودي في القدس اساليب العبادة التي يتوجه بها الناس لعبادة بارئهم وتذكرت القول المأثور عن الشاعر الألماني غوتيه:
« ولله المشرق والمغرب . وهو الذي يسبغ السلام على بلاد الشمال والجنوب وبيده الخير للجميع ».

وقد تأثرت الى اقصى الحدود عندما شاهدت المسلمين يؤدون صلاتهم بخشوع وبساطة سواء في المساجد او في الصحراء السورية وفي الطرق والاسواق وفي القرى والمدن ـ وحيثما وجدوا ـ متوجهين بوجوههم وافئدتهم المفعمة بالايمان العميق الى الله العلي القدير. وايقنت اننا يمكن ان نتعلم منهم الكثير.

ولقد تقاتل المسلمون مع المسيحيين طوال قرنين في الحروب الصليبية التي دارت رحاها في بلاد الشام ـ ومنها فلسطين ـ عندما تنافسا للاستحواذ

على القدس . وكانت حصيلة تلك الحروب ان تعلمت اوربا الكثير من العرب المسلمين.

ولما تمثلت اسباب الحرب التي كنا نخوض غمارها ادركت حقائق جمة. فألمانيا ليست لديها أية رغبة في الاستيلاء على اية مستعمرات وانما تحرص على الاحتفاظ بوجودها فحسب. وروسيا جعلت من نفسها قيّمة على شعوب اوربا الشرقية بدعوى الوحدة السلافية. وفرنسا تريد لنفسها مستعمرات أخرى بينما ترغب انكلترا في تغيير موازين القوى في أوربا. ولكن هذه التناقضات تتوضح بصورة اجلى اذا ما رجعنا لتأريخ العلاقات بين الشرق والغرب والحروب السابقة ذات الصبغة الدينية والمطامع الدائمة بخيرات بلاد الشرق التي طالما تنافست عليها أقطار اوربا .

وعندئذ اطمأنت نفسي الى انني اقاتل في صفوف الطرف الذي كان على حق . وبينما كنت مسترسلا بأفكاري هذه دعانا الواجب للاسراع في الالتحاق بجبهة سوريا . وعندما قدمت نفسي للفريق الاول فون كريس كان الموقف قد ازداد تأزما. ففي صباح ذلك اليوم كانت احدى الدوريات العثمانية قد استولت على وثائق خلفتها دورية انكليزية على مقربة من الجبهة وتضمنت معلومات تشير الى استحضار العدو للقيام بهجوم واسع على مواضع بئر السبع. ولم يكن من المحتمل قيام العدو بهجوم على الجناح الايسر للموضع التركي ولكن اذا افلح العدو في التقدم عبر الصحراء من ذلك الاتجاه فستنفتح السبل امامه للتقدم الى الخليل ومنها الى القدس. ولكن هل كان فقدان تلك الوثائق حيلة مدبرة؟

تحدثت مع فون كريس بكل تصوراتي وعرضت له ضرورة اعادة النظر في تعبئة التشكيلات التركية المتكدسة في أقصى الخط الامامي للجبهة مع قلة عمق الموضع الدفاعي. وقد ايد الرجل تماما ما ذهبت اليه وقال انه يحمل نفس الفكرة لكنه عندما عرضها على القادة الاتراك اصطدم بمقاومتهم لها. ثم طلب الي معاودة بحث الموضوع نفسه مع قادة فرق الميدان بصورة شخصية. وكان ان بدأت بمهمتي عند الجناح الايمن القوي في قاطع مدينة

غزة الذي عبأ قائد الفيلق التركي المسؤول عنه الفريق رفعت باشا ثلاث فرق في الجبهة دون أن يحتفظ بأي احتياط في العمق.

استقبلني الفريق رفعت باشا بأدب جم وهو رجل ضئيل الجرم أنيقا ومتوقد الذكاء ويبدو عليه التودد في تعامله مع الآخرين. وقد شرحت له في خيمته تجاربنا مع خصمنا الجديد الفريق اللنبي عندما قاتلناه في مرتفعات فيمي في الجبهة الغربية . كما شرحت له الاسلوب الانكليزي المألوف عندشن الهجوم بالتمهيد له طوال يوم كامل بقصف مدفعي شديد. وان مواضع الفرق التركية اذا ما تعرضت لهذا القصف المدفعي فانها لن تؤمن للمشاة الاتراك اية وقاية من شظايا المدفعية المعادية. وعليه فقد رجوته ان يقوم بسحب فرقتين من فرقه الثلاث على الاقل لتكونا بمنجاة من القصف المدفعي المعادي والحصول على عمق كاف لموضعه في الوقت نفسه مع الاحتفاظ بجبهة رقيقة يسهل الدفاع عنها. الا ان الفريق رفعت باشا اجابني بالفرنسية بأسلوبه الودود وعلى وجهه ابتسامة:

« انني مدرك تماما لما تقوله يا عزيزي القائد. لكنني هنا سأعيش وهنا سأموت».

ومع انني اصبت بشيء من الذهول لعدم نجاحي في محاولتي لاقناع الفريق رفعت بوجهة نظري. الا ان محاولاتي المتكررة لم تصادف غير الاخفاق.

الا أنني ادركت بعد لأي بأن للتعبية التركية ــ التي لم اتفهمها في أول الامر ــ ما يبررها. ذلك لأن المشاة الاتراك كانوا معتادين على الصمود في مواضعهم حتى آخر طلقة وآخر جندي. بكل ما لهذه العبارة من معنى. ولم يتفهم اولئك الجنود ولا قادتهم آنذاك ممارسة الحركات السيارة او ادارة القتال بمرونة. وقد التقيت برفعت باشا بعد سنين عديدة وتحدثنا بشأن تلك الواقعة مرارا عديدة لدرجة صارت معها حجر الاساس لاقامة صداقة متينة بيننا. وقد لعب هذا الرجل دورا كبيرا في اعادة بناء تركيا الحديثة بعد الحرب عندما اصبح وزيرا للحربية في عهد الرئيس اتاتورك كما انه ساهم

في اعادة بناء الجيش التركي الحديث، وسأتحدث عنه مليا في فصل لاحق.

ولما يئست من اقناع القادة العثمانيين بوجهة نظري وضعت حدا لمساعيي المحمومة وآثرت التريث لحين تلقينهم درسي على يد العدو ألقاء ثمن باهظ . وسرعان ماتحقق تصوري عندماشرع الانكليز بهجومهم بصورة مباغتة لحلفائنا. كان الهجوم الانكليزي في اواخر تشرين الاول ١٩١٧ بالنسبة لي تكرارا لمعركة آراس التي شهدتها في فرنسا يوم عيد الفصح من ذلك العام . فقد استمر القصف المدفعي الشديد على تحصينات الميدان والمواضع وكل ما احتوته بحيث جعل عاليها سافلها . وقد صمدت القوات العثمانية ببطولة نادرة لكنها لم تستطع بعدئذ الاشتباك مع مشاة العدو الهاجمين لان القصف المديد استنزف كل طاقاتها . ثم وصلت فرق الخيالة الانكليزية والاسترالية بصولة خاطفة عبر الصحراء الى بئر السبع التي سقطت بيد العدو . ولكي نسد الطريق المؤدية الى القدس فقد رجوت القائد فون فالكنهاين تقديم الفرقتين التركيتين المتيسرتين لدينا في قاطع حلب للدفاع عن جناحنا الايسر المهدد . وكانت تينك الفرقتان التركيتان من خيرة التشكيلات العثمانية التي سبق أن قاتلت في الجبهة الروسية وأبلت بلاء حسنا . لكنها عندما وصلت صادفت مشكلة غير متوقعة تتمثل بقلة مياه الشرب في تلك المنطقة ، وقد اسرعت انا بالتوجه الى الجناح الايسر للاشراف على توزيع القوات هناك . ولما وصلت الى بئر أبو خوف الكائن في سفح جبل جنوب الخليل التقيت بالفريق مصطفى كمال باشا الذي كان متوجها الى جيشه السابع وتبينت انه لم يتفق بالرأي مع الفريق الاول فون فالكنهاين بشأن الاجراءات المضادة لهجوم العدو ، وقد بدا عليه منتهى الامتعاض وقد أدى هذا الاختلاف بين وجهتي نظر الرجلين القديرين الى تنحية الفريق مصطفى كمال عن منصبه حيث حل محله الفريق فوزي باشا . وقد بقي هذا القائد على رأس الجيش السابع حتى نهاية الحرب وقد حاز في حرب الاستقلال التركية ضد اليونان رتبة مشير ولقب ( تشقماق ) ثم اصبح رئيسا لهيئة الاركان العامة التركية في عهد الرئيس أتاتورك لسنين عديدة .

لم ينتظر الانكليز الاجراءات العثمانية المضادة البطيئة وانما قامت طائراتهم

بقصف الارتال التركية الخلفية واكداس الادامة • ولما كان ذلك القصف الجوي من الامور التي لم تتعرض لها تلك القوات التركية فقد أصابها الارتباك وانسحبت نحو الشمال بدون انتظام •

كان القائد فون فالكنهاين قد عجل بالذهاب الى القدس حالما وصلته الانباء الاولية عن الهجوم الانكليزي • وقد اصدر اوامره من هناك لاعادة السيطرة على الموقف • وقد قام هذا القائد باجراء رائع عندما أمر ضباط ركن مقره بالتنقل فورا الى الطرق المؤدية الى الخلف فأسرع الجميع ـ من الماان واتراك ـ للاستفادة من أي رجل أو أية قطعة متراجعة في اعادة انشاء الموضع الجديد والصمود فيه • ولما كان الجناح الايمن لقوة الهجوم الانكليزي لم تتمكن من الاندفاع من بئر السبع ـ رغم النجاح التمهيدي الذي حققته • فقد تعثر تقدم الانكليز نحو القدس • وهذه غلطة تعبوية لا تغتفر وارتكبها العدو لسبب أجهله تماما • وعندئذ اتيحت لقوات الجيش السابع العثماني فرصة الاندفاع نحو الغرب لصد قوات الخصم المتدفقة من الشمال بجبهة واسعة • الاان النجاح الذي حققناه لم يكن كاملا ومع ذلك فقد استطعنا انشاء موضع جديد قرب مدينة يافا ووراء العوجة مما أجبر الانكليز على التوقف تماما • والذي أثار تعجبي هو أن الانكليز لم يستثمروا الفوز بعد هجومهم الناجح وغلب عليهم التردد • وهذا ما خبرته عنهم في الجبهة الغربية ـ قرب تيبقال وقرب آراس ـ حيث دأب الانكليز على الاكتفاء بالنجاح الضئيل الذي يحققونه دون أي سعي لاستثماره • ولو بذل الفريق اللنبي قليلا من الجهد لحقق في تلك المعركة نصرا مؤزرا ولأنهى الحملة على فلسطين لصالح بلاده في تشرين الثاني ١٩١٧ ولاجبر تركيا على الاستسلام قبل انتهاء الحرب العالمية الاولى بسنة كاملة •

الا ان صمود الجبهة التركية في فلسطين يعود لسببين متكاملين لا يمكن اغفالهما بحال وأعني بهما شجاعة القطعات العثمانية المشهورة ومهارة قائدها فون فالكنهاين •

تركز جهدنا بعدئذ على ازاحة العدو من المنطقة الممتدة من ساحل البحر

الابيض المتوسط الى مرتفعات الخليل والتي يهدد منها مدينة القدس • وقد نجحنا في محاولاتنا هذه لفترة وجيزة امتدت الى بداية شهر كانون الاول ١٩١٧ ولكن القتال أصبح بعدئذ اكثر شدة وخصوصا حول قرية اللدّ الواقعة على الطريق المؤدية الى القدس •

ما أن وصلنا الى جبل صهيون الا وسلمني ضابط الاستخبارات برقيـة مسترقة من محطة اللاسلكي لكارنر فون جاء فيها :

« قام الالمان في الايام القلائل الماضية بنسف قبر النبي صموئيل الواقع غرب مدينة القدس خشية وقوعه بأيدي القوات الانكليزية • وكيف سيكون صدى الاعمال الهمجية التي يقوم بها الالمان ضـد قدسية الاديان في مختلف ارجاء العالم بعد أن شرعوا بتدمير معالم المدينة المقدسة • لذا ينبغي توجيـه نداء عالمي للالمان لكي يكفوا عن ممارسة هذه الاعمال المنافية للحضارة » •

فما القصد من هذه البرقية ؟ لقد كانت هناك على قمة احد التلال الواقعة في ضواحي القدس مقبرة تركية يحمل أحد قبورها شاهد كتب عليه ما يفيد بأنه مرقد النبي البابلي صموئيل • وقد نصبت على ذلك التل رشاشتان تركيتان ضمن ترتيبات الدفاع عن المدينة المقدسة ولكي يستولي الانكليز على التل فقد رشقوه بقنابل مدفعيتهم واصابوا شاهد قبر النبي صموئيل واستولوا على التل المذكور • وكان ان نسبوا لنا ( الاعمال الهمجية المنافية لقدسية الاديان ) وهذا دليل آخر على تفوق الانكليز علينا في مضمار الدعاية ، حيث انهم اقنعوا الناس في مختلف ارجاء العالم بأننا قطعنـا أيدي الاطفال في بلجيكا • ولو احرقت مدفعية الانكليز مدينة القدس حتى احالتها الى اكوام من الرماد لادعوا بكل صفاقة بأننا ــ نحن المتوحشين ــ قد احرقنا المدينة المقدسة ولتباكوا عليها مع أول الباكين •

لقد مررت طول عام ونصف خلال وجودي بالولايات المتحدة الامريكية بتجربة مؤكدة عن مدى تأثير مثل تلك الدعايات المضللة • وعليه فقد عبّرت للفريق الاول فون فاكنهاين عن خشيتي من مغبـة سريان الدعاية الانكليزية

المغرضة ورجوته المبادرة لاخلاء مدينـة القدس من القطعات لكي لا تتعرض للتدمير تيجة لاي هجوم انكليزي لا سيما وان المدينة ليست لها أية أهميـة سوقية بالنسبة لنا • ويمكننا اتخاذ خط الدفاع عن فلسطين بمسافة ثلاثة أميال فقط الى الشمال من المدينة • ومع ان فقدان المدينة يعتبر بالنسبة للقائد فون فالكنهاين مجرد مسألة معنوية الا انه اعتبرها مسألة حاسمة بالنسبة له شخصيا فأجابني قائلا :

« لقد سبق لي ان خسرت ڤردون ولو تخليت عن القدس لاعتبرهـا الناس في مختلف ارجاء العالم ــ بسبب شهرة المدينة ــ دليلا آخر على خسراني لمعركة اخرى• وهذا امر غير ممكن»•

عندئذ تيقظ في ضميري شعور ديني غامر بوجوب انقاذ مدينة المسيح من الخراب المحدق بها فأتصلت هاتفيا بالسفير الالماني في اسطنبول الذي سبق ان خدمت بأمرتـه غراف برنستورف ورجوته الاتصال بالوزير انور باشا للموافقة على اخلاء مدينة القدس• كما اتصلت بالوقـت نفسه بقيـادة الجبهة الغربية الالمانية لعـرض نفس الفكرة على المقر العـام والضغط على القيادة العليا التركية للموافقة على اخلاء مدينـة القدس واخيرا افلحت في استصدار الامر المريح للقائد فون فالكنهاين باخلاء المدينة المقدسة •

صدر الامر باخلاء مدينة القدس في ٧ كانون الاول ١٩١٧ وكنت قبل صدور هذا الامر قد رجوت مدير عينة الجيش السابع غراف غالن نقلمهمات الجيش من كنيسة اللاتين الى الناصرة انقاذا لبطريركية اللاتين المقيمة فيها من التعرض للاضرار المتوقعة من الحرب•

احتفل العدو في جميع ارجاء العالم بالنصر الذي حازه بدخوله للمدينة المقدسة التي اخليناها بمحض اختيارنا ــ اشفاقا على آثارها ومعالمها الدينية الثمينة ــ واعتبرها واقعة تأريخية من الطراز الاول • وقد ارتبط دخـول الانكليز للقدس بوعد بلفور الذي كان قد صدر قبل اشهر قلائل بشكل او بآخر• اما بالنسبة لجبهة فلسطين فلم يؤثر عليها سقوط القدس بشيء لأن

الجيش العثماني ـ رغم انتصار اللنبي الرخيص ـ بقي محتفظا بصحراء فلسطين حتى خريف ١٩١٨.

هطلت في شتاء ١٩١٧ـ١٩١٨ امطار غزيرة تسببت في تكون طبقات كثيفة من الوحول فادت هذه مع قلة الطرق المتيسرة في فلسطين آنذاك الى اعاقة الحركات بالنسبة لكلا الطرفين . وفي هذه الاثناء نقلنا مقرنا الى الناصرة بينما استقرت الجبهة وانجز الطرفان تحصينات الميدان بصورة تدريجية ولكن متواصلة.

امتدت جبهة الجيش الثامن العثماني الذي كان بقيادة جواد باشا من ساحل البحر حتى طريق نابلس ـ القدس . وكان رئيس اركان ذلك الجيش عاصم بك الذي صار فيما بعد معاوناً لرئيس اركان الجيش التركي لسنين عديدة. اما المنطقة المحصورة من الطريق المذكور ونهر الأردن فكان يدافع عنها الجيش السابع العثماني الذي كان يقوده فوزي باشا وكان على جناحه الايمن الفيلق الثالث الذي كان بقيادة عصمت باشا(١٣) الذي نجح في احباط عدة هجمات انكليزية . وقد اثبت هذا القائد جدارته واستقلاليته في ادارة المعارك كما اثبت جدارته فيما بعد في ادارة دفة الدولة التركية بنجاح باهر عندما خلف الرئيس مصطفى كمال اتاتورك بعد وفاته.

استمتعت بالاحتفال بعيد الميلاد لذلك العام في كنيسة اللاتين بالناصرة لدرجة تفوق الوصف.

كلفني القائد فون فالكنهاين بمهمة وضع خطة للتعرض على الانكليز في ربيع ١٩١٨ وقد تبين لي من الدراسة التي اجريتها بأننا يتعذر علينا شن التعرض بالقوات المتيسرة لدينا فقط وعليه فلابد من حصولنا على قوات

(١٣) هو القائد الذي حاز لقب ( اينونو ) في حرب الاستقلال ضد اليونان التي اعقبت الحرب العالمية الاولى وقد تولى رئاسة الوزارة طيلة عهد مصطفى كمال اتاتورك ثم خلفه بمنصب رئيس الجمهورية التركية .
ـ المترجم ـ

اخرى اضافية. الا ان جبهات الجيوش العثمانية في القفقاس وفي العراق وفي فلسطين كانت كلها رقيقة وبدون احتياطات كما لم تتيسر للدولة العثمانية اية احتياطات سوقية. اما القيادة العامة للقوات الالمانية المسلحة فقد حاولت الحصول على نتيجة حاسمة في الجبهة الغربية خلال ربيع ١٩١٨ من اجل انهاء الحرب لصالحنا ولذا فانها لم تكن بموقف يتيح لها امكانية تخصيص اية تقويات لجبهتنا في فلسطين. وكنا نتوقع من الجبهة الاخرى قيام الفريق اللنبي بتعرضه في الربيع ايضا. ولما أيقن فون فالكنهاين من عدم جدوى تحمله مسؤولية تلك الجبهة التركية فانه كتب للامبراطور غليوم يرجوه تكليفه بمهمة اخرى. وفي شباط ١٩١٨ تحققت رغبته عندما تم تعيينه قائدا لأحد الجيوش الالمانية في الجبهة الروسية. وقد حل محله في قيادة جبهة فلسطين رئيس البعثة العسكرية الالمانية لدى الدولة العثمانية آنذاك المشير ليمان فون ساندرس.

حاز القائد فون فالكنهاين مقاما رفيعا في نفسي لكونه انسانا يعز وجود نظيره فهو يحافظ على تهذيبه حتى في احلك الظروف ويتعامل مع حلفائنا الاتراك بمنتهى الاحترام لأنه يدرك مدى حساسية موقفه كقائد لقوات صديقه ويقدر مدى حاجته لكسب ثقة القادة العثمانيين العاملين بأمرته. ومع ان ليمان فون ساندرس حاز خبرة امدها خمسة اعوام في التعامل مع الاتراك قبل توليه قيادة جبهة فلسطين الا انه صادف صعوبات اكثر من فون فالكنهاين بسبب عصبيته وعناده ولذا فأنه لم يكسب من الاتراك الا عدد قليل جدا من الاصدقاء.

تقدمت لقائدي برجاء لنقلي الى الجبهة الغربية. الا ان المشير فون ساندرس رفض طلبي واخبرني بأنني في حالة عدم رغبتي في مواصلة الخدمة بمقره فيمكن نقلي الى منصب رئيس اركان للجيش التركي المزمع تشكيله في شرق الاردن.

وكان الانكليز قد هجموا مرتين عبر نهر الاردن بقصد الوصول الى عمان وعليه فقد اصبح من الضروري تأمين هذا الجناح المكشوف بشكل

افضل. وقد خصص للجيش الرابع العثماني المنوي تشكيله في شرق الاردن القاطع المحصور بين جرابلس على نهر الاردن والى البحر الميت. وقد تولى قيادة هذا الجيش جمال باشا الصغير (وسمي بالصغير لتمييزه عن جمال باشا حاكم سوريا العام) الذي اسس مقره في قرية السلط الواقعة في منتصف الطريق بين جرش وعمان.

أسرعت في الالتحاق بمنصبي الرفيع الجديد ووجدت القائد جمال باشا رجلا كيسا ظاهر المودة وسرعان ما توطدت بيننا اواصر صداقة حميمةامتدت حتى وفاة ذلك الرجل المحترم. وقد تميز جمال باشا بهدوئه الرائع في ساعات الخطر المدلهمة وكان اقوى جوانب شخصيته يكمن في توطيده لعلاقات شخصية واسعة مع جميع شيوخ القبائل العربية مما جعلنا تتمتع باسنادهم المفعم بالاخلاص.

تقع السلط على ارتفاع ١٨٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر الميت فهي كائنة فوق قمة جبال شرق الاردن . وكانت ورائنا مناطق اقامة العشائر العربية الموالية للانكليزي المشهور لورنس الذي افلح في كسبها الى جانب بريطانيا . وكان اتصالنا مع قيادة جبهة فلسطين يمر عبر سكة حديد الحجاز الممتدة من الشام الى درعا الى عمان ومنها الى المدينة المنورة. وكانت في المدينة المنورة فرقة تركية بقيادة فخري باشا وقد تعرضت هذه الفرقة لمناوشات مستمرة قام بها جيش الامير عبدالله الهاشمي الذي صار فيما بعد ملكا على الاردن.

كان الخطر المستمر الذي يهدد وجود الجيش الرابع المتشكل حديثا يتمثل بوجود العشائر المعادية للدولة العثمانية والمقيمة وراء الجيش بحيث يمكنها قطع خطوط مواصلاته . ولحسن الحظ كانت للقائد جمال باشا علاقة صداقة وطيدة مع الامير فيصل بن الحسين ــ الذي صار فيما بعد فيصل الاول ملك العراق ــ مما جعل موقف الجيش الرابع مطمئنا ولم يتعرض له احد بسوء.

كان من الواضح لنا ان خطة التعرض الربيعي التي يعتزم الفريق

اللنبي تطبيقها ستكون حركة التفاف واسعة يبغي الوصول بها الى عمان، ثم الاندفاع منها الى درعا بقصد تطويق جيش فلسطين العثماني والقضاء عليه. وكنا في تلك الاثناء قد انجزنا نصف اجراءات تشكيل الجيش الرابع عندما شن الانكليز في آخر يوم من شهر نيسان ١٩١٨ هجومهم الثالث على شرق الأردن. وقد قام الانكليز بمباغتتنا مع انبلاج الضيــاء الاول لذلك اليوم بهجوم جبهوي اشتركت به عدة فرق بينما قامت بالوقت نفسه ثلاث فرق خيالة بعبور نهر الاردن من منطقــة جرش بقصد الالتقــاء بالثوار العرب المسيطرين على قمم الجبال قرب منطقة السلط.

وقد ادركت على التو بأن من الواضح توقف مصير جبهــة فلسطين العثمانية برمتها على مدى نجاح الانكليز في تنفيذ تعرضهم او اخفاقهم فيه.

أدار معركة الفيلق الثامن العثماني الذي كان مقره في تل نمرين قائده العقيد علي فؤاد الذي سبق ان اشتغل لفترة طويلــة رئيسا لأركان حاكم سوريا العام وحاز شهرة واسعة من ذلك المنصب. كما ادار معركــة الجيش الثامن العثمــاني العقيد الركن عاصم بك الذي كان رئيسا لاركان ذلك الجيش. وقد ادركنا من الوهلة الاولى ان هذين القائدين سيقاتلا حتى آخر جندي. الا ان كل ما تيسر للجيش الثامن من احتياط كان مجرد فوج مشاة مرابط في السلط. وقد اخبرت العقيد على فؤاد بأن هذا الفوج لا يمكن ان يصمد بوجه ثلاث فرق خيالة معادية تقوم بالحملة على السلط.

تجمع افراد هيئة ركن الجيش الرابع في المقر المطوق لابداء المقاومة الممكنة وفي عصر ذلك اليوم احكمت فرق الخيالة المعادية تطويق السلط بصورة تامة بينما باشرت كتائب خيالة الاتراك بشن صولتها النهائية . وقد حاولت مع قــائد الجيش ايجاد طريقنا الى عمان وفي هذه الاثناء انفجر مستودع العتاد الرئيسي لجيشنا. وفجأة ظهرت امام اعيننا قافلة من الجمال المحملة باثقال مقرنا وقد فزعت الابل من شدة الانفجار فأثارت عاصفة من الغبار واصابني بعير هائج فرماني عن ظهر جوادي نحو جدار من الصخر الموجع ففقدت حصاني وحذاء الفروسية للساق اليمنى ولم تنقذ حيــاتي سوى همة مرافقي غراف شبي

الذي ساعدني باعطائي حصانا آخر تخلصت به من التطويق.

كانت اول محطة وصلناها وتتوفر فيها وسائل الاتصال الهاتفي هي مدينة جرش التأريخية وقد اتصلت منها بمقر قيادة الجبهة واخبرته بالموقف السائد. ثم واصلت تنقلي الى عمان متمعناً بآثار جرش ومسرحها الروماني واعمدتها وجدرانها القائمة منذ آلاف السنين وعلى الرغم من الانقباض النفسي الذي اصابني آنذاك وحرارة الطقس المزعجة فان الحفاوة واللطف اللذين لقيتهما من الأعراب الذين صادفتهم جعلاني اشعر بسعادة لا انساها ما حييت.

افهمني القائد فون ساندرس بأن بعض التشكيلات في طريقها الى عمان وانه يعتزم شن هجوم مقابل فوري على السلط بقصد استعادة تلك المنطقة. وفي صباح اليوم التالي شرعنا بشن هجومنا الا ان قلة المياه المتيسرة بالمنطقة وشدة الحرارة جعلا القتال في غاية الصعوبة . وقد اتصلت بالقائد فون ساندرس هاتفيا واخبرته بأن تقوياتنا وصلت الى مسافة ٣٠٠ متر فقط عن خطوط الانكليز ولم تستطع التقدم لمسافة اكثر وهي اوهن من ان تستطيع ازاحة العدو من السلط ورجوته ارسال تعزيزات اخرى. عندئذ فقد القائد اعصابه وصرخ بي هاتفا:

« اذا لم تستعد السلط غدا فسأحيلك الى المحكمة العسكرية».

في صباح ٣ مايس ١٩١٨ تقدمت بنفسي على رأس تشكيل هاجم من الرشاشات فأرسل لي العقيد علي فؤاد رسالة يقول فيها بأنه بسبب موقف العتاد وقلة الأرزاق فسوف لن يتمكن من مواصلة القتال الى اليوم التالي. وهكذا تعلق مصير جبهة الاردن بالقتال الحاسم في ذلك اليوم الذي وجب علينا فيه استعادة السلط والا فان العدو سيطوق كل قطعاتنا ثم يقضي عليها قضاء مبرما.

وفي الساعة الخامسة صباحا قمنا بمطاردة الخيالة الانكليزية الضعيفة في قرية السلط وطردناها منها وعندئذ اخبرت القائد فون ساندرس بأن

السلط عادت الى حوزتنا ورجوته بهذه المناسبة انهاء استخدامي وتنسيبي الى منصب آخر.

وعلى الرغم من العطش وشدة حرارة الطقس فقد اسرعت الى العقيد علي فؤاد وشددت على يده مهنئا بالانتصار وشاكرا لحسن بلاء قطعاته الممتازة. اما الانكليز فكان انسحابهم شاملا. وقد قرر الفريق اللنبي الانسحاب لأنه لم تتيسر لديه مقادير كافية من مواد الادامة الضرورية لفرق الخيالة التي وصلت الى السلط وتعرضت فيها الى هجمات قواتنا المتعاقبة.

اصبح اللقاء بالقطعات وقادتها من الامور المحببة الى نفسي بعد تلك الايام العصيبة من القتال المرير الذي لمست فيه قدراتها الرائعة. اما الانكليز فقد عللوا انفسهم بعد الفشل الذريع الذي اصابهم بأن هجومهم كان مجرد حركة لجس النبض. ولكننا كنا نعلم طبيعة ذلك الهجوم الفاشل.

رفض القائد ليمان فون ساندرس طلبي للانتقال من منصبي وازداد بي تمسكا . ثم ما لبث ان زارنا والي دمشق في مقرنا وغمرنا بهداياه الكبيرة والصغيرة كل حسب بلائه. وكانت هداياه من المجوهرات التي تيسرت في اسواق دمشق. كما اتحفني شيخ عنزة بهدية رائعة هي برنس مصنوع من الحرير الابيض ومطرز بخيوط الذهب.

لم يستطع لورنس ممارسة نشاط جدي ضدنا لأنه دأب على توجيه فعاليات مفارز هندسته لتخريب سكة حديد الحجاز طوال اشهر الصيف لكننا كنا قادرين على تصليح التخريبات بسرعة تامة لادامة الاتصال بالفرقة التركية المرابطة في المدينة المنورة . ثم تصدينا لقوات لورنس بتشكيل قوة مرتبة جعلنا مقرها في الطفيلة وكان آمرها العالم الالماني المتخصص بالآثار الآسيوية نيدرماير الذي حقق لنا راحة تامة عندما حدد نشاط لورنس بفعاليات رمزية لم تعد تشغل بالنا حتى عاود اللنبي هجومه.

مع ان الحرب العالمية الاولى اتخذت صفة الحرب الشاملة الا انني

لاحظت حصول تناقض غير معقول في جبهتنا . فالطائرات التي تقوم باستطلاع المنطقة يمكنها تمييز وجود لورنس في اية مضارب عربية يقوم بزيارتها بسهولة تامة لأن اقامته تكون عادة في خيمة بيضاء يسهل اكتشافها بين خيام البدو السوداء. ولكن كان هناك اتفاق ضمني على عدم مهاجمة تلك الخيام بالطائرات .. كما ان الرسائل كان يتم تبادلها بين الامير فيصل والقائد العثماني جمال باشا بصورة منتظمة وتسود بينهما روح المودة الظاهرة وواضح ان الامير فيصل لم يشأ قطع كل الجسور مع العثمانيين. وكان من المعلوم اننا لا يمكن ان نجاري الانكليز لا في سخائهم ببذل المعونات المالية ولا في اعطائهم الوعود المعسولة للعرب. كما ان انور باشا ورفاقه لم يكونوا على استعداد للتخلي عن المدن الاسلامية المقدسة بسهولة . وقد ادركت آنذاك خطل تلك السياسة العثمانية. فالعشائر العربية والزعماء العرب كانوا على اتم استعداد للتعاون مع العثمانيين لقاء حصولهم على وعد من الجانب التركي بمنح البلاد العربية استقلالها التام.

قلقت كثيرا بشأن تأمين حماية مؤخرة جيشنا فتحدثت بهذا الشأن مع القائد ليمان فون ساندرس وكذلك حررت رسالة بهذا المآل الى غراف بيرنستورف رجوته فيها بذل مساعيه من أجل التوصل الى تفاهم مع العرب. ولما ايقنت بأن المحاولات مع اسطنبول لن تتمخض الا عن اجابات سلبية فقد فضلت التحدث مع الشخصيات المهمة بصورة شخصية . ولذا تقدمت بطلب اجازة لزيارة المقر الاعلى للقوات الالمانية في الجبهة الغربية قبل ان يشن الفريق اللنبي تعرض الخريف.

استقللت في مطلع آب ١٩١٨ طائرة من عمان الى دمشق ثم قمت بدوران فوق اليونان ومن هناك الى فرنسا.

لاحظت حصول تغيرات جذرية على الموقف السائد في الجبهة الغربية خلال الفترة التي تركتها فيها قبل اكثر من سنة. فقد زال الامل في قيامنا بهجوم حاسم في ربيع ١٩١٨ ولم يعد أحد في المانيا كلها يفكر بأمكانية تنفيذه . ووصلت الى الجبهة الغربية الفرق الامريكية المتكاملة والمجهزة

بتجهيزات وفيرة ـ والتي طالما تحدثت لحكومتي بشأنها آنفا ـ فأحتلت موضعا متميزا في شاتو ثيري وغيرت مجرى الحركات لصالح الحلفاء. ولاحظت ان الشعور السائد في المقر الاعلى للقوات الالمانية في الجبهة الغربية يشير الى عدم احتمال كسب المانيا للحرب.

استقبلني الفريق الاول فون لودندورف بالساعة الثانية بعدمنتصف الليل. وكانت لهذا الرجل المجهد بأعبائه الجسام طاقة غير طبيعية على العمل الدؤوب. وبعد ان اوجزت له حالة الموقف السائدة في جبهة فلسطين والاحتمالات المتوقعة بقيام اللنبي بهجوم وشيك على جبهتنا قال فون لودندورف بأننا لا يمكننا انقاذ جبهة فلسطين ما لم يقدم الاتراك على التضحية بتنازلات سياسية لصالح العرب. ثم أمر بأرسال برقية الى انور باشا بهذا المعنى. وبعد دقائق قليلة وقع برقيته المتضمنة رجاء القيادة السياسية العثمانية منح العرب حقهم في الاستقلال خدمة للمجهود الحربي المشترك وبذلك كنا قد ادينا واجبنا الانساني ازاء حلفائنا وازاء العرب مع توخينا ازالة الخطر المحدق بجبهة فلسطين.

ما ان وصلت الى المانيا في زيارة قصيرة لأسرتي المقيمة فيها الا وواتتني الاخبار بشروع الفريق اللنبي بهجومه المنتظر على جبهة فلسطين بوقت مبكر. وكانت فرق الخيالة الانكليزية قد اجتاحت مقرنا في الناصرة واخذت القائد ليمان فون ساندرس أسيرا . واستولى المهاجمون ـ ضمن الغنائم التي حصلوا عليها من مقرنا ـ على احدى حقائبي التيلم آخذها معي الى السلط. ووجدوا في تلك الحقيبة بعض رسائلي الشخصية المتضمنة تقديراتي للموقف العام والنهاية المحتملة للحرب من وجهة نظري. ولم تنطو تلك التقديرات على أية اهمية سياسية ولكنها كانت بطبيعة الحال مادة دسمة للدعاية الانكليزية الماكرة التي تذكر مدبروها فعالياتي السابقة في واشنطن وربطوا بينها وبين نشاطي الوظيفي في جبهة فلسطين وحبكوا قصة مرتبة قابلة للتصديق.

عجلت بالعودة الى جبهة فلسطين بأول قطار يتوجه الى الشرق على

الرغم من تأخري اصلا عن الاحداث المهمة. وتضمنت التفاصيل التي علمت بها عن ذلك التعرض قيـام اللنبي بعد القصف المدفعي التمهيدي الكثيف المعتاد بالهجوم على جبهتي الجيشين السابع والثامن العثمانيين بينما بقيت جبهة الجيش الرابع سالمة ولربما يعود السبب في ذلك الى عدم نسيان اللنبي للصعوبات التي صادفها عندما سبق له ان هـاجم الجيش الرابع في شرق الاردن. والمؤسف ان قيادة الجيش الرابع بقيت بمقرها في السلط حتى بعد انسحاب الجيشين السابع والثامن التام.

ويبدو ان الوقت لم يتسع للقـائد ليمان فون سـاندرس كي يصدر أوامره بالتعجيل بمسك درعا قبل ان يسيطر عليها لورنس لأن تقاطع الطرق هذا يعتبر حيويا للمحافظة على طرق مواصلات الجيوش العثمانية المقـاتلة في جبهة فلسطين.

لم تكن القيادة الالمانية بموقف يتيح لها تكرار ما فعله فون فالكنهاين في تشرين الثاني ١٩١٧ ذلك لأن بقايا الجيشين العثمانيين لم تكن صالحـة لانشاء قوة منظمة قادرة على مقاومة العدو نظرا لأن الهجوم الانكليزي كان قاصما للتشكيلات الرئيسة على الرغم من ان بعض التشكيـلات التركية قاتلت بشجاعة لا سبيل لانكارها. اما قطعات جيشي ـ الجيش الرابع ـ فقد ذكرها لورنس في كتابه الموسوم ـ اعمدة الحكمة السبعة ـ قائلا:

« كانت الحالة الاستثنائية لانهيار المقاومة التركية هي ثبات الوحدات الالمانية وأجدني هنا للمرة الاولى فخورا بالأعداء الذين قتلوا أخي. فقـد كانوا على بعد الفي ميل عن بلادهم وليس لديهم أي أمل وهم في بلادغريبة ويعيشون بموقف تكتنفه الشكوك لدرجة تنهار معها اقوى الأعصاب. اذ تماسكت الوحدات الالمانية فيما بينها وصمدت بوجه السيل الدافق من قواتنا الذي اجتاح القوات التركية وكأن قواتهم سفينة مدرعة لا يهمها تيار البحر. واذا ما تعرضوا للهجوم فانهم يصمدون ويثبتون في مواضعهـم ويصبون في الوقت نفسه نيرانا مصوبة ولا يلاحظ المرء عليهم اي اضطراب او صراخ أو أي شعور بالقلق. لقد كانوا في منتهى الروعة».

ما ان وصلت الى اسطنبول الا وكلفني الفريق الاول فون زيكت (الذي عمل لفترة محدودة رئيسا لهيئة الاركان العامة التركية) بمهمة انشاء جبهة دفاعية جديدة على نهر ماريتسا في بلغاريا.

وكانت جبهة بلغاريا قد انهارت هي الأخرى وظهر امامنا خطر جديد يتمثل باحتمال اندفاع قوات الحلفاء من ذلك الاتجاه الى العاصمة اسطنبول. وقد نقلت احدى فرق الاحتياط الالمانية من أوديسا وخصصت قطعات تركية اخرى من اوزون كوپرو وارسلت الى الجبهة الجديدة. وكانت هذه بداية الاجراءات لعملية ميئوس من نجاحها لأن القوات التركية ظهرت عليها امارات انهيار قابليتها على المقاومة . لاسيما وان الشعب التركي قاتل بكل طاقته حتى آخر رمق كما انه برهن على شرف تحالفه معنا بكل وسيلة . ولم تكن غلطتنا عندما لم يكن بمقدورنا اسداء المساعدة الضرورية للشعب التركي الصديق عندما حانت ساعة المحنة التي كتب له ان يشهدها كما شهدناها.

وجثت امبراطورية النمسا والمجر على ركبتيها هي الأخرى بينما كانت كل فرقة المانية متيسرة ضرورية للمحافظة على الجبهة الغربية من الانهيار.

لذلك اضطرت الدولة العثمانية على طلب الهدنة . وسرعان ما عقدت في موندروس وتضمن احد شروطها سحب القوات الالمانية من الجبهات العثمانية مع المحافظة التامة على شرفها باحتفاظها براياتها واسلحتها الخفيفة ريثما يصبح بالامكان ايصالها الى وطنها ولم يعترض الحلفاء على هذه المبادرة التركية الكريمة التي تدل على الوفاء بالعهد.

عندئذ طلب مني الفريق الاول فون زيكت بذل جهودي لنقل بقايا فيلق آسيا الالماني المتحشدة في جبال طوروس بأفضل وسيلة ممكنة الى الوطن. فكان ان سافرت في أواخر تشرين الاول ١٩١٨ بقطار بغداد الى الجنوب والتقيت في قره پونار الواقعة في جبال طوروس بقسم من القوات الالمانية المقصودة.

وتمر بخاطري بهذه المناسبة عبارة لابد منها:

لقد كانت الخدمة العسكرية الحافلة بالنسبة لي مجالا جيدا لمراعاة الجانب الانساني في مختلف الظروف التي صادفتني. فعلى الرغم من اتسامها بالتغير السريع وتميزها بالسرعة في الحركة والحاجة الدائمة للقوة النارية والقوة البشرية معا وعلى الرغم من الألم الناتج عن التعرض للخسائر بالارواح العزيزة على نفوسنا من اصدقائنا ورفاقنا واحبائنا الذين تربطنا بهم وشائج عدة. فان الخدمة العسكرية تتيح للمرء مجالا رائعا لتكوين الصداقات الوطيدة . اما بالنسبة لي في تلك الفترة فقد تحول مرافقي الثمين في اغلب المعارك بالجبهة الغربية هانس ڤيدماير من العمل في الاركان الى الطيران واصبح طيارا مرموقا. اما صديقي النقيب غيورتنر فقد ساعدني في العمل السياسي بعد الحرب مساعدة مشكورة مما حدى بي لاختياره وزيرا للعدل في الوزارة التي الفتها فيما بعد.

حل الفريق مصطفى كمال باشا بمحل المشير ليمان فون ساندرس قائدا عاما للقوات التركية. وقد تحريت عنه في اطنه فلما قابلته لآخر مرة وعدني باسداء معونته لتسهيل مهمتي في نقل فيلق آسيا الالماني. وتقرر نقل قطعات ذلك الفيلق الى معسكر مودا القريب من اسطنبول لكي يسهل نقلها من هناك الى المانيا بحرا . وقد ذكر لي مصطفى كمال آنذاك بأنه ينظر الى مصير بلاده بمنظار قاتم. وقال انه يرى بأن انقاذ بلاده يتطلب جهدا يفوق طاقة البشر . وكان ان قام مصطفى كمال نفسه بهذا الجهد بجدارة.

في تلك الايام التي قضيتها في قره پونار سرت موجة من الاشاعات المؤسفة بيننا وكان مفادها انتهاء الحرب لغير صالح المانيا. وهكذا انتكست دولة الامبراطور الفخور. ثم تتابعت الاخبار المؤلمة. فقد تنازل الامبراطور غليوم الثاني عن عرشه واختار هولندا منفى له ولأسرته. كما نشبت اضطرابات في طول البلاد وعرضها وظهرت رايات حمراء تنذر بوجود فئات شيوعية تصدى لها خصوم اشداء. وكان لهذه الانباء ما يدعو كل فرد منا لتحديد موقفه للحفاظ على الوطن الذي تعصف به الاحداث. لاسيما واننا كنا نحرص على التمسك بما آمنا به طوال اجيال عديدة وما قاتلنا من اجله

ونخشى على وطننا من الدمار المحدق به من كل جانب(١٤).

ظهرت اول بوادر الشقاق بين رجالنا خلال وجودنا بمعسكر مودا. وكان المشير ليمان فون ساندرس قد اتخذ لنفسه مسكنا في جزيرة پرينكيپو ودأب على زيارة معسكر مودا في كل يوم بصورة منتظمة. ولما تواترت الينا الاخبار بأن بعض الثوار في المانيا اخذوا يقتفون آثار ثورة موسكو وصاروا يدعون العمال والجنود للالتحاق بهم وجد ليمان فون ساندرس ان من الملائم له جعل نفسه داعية لهذه الافكار في معسكرنا. لكن فعلته هذه المنافية للضبط لابد ان تعطي للحلفاء ذريعة للتنصل من معاملتنا وفق شروط الهدنة التي كسبها الاتراك لصالحنا والقاء القبض علينا جميعا واعتبارنا اسرى حرب. وعليه فقد تحادثنا (نحن الضباط الاقدمين في المعسكر) بهذا الشأن وكان أن كلفني رفاقي بمواجهة المشير واخباره بوجوب التخلي عن ممارسة القيادة والعودة الى المانيا.

كانت محادثتي مع ليمان فون ساندرس حامية الى ابعد الحدود. ثم اجبرته على الخضوع لفحص طبيب الجيش الذي قرر ان حالته الصحية تستدعي اقالته من منصبه الرفيع. ومع ذلك فقد وجدت ان من الواجب مصارحته بصورة مباشرة فقلت له:

« اذا رغبت في البقاء، فأنني سأجد نفسي مضطرا ــ بصفتي اقدم ضابط ركن في هذا المعسكر ــ على عرض تفاصيل هذه القضية على المشير فون هندنبورغ وحيث ان الاتصال معه يخضع لرقابة الحلفاء فسيعلمون بتفاصيل الواقعة بكل تأكيد».

عندئذ طلب مني ليمان منحه فرصة ساعة واحدة للتفكير بموقفه واتخاذ القرار المناسب . وبعد قليل وصل رئيس المحكمة العسكرية لفيلق آسيا الى

(١٤) عاشت المانيا بعد الحرب العالمية الاولى فترة من الفوضى نتيجة لضعف حكومة ( ڤايمار ) التي اعقبت العهد الامبراطوري ولعدم استقرار حدودها مع بولندا ونشوب قتالات متواصلة بين مختلف المجموعات السياسية المسلحة . ــ المترجم ــ

معسكر مودا واخبرني بأنه تلقى أمرا من المشير بتوقيفي ومحاكمتي بجريرة الاهمال في مقاتلة العدو بالميدان وقال انه سيتخذ تدابيره لتأليف محكمة الميدان لمحاكمتي بموجب تلك التهمة. وهكذا طفح الكيل. فقلت للحاكم العسكري:

« قل للمشير بأنني جاهز للمثول امام أية محكمة عسكرية ولكن في الوطن وليس هنا. ولما لم يستفد من الساعة المحددة بناء على طلبه ولأنه تجاوز مفاهيم الضبط وشرف القيادة ازاء القطعات ونحن لا نزال تحت رحمة العدو فأجدني مضطرا للكتابة بهذا الشأن للمشير فون هندنبورغ بصورة شخصية».

في ليلة ١ كانون الثاني ١٩١٩ كان ميناء اسطنبول مكتظاً بسفن الحلفاء الحربية وكانت سفينة المستشفى (جيروزاليم) على وشك الاقلاع الى احد الموانيء الايطالية وعلى ظهرها عدد من جرحى الحلفاء تمكنت من التسلل اليها مع مرافقي المريض بالملاريا آنذاك الملازم الاول غراف شپي مستترين بظلمة الليل وانزوينا في احدى قاعات العفش . وبعد ايام قلائل نزلنا في ميناء سبيزيا. وقد بدت ايطاليا في حالة من الفوضى رغم انها تعتبر من الدول المنتصرة علينا. وتمكنا من السفر الى الحدود السويسرية دون ان نفصح لأحد عن هويتنا ثم انتقلنا من سويسرا الى ميونيخ فوصلناها في ٦ كانون الثاني ١٩١٩ .

شهدت معالم الفوضى بأجلى معانيها في ميونيخ التي انتشرت فيها زمر من الفوضويين الذين كانوا يدعون الجنود للتمرد على كل المفاهيم السائدة. وقد تعرضت انا هناك لمحاولة وقحة لتمزيق كتافية سترتي العسكرية فشعرت بامتعاض وخيبة امل تفوق الوصف. لكنني ادركت بأن بلادي برمتها تتعرض لما هو أسوأ. ولما كان المشير فون هندنبورغ قد نقل مقره الى كولبيرغ فقد اسرعت بالذهاب الى هناك. وفي صباح يوم بارد من ايام كانون الثاني ١٩١٩ مثلت أمام المشير .

ظهر امامي ذلك الرجل الكبير الجرم والجامد الملامح وكأنه لم يتغير ابدا منذ ان رأيته آخر مرة في فرنسا. لكنني لاحظت ان وجه الرجل تكسوه مسحة خفيفة من الشحوب لم اكن قد لاحظتها عليه من قبل.

اخبرت المشير بتفاصيل انهيار الامبراطورية العثمانية وآخر فعالياتنافي تركيا وبالواقعة التي حصلت لي مع المشير ليمان فون ساندرس عندما قلت له:

« سيدي المشير . انني حاضر للمثول امام أية محكمة عسكرية ولهذا السبب جئت الى هنا. فأنا حريص على المحافظة على نظافة السلاح الالماني حتى في تلك البلاد البعيدة. الا انني لم إقبل بأتيان اعمال فوضوية يقوم بها عسكريون المان خارج الوطن. وانني ارجوكم اجراء التحقيق بهذه القضية».

أجابني المشير وعلى وجهه ابتسامة ممضة:

« انني اعرف انتهازية المشير ليمان فون ساندرس وقد اعطيتني الحلقة المفقودة بالنسبة لموقفه المذبذب. ولا ارى ما يوجب التحقيق ولن تحال لأية محكمة وارجو ان تعتبر القضية منتهية».

ثم اردف قائلا بنبرة ملؤها الألم:

« من المؤسف انني لن استطيع استقدام المشير ليمان فون ساندرس. وآمل ان يجد ذلك العجوز لنفسه وطناً آخر».

اختتمنا محادثتنا على هذه الصورة المؤلمة التي طبعت في ذاكرتي آثارا عميقة من الأسى بسبب حالة بلادي المؤسفة التي تنذر بالخطر بعد ان خسرت الحرب الضروس .

تفاقمت نشاطات اللجان الثورية التي ألفها الشيوعيون ببرلين وفي المدن الالمانية الاخرى وبرزت فعاليات ليبكنشت وروزا لوكسمبورغ وآيسنر وغيرهم عندما توصلوا الى تضامن مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي

كان يتزعمه ايبرت ونوسكه[١٥] فأوشكوا على الوصول للسلطة ، وقد انطوى ظهور البحارة الالمان الحمر وقيامهم بمقاتلة الحرس الملكي من أجل الاستيلاء على القصر الامبراطوري على معنى عميق مفاده محاكاة الثوار الالمان للثوار البولشفيك الذين قام بحارتهم بدور رائد في ثورة عام ١٩١٧ التي شب أوارها من سان بطرسبورغ[١٦] .

لا أود انهاء حديثي عن هذه الفترة دون القاء نظرة خاطفة على الموقف الدولي السائد في الوقت الذي كانت تجري به مباحثات اقرار السلام . والمؤسف هو ان الكثير من القرارات الحاسمة كانت قد اتخذت منذ زمن الحرب وتمسك بها المنتصرون رغم انها لم تثبت اهميتها او الضرورة الملحة للتمسك بها .

ان اقامة السلام باهمال مشاعر طرف من اطرافه لصالح الطرف الآخر لابد أن ينطوي على وضع بذرة نشوب حرب جديدة . ولذا فان وضع الاسس الرصينة للسلام يتطلب مشاركة رجال منصفين يتميزون بدرجة عالية من حب الانصاف . اما تجاهل معاناة الشعوب فلن يكون حصاده الا الرغبة المتزايدة في الثأر والانتقام لكي تزال آثار الانتصار العسكري وتعاد الاجزاء المقتطعة من الوطن قسرا في حالة فشل الوسائل السياسية في استعادتها . وأنا لا القي هذا القول جزافا وانما هو الحقيقة بعينها فهذه الاجراءات هي ردود الفعل الطبيعية لمن ينال وطنه الحيف ويجد نفسه في موقع رجل الدولة .

وقد يكون الغرض من شن حرب ما تحقيق سلام افضل . الا ان ما تمخضت عنه الحرب العالمية الاولى هو فقدان فرص اقامة سلام حقيقي . ولربما تنطبق هذه الحقيقة الى حد بعيد على الحرب العالمية الثانية أيضا .

---

(١٥) صار ايبرت اول رئيس للجمهورية الالمانية بعد انهيار حكم آل هوهنتسولرن وتنازل الامبراطور غليوم الثاني عن العرش كما صار نوسكه وزيرا للدفاع في عهد حكومة ڤايمار التي سبقت تولي المشير هندنبورغ لرئاسة الجمهورية الالمانية .

(١٦) هي لينينغراد الحالية التي كانت عاصمة القياصرة الروس.
ـ المترجم ـ

ولكننا على الاقل يمكننا التأكيد بأن هـذه الغلطة الفاحشة قد تم تشخيصها وبالتالي فقد أصبح من الممكن اتخاذ القرارات المؤدية لكسب السلام الحقيقي.

تحاول جميع الاطراف (في الحروب التي تتحالف بهـا عدة دول ضد مجموعة أخرى ) كسب حلفاء جدد من أجل تحسين موقفها وادراك أهدافها النهائية في الحرب . وهذا معناه ان على رجل الدولة المشتركة بالحرب ان يجعل هدف بلاده من الحرب نصب عينه دون ان يفرط به . وفي حرب ١٩١٤ دخلت جميع الدول الكبرى للحرب من أجل الحصول على ثقل اكبر في توازن القوى في قارة أوربا . ولكن لا دول المعاهدة المركزية ولا دول الحلفاء بقيت حريصة على تحقيق هذا الهدف . وهكذا رفض الطرفان أية محاولة لانهـاء الحرب بالتوصل الى شروط سهلة لاقرار السلام .

كانت اجابة دول المعاهدة المركزية لنداء الرئيس الامريكي ودرو ويلسون في ١٢ كانون الاول ١٩١٦ الموجهة لكلا الطرفين قد اعتبرت من قبل الحلفاء وسيلة دعائية مارسها الالمان بقصد التشهير بنواياهم . وكانت غلطة الساسة الالمان هي انهم لم يتجاوبوا مع نداءات السلام التي اطلقها الرئيس الامريكي ودرو ويلسون والبابا بينيدكت الخامس عشر بصورة علنية لكي يوضحوا للعالم أجمع مراحل سير الحوادث دون ان تنالهم المؤسسات الدعائية المعادية بالتشهير. وتكمن مأساة المانيا آنذاك في عدم توفر قيادة سياسية حكيمة تدير دفه الدولة الالمانية وكانت حصيلة ذلك ان اضطرت القيادة العسكرية الالمانية على التدخل بتحديد الخطوط العامة للسياسة . الا ان القيادة العسكرية الالمانية لم تحاول ابدا ايجاد أي حل لاقرار السلام لانها اعتبرت القيـام بهذه المحاولة دليلا على الوهن . لكنها كانت تظهر الكثير من الحماس بعد كل نجاح تحققه في الميدان.

وتعتبر معاهدة السلام المعقودة في برست ليتوفسك[17] مثالا جيدا لانهاء

---

(١٧) هي المعاهدة التي عقدت بين المانيا وروسيا بعد نشوب الثورة الشيوعية في عام ١٩١٧ وانهيت بموجبهـا الحرب بين الدولتين وبذلك تفرغ الجيش الالماني لمقاتلة الحلفاء الغربيين . — المترجم —

الحرب حتى عندما يلاحظ المرء ان تلك المعاهدة لم تحقق سوى اختتام جزئي للحرب .

والذي يعرف التأريخ الالماني جيدا لابد أن يذكر الصراع الذي خاضه بسمارك ضد القيادة العسكرية الالمانية . وكان لشخصيته المسيطرة أبعد الاثر في اعطاء الصدارة للقيادة السياسية على القيادة العسكرية على الرغم من انتصار الجيش البروسي في الحروب التي خاضتها الدولة الالمانية(١٨) .

وعندما اجرى مجلس النواب الالماني تحقيقا لمعرفة أسباب اندحار المانيا في الحرب العالمية الاولى قال الفريق الاول غروينر الذي صار فيما بعد وزيرا للحربية في عهد جمهورية ڤايمار :

« ان العبقرية العسكرية قاتلت ضد العبقرية السياسية . او بعبارة اخرى، قاتلت هيئة الاركان الالمانية ضد البرلمان الانكليزي . وما ذلك لان الروح العسكرية تسود على المانيا ــ وببساطة تامة ــ لان المانيا ينقصها وجود نظام سياسي متقن كالنظام السياسي الانكليزي » .

ولربما يعاني الحلفاء من أزمة معكوسة . ذلك لان نظامهم السياسي لابد أن يؤثر على حرية العمل العسكري او يقلل من ابراز القدرات العسكرية في الميدان .

عندما طرح الرئيس الامريكي ودرو ويلسون على مجلس الشيوخ الامريكي في ١١ شباط ١٩١٨ أسس انهاء الصراع الناشب في العالم آنذاك لم يكن على علم بالاتفاقيات السرية التي كان الحلفاء قد ابرموها فيما بينهم . وكان ما قاله ويلسون :

(١٨) انتصر الجيش البروسي على الدانمرك فاستعاد مقاطعتي شلزويك وهولشتاين وانتصر على النمسا في سبيل تحقيق وحدة الولايات الالمانية الجنوبية ثم انتصر على فرنسا في حرب السبعين فاستعاد مقاطعتي الالزاس واللورين وكان قائده فون مولتكه الكبير .
ــ المترجم ــ

« ينبغي ألا تتمخض هذه الحرب عن ضم أية أقاليم او فرض الغرامات أو أية اجراءات عقابية اخرى • كما يقتضي الا تتعـرض الشعوب نتيجة لقرارات مؤتمر دولي أو اتفاقيات معقودة بين الدول المنتصرة للانتقاص من سيادتها أو تحميلها أية مسؤوليات قسرية • ويجب احترام الآمال الوطنية للشعوب • وان اختيار رؤساء الدول والحكومات ينبغي ان يتم نتيجـة لقرارات شعوب تلك الاقطار وحدها » •

كانت الحكومة البريطانية قد اشعرت الحكومة الروسية منذ تشرين الثاني ١٩١٤ بأنها لا تعترض أبدا على تقدم الروس نحو اسطنبول واحتلالهم لمضيق الدردنيل •

كما عقدت اتفاقية سرية بين بريطانيا واليابان بقصـد اطلاق يد الاخيرة للاستحواذ على ممتلكات المانيا في المحيط الهادي وفي قارة آسـيا • ولعل الامبراطورية البريطانية أرادت حماية ظهرها من حيث اتاحت لليابان فرصـة ازاحة النفوذ الاوربي عن بعض الاقطار الآسيوية •

ومنذ عام ١٩١٥ تم اقتسام اقاليم الدولة العثمانية • فاعطيت لروسيا أقاليم الشمال الشرقي وهي ولايات ارضـروم وطرابزون ووان وبتليس • واعطيت لفرنسا أقاليم سوريا وولاية أطنة وجنوب شرق الاناضول • وحصلت بريطانيا على جنوب العراق ومعه مدينة بغداد وميناءي حيفا وعكا السوريين • ثم عدلت هذه الاتفاقية في مايس ١٩١٦ عندما عقدت معاهدة سايكس بيكو باعطاء فرنسا اقليم سوريا برمته • ولما انضمت ايطاليا الى معسكر الحلفاء ودخلت الحرب في ٢٦ نيسان ١٩١٥ اعطيت وعودا بمنحها اقاليم ترنتينو وايتشتال وتريسـت وايسترين ودالماسيا وفالونا وساسينو وجزائر الدوديكانيز التركية• ولما أبدت ايطاليا عدم قناعتها بهذه الغنائم عقدت بعدئذ اتفاقية سـانت جين دي موران التي اعطيت بموجبها وعدا بمنحها سميرنا أيضا • وفي تشرين الثاني من العام نفسه اصدرت بريطانيا وعد بلفور الذي منح فلسطين لليهود بجعلهـا وطنـا قوميا لهم • وقد صرح لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا امام لجنة فلسطين الملكية فيما بعد بأن اصدار هذا الوعد قد تم « لأسباب دعائية » لان الحلفاء

وجدوا ان من الواجب عليهم الحصول على اسناد اليهودية العالمية لانهم شعروا بتهديد موقفهم العسكري آنذاك . وكانت حصيلة ذلك الوعد الغادر ان أصاب العرب سكان فلسطين الاصليين حيف رهيب فعانوا من نتائجه المفجعة واصبحت عملية تهجير اليهود الى فلسطين عمليـة مفعمـة بالقسوة والعنف على حساب العرب .

وكانت حصيلة السياسة الاوربية الداعية للتوازن الدولي بالقضاء على نفوذ دول المعاهدة المركزية ان قام في اوربا سلام قلق ما لبث ان عصف باوربا بعد فترة وجيزة . فقد أدت مثالية ويلسون وعدم معرفتـه لطبيعة الاوربيين واتفاقياتهم السرية الى القضاء على امبراطورية النمسا والمجر[١٩] .

وظهرت عدة قوميات صغيرة متحمسة خاضت صراعات لا نهاية لها في طول اوربا وعرضها . كما جردت المانيا من السلاح . وجرت ممارسـة سياسـة اقتصادية ظاهرها الاصلاح لكنها أدت الى تدمير الاقتصاد وافلاس الشركات وتفشي البطالة . وامعن الحلفاء في اذلال المانيا بفرض التعويضات الباهظة عليها . وتعالت اصوات بعض المؤرخين من بلدان الحلفاء يطالبون بتفتيت الوحـدة الالمانية التي أقامها بسمارك . ولما خسرت المانيا الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ عاود الحلفاء فكرتهم القديمة لتمزيق المانيا وتمثلوا ما قاله تاليران عندما سمع بنبأ وفاة نابليون :

« انها ليست حادثة تأريخية وانما هي حادثة عابرة » .

لكننا لا يمكننا مقارنة السياسة الهزيلة التي سار عليها ساسة اوربا بعـد الحرب العالمية الاولى بالسياسة الحكيمة التي وضع بها زعماء اوربا قبل مائة عام أسس السلام المكين في مؤتمر ڤينا . ولو مارس المنتصرون آنذاك سياسة قسرية ضد فرنسا بعد اندحار نابليون باحتلال الاراضي الفرنسية والاستحواذ على بعض غنائم الحرب لما أقرت بنود معاهدة آخن الموقعة في ٨ تشرين الاول

(١٩) قسمت امبراطورية النمسا والمجر بعد الحرب العالمية الاولى الى عدة دول فتشكلت منها جمهورية النمسا وجمهورية تشيكوسلوفاكيا ومملكـة المجـر ومملكة يوغسلافيا . — المترجم —

١٨١٨ ــ التي تم توقيعها بعد انتهاء الحرب بثلاث سنوات ــ ولجعلت فرنسا مقسمة تحت سيطرة الدول الاربع المنتصرة وهي روســـيا والنمسا والمجر وبريطانيا وبروسيا .

ان النتائج المعنوية والاقتصادية التي ترتبت على معاهدة فرساي المجحفة عصفت بحكومة ڤايمار الالمانية الهزيلة التي بقيت معتمدة على معاونة الدول الكبرى . وفي عام ١٩٣٢ جعلني القدر بمنصب يتيح لي امكانية التوصل الى تفاهم اوربي يكون أساسا لعهد جديد من الوئام . الا ان النير المحكم التطويق على اعناقنا كان السبب المباشر في ظهور ادولف هتلر ووصوله الى سدة الحكم.

# الفصل الثامن

# عَوْدَةُ جُنْدِيٍّ لِلْحَيَاةِ الْمَدَنِيَّةِ

**الجانب الجديد للحياة . مشكلات اجتماعية . السلام المفروض . سنين الثورة . انهيار السلطة . الحياة البرلمانية. دستور قايمار. الديموقراطية الشكلية . هندنبورغ رئيسا للجمهورية .**

يعود العالم الذي عرفته واحببته للماضي . فجميع المفاهيم التي خدمناها وآمنا بها وقاتلنا في سبيلها أصبحت الآن عديمة المعنى . فالملكية والعرش البروسي اللذين علقا بأذهاننا لدرجة لا سبيل لنسيانهما معها انقرضا وحلت محلهما الجمهورية التي لم ندرك مفاهيمها . ووجدنا بلادنا التي تلقت ضربة في الصميم وأصابها الخراب وقد تناوشتها الأوضار من كل جانب . ونظرا لعاطفتي المشدودة للنظام الملكي وولائي المطلق له فقد تحيرت في تلك الفترة واخذت اتسائل مع نفسي . ما الذي ينبغي عليّ القيام به ؟ وما الذي يمكن ان افعله؟ لقد بذلنا قصارى جهودنا لخدمة وطننا . وكانت هذه المهمة الاولى قد صادفها سوء الحظ وهي اجدر المهمات بالخدمة .

وقد توفرت لدينا امكانات كثيرة آنذاك وكان من الواضح بالنسبة لي بأن بمقدور كل فرد منا ـ نحن الضباط الاقدمين ـ اسداء خدمات جليلة للوطن . وبعد ان امعنت النظر بموقفي وامكاناتي وجدت ان المجال السياسي هو المجال المناسب لفعالياتي المقبلة. ولكي اشرع بنشاطي السياسي فقد مهدت لذلك باستعراض افكاري المتعلقة بالسياسة العالمية واخذت اوضح لنفسي المعالم المحددة للنهج السياسي المناسب.

وكنا قد تعلمنا خلال تلقيننا المفاهيم العسكرية كيفية الانصات لوجهات نظر الآخرين ولكننا لم يسمح لنا بممارسة النشاط السياسي. ذلك لأن معلمينا حرصوا على اقامة علاقة ولاء وطيدة للعرش تنامت مع مرور السنين حتى جعلت افكارنا مبنية على اسس محافظة . وفجأة تغير كل شيء.

فالجمهورية ليس لديها اي بديل لتقاليدنا لأن الجميع احرار ولهم الحق باختيار الافكار المناسبة لهم.

وكان ان اخترت ما يناسبني وهو ما سآتي الى وصفه باسهاب. وكان من الاختيارات الصعبة بسبب خواء تعليمي الاساسي من هذه الناحية بينما وجب علي خوض ميدان السياسة معتمدا على تصوراتي واجتهادي لكي احدد بموجب ذلك معالم نشاطي لبقية حياتي. فأنا محافظ بحكم الوراثة وطبيعة المهنة ولكنني لم اكن ميال لحزب المحافظين الذي تم تأسيسه قبل نشوب الحرب لأنني وجدت بأن من الخطأ مساهمة المحافظين الرجعيين مع التقدميين في حكومة محافظة. فالانسان المحافظ لابد ان يكون تقدميا على الدوام. ذلك لأن التقاليد والمبادىء تعتبر على الدوام من الأمور الرائعة. ولكن يقتضي الا تكون حائلا في سبيل التقدم الضروري والا يكون معوقا للتطور المستمر نحو الافضل. فمنذ بدء الثورة الصناعية نشب صراع رهيب تجلت معالمه باضطراد وتفاقم شره بسرعة متزايدة خلال النصف الاول من هذا القرن نتيجة للتقدم التقني المضطرد الذي ادى الى التخلي عن اعداد متزايدة من العمال لتحل الآلة محلهم. وكان ان ظهرت مع الثورة الصناعية تجمعات العمال ونقاباتهم ثم برزت التناقضات الشديدة بين اصحاب رؤوس الاموال

وعمالهم وظهرت في تلك الفترة الحركات الماركسية المثيرة للعمال والتي تعهدت بتنظيم الصراع الجماعي باطلاق الشعار المشهور:

(يا عمال العالم ، اتحدوا)

ثم برزت فعاليات ثورية منظمة لتقويض النظام الرأسمالي في العالم. وكان ان ارتبطت طريقة التفكير الآلي المشترك بالنظرة المجردة للمادية التي حاولت اعادة النظر بالأسس التأريخية للعقيدة المسيحية ذات المبادىء الوطيدة التي يمتد عمرها الى الفي سنة بقصد ازاحتها عن اوربا. ولما استتب الامر للنظام الشيوعي في موسكو احتفل الشيوعيون بانتصارهم على الجزء الشرقي من العالم. ومما لا شك فيه ان ظهور اول دولة ملحدة في العصر الحديث هدد بقية اجزاء العالم بالعدوى. بينما استمرت هذه الدولة على اتخاذ الكثير من الصنائع بدعوى «النضال من أجل الطبقة العاملة». وتساءلت مع نفسي آنذاك:

« هل سنلجأ لاستخدام القوة من اجل انهاء هذه القضية ؟»

لقد آمنا طوال الف سنة بالولاء للدولة الملكية معتقدين انها تستمد حقها في الحكم من الله سبحانه وتعالى. وكنا ندين بالولاء للاباطرة وللملوك بصورة مطلقة وكنا نعتقد بأن الثورة عليهم لا تبرر خيانة الوطن. ذلك لأن عبارة (خيانة الوطن) لم تكن موجودة في قواميسنا . ولعل أجلى تدليل على ما اقوله هو ما حدث في ٢٠ تموز ١٩٤٤[١]. وعليه فقد وجب علينا محاولة الربط بين مفاهيم المحافظين والتمسك بالمبادىء المسيحية من اجل التوصل الى دورهم في الجمهورية التي ولدت حديثا والتوفيق بين آرائهم الراسخه والأسس الموضوعة لسياسة الدولة.

---

(١) اشترك في محاولة اغتيال هتلر الفاشلة في ٢٠ تموز ١٩٤٤ عدد من المحافظين والاشتراكيين والشيوعيين وكان المدبر الاول والمنفذ للمحاولة العقيد الركن غراف شتاوفنبرغ ولكن أولئك المتآمرين لم يثبت تعاونهم مع اية دولة ولما فشلت المحاولة القي القبض على اغلبهم واعدموا بينما انتحر بعض المتآمرين الكبار كالمشير روميل ــ الذي انتحر قسراً ــ والمشير فون كلوغة واعدم المشير فون فيتزليبن والفريق الاولبيك والعقيد الركن غراف شتاوفنبرغ وغيرهم.
ــ المترجم ــ

ويبدو ان الجمهورية الالمانية التي تم انشاؤها في ڤايمار عام ١٩١٩ يمكن ان تعتبر نموذجا مثاليا للديموقراطية الغربية. فالتفكير المحافظ يتناقض مع البند الاول من وثيقة قيام تلك الجمهورية ، ذلك لأن جان جاك روسو[٢] سبق ان قال مأثورته المعروفة:

« تنبثق جميع سلطات الدولة من الشعب»

وهذه العبارة مناقضة لتعاليم الكنيسة الرومية ــ الكاثوليكية ، ولو كانت كل القوى والسلطات العائدة للدولة ولممثليها لكان كل مفهوم من مفاهيمها القانونية سهل الانحراف من اجل تحقيق المصالح الذاتية لأى فرد في ذلك المجتمع. وهذا غير صحيح لأن حقوق الدولة تنبثق من الحق الطبيعي الذي قال عنه الشاعر انه يولد معنا.

وقد سبق ان قال دنيس وليام بروغان العالم المختص بقوانين الدولة والاستاذ في جامعة كيمبرج:

« ان التسامح والشك هما علامتا الديموقراطية الحرة للشعب».

وانني لأجد ان اشتراكيينا المتزمتين السابقين لا هم بالمتشككين ولا هم بالمتسامحين خصوصا عندما يتعلق الامر بالمسائل الثقافية للقسم الكاثوليكي من المانيا.

ومنذ صدور كتاب «العقد الاجتماعي» الذي اعتمدته الثورة الفرنسية دليلا لها والكتاب الآخر الذي يعتبر حفيدا له واعني به «البيان الشيوعي» تحول مفهوم (الوقف) الى مفهوم (الهبة) وتم تنفيذ هذه البدعة بمنتهى السرعة.

---

(٢) مفكر فرنسي عاش قبل عهد الثورة الفرنسية وقد تأثرت بأفكاره السياسية وجعلت كتابه ( العقد الاجتماعي ) كتابها الاول رغم انه لم يشهد عهد الثورة.
ــ المترجم ــ

وفي خضم هذه العلاقة المتوترة الى درجة رهيبة بين السلطة والاستقلال وبين الاحترام والتبجيل والسطوة تظهر فلسفة الحقيقة المجردة كما وصفها نيتشه[٣] بقوله:

« ان الجماهير او بالأحرى كل الجماهير تسعى في اول الامر لاقامة اودها ثم تسعى بعدئذ بكل حماس نحو الثروة والسلطة».

أفليست هذه الرغبة اذا من اشد الحوافز تأثيرا على الناس؟

ان الشيوعية تعمل بكل جهودها لتقويض سلطة الدولة غير الماركسية من اجل الاستحواذ على السلطة وتحويلها الى سلطة جماعية تتوائم مع نظمها لكنها تحرم الفرد من استقلاليته في ظل النظام الشيوعي. بينما يؤدي أي تقليص لاستقلالية الفرد الى تقليل شعوره بالمسؤولية وهذه نتيجة طبيعية مؤكدة. وعليه فان تمتع الفرد باستقلاليته في ظل النظام يعتبر من الامور البالغة الاهمية. وهذه القضية يمكن تبسيطها عندما يتم اللجوء للمباديء المسيحية في سبيل معالجة المشكلات الاشتراكية القائمة في المجتمع.

وعندما قدر لي ان تكون زوجتي من اسرة صناعية معروفة اصبح من الواضح لي بمرور الزمن حجم وطبيعة المشكلات الاشتراكية التي تتعرض لها الصناعة في عصرنا. فقد اصبحت ميتلاخ من المدن الصناعية الكبرى في منطقة السار. وكانت عدة اجيال من الأسرة التي ناسبتها قد اقامت مشاريع لانتاج الخزف في منطقة اقامتها الأصلية ــ اقليم السار ــ وفي اجزاء المانيا الاخرى وكذلك في بلجيكا وفرنسا.

ولقد ادرك جد زوجتي وأبوها فون بوخ غالهاو (الذي عمل مستشارا خاصا في الدولة) بمقدرتهما وسبق نظرهما ما ستؤول اليه المشكلات الرأسمالية والاقتصادية من شر ازداد تفاقمه بمرور الزمن . كما انهما ادركا منذ ذلك الحين بأن القضاء على الحركات الاشتراكية المتطرفة لا يتم الا بعدم الاكتفاء بمنح العمال اجور العمل وحدها وانما باشراكهم في أرباح المشاريع

(٣) مفكر الماني كان يعتقد ان حافز الرغبة في السيطرة والحكم هو الحافز الانساني الاساسي . ــ المترجم ــ

التي يعملون فيها وكذلك بتقديم الخدمات الانسانية الضرورية لهم من أجل ارضائهم. وقد وضعا افكارهما هذه موضع التنفيذ بتوسيع الخدمات الاجتماعية للعمال فأسسا ـ بالاضافة للاجور السخية التي كانا يدفعانها للعمال ـ محلات جيدة لسكناهم ومستشفيات خاصة للعمال وصناديق للتقاعد والضمان بحيث تطمئن لاجراءاتهما نفوس العمال الذين تأكدوا من تدابير الاهتمام بهم وبعوائلهم عند بلوغهم سن التقاعد وتجاوزت تلك الاهتمامات عمال المشاريع التي تديرها الأسرة الى الاهتمام بعوائلهم لدرجة ملحوظة بحيث يمكن اعتبار ذلك الاهتمام نموذجيا وحسبما جاء بوصايا البابا ليو الثالث عشر الذي دعى للسلام الاجتماعي ووضع اسسه القويمة.

وغالبا ما كنت اسمع صهري يتذمر من قيام علاقة واهية بين العمال وارباب العمل بسبب جشع اصحاب رؤوس الاموال واهمالهم للعمال الى حد التسيب. ولربما يعود ذلك الاهمال في المؤسسات الصناعية الكبرى المشتركة الى عدم تميز رب العمل الذي يشعر بالمسؤولية المباشرة بسبب كثرة عدد المساهمين في الملكية. ولكن الواضح الآن هو ان اهم المشكلات القائمة بين ارباب الاعمال وعمالهم هي عدم شعور ارباب الاعمال بمسؤولياتهم الكاملة ازاء العمال ووجوب رعايتهم لهم من جميع الوجوه. وكانت حصيلة ملحوظاتي هذه ان اعتبرت نموذج المشاريع الصناعية لأسرة زوجتي في ميتلاخ الوسيلة المناسبة لمعالجة مشكلات العمال عند ممارستي للنشاط السياسي. وكان ان طبقت الافكار التي نفذها انسبائي في مشاريعهم باعتبارها نبراسا للعمل الذي قمت به خلال معالجتي لقضايا العمال بعد الحرب مباشرة والى ان تسنمت منصب المستشارية[٤] في المانيا حيث لم احاول تجنب اتخاذ القرارات الحاسمة وانما وضعت الافكار التي اعتقدت انها صائبة موضع التنفيذ باستحصال موافقات البرلمان على اقرارها.

---

(٤) يقابل منصب المستشار في المانيا والنمسا منصب رئيس الوزراء .
ـ المترجم ـ

لقد كان السبب في لجوئي الى هذه الوسيلة مدعاة للأسف. ذلك لأن ارضاء الناس كلهم غاية لا تدرك . فكيف اذا كان الامر متعلقا برضى الشعب الالماني كله وهو الشعب الذي تعلم الطاعة المطلقة للملوك طوال اكثر من الف عام ووجد نفسه بين عشية وضحاها وقد اخذت الدولة ـ ممثلة بالحكومة ـ تعود لرأيه في كل صغيرة وكبيرة لكن هذا الاسلوب هو ما تفرضه الديموقراطية. وتحضرني بهذه المناسبة عبارة طريفة اطلقها امريكي رشح نفسه عن برودواي في عام ١٩٤٥ مفادها:

« اجعل العالم مناسبا لنهجك الديموقراطي»

ولما قضى المنتصرون على النظام الالماني وخصائصه المتميزة بلا رحمة حاولوا ايجاد مفاهيم جديدة تضمن لهم هدوء الشعب الالماني وتوقفه عن مسايرة ركب التطور والركون الى السكينة لكي يحكموا سيطرتهم على اوربا. عندئذ برزت للمرة الاولى في التأريخ الحديث مفاهيم اوجدها المنتصرون لاقرار اسس السلام الذي ارادوه واتخذت الصفة (الشاملة) ففرضوا العقوبات والغرامات المالية لرفع المستوى الاقتصادي لاقطارهم وتحطيم الاقتصاد الالماني بالوقت نفسه. واباحوا لأنفسهم حق الاستحواذ على الممتلكات الشخصية لافراد الدول الخاسرة في البلدان المحايدة ثم انشأوا عصبة الامم التي جعلوا حق الانتماء لها مقتصرا على الشعوب المحبة للسلام لكنهم في الواقع كانوا المسيطرين على هذه المنظمة الدولية بصورة مطلقة.

ولكن الم تسفر هذه الاجراءات القسرية التي اتخذت باسم الديموقراطية عن ايجاد بذرة الشقاق في صفوف العالم الغربي لدرجة اتاحت الفرصة للعالم الآسيوي[٥] المنظم بصورة شاملة لكي يتغلب على اوربا؟ الا ان المؤكد هو تمخض تلك الاجراءات عن تنائج سيئة بالنسبة لعملية ممارسة الديموقراطية في المانيا التي جانبها النجاح.

---

(٥) المقصودة هي روسيا . ـ المترجم ـ

ان الخطأ الفاحش والظلم اللذين انطوت عنهما اتفاقيات باريس المجحفة يمكن ارجاعهما تأريخيا للكره المتبادل طوال سنين عديدة بين المانيا وفرنسا والذي زادت الدعايات المغرضة من حدته باستمرار لم يكن بمقدور شروط ويلسون الاربعةعشر لاقرار السلام محوهما بجرة قلم رغم ترحيب الشعب الالماني بتلك النقاط المنطوية على حسن الطوية . ولكننا لم نكن لنتخلص من ربقة فرساي ما لم نخضع لسلطة هتلر المستبد . وسوف لن انسى ما حييت حالة العزلة التي عشناها بعد تألب العالم على المانيا عندما تم تجميعنا في قرية قره پونار التركية الواقعة على مشارف جبال طوروس ولم يبق امامنا لانقاذ الوطن سوى التعلق ببنود ويلسون الاربعة عشر وكم كنا متشوقين للعمل باخلاص لارساء قواعد السلم فيما لو قبل الآخرون باعتبارنا شركاء لهم تتمتع بنفس حقوقهم ونؤدي نفس واجباتهم . لاسيما واننا جميعا كنا نعتقد بأن المهمة التأريخية لالمانيا هي ان تكون عامل التوازن لاوربا الوسطى.

فالتنافس بين المانيا والامبراطورية البريطانية أصبح من الامور التي تعود للماضي لان المانيا لم تعد تشكل أي خطر على بريطانيا . لأن مهمتنا عادت لما كانت عليه في القرون الوسطى وأعني بها حماية الاقاليم الشرقية واقطار البلطيق من عدوان الاقوام السلافية وغزوات الآسيويين دفاعا عن العقيدة.

ولكن لم لم يدرك الحلفاء زوال خطر المانيا وظهور خطر جديد أجدر بالتصدي له.عندما اطاحت ثورة لينين بسادة الكرملين وأصبحت الخطر الاول المحيق بأوربا والمؤسف انهم لم يدركوا بأن عهد الدولة القومية قد انتهى وجاء دور الاضطرار على توحيد اوربا بوجه الاخطار الجديدة .

أدى تقويض امبراطورية الدانوب(٦) الى بلقنة جنوب شرق أوربا.وكان ان ادى هذا الموقف الجديد الى ظهور خطر شديد يهدد وجود القومية الالمانية في كل يوم.وأخذ البولنديون يحاولون الاستحواذ على مناجم الفحم في سيليزيا

(٦) هي امبراطورية النمسا والمجر. — المترجم —

مع المراكز الصناعية الموجودة فيها • وفصلت بروسيا الشرقية عن الوطن الأم برا باقتطاع الممر المؤدي الى ميناء دانزك ويعتبر اقتطاع هذا الممر استلاب لاقليم الماني عزيز من الارض الالمانية • كما احتل الفرنسيون اقليم السار لمدة خمسة عشر عاما ولم يكن لدينا أي ضمان لاستعادة ذلك الاقليم • ثم طلب بوانكاريه احتلال اقليم الروهر مما جعل مستقبل هذا الاقليم مظلما • واخيرا رفض الحلفاء توحيد النمسا مع المانيا متذرعين بأن الوحدة ينبغي ان تتم نتيجة للاستفتاء وفقا لمبدأ تقرير المصير •

اهتزت في المانيا مفاهيم القانون والنظام نتيجة لاندحار المانيا وتعرضها لثورة عامة كادت تعصف بالمثل السائدة لدرجة خشي معها الموظفون من متابعة النهج القديم في الحكومة الجديدة • وفي تلك الاثناء جد الشيوعيون الذين دفعتهم موسكو دفعا حثيثا لتأليف حكومة اشتراكية تسير على النهج السوفيتي وبشكل يتخذ من حكومة موسكو قدوة له • وظهرت في باڤاريا التي هي أشد المقاطعات الالمانية محافظة اول حكومة سوفيتية محلية برئاسة السيد آيسنر ورفرفت الرايات الحمراء في الحرب الاهلية التي اشتد اوارها في الروهر وفي سكسونيا وفي المناطق الصناعية الاخرى وأصبحت حكومة ايبرت الشرعية مجرد كيان همه الاول اثبات وجوده • ورغم هذا الطوفان الرهيب فان المواطن الالماني اثبت اصالته لأنه لم يتقبل الشيوعية • وقد تجمعت بقايا الوحدات الالمانية المنحلة تحت قيادة نخبة من الضباط الغيورين الذين شكلوا تنظيما عسكريا مرتجلا سموه ( الفيلق الحر ) وقد اعجبت بهذا التشكيل رغم انني لم انتم اليه • ولكنني سرعان ما وجدت سبيلي الى ميونيخ وقدمت نفسي لقائد الفيلق الحر ( فاوپل ) ــ الذي صار فيما بعد سفير المانيا في مدريد خلال الحرب الاهلية الاسبانية ــ حيث قمت بفعاليات الاشتباك بحراس آيسنر الحمر عندما التحقت بالقطعة المكلفة بالسيطرة على المحطة الرئيسة القريبة من معسكر الترك وهكذا ساهمت في تلك الحرب الاهلية التي دارت رحاها في اقليم باڤاريا •

في هذه الاثناء تعالت نداءات مخلصة لانقاذ اقليم السار بعمل عسكري حاسم لان مستقبل الاقليم أصبح في كفة القدر • ولم يكن من السهل علي تجاهل تلك النداءات لانني شعرت آنذاك بأن اقليم السار ينـاديني أنا الذي

شهدت صباي في ربوعه وترعرعت على ارضه والذي اعتقد بأنه كان وسيبقى أقوى منابع شعبنا الاصيل لاسيما وان نشوء المانيا الجديدة بات مهددا بالهجوم من ذلك الاقليم • ثم ان اقليم السار يقطنه اناس عاشوا طوال أجيال عديدة وهم متمسكين بالتربية وحب النظام واستمروا على التمسك بخلالهم الحميدة هذه حتى في عهد التقنية • واذا كان مؤسسو الجمهورية الالمانية الوليـدة يرغبون باقامتها على اسس علمانية فانني سأجد لنفسي في مجتمع السار مكانا مناسبا أناضل به من أجل العقيدة مهما كانت المعوقات •

أجرت لنفسي بيتاً في ويستڤاليا كان موقعه على نهر وتحيط به اشجار السنديان الباسقة وله اصطبل وساحة ارض صغيرة مجاورة • الا انه كان خاليا من معالم الحضارة الحديثة فهو بلا منظومة للماء الصافي وبلا تأسيسات كهربائية وهو ليس بالقريب من محطة للسكة الحديد ولا بالقريب من طريق معبد• الا ان ساكنه يحظى بجوار اناس جبلوا على الكرم وطيب السجايا مما جعل الاقامة فيه متعة لا تنسى•

والمؤسف كثيرا ان المرء لا يمكنه التوصل بسهولة الى القضايا الصغيرة من شؤونهم الذاتية التي يحرصون على كتمانها عن الناس اجمعين ولكنني عندما افلحت اخيرا في كسب ثقتهم اصبحت كمن عثر فجأة على كنز يغنيه بالفرح والسعادة•

كان ذلك البيت واقعا على حافة منطقة الروهر • وعليه فان قعقعة السلاح في منطقة برج الماء لمدينة ايسن واشتباكات عصابات (سپارتاكوز)[٧] التي كانت تحاول الاستيلاء على منطقة الروهر كثيرا ما كانت تكدر علينا صفونا في ذلك المنزل النائي• وقد قمت بتنظيم الفلاحين الساكنين في تلك الانحاء للدفاع عن انفسنا ازاء تجاوزات الشيوعيين المحتملة كما اخفينا عنهم الحاصلات الزراعية في مخازن امينة لا تنالها أيديهم• ثم سافرت الى مونستر واخبرت آمر قطعات الفيلق الحر في المدينة باجراءاتي الوقائية

---

(٧) منظمة شيوعية شبه عسكرية اسمها ليبكنشت واتخذ لها هذا الاسم التاريخي كناية عن مقاتلة العبيد للرومان . — المترجم —

ورجوته تقديم المساعدة لنا عند الاقتضاء. ولما رجعت الى البيت شهدت ثانية اسوأ ما سبق ان حصلت عليه من انطباع خلال وجودي في ميدان القتال بفرنسا: انهيار الروح المعنوية بسبب نشوب الحرب الاهلية.

في هذه الايام المتميزة بالحركة الدائبة زارني في منزلي عدد من الاصدقاء كان احدهم زعيم اتحاد فلاحي ويستفاليا البارون فون كيركرنك ورجوني الانضمام اليهم في نشاطهم السياسي حيث ارادوا ترشيحي عنهم للبرلمان البروسي. لم ارفض طلبهم ولكن الذي حيرني هو قرار الانتماء للحزب المناسب لآرائي. ولقد سبق ان تحدثت آنفا عن مبررات عدم انتمائي للاحزاب المحافظة. ثم انني وجدت ان افكار الحزب البروسي المحافظ رجعية وبالية لدرجة لا يمكن ان اطيقها. وعليه فقد وجدت ان الانتماء لحزب الوسط يحقق توجهاتي السياسية بصورة افضل. وهو الحزب الذي تم تأسيسه في عهد بسمارك (الذي اوجد حركة مناهضة الكنيسة الرومية ــ الكاثوليكية) من اجل تمثيل المصالح الكاثوليكية . وقد ناضل تحت زعامة ڤيندت هورست عدد كبير من الرجال المحافظين من اقاليم الراين وويستڤاليا وباڤاريا وسيليزيا وكان حزب الوسط يمثل الاعتدال السياسي ويسير على النهج الاشتراكي الذي سبق ان نادى به البابا ليو الثالث عشر. ولما كانت القضية الاشتراكية من اكثر المسائل المطروحة للمناقشة والتي تتطلب معالجة دقيقة فقد عكفت على دراستها بأمعان لكي يمكنني طرح آرائي بشأن مختلف جوانبها وفق معلوماتي الرصينة وبالتالي تقديم افضل ما لدي في هذا المجال . ولكن الا يجب على اعضاء الحزب المبني على اسس دينية مراعاة افضل المفاهيم المسيحية على الرغم من عدم تطرق القانون الاساسي لحكومة ڤايمار الى تلك المفاهيم؟ وكان جيراني من الويستفاليين يمثلون هذا الرأي بصورة عامة وهكذا تبين لي ان بمقدوري من خلال انتمائي لحزب الوسط خدمة مصالح اولئك الناس ايضا على افضل ما استطيعه.

ولعل بمقدوري هنا التطرق الى بعض النقاط الواردة في دستور حكومة ڤايمار التي اثيرت بشأنها مختلف الآراء خلال الاثني عشر عاما التالية . فقد انجرت الحكومة الالمانية وحكومات الولايات وخصوصا حكومة ولاية

بروسيا الى نفس الاخطاء المركزة. فالسلطة التشريعية كانت مقتصرة على لجنة معينة ولا توجد هناك سلطة اعلى منها على مستوى الدولة يمكنها اصلاح الاخطاء او الهفوات القانونية. اما مستشار الدولة اومستشار حكومة بروسيا فليس لهما الصلاحية الكاملة لممارسة التغلب على مثل هذا الخلل. بالاضافة الى ذلك هناك مشكلة حق الانتخاب في مستوى الدولة الالمانية وفي الولايات الالمانية والتنسيق بين الحكومة المركزية وحكومة بروسيا التي تفوق جميع الولايات الاخرى من حيث الاهمية. ويتم القرار على تعديل الدستور بمجرد الحصول على اغلبية ثلثي الاعضاء. ونظرا لتعدد الاحزاب واختلاف وجهات نظرها فان الحصول على هذه النسبة يعتبر من الامور المتعذرة تماما. وهكذا وجدت ازمات دستورية دائمية يتعذر حلها لدرجة اصبحت معها مصدرا للنزاع المستمر بين احزاب اليسار واحزاب اليمين.

كان حق الانتخاب المعتمد لدينا يمارس وفق ما يسمى بنظام القوائم. وهو نظام يحظى بكثير من الاطراء باعتباره افضل وسيلة ديموقراطية لممارسة حق الانتخاب على وجه البسيطة لأنه يحقق الاستفادة التامة من جميع اصوات الناخبين. والواقع هو ان اللجوء لهذه الوسيلة في ممارسة حق الانتخاب ينطوي على الاخلال بمباديء الديموقراطية السليمة. ثم ان القرار على انتخاب ممثل واحد يتطلب حصوله على ٥٠٠٠٠ صوت ـ كما كان متبعا في بروسيا ـ يجعل من المتعذر ايجاد دائرة انتخابية واحدة تضم مثل هذا العدد. وعليه فقد كانت دائرتي الانتخابية مقتصرة على النصف الجنوبي من منطقة صناعية مزدحمة بالسكان في مقاطعة ويستفاليا . ويقوم الحزب باعداد قوائم الترشيح وفقا لتقديراته لنسبة احتمال انتخاب اولئك المرشحين في المنطقة. واذا لم يحصل احد المرشحين على ٥٠٠٠٠ صوت فيجري حساب جميع الاصوات الباقية في الانتخابات التكميلية للمنطقة بغية اتمام الاصوات المطلوبة لصالحه. وكانت حصيلة هذه الفوضى الديموقراطية ان وجد في المانيا ثلاثون حزبا. ولو شاء أي فرد تأليف حزب جديد لغرض معين فانه لا يحتاج الى تقديم مرشح انتخابي واحد في احدى الدوائر الانتخابية

الكبيرة. وانما يكفيه التقاط الاصوات المتناثرة هنا وهنـاك من قوائـم الانتخاب المطروحة في عدة دوائر انتخابية متفرقة لكي يتوصل الى انتخاب رجل واحد على الاقل يمكّن ان يمثل حزبه في البرلمان.

ثم ان نظام القوائم يحرم الناخبين من مجال الانتخاب لأن القائمة التي يعدها أي حزب تكون محددة من حيث اسمـاء المرشحين ولا يمكن تغييرها بينما ينطوي اقرار أية قائمة على اختيار اسماء المرشحين فيها للسنوات الأربع القادمة . كما انني أعلم من تجاربي الخاصة بأن أعضـاء المجلس الذين انتخبهم ابناء الدوائر الانتخابية يكونون مسؤولين ازاء احزابهم عن فعالياتهم البرلمانية وليس ازاء ناخبيهم . والمؤسف ان دستور حكومة بون اقتبس نفس اخطاء دستور ڤايمار رغـم ان الحزب الديموقراطي المسيحي نبه الى هذا الخلل لكن الحزب الاشتراكي الديموقراطي تمسك بضرورة اتباع نظـام القوائم بدعوى انه نظام ديموقراطي فتم اقرار اتباعه بسبب موافقة الاغلبية على اعتماد هذا النهج. وهكذا فان من المؤسف اننا لم نتعلم من تجارب حكومة ڤايمار.

اتخذت علاقة الدولة الالمانية بالولايات منذ عهـد الولايات الالمانية الصغيرة صفة الامومة. وعليه فلا يمكن اعتبارها ببساطة علاقة مركزيـة او اتحادية. ذلك لأنه ليس من السهل ايجاد الحدود الفـاصلة لمناطق الحكم الذاتي او المناطق التي تسري بها قوانين الولايات دون الالتفات للحكومة الاتحادية لالمانيا برمتها والتي تتمتع بمكانتها المرموقة في المجتمع الاوربي. فقد وضع المستشار النابه بسمارك دستورا اتاح للولايات مجالات واسعـة لممارسة ادوارها دون ان تهدد تلك الحقوق قيادة الدولة المركزية. وكانت بروسيا اكبر الولايات رقعة واقواها ماديا . بينما كانت المراكز الصناعية في اقاليم الراين والروهر والسار وسيليزيا العليا ضمن حدودها. ولكن كانت لبروسيا ميزة اخرى مهمة ولها تأثير كبير على التوازن السيـاسي وتتمثل

بوجود العرش البروسي الذي اصبح عاهله امبراطورا على المانيا برمتها[٨]. ولما نهض رئيس وزراء بروسيا العبقري بسمارك بمهمة مستشار الامبراطورية الالمانية بالوقت نفسه فانه كبح الجماح البروسي ولم يسمح ابدا برجحان كفة بروسيا على الولايات الاخرى. وبلغ من حرصه على المحافظة على وجود الوحدة الالمانية انه كان كثير الاهتمام برغبات اضعف المشاركين الصغار المنتسبين للوحدة والعمل على تحقيق تلك الرغبات بتقديم اقصى درجات الاسناد لطلباتها لدى الحكومة المركزية.

اما الآن فقد تهاوى عرش القيصر الذي كان الاساس الرصين لقيام الوحدة ودمج الولايات كما انحسر دور الاقطاع في الولايات الالمانية. واصبحت اقامة الاتحاد الالماني على اسس التقاليد وحدها مدعاة للشك في مدى قدرة الاتحاد الوليد على البقاء. ذلك لأنه ولد ضعيف المقومات. وعليه فقد اصبحت الصراعات بين الدولة الجمهورية الوليدة واكبر الولايات ـ بروسيا ـ من المشكلات الجدية المقلقة لها. والمؤسف ان حكومة ڤايمار لم تتمكن من ايجاد الحل المناسب لهذه المعضلة كما لم يشأ كبار الساسة الذين خدموا تلك الدولة طوال سنين عديدة التدخل بحزم لاستئصال جذور الخلافات المتفاقمة. وسوف أأتي على بحث فعالياتي في هذا السبيل خلال تلك الحقبة لاسيما وانني جعلت من بسمارك قدوة لي وليس على المتتبع لهذا الموضوع سوى ان يعقب ممارسات ذلك الرجل العظيم ليتفهم المعضلة والاسلوب المثالي لمعالجتها. ولقد ادركت طبيعة المشكلة المذكورة منذ اليوم الاول لقيام الجمهورية الالمانية.

في هذه الفترة قامت الاحزاب السياسية في الولايات الالمانية الاخرى بردود فعلها دون الالتفات لموقف الحكومة المركزية ومتطلباتها. فقد حلت الدولة الالمانية ضيفا على برلين عاصمة بروسيا وجعلتها عاصمة لها دون ان تتوفر لديها عناصرها الادارية الخاصة ولا جهاز شرطة مركزي. وهكذا بقيت

(٨) توج ملك بروسيا غليوم الاول امبراطورا على المانيا بعد انتصاره على فرنسا في حرب السبعين في عام ١٨٧١ بقاعة المرايا في قصر فرساي بباريس.
ـ المترجم ـ

الحكومة الالمانية المركزية وحكومة بروسيا يقودهما الحزب الاشتراكي الديموقراطي (مارس ذلك الحزب حكم ولاية بروسيا خلال الفترة ١٩١٨ـ ١٩٣٢ بدون انقطاع) ولم يشأ هذا الحزب بطبيعة الحال التصدي لأية صعوبات قد تعتور تنفيذ القوانين الاتحادية ، ولكن عندما يحدث في حالات استثنائية ان تقوم عدة احزاب متآلفة بطرح مقترح لاقرار قانون معين يتعلق بالتجارة او بالامور الثقافية او حرية الصحافة او حماية الممتلكات الخاصة فغالبا ما تقوم الوزارة البروسية المختصة باستعادة دورها القيادي لتوجيه اللائحة القانونية وفق رأيها.

والواقع ان بروسيا اصبحت دولة داخل الدولة. ولذا فقد اصبحت هذه الازدواجية بؤرة للضعف الذي اعترى نظامنا السياسي. وكانت حصيلة ذلك ان اصبح التأثير السياسي للنواب البروسيين في كثير من الاحوال يفوق تأثير النواب الاتحاديين .

يبدو انني اخترت الوقت غير المناسب لخوض غمار السياسة. فقد كان موقف البلاد غامضا ولكنني شرعت مع ذلك بممارسة فعالياتي السياسية الجديدة بكل حماس يحدوني بذل الهمة والسير وفق النهج الحزبي المقرر باتقان مع ادراك شامل لمعضلات الوطن الداخلية والخارجية مع تميزي بالمرونة المتناهية في معالجة المشكلات العامة لأنني ادركت بأن من الضروري حتى عند ممارسة الحياة الديموقراطية اتخاذ القرارات المناسبة وفق اجتهادي دون التمسك الجامد بالآراء المقررة في الكراسات.

لاحظت وجود جهل معيب بالمعلومات المتعلقة بالاقطار الاجنبية في صفوف ابناء منطقتي الانتخابية وهذه ربما تؤدي الى عدم تفهم المشكلات التي ادت الى اشتراك المانيا بالحرب وبالتالي اندحارها. وعليه فقد حاولت ايجاد شيء من التفهم لطبيعة ابناء الشعوب المجاورة بين ابناء الشعب الالماني لكي اوقظ في نفوسهم الوعي الكافي لاستيعاب التأريخ. لكن محاولاتي هذه ذهبت ادراج الرياح لأن أحد نواب المجلس الاتحادي لا يمكنه لوحده

النهوض بهذه المهمة في الوقت الذي تعاني به المانيا من مأساة الاندحار. ثم تعاقبت علينا النكبات عندما اضمحلت قيمة المارك الالماني نتيجة للتضخم الذي استشرى اذاه مثل سريان النار في الهشيم. ثم اقدم الفرنسيون على احتلال اقليم الروهر[٩]. وقد ذكر كليمانصو[١٠] في مذكراته بهذا الصدد:

« ونحن نعلم ان الفريق فوش[١١] حاول ضم هذا الاقليم الالماني الغني الى فرنسا لأسباب اقتصادية».

في هذه الاثناء انحطت قيمة المارك الالماني الى أدنى الدرجات ولم تعد المعونات المالية تكفي ليقيم القرويون أودهم. عندئذ تعالت في اقليم الراين اصوات منكرة تنادي بالانفصال وتكوين جمهورية الراين وجعل كولن عاصمة لها.

في هذه الايام الحرجة دعى حزب الوسط اعضائه في البرلمان الاتحادي وفي البرلمان البروسي لاتخاذ قرار حاسم لانقاذ المانيا . وكان عمدة مدينة كولن رئيسا لمجلس النواب البروسي في الوقت نفسه الا انه فضل الانحياز لمدينته على حساب مقامه الرفيع في بروسيا متذرعا بأنه من المتعذر على المرء خدمة سيدين على طرفي نقيض.

الا ان ممثلي نقابات العمال واتحاد العمال الكاثوليك كانوا مناهضين لتلك الآراء الانفصالية وكانوا متحمسين لابقاء الروهر والراين ضمن الاتحاد الالماني.

(٩) تذرع الفرنسيون بتأخر المانيا في تسديد التعويضات المفروضة عليها لفرنسا واحتلوا اقليم الروهر فأثاروا عليهم حفيظة الشعب الالماني .

ـ المترجم ـ

(١٠) كان جورج كليمانصو ( الملقب بالنمر ) رئيسا لوزراء فرنسا ١٩١٧ـ١٩١٩ وهو معروف بالتعنت ازاء المانيا .

ـ المترجم ـ

(١١) كان الفريق فوش القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية عند انتهاء الحرب العالمية الاولى .

ـ المترجم ـ

أما أنا فكنت أرى ان المناداة بانشاء جمهورية الراين تنطوي على الخيانة السافرة للوطن وعليه فقد اصبحت خصما عنيدا لممثلي الراين من الانفصاليين وتمكنت من استمالة عدد من المؤيدين ورفعت شعار ستبقى الروهر والراين مخلصتين لالمانيا حتى في هذه الساعة.

لم ينس لي الدكتور اديناور[١٢] هذا الموقف، فبعد اخلاء سبيلي اثر برائتي في محاكمات نورمبرغ[١٣] اخذ يروج اشاعة مغرضة ضدي بقصد الايقاع بي قانونيا عندما لاحظ ميلي لترشيح نفسي لرئاسة الاتحاد الديموقراطي المسيحي في القطاع الانكليزي من المانيا المحتلة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ادلى بتصريح شخصي لصحيفة «ويستفاليا بوست» الصادرة في دائرة آنسبرك الحكومية بعددها المرقم ٤٨ الصادر في ٨ تشرين الاول ١٩٤٦ قال فيه:

« ان فون پاپن خائن كبير ولعله هو الذي دبر حادثة اغتيال دولفوس»[١٤].

ولقد غضب عدد كبير من الاصدقاء لهذا الاتهام المجحف ومنهم الاميرة فيورستنبرغ هيردرنغن ابنة نائب حزب الوسط لسنين طويلة الامير پراشما فطالبت زعيم الحزب الديموقراطي المسيحي بسحب هذا الاتهام الباطل.

---

(١٢) تزعم الدكتور كونراد اديناور جمهورية المانيا الاتحادية عند قيامها بعد الحرب العالمية الثانية وهو من قرية ادايناو القريبة من بون اي انه من سكان اقليم الراين وكان زعيما للحزب الديموقراطي المسيحي . وهو المشهور بعقد اتفاقية التعويضات مع اسرائيل .

ـ المترجم ـ

(١٣) يذكر الوزير البرت شپير في كتابه ـ مذكرات سجن شپانداو ـ ان فون پاپن عندما اطلق سراحه اثر برائته في محاكمات نورمبرغ لم يصافح سوى العسكريين من رفاقه المحكومين .

ـ المترجم ـ

(١٤) كان دولفوس رئيسا لوزراء النمسا قبيل اندماجها بالمانيا ولما سار على سياسة مناهضة للوحدة مع المانيا اغتاله النازيون النمسويون واعقبه كورت فون شوشنيغ الذي انهار نظامه نتيجة لضغط النازيين والوحدويين النمسويين وكان فون پاپن سفيرا لالمانيا في ڤينا خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخ النمسا . ـ المترجم ـ

ثم انه ليس جدير بتوجيه الاتهامات لأنه كان خاضعا لكفالة شرطة ولاية باقاريا. الا ان المؤسف هو تجاهل الدكتور اديناور لتلك الدعوة الكريمة. ولابد لمن يمارس السياسة ان يتعلم كيف يتناسى وكيف يغفر. وعليه فانني لم احقد على اول مستشار لالمانيا الاتحادية بسبب الاتهام الظالم الذي وجهه لي وانما انا سعيد لأن ذلك المستشار نجح في توحيد الاحزاب الالمانية وتوصل الى تفاهم وطيد مع فرنسا ومع الاسرة الاوربية وهو ما بذلت جهودي لتحقيقه في بدء حياتي السياسية.

ويبدو ان الناس قد نسوا انه في الوقت الذي دأبت به فرنسا على الانعزال عن اوربا وحرصت على تمزيق وحدة المانيا وعزلها عن بقية اجزاء العالم فان المانيا كانت من ضمن اربع عشرة دولة ـ منها بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ـ تصدت لخطر انتشار البلشفية بقوة السلاح . وكان ان حافظت دول البلطيق على وجودها بقوة السلاح الالماني وانفصلت عن روسيا[١٥] . وقامت حكومة بلسودسكي البولندية بتشكيل حاجز يفصل بين المانيا وروسيا. كما قام قادة الروس البيض والمشير الفنلندي مانرهايم بمقاتلة الشيوعيين في مختلف مناطق شمال روسيا . اما تشرشل فقد اطلق نداء موجها للمسيحيين « للمساعدة في تقويض العش الاحمر قبل ان تتمكن الدجاجة الشيوعية من وضع بيضها فيه » . بينما كانت المانيا تخوض بحرا من الدماء لاثبات وجودها ازاء حركات الانفصال وتقاتل عصابات سبارتاكوس والمجالس الثورية التي قامت في مختلف المدن الالمانية في الوقت الذي كانت تعاني به المانيا من غطرسة المنتصرين الذين جعلوا الديموقراطية نظاما مفروضا على حكومة المانية واهية وجردوها من قوتها العسكرية . ولابد للمرء في هذا المقام تذكر الهمة القعساء لوزير خارجية المانيا آنذاك الدكتور شتريزه مان الذي لم تنقصه الشجاعة

---

(١٥) هي استونيا وليتوانيا ولاتفيا وقد أقر هتلر بموجب معاهدة ريبنتروب ـ مولوتوف المعقودة بين المانيا والاتحاد السوفيتي في آب ١٩٣٩ استيلاء الاتحاد السوفيتي عليها وهي الآن جمهوريات سوفيتية .
ـ المترجم ـ

لمواجهة المواقف الحرجة واستطاع التحكم بالموقف دون التفريط بحقوق المانيا او السماح بأية حركة انفصالية •

لقد وقفت المانيا لوحدها آنذاك بوجه سريان الحركة الشيوعية من الشرق واستطاعت حماية اوربا من ذلك الخطر الجديد بينما كان موقف الدول الغربية متسماً بالوهن والتردده واستطاعت المانيا في هذه الفترة الصمود امام محنة انهيار القوة الشرائية لعملتها لأن تأثير التضخم لم يقتصر على النتائج المهمة المترتبة على السياسة المالية الاقتصادية وافلاس الكثير من المشاريع الصناعية وانما ادى الى التأثير على الطبقتين الفقيرة والمتوسطة وأدى الى سريان موجة متفاقمة من البطالة التي جعلت الملايين من العمال الالمان الماهرين والنشيطين بلا عمل مما جعلهم على أتم الاستعداد لخوض القتال من أجل الحصول على الطعام • وواضح ان الملابسات المعقدة التي حصلت في تلك الفترة والنشاط الذي مارسته الاحزاب السياسية الالمانية ومدى مسؤوليتها عن التضخم وتدهور قيمة النقد الالماني لم يكتب تأريخها بعد • ومما لا شك فيه ان الناس فيخارج المانيا لا يمكن ان يتصوروا الحالة التي كانت عليها المانيا خلال فترة التضخم ومدى المعاناة التي كابدها ابناء الشعب الالماني • فمن الذي يتصور اليوم بأن الناس في أواخر فترة التضخم التي عاشتها المانيا كانوا يستلمون رواتبهم او أجورهم يوما بيوم لان تلك الاجور لا تحافظ على قيمتها الشرائية في مساء اليوم ذاته ؟

وقد أعلن المصرف المركزي الالماني بأنه غير قادر على طبع مقادير اخرى من الاوراق النقدية ولجأت اغلب المدن الى اصدار نقود خاصة بها مما اضطرت معه المؤسسات المالية على التوقف عن ممارسة نشاطاتها • وأصبح ما يكلف سعره ماركا واحدا في الماضي بسعر يبلغ مليار مارك • وهذا معناه ان الاموال المدخرة ورواتب التقاعد والرهون والموارد المالية الاخرى أصبحت كلها مجردة من القيمة تماما وان الناس الذين ليست لديهم مواد عينية سيكونون كلهمفقراء بحكم اضمحلال القوة الشرائية للنقود • وكانت هـذه الحالة المضطربة التي صاحبت التدهور الاقتصادي مدعاة لتامل النازيين الذين لم ينتقدونها فقط وانما وجدوا لها الحلول المناسبة •

كنا في فترة التضخم مرشحين لنكون فريسة سهلة للشيوعية المتربصة بألمانيا . وقد تجلت هذه الحقيقة عندما قابل لينين صديقي القديم الفريق علي فؤاد باشا الذي اوفده مصطفى اتاتورك الى موسكو ليكون اول سفراء بلاده لدى الكرملين . وقد قال لينين للسفير التركي في عام ١٩٢١ :

« ان الالمان هم شعب متمسك بالمبادىء وانهم لو تقبلوا فكرة معينة فأنهم سيتمسكون بها بكل قوة . وعليه فانهم أفضل من الروس لتشكيل ملاكات الثورة العالمية المقبلة . لكن أستمالتهم تتطلب وقتا طويلا . وحالما يتقبل الالمان العقيدة الشيوعية فانني سأنقل عاصمتي من موسكو الى برلين » .

ادت سياسة القروض المالية التي وضعتها الحكومة الالمانية في تشرين الثاني ١٩٢٣ الى انقاذ اقتصادنا من التدهور الشامل . والمؤسف ان الحكومة الالمانية ارتكبت غلطة فاحشة عندما اغفلت السيطرة على الانتاج الصناعي وسمحت للمؤسسات المالية الاجنبية بالاستيلاء على المشاريع الصناعية الكبرى عن طريق القروض او المساهمة في رؤوس اموالها .

وعلى الرغم من الازدهار الصناعي الذي شهدته المانيا في تلك الفترة الا ان سوء السياسة الاقتصادية التي انتهجتها واضطرارها على دفع تعويضات الحرب الباهظة لدول الحلفاء تسببا في تعرضها للتدهور الاقتصادي ثانية في أواخر عقد العشرينات من هذا القرن وقد ادى التضخم هذه المرة الى فقدان اغلب دائني المانيا الاجانب لرؤوس الاموال التي وظفوها في المشاريع الالمانية الا ان المانيا فقدت سمعتها التجارية الدولية .

وكنت قد قدرت في مرحلة مبكرة بأن البرلمان الاتحادي ومجالس الولايات عاجزة عن ايجاد الحل المناسب للمشكلة الاقتصادية التي تتعرض لها المانيا وكانت حصيلة دلك العجز نجاح هتلر في الوصول الى الحكم، وقد استشرفت ما سيحدث لالمانيا في رسالة كتبتها بتأريخ ٧ أيلول ١٩٢٣ بعنوان « حكم استبدادي أم حياة برلمانية ؟ » وقلت فيها للمرة الاولى بأننا على حافة الهاوية وحياتنا لا يمكن ان تجد الاستقرار اللازم في ظل حياة برلمانية رتيبة تتصارع

فيها مبادىء الاحزاب الالمانية الكثيرة ، وطالبت بتأليف حكومة مستقلةمسؤولة ازاء الشعب ويمكنها تنفيذ مناهجها السليمة لصالح الوطن دون الاضطرار على خوض جدال عقيم طوال اشهر عديدة مع احزاب المعارضة .

وكما يحدث بعد كل اندحار تشهده الامة فان الاحزاب المتطرفة لابد ان تحقق التفوق السياسي وهكذا اتيحت للشيوعيين فرصة ذهبية لتحقيق النجاح الباهر في الانتخابات ، فنشطنا للتصدي لهم بتقويـــة الحزب الاشـــتراكي الديموقراطي الذي ضم شخصيات قديرة امثال ايبرت ونوسكه(١٦) .

وعلى الرغم من الصراع المصيري الذي خاضه الشيوعيون آنذاك منأجل اثبات وجودهم فأنهم ظلوا ينادون بمبادىء الصراع الطبقي ومناوأة الدين ، اما المناداة بسلطة الطبقة العاملة فلم تجدهم فتيلا ، وعنـــدما يعتبر الحزب الاشتراكي الديموقراطي في البلدان الغربية من الاحزاب الديموقراطيـــة الى ابعد الحدود ( وهذا اكثر من الواقع ) فان الســـبب في ذلك يعود لان ليون بلوم(١٧) ورفاقه كانوا اكثر تطرفا في ممارسة الاشتراكية ، ولان حزبالعمال لا يعرف ابدا معنى الصـــراع الطبقي او معاداة الكنيسة ، كما ان عبـــارة ( الاشتراكية ) كانت غريبة تماما على المنظمات العمالية الامريكية .

ومن جهة اخرى نشط اعضاء الاحزاب المحافظة والاحرار الذين يعتبر وجودهم في البرلمان امتداد للعهد الامبراطوري فأفاقوا من غفلتهم وهم الذين كانوا أقل انتاجا ونشاطا في الفترة التي سبقت نشوب الحرب العالمية الاولى . ويبدو ان سبب مجانبة الحظ لاحزاب اليمين يعودلعدم وجود قائد تقدمي في صفوفهم بحيث يمكنه اثبات وجودهم بعد اندحار المانيا ، فقد كان هندنبورغ

---

(١٦) كان ايبرت اول رئيس للجمهوريةالالمانية اما نوسكة فقدكانوزيرا للحربية .
ـ المترجم ـ

(١٧) سياسي اشتراكي فرنسي قاد الجبهة الشعبية الفرنسية وجميـــع اعـــداء النازية وقد صار رئيسا للوزارة الفرنسية عام ١٩٣٦ فطبق الاصلاحات الاشتراكية وامم الصناعات العسكرية ومصرف فرنسا . وقـــد اعتقلته حكومة ڤيشي خلال الحرب العالمية الثانية ثم تولى رئاسة الوزارة ثانية في عام ١٩٤٦ وقد توفي عام ١٩٥٠ . ـ المترجم ـ

اداريا حازما وله قابليات جيدة على معالجة المشكلات المالية ولكنه لم يكن زعيما محافظا . وهكذا لاح الامل الوحيد بايجاد الزعيم المنشود من صفوف احزاب الوسط وهي الحزب الديموقراطي ـ المتشكل حديثا ـ وحزب الوسط وحزب الشعب الالماني .

وقد زعم الحزب الاول انه قلص مرشحيه في عام ١٩٣١ الى اربعة فقط على الرغم من تضحيته بالكثير من انصاره في سبيل الحفاظ على الجوهر الديموقراطي للحزب مما جعله ( حزبا حكوميا ) بكل ما لهذه العبارة من معنى . أما حزب الشعب الالماني فانه كان قد أعد شخصية شتريزهمان الذي مارس قيادة السياسة الخارجية لالمانيا طوال سنين عديدة ونجح في التوصل الى عقد معاهدة لوكارنو ذات المحتوى الجديد التي استعادت لالمانيا بعض الحقوق . ولذا فأنه رجل الدولة الوحيد الذي عاصر حقبة حكم نظام ڤايمار وساهم من موقعه بنشاطاتها وهو بالتالي يتحمل جزءا من اوزارها . ولما كان حزبنا هو الحزب الوحيد الذي بقي صحيح البدن وبمنجاة من حميات السياسة الداخلية فاننا اذا ما تمكنا من ايجاد أهداف واضحة للسياسة الخارجية التي تؤدي باعدائنا القدماء للوصول الى سياسة اوربية موحدة بحيث تجبرهم على نبذ الكره والانتقام والثأر وراء ظهورهم . وقد ادت وفاة شتريزهمان المبكرة الى خسارة لا تعوض .

وكان وضع الاسس القويمة لايجاد النظام الديموقراطي الوليد لالمانيا بمحتواه الجديد المناسب للحياة السياسية الالمانية من أهم الواجبات التأريخية التي نهض بها حزب الوسط .

ولا يمكنني بهذه المناسبة تبرئة حزبي من الاتهام الموجه اليه لأنه لم يشخص مدى اهمية هذه المهمة. فالديموقراطية تتطلب التبديل السليم بين الحكومة والمعارضة. والمعارضة يجب أن تكون على استعداد دائم لتحمل المسؤولية في أية لحظة. وهذا سيمنعها من ممارسة سياسة مطلقة ذات خطط هوجاء. وهي معارضة تساهم في تكامل فن الحكم وتعصم الحكومة من الاخطاء.

تحركت احزاب الوسط في تلك السنين العجاف التي هبت بها المانيا من كبوة الخذلان بزعامة الحزب الاشتراكي الديموقراطي القوي الذي حقق اكبر المكاسب ومنع التطرف ولم يسمح بجعل المانيا ميدانا للتجارب الاشتراكية . الا ان التحالف الحكومي بقي محافظا على قوته في ادارة دفة الحكم من ڤايمار عندما تعرضت المانيا لأول صدمة مفاجئة. وقد حكم هذا التحالف ولاية بروسيا ايضا بصورة متواصلة منذ عام ١٩١٩ حتى وصولي الى منصب المستشار(١٨). ووجد حزب الوسط نفسه على غير استعداد لحل تآلفه مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي من اجل الحصول على مكانة غير مضمونة ضمن المعارضة وعلى الرغم من افلاس حكومة ڤايمار في ممارسة الديموقراطية فاننا لم تتقبل هذه الحقيقة.

انني ممتن للظروف التي لم تجعل طريقي السياسي يمر عبر مدرسة البرلمان لأنها مدرسة تجبر المرء على التأمل قبل اتخاذ القرار . فالمرء يمكنه ان يحيا حياة برلمانية هانئة جدا ويتمتع بامتيازات العضوية ويسافر بالقطارات مجانا ويسكن في دار مريحة ويتبوأ الصدارة في كل مجلس دون ان يتكلف بأية التزامات جدية. ويمكن للحريص على كرسي العضوية ان يصوت مع الاغلبية دوما مدعيا بأنه يخدم اقليمه وبلاده بمنتهى الحرص. اما انا فقد ربأت بنفسي من الانحدار الى هذا المستوى لأن هيئة الاركان الالمانية ـ المنبوذة حاليا ـ علمتنا وجوب المجاهرة بآرائنا حتى ولو كانت مخالفة لآراء الآخرين وعلى الرغم من كون هذه المجاهرة غير مريحة لنا بالمرة.

وسرعان ما تعلمت تجربة مفادها ان من المحزن لعضو البرلمان الا يتقن كيفية المراوغة والالتفاف حول الأسس المرعية. فبعد الانتخابات الجديدة لعام ١٩٢٤ لم يحصل تآلف حكومة ڤايمار الا على اغلبية صوتين او ثلاثة اصوات. وقد اوصيت آنذاك باقامة تآلف بين حزب الوسط واحزاب اليمين. فأدى ذلك التآلف الى ترشيحي لمنصب رئيس الوزراء وحصلت على وعد من عشرين زميلا لاسنادي في ذلك الترشيح ولما تم الاقتراع لم يصوت

---

(١٨) تولى المؤلف منصب مستشار المانيا في عام ١٩٣٢ .
ـ المترجم ـ

لصالحي سوى خمسة منهم اما الآخرين فيبدو انهم تأثروا بمحاولات الاحباط التي مارسها ضدي تآلف حكومة ڤايمار.

وهكذا لم يكن لاصواتنا نحن الستة سوى تأثير ضئيل لأننا وجدنا اصواتنا مثل هشيم تذروه الرياح. وليس للمرء ان يتجاهل بكل بساطة ما يناله من جراء الاحباط.

وكنت قد حصلت في الانتخابات على فكرة بأنني حصلت على الكثير من اصوات المحافظين. لكنني ما لبثت ان علمت بأنني استبعدت من قبل جميع المحافظين لأنني اصبحت في نظرهم ـ منذ واقعة الترشيح التي جانبني بها النجاح ـ العضو غير المحبوب في حزب الوسط.

بعد سنة واحدة توفي فجأة رئيس الجمهورية الالمانية ايبرت . وكان هذا الرجل قد اثبت جدارته الرائعة رغم الظروف المعاكسة التي صادفت عهده فأدار دفة الدولة بمهارة يحمد عليها ومع ذلك فان حزبه ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي ـ لم تتيسر لديه عدا ذلك الرجل المتميز شخصيات كفوءة تقف الى جانبه.

ما ان خلى منصب رئيس الجمهورية الا وتشوقت الاحزاب لايجاد شخصية من صفوفها لاشغال ذلك المنصب الرفيع ليكون رمزاً للسلطة ورئيساً للدولة الالمانية . وفي مثل هذه الظروف الثورية فلابد ان تتيقظ المشاعر القومية وينبعث التراث الوطني من اجل الحفاظ على التماسك الداخلي للبلاد وتستبعد الاسماء الضعيفة خشية امتهان الوطن في الاوساط الدولية وكان من الواضح ان زعماء الاحزاب الالمانية القائمة آنذاك لم يكن بينهم أية شخصية جديرة بحيازة مقام الرئاسة المرموق.

وبينما كانت احزاب اليسار قليلة الاكتراث لهذه الضرورة النفسية مما حدى بها لترشيح الدكتور ماركس وهو من زعماء حزب الوسط القدماء تقدمت احزاب اليمين بترشيح المشير فون هندنبورغ.

اظهر المشير فون هندنبورغ خلال الحرب العالمية الاولى منتهى الاخلاص

للشعب الالماني فحظي بتقديره رغم النهاية المريرة لتلك الحرب. ولما هرب فون لودندورف الى السويد جمع فون هندنبورغ بقايا الجيوش الالمانية المندحرة بكل نظام وشعور بالمسؤولية واعادها الى الوطن(١٩). الا ان اليساريين الالمان والشيوعيين في البلدان الاجنبية استنكروا ترشيح فون هندنبورغ لرئاسة الجمهورية الالمانية . وندد الفرنسيون بترشيحه للرئاسة واعتبروه داعية للحرب بينما لم يكن أي شخص في المانيا يحب السلام بنفس الدرجة التي يحبه بها ذلك الشيخ العسكري لأنه كان يدرك الاخطار المترتبة على الحروب اكثر من غيره. وكثيرا ما تحدثت معه فيما بعد بهذا الموضوع. ويمكنني الجزم ـ بناء على ما لمسته من الرجل ـ بأنه عندما مارس رئاسة الدولة الالمانية لم يكن رئيسا (عسكريا) كما انه لم يكن أبان حياته العسكرية (قائدا سياسيا).

وبغياب رمز الدولة المتمثل بالعرش وانهيار التقاليد المرتبطة به فانني لم اتعرض للحيرة ابدا في ايلاء الولاء للدولة التي تربع فون هندنبورغ على قمتها ولو للحظة واحدة.

ولكي نضمن انتخاب فون هندنبورغ فقد حرصنا على كسب اصوات احزاب الوسط. وقد توليت انا هذه المهمة بالنسبة لحزبنا ـ حزب الوسط ـ على الرغم من اضطراري على مناقضة السياسة العامة لحزبي لأنني اقدمت على الدعوة لترشيح رئيس لا يمثل اي اتجاه حزبي. وفي ١٥ نيسان ١٩٢٥ دعيت لحضور اعلان نتائج الجولة الثانية من انتخابات الرئاسة. وكانت مهمتي الاولى التصدي لمرشح حكومة ڤايمار الدكتور ماركس الدي فقد انصاره نتيجة للحملة المناهضة لترشيحه. وعلى الرغم من صفة الدكتور

---

(١٩) كان فون هندنبورغ قد استدعي من التقاعد ليقود الجيوش الالمانية ونسب الفريق فون لودندورف رئيسا لاركانه فحقق الانتصار الساحق على الروس في معركة تاننبرغ ثم تحول لقيادة الجبهة الغربية واقام مقره في فرنسا وكانت قواته عند عقد الهدنة منتشرة في فرنسا وبلجيكا فأعادها الى المانيا بعد ان وضعت الحرب اوزارها .

ـ المترجم ـ

ماركس الاشتراكية فان حزبنا ـــ المحسوب من الاحزاب الاشتراكية ـــ وقف بأصواته التي تعد بضعة ملايين الى جانب المرشح الآخر الذي يعتبر من خصوم الاشتراكية . ولما سئلنا عن دواعي هذا التنــاقض أجبنا بأننا نريد رئيسا يخدم شعبنا ودولتنـــا دون تمييز بسبب العقيدة ويرعى الجميع على قدم المساواة.

وأخيرا تمخضت الانتخابات النهائيــة عن فوز المشير فون هندنبورغ برئاسة الجمهورية في عام ١٩٢٥ بعد مشاكسات ومعارضة لم تخل من العنف. ولما حان موعد الانتخاب الثاني بعــد سبع سنوات اجمعت الاحزاب على تجديد ولايته دون الحاجة لتزكيته او اطرائه.

تلقيت من الرئيس فون هندنبورغ رسالة شكر تحريرية عن الجهود التي بذلتها لاسناده في المعركة الانتخابية وكانت رائعة لدرجة تستحق معها التأطير بأطار من ذهب.

ادى نشاطي في معركــة الرئاسة الى ضعف مركزي في حزب الوسط بطبيعة الحال. فقــد اعتبرني رفاقي (منشقا) عليهم ثم انهم لم يتورعوا عن اتهامي بالتحول نحو اليسار عندما علموا بتكليفي ـــ بصورة غير متوقعة ـــ بتشكيل الوزارة في عام ١٩٣٢ ولكنني كنت خلال تلك الفترة قد لجأت الى استخدام امكانات اخرى لكي اتمكن من متــابعة الخط السيــاسي الذي اخترته خارج نطاق حزب الوسط. فعندما بات من الضروري اختيار زعيم جديد للحزب في عام ١٩٣٠ بذلت جهودي من اجل انتخاب الدكتور كاس لفضله الذي لا يجارى ولاعتماده تقاليد المحافظين وعملت في الوقت نفسه على احباط الجهود المبذولة لترشيح غريمه الدكتور شتيغر ڤالد.

تقرر في هذه الفترة ايضا اعادة انتخاب زعماء البرلمان الالماني. وقــد نجحت في انتخاب ممثل الكتلة المسيحية الدكتور بريونينغ الذي حاز بذكائه المفرط وحسن شمائله اصوات الاغلبية فتم اختياره مستشارا لالمانيا.

شهدت المانيا في عام ١٩٣٠ ازمة اقتصادية اخرى امتدادا لها من اقطار

العالم الاخرى فأنهارت المصارف واغلقت اسواق التجارة الخارجية وأدى كساد البضائع الالمانية الى مضاعفة اعداد العمال العاطلين . واصبح ملايين الرجال بلا عمل ولا مجال لهم لايجاد عمل يمتاشون منه. وهكذا قامت بوجه الحكومة مشكلة جدية تهددها بالاستقالة بينما ضاعفت الاحزاب المتطرفة نشاطاتها المناوئة للحكومة . وقد حاولت من موقعي المتواضع اسناد موقف الدكتور بريونينغ جهد استطاعتي في مهمته العسيرة هذه وقد لقيت المحاضرة التي القيتها في ديولمن بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٩٣١ صدى استحسان من الجميع.

وانني لا أفهم لماذا لم تقم ( المعارضة الوطنية ) آنذاك بمساعدة الحكومة في التغلب على ازمة البطالة التي كانت محدقة بالملايين من ابناء الشعب واداء دورها التأريخي وراء المستشار بريونينغ. وأنا لا اشك قيد انملة بكفاية قادة الاحزاب او بوطنيتهم ولكنني اعتقد ان السبب الوحيد يكمن في شك احزاب المعارضة في سياسة المستشار الشديد الولاء للاحزاب الاشتراكية المؤتلفة مع حزبه. وعليه فقد اقترحت آنذاك على المستشار بريونينغ العمل على ازالة هذه التصورات باعادة تشكيل حكومته من اعضاء مستقلين . ومع تنامي الازمة الاقتصادية في تلك الفترة يجب علينا اتخاذ قرار بتجنب اللجوء لتطبيق النظريات الاشتراكية الشاملة واللجوء لاتخاذ اجراءات مستقلة تتسم بتحمل المسؤولية وتعتمد القواعد القانونية والمباديء الاخلاقية للدين المسيحي. وقلت ان المستشار اذا ما اتبع هذه السياسة فسيحقق الانتصار في المجالين الداخلي والخارجي.

ولقد دأبت على اسناد المستشار بريونينغ حتى انتهاء عهد رئاسته للحكومة وفعلت كل ما بوسعي لمعاونته في ضمان تعاون احزاب اليمين معه. واستمرت فترة عضويتي في البرلمان حتى عام ١٩٣٢ عندما تقرر اجراء انتخابات جديدة لبرلمان بروسيا في ٢٤ نيسان١٩٣٢ وفي تلك الفترة تمت اعادة انتخاب فون هندنبورغ لرئاسة الجمهورية لسبع سنواتاخرى[٢٠] كما ان أحزاباليمينوخصوصا الحزبالنازيحازتزيادةملحوظة في المقاعد البرلمانية.

(٢٠) توفي فون هندنبورغ في عام ١٩٣٤ . — المترجم —

وهكذا خشيت احزاب الوسط والاحزاب الاشتراكيــة من فقدانهــا لاغلبيتها في بروسيــاء ولكي تبقى تلك الاحــزاب بمواقعهــا في حكومة براون ـ سيفرنغ فقد لجأت الى خدعة عندما قررت تغيير نسبة النصــاب المطلوب في مجالس الولايات وجعلت انتخــاب رؤساء وزراء الولايات يتم خلال الاقتراع الاول. اما الاقتراع الثاني فيكــون مقتصرا على الاغلبيــة النسبية فقط عندما يتعذر تحقيق الاغلبية المطلقة . بينما المبدأ المتبع في جميع برلمانات العالم هو ان الاقتراع الثاني يجب ان يتمخض عن الاكتفاء بأغلبية نسبية في حالة عدم حصول اغلبية مطلقــة. والآن قــررت احزاب الوسط والاحزاب الاشتراكية بالتعاون مع الشيوعيين كسب اغلبية مطلقة في الاقتراع الثــاني للبرلمان لكي يجعلوا انتخــاب أي رئيس وزراء من غير احزابهــم متعذرا . وهكذا خسرت الاحزاب الاخرى في الانتخابات الجديدة لبرلمانات الولاياتْ مائة مقعد حصلت عليها الاحزاب المؤتلفة المذكورة التي افلحت في منع انتخاب أي رئيس وزراء من غير احزابها حتى ٢٠ تموز ١٩٣٢ ثم مضت الاحزاب المؤتلفة المذكورة في لعبتها ضد حكومة ڤايمار الى مدى أبعد.

وكان هذا الاحتيال غير الديموقراطي فعلة منافية لروح الحياة البرلمانية بكل ما لهذه العبارة من معنى لأنه يمكن ان يؤدي الى توسيع الهوة بين احزاب اليمين ومستشار الحكومة المركزيــة . وكانت تنبيهاتي لهذا الخلل صيحة في واد . واخيرا وجدت نفسي صاحب الصوت الوحيد الذي يستنكر هذا الاجراء.

وعندما تمت انتخابات ٢٤ نيسان ١٩٣٢ خسرت مقعدي في البرلمان. وعندئذ وجب على هجر ولاية ويستفاليا لكي اسهل على زوجتي ممــارسة نشاطها الاقتصادي في اقليم السار. وهكذا اختتمت احــد عشر عــاما من النشاط البرلماني في برلمان بروسيا ناضلت فيها بحماس معترضا بشكل سافر ضد السياسة التي اسفت على تبنيها وضد السياسة التي قاومتهــا منذ عام ١٩٢٣ .

# الفصل التاسع

# ألمانيا في حالة انهيار

**اصبحت صاحب جريدة . نادي السادة . الجيش . فون هندنبورغ وفون زيكت وفون شلايخر . مصالح زراعية . نونتيوس باتشيلي ومصالح الكاثوليك الالمان . العلاقات الالمانيـــة الفرنسية . الدفاع ضد الانهيار المعنوي وضد التهديد البلشفي.**

في خضم الاضطرابات التي اصابت المانيا نتيجة لتضخم سنة ١٩٢٣ ظهرت صحيفة معتدلة تدعى (جرمانيا) ولما عرضت للبيع قررت شرائها لجعل مواردها مصدرا للرزق. وكانت اسباب الخلاف بيني وبين حزب الوسط تكمن في حقيقة ممارستي لتأثير شديد على العناصر الرئيسة في قيادته . وقد ادت الحرب والتضخم الى تحديد مصادرنا المالية الى حد كبير. اما الاعتماد في العيش على المورد المحتمل من صحيفة فيعتبر قرارا صعبا لعدم ضمـــان حصول المرء على ما يقيم اوده. ولما كنت قد انهمكت بالكتابات السياسية آنذاك فقد اردت توسيع نطاق كتاباتي لطرح آرائي وافكاري في مختلف المجالات.

كانت الصحيفة التي تم تأسيسها ببرلين في عام ١٨٧٠ تقتصر فعالياتها على الطبع والتوزيع ولم تكن لها أية نشاطات اخرى في مجال الطباعة. وكانت اهمية الصحيفة تكمن في كونها الصحيفة الوحيدة الناطقة بلسان حزب الوسط. وكانت اخبار الحصول على ربح للصحيفة وهو ربح قد تصل نسبته الى ٤٧٪ من رأس المال تسري بيننا بشيء من الهم لأن الربح لم يكن مضمونا قط.

اخبرت العاملين في الصحيفة حال ملكيتي لها برغبتي في تغيير نهجها بشكل ما. وان هدفي هو ممارسة النقد وفتح مجال المناقشات حتى ولو كانت موجهة ضد الخط العام لسياسة الحزب سيرا على النهج الديموقراطي للصحيفة .

اتفقت مع الدكتور فلوريان كليوكنر الذي يشترك معي في اصدار الجريدة على ان اتولى انا رئاسة مجلس ادارتها. وجعلته رئيسا للتحرير يعاونه الكاردينال ــ فيما بعد ــ غراف غالن الذي كان ممثلا لاسقف برلين وممثل آخر للاتحاد المسيحي.

وعندما اعود بذاكرتي الآن للاعوام الثمانية التي قضيتها في هذا المجال فلابد لي من الاعتراف بأن تلك الفترة كانت حافلة بالمجهود المتواصل الى درجة الارهاق لأنني وجب علي التدخل في ادق التفاصيل المتعلقة بكل خطوة من اجل تحقيق ما اعتقد بصوابه ومن اجل فرض تأثيري التام على الصحيفة. وقد تصدى لي مجلس الادارة ورئيس التحرير في اول الامر بكل شدة ثم بكل لطف ولكن بالحاح متواصل لم يثمر عن اية نتيجة.

وكانت وجهة نظرهم تتلخص بكونهم المسؤولين المباشرين عن الخط السياسي للصحيفة. وعليه فانهم يرفضون مناقشة أية افكار تتناقض مع هذا النهج . وهكذا لم أجد مناصا من الانفصال عنهم .

واصلت الصحيفة في السنين التالية تمثيل السياسة الرسمية لحزب الوسط . ولم يكن لي مع قيادة الحزب أي شأن بالنهج العام للحزب. واذا

عنت لي بعض الآراء او الاجراءات السياسية فانني كنت اعرضها على اعضاء الجناح المحافظ من الحزب بصفة شخصية ويتم نشرها في منبر الآراء الحرة للصحيفة.

اصبح النشر يتم وفق اسس حديثة وصار الطبع بأحدث المكائن ولكنني اصبحت أُنعت في اوساط الصحافة (بالمستبد) تنديدا بطريقتي في ادارة الصحيفة . واعتقد ان هذا النعت مجانبا للانصاف. وعندما اصبحت مستشارا اخبرت رئيس مجلس ادارتها وهيئة التحرير بأن الصحيفة حرة في توجيه أي نقد لي وللحكومة حسبما يرونه صوابا وذلك رغبة مني في استمرارها على نهجها الحر.

واخيرا فانني لا اود اغفال اهمية التجارب الفنية التي حصلت عليها بحكم اشتغالي بالصحافة فقد كسبت بحكم عملي الصحفي عددا كبيرا من الاصدقاء في المانيا وفي الاقطار الاجنبية. وانني لشديد الفخر بالجهود المضنية التي قام بها العاملون معي لدرجة تستحق كل احترام. لأنهم اتسموا بالشعور بالمسؤولية والفضول في متابعة الاحداث في شتى اصقاع العالم. ولا يمكنني الانكار بأن هذه التجارب اكسبتني مهارة في ممارسة مهمتي عندما اصبحت مستشارا لالمانيا وعندما صرت سفيرا لبلادي فأستفدت من تجربتي الصحفية القيمة الى ابعد الحدود.

استمرت صحيفة جرمانيا على الصدور لمدة طويلة في عهد هتلر مع محافظتها على نهجها المستقل المتوجه وفق مفاهيم الكنيسة الكاثوليكية حتى بعد حل جميع الاحزاب ولم يجيء دورها للتحول الى صحيفة نازية الا في اواخر عام ١٩٣٨ وفقا لتوجيهات الدكتور غوبلز[١] وفي ٣١ كانون الاول ١٩٣٨ كتبت مقالا وداعيا في الصحيفة التي احببتها جاء فيه:

---

(١) كان الدكتور يوسف غوبلز وزير دعاية المانيا خلال فترة حكم هتلر كما انه عمدة مدينة برلين بالوقت نفسه وقد تميز بالحماس الى حد التطرف ولما خسرت المانيا الحرب انتحر معاسرته المؤلفة منه ومن زوجته واطفاله الستة.
ـ المترجم ـ

« كنا قد جعلنا من صحيفة جرمانيا بعد وصول الحزب الوطني الاشتراكي[٢] للحكم وقيام حزب الوسط الالماني بحل نفسه وسيلة لخدمة التوافق بين المفاهيم المسيحية والعهد الجديد . اعتقادا منا بأنها يمكن ان تساهم في هذه المرحلة الدقيقة التي تتطلع بهـا المانيا نحو المستقبل المشرق مستفيدة من جميع الطاقات بما في ذلك الطاقة الروحية المتنامية التي تسير جنبا الى جنب مع ازدهار الاشتراكية ولابد ان تؤدي بفضل الغيرة الوطنية الى تحقيق نتائج ايجابية في ايضاح افكارنا للعالم . ولا نزال ننهض بهذا العمل حتى في الحال الحاضر..»

وعندما قرأ الدكتور غوبلز هذه الكلمة الوداعية رد عليها بغضب عارم لأنه لم يتقبل تجاسر أحد على وصف المفاهيم المسيحية بأنها تنطوي على جانب ايجابي يتوافق مع مباديء الوطنية الاشتراكية. لكن هتلر طلب منه التغاضي عما كتبت. ولربما كان لديه ما يبرر لادخار طاقة غوبلز وتكريسها لمهاجمة اليهودية العالمية وشيكاء.

كانت ملكية صحيفة والمساهمة في اصدارها بالنسبة لسياسي محافظ شاب مثلي مدعاة لتأمل الافكار اليسارية وهكذا وجب علي الانتماء الى (نادي السادة) ولكن ما الذي يعنيه (نادي السادة) هذا؟

توجد في اغلب بلدان العالم نواد سياسية ولم تتجاوز فعالياتها التثقيف والترفيه ولكن لم يحدث ما حدث في المانيا عندما سخرت تلك النوادي لاغراض اخرى وجعلت «اعشاشا للدس والتضليل» ولم يشهد التأريخ الالماني مهازل كالروايات الخرافية التي رويت في ذلك العهد واعتبرت في نوادي السادة حقائق ثابتة.

وعندما تأسس «نادي السادة» في عام ١٩٢٣ حاول رئيسنا المباشر آنذاك غراف آلفنس ليبن تحديد المقصود من كلمة (السادة) وقال ان عبارة (سيد)

---

(٢) ان الاسم الرسمي للحزب النازي هو ( الحزب الوطني الاشتراكي ) وماعبارة ( النـازي ) الا مختصـر لفظي لعبـارة (National sozialismus) التي تعني ( الوطنية الاشتراكية ) . — المترجم —

تطلق في بلادنا على الرجل متبوعة بأسمه او بما يملكه او بمنصبه واطلاق هذه التسمية ينطوي على العموميات والتضليل لأنه لا يحدد صفة اولئك السادة ولا اسمائهم.

كان الغرض من تأسيس ذلك النادي جمع الرجال السياسيين من مختلف الاتجاهات بقصد ايجاد جو ودي يجمعهم لمناقشة مختلف القضايا التي تهمهم. ويتمتع كل فرد بكامل الحرية للاعراب عن وجهة نظره وانطباعاته. فكان بمقدور المرء مقابلة الكثير من المثقفين من مختلف الاختصاصات كالعلماء والفنانين والصناعيين واصحاب الاملاك والموظفين واعضاء من جميع الاحزاب. وكانت تطرح مختلف القضايا السياسية للمناقشة فيبحثها الاشتراكيون والاحرار والمحافظون وكثيرا ما كان اعضاء الاحزاب يقتنعون بوجهة نظر احد اعضاء النادي من حزب آخر.

وكثيرا ما كنت اطلب الكلام لاعرب عن وجهة نظري وخصوصا عندما يكون الموضوع متعلقا بالقضية التي تكمن في اعماق قلبي وأعني بها قضية التفاهم الالماني ــ الفرنسي. وقد دعيت للوليمة السنوية التي تقام مرة في كل سنة بالنادي شخصيات قيادية من جميع الاتجاهات وقد استغللت هذا المنبر في كانون الاول ١٩٣٢ متمنيا لحكومة شلايخر بداية جيدة.

وليس لادعاء بعض اليساريين بأن (نادي السادة) كان اداة بيد المستشار في عهد بريونينغ وفي عهدي أي نصيب من الصحة. فأنا لم اكتب اية مقالة في صحيفة النادي (دير رنغ) كما ان الادعاء بأن النادي كان خاضعا لتوجيهات الرئيس فون هندنبورغ يعتبر اتهاما مضحكا ويفضح العقلية الضحلة التي تطلق أمثال هذه المزاعم جزافا.

ويمكنني التأكيد بأن استخدام النازيين (لنادي السادة) استخداما سياسيا بعيدا عن الغرض الذي انشيء من اجله جعله مشابها للنوادي الشيوعية امثال «منزل العصبة الفنية لتجديد الديموقراطية في المانيا» وهذه النوادي لا يمكن مقارنتها بالنوادي الانكليزية المجردة من الاستخدام لاغراض

أخرى مما حدى بالحكومة العسكرية الانكليزية في القطاع الانكليزي من المانيا اصدار قرارها المرقم ٣١ بتاريخ ٣٠ مايس ١٩٤٦ الذي يلغي « نادي السادة» ويعتبره منظمة مشبوهة مما ادى الى اغلاقه بالمرة.

وكثيرا ما سألني اناس لم يشهدوا الملابسات السياسية التي عشناها ابان عقد العشرينات عن كيفية تسنمي لارفع منصب في الحكومة الالمانية بينما لم اكن على وفاق تام مع الحزب الذي كنت انتمي اليه ولم اتسنم فيالحكومة أي منصب آخر بعد الحرب.

انقسمت التيارات السياسية خلال عقد العشرينات الى قطبين متنافرين هما جماعة جمهورية ڤايمار ومعهم الاشتراكيون الذين يمارسون القيادة المطلقة وكانوا يرفضون كل ما يذكرهم بالعهد الامبراطوري البائد في المانيا وقد انضوى تحت لوائهم مليونا الماني من مختلف الاتجاهات السياسيةوكان من رأي هؤلاء ان على المانيا ان تنفذ جميع طلبات المنتصرين. وان اية مقاومة ستؤدي الى انهيار آخر يحرم المانيا من نظام الحكم الجديد ويهدد المانيا بخطر يعصف بها ويقوض نظامها تماما. اما القطب الآخر فكان يجمع اليمينيين الذين اعتقدوا خلاف ذلك بأن مستقبل المانيا وشرف شعبها يتطلب تمسكا اشد بالتقاليد والتصدي لطلبات الدول الاجنبية وتحقيق تضامن اوطد بين ابناء الشعب الالماني وكان هناك عامل نفسي مؤثر لصالح اصحاب هذا الرأي هو الاهانة التي تشعر بها الامة الالمانية نتيجة للاجحاف الذي اصابها لأنها وجدت نفسها مجبرة على تحمل اوزار الحرب لوحدها بعد الاندحار الذي تعرضت له.

بذلت همتي في هذه الفترة لتحويل حزب الوسط من المجموعة الاشتراكية وتوجيهه للتعاون مع الاحزاب اليمينية وقد حصلت على تأييد عدد من الاصدقاء الذين شجعوني في هذا المسعى. وقد تقدمت بانتقادات لنظامنا البرلماني مشيرا الى نقاط الضعف التي ينبغي تلافيها الا انني تلقيت نقدا شديدا من تآلف احزاب حكومة ڤايمار. بينما حظيت بالتقدير من اوساط الاصلاح البرلماني.

حصلت على تقدير خاص للخط السيــاسي الذي اتهجته من رفاقي القدماء في القوات المسلحة الذين وصلوا في تلك الفترة الى مواقع قيادية مرموقة في الجيش الالماني لأنهم كانوا مجبرين بحكم التقاليــد والتثقيف العسكري على الابتعاد تماما عن ممارسة السياسة بحيث يكون الجيش اداة غير سياسية . ولكن ينبغي الا ننسى بأن العسكريين الالمان انهمكوا خلال عقد العشرينات في خوض قتالات حاسمة ضد الجماعات المتطرفة سياسياء ولما حل السياسيون الحزبيون بمحل صاحب العرش على رأس الدولة لم يعد من المنطق ابقاء الاداة العسكرية بمنأى عن النشاط السياسي.

ادى انتخاب فون هندنبورغ لرئاسة الجمهوريــة الى توازن الموقف الداخلي في المانيا. وسرعان ما عاد الموقف الى حالته الطبيعية خلال الفترةبين عامي ١٩٢٥ و١٩٣٠ وعلى الرغم من الازمات الاقتصادية التي احاقت بالبلاد في عام ١٩٣٠ فان الجيش الالماني بقى بمنأى عن التدخل بأمور الدولة ولم يصدر عنه أي تكدير للامن الا ان شخصية الفريق فون شلايخر كانت ذات طبيعة ميالة للتدخل وفرض التأثير على رئيس الجمهورية . وقد بقى الجيش الالماني يراقب عن كثب التوتر المتزايــد بين الاحزاب اليمينية وخصوصا الحزب النازي وبين الحكومة بقلق شديد. وقد حاول فون شلايخر في هذا الموقف بالذات التحري عن رجل على علاقة وطيدة مع احزاب الوسط ويحظى بتعاطف احزاب اليمين وان يكون ذا صفة محافظة ولكنه متحالف مع احزاب الوسط لأنها كانت الخصم اللدود لحكومة ڤايمار.

وقد يبدو الامر مبسطا للغاية ولكن الحقيقة جديرة بأن تذكر. فاللواء فون شلايخر هو صاحب فكرة تكليفي بتشكيل الوزارة. ويبدو انه عزز رأيه هذا بالزعم بأنه يمثل رأي الجيش بدرجة قلت ام كثرت. ويجب علينا ان نلقي نظرة على الشخصيات الثلاث المتنفذة والتي يمكنها اتخاذ قرارات حاسمة بالنسبة للجيش آنذاك وهؤلاء الثلاثــة هم فون هندنبورغ وفون زيكت وفون شلايخر.

لم اكن على معرفة شخصية بالمشير فون هندنبورغ قبل نشوب الحرب

العالمية الاولى . لكنني بطبيعة الحال كانت لي علاقات جيدة مع مختلف الشخصيات القيادية في الجيش الالماني بحكم كوني ضابط ركن في المقرالعام وبخاصة مع الفريق فون لودندورف. وقد سبق ان ذكرت آنفا بأنني عندما كنت اتعرض الى موقف حرج كنت الجأ الى المقر العام طلبا للمساعدة. وعندما فشل تعرض الربيع الذي قمنا به في جبهة فلسطين عام ١٩١٨ راجعت المقر العام في شهر آب من تلك السنة لتوضيح دقائق موقف تشكيلي على الجبهة المذكورة حيث اتيحت لي فرصة مقابلة المشير فون هندنبورغ ايضا. ولا ازال اتذكر سيماء المشير الوقور المتميز برباطة الجأش رغم تدهورموقفنا العسكري على تلك الجبهة. وقد حدث ان قابلته مرة اخرى في كولبيرغ عندما انتهت الحرب وتعرضت للموقف الدقيق مع القائد ليمان فون ساندرس فازداد اعجابي بشخصيته وتفانيه في خدمة الشعب الالماني في تلك الفترة السوداء من تأريخ المانيا. وفي عام ١٩٢٥ القيت بثقلي المتواضع في الميزان السياسي من اجل انتخاب المشير فون هندنبورغ لرئاسة الجمهورية الالمانية . ولم اكن بتماس مع المشير خلال الفترة الممتدة الى عام ١٩٣٢ ما عدا المناسبات الرسمية التي اذكر منها حفلات الاستقبال الشتوية التي كنت ادعى اليها بصورة رسمية وكانت لقاءاتي مع ذلك القائد مفعمة بالذكريات التي لا تنسى.

كان فون هندنبورغ يتمتع بذاكرة عجيبة. فهو يتذكر تفاصيل الحديث في أية مقابلة ويحفظ الكثير من تفاصيل التأريخ البروسي. ولم يكن من العسير ان اشعر بتأييد مختلف الاحزاب لترشيحي واجماع زعماء الكتل البرلمانية على الاعتراف بسياستي الوطنية . وعندما طرح اسمي الفريق فون شلايخر على الرئيس لم اكن بالنسبة له شخصا غريبا. وعندما الفت معايشة الرئيس في كل يوم تقريبا خلال فترة عملي بمنصب المستشار كنت اصحبه في التمشي بالحديقة القريبة من مكتبه واتلقى توجيهاته كنت اشعر بدفء مشاعره الودية نحو كل الناس لأنه يتميز بعاطفة تنطوي على السماح والمحبة حتى عندما كان يتحدث عن خصومه.

وعندما حدث ان زرته في منزله الريفي بمزرعة نوي‌دك[٣] تأبط ذراعي وقادني الى ايوان صغير وكانت صورة الفريق فون لودندورف[٤] معلقة على الجدار . وكان الجدل محتدما في تلك الفترة بين طائفة تظن ان النصر الذي حققه الجيش الالماني على روسيا يعود الفضل فيه لقيادة المشير فون هندنبورغ بينما تظن طائفة اخرى بأن فضل الانتصار يرجع لحنكة رئيس اركانه اللامع الفريق فون لودندورف. فتطلع الرئيس نحو صورة رئيس اركانه وقال:

« يؤسفني كثيرا ان صداقتنا اصابها شيء من الفتور . فأنا اقدر الرجل حق قدره دوما ». وعندما تحدثنا بشأن معركة تانبرغ لخص الرئيس وجهة نظره بشأن الواقعة المذكورة قائلا:

« لقد نسب فون لودندورف ذلك الانتصار لنفسه. ولكن لو ان المناورة التي قام بها الجيش جانبها الحظ وأدت الى اندحارنا في المعركة فان وزر الاندحار كان سيقع على كاهلي وحدي. وانا اعلم هذه الحقيقة حق المعرفة لأنني سبق أن خدمت معلما للتعبية في الاكاديمية الحربية طوال ست سنوات».

---

(٣) تقع مزرعة نوي دك في بروسيا الشرقية .

(٤) الفريق اريش فون لودندورف ضابط ركن الماني لامع كان رئيسا لاركان الجيش الثامن الالماني ابان الحرب العالمية الاولى وقد تمكن هذا الجيش من تحقيق انتصارين مؤزرين على الروس في آب وايلول ١٩١٤ بمعركة ( تانبرغ ) التي قضى فيها على الجيشين الروسيين الاول والثاني بالتعاقب فاستقر الموقف على الجبهة الشرقية . وفي نهاية آب ١٩١٦ اعفى الامبراطور غليوم الثاني رئيس هيئة الاركان العامة الفريق فون فالكنهاين من منصبه وعين بدله المشير فون هندنبورغ الذي اختار الفريق فون لودندورف معاونا له فعملا سوية منذ ذلك التأريخ حتى نهاية الحرب حيث ذهب فون لودندورف الى السويد وكتب مذكراته ثم عاد الى المانيا في عام ١٩١٩ فساهم في حركة دينية ثم تحول للتعاون مع هتلر في محاولة الثورة الفاشلة التي تمت بميونيخ في ٨ تشرين الثاني عام ١٩٢٣ ولم ينقذه من عقوبة الاعدام سوى ماضيه العسكري المشرف . وفي عام ١٩٢٤ اصبح عضوا في البرلمان عن الحزب النازي ثم اعتكف في مقاطعة توتزنك حتى وفاته في ٢٠ كانون الاول ١٩٣٧ . —المترجم—

ولعل الميزة الاكثر وضوحا في سجايا المشير المبجل هي حرصه على المبادرة لتحمل المسؤولية • ثم ان هالة الوقار التي يراها رجال الجيش الالماني محيطة بشخصيته كانت كفيلة بحلوله محل شخصية الملك والنأي بالجيش عن دوامة الفوضى السياسية التي كانت تعيشها المانيا بسبب حرصه على منع الاحزاب من تشتيت قوة الجيش بتوزيع رجاله الى مجموعات متناحرة•

خدم الجيش الالماني في تلك الفترة الى جانب المشير فون هندنبورغ قائد الجيش البارز الفريق فون زيكت•

كان الفريق فون زيكت من رجال المدرسـة القديمة ولم يتأثر بالآراء الحرة التي ظهرت في الاقطار الاجنبية الا بمقدار ضئيل• وانما سـار على خطى اسلافه العظام امثـال فون مولتكه وفون شليفن• وكان ان طبق في ممارسته لقيادة الجيش الالماني معظم الآراء التي نادى بها هذان القائدان•

وهو يتميز بالوضوح والتفهم التام لمعضلات العمل العسكري وطبيعة القضايا التي ينتظر مصادفتها في ظروف الحرب• كما انه متمكن من مهنته لدرجة المهارة في ايجاد الحلول المناسبة لمختلف المشكلات السوقية والتعبوية ومستوعب لمتطلبات ادارة الحرب الحديثة• وكانت شخصيته من الشخصيات البنائة المتميزة التي برعت في القيام بفعاليات رائعة خلال العقد الاول من عمر الجمهورية الالمانية • ولعل السر في بقائه بمنصبه المهم في تلك الفترة الحرجة يكمن في صعوبة ايجاد من يفضله في اداء مهمته العسيرة وهي بناء الجيش الالماني الذي فرضت معاهدة فرساي تقييده بقيود كثيرة(٥)•

وكنت قد التقيت بالفريق فون زيكت في وقت مبكر من حياتي العسكرية عندما خدمت في كتيبة ديوسلدورف برتبة ملازم حيث كان بمنصب آمرسرية

---

(٥) تضمنت معاهدة فرساي تحديد حمولة الاسطول الحربي المسموح لالمانيا الاحتفاظ به ومنعها من الاحتفاظ بأية قوة جوية ومن وجود هيئة اركان وتحديد قواتها البرية بمائة الف رجل منهم اربعة آلاف ضابط ومنعها من الانتاج الحربي • لكنها بدأت بالتجاوز على هذه القيود والالتفاف عليها قبل نقضها من قبل هتلر بصورة علنية بمدة طويلة •

ـ المترجم ـ

في اللواء ٣٩ • وفي عام ١٩١٨ وصل فون زيكت الى منصب رئيس اركان في تركيا وقد وضع خططه في صيف ١٩١٨ لاحتلال القفقاس والاستيلاء على باكو والاندفاع منها لاستعادة بغداد• وقد بدت لي هذه الخطة مغرقة في الخيال• وواضح انه لم يكن قد استوعب تماما مدى تأثير الاراضي الآسيوية على الحركات مع عدم توفر القطعات الكافية لتنفيذ تلك الخطط•

حافظنا انا والفريق فون زيكت على علاقاتنا الودية واتصالاتناالمستمرة طوال فترة اشتغالي في المجال السياسي بعد الحرب• ولما اصبح الجيش الالماني السلطة الوحيدة لحفظ النظام في فترة الفوضى السياسية التيشهدتها المانيا صار فون زيكت من اقوى شخصيات البلاد بحكم مركزه القيادي•

وقد حدث ان ناقشنا أنا ومجموعة من ضباط هيئة الاركان العامة الذين كانوا يعملون في المقر العام الخط السياسي الذي يسير به فون زيكت وركزنا على علاقاته مع روسيا أيضا• فتبين لنا انه لم يساهم قط في اتفاقية راپاليو (واذكر من المشتركين في تلك المناقشة فون شلايخر وفون هامرشتاين اكوورد وبوشه وهاربو وغيرهم) وقد احيط فون زيكت علما بالاتفاقية المذكورة بعد توقيعها • الا انه كانت له علاقة حميمة مع روسيا بحكم اقتدائه بسياسة فون بسمارك• لأنه وجد في روسيا الملاذ الوحيد للاستعاضة عن الاسلحة الرديئة المجهز بها جيشه المقيد بمعاهدة فرساي بأسلحة حديثةولكي لا يبقى الجيش الالماني محروما من القوة الحقيقية الكفيلة بتهيئة اسباب النصر • وقد افصح لي الرجل عن رأيه هذا بصراحة تامة وأعرب عن تأييده لاتفاقية راپاليو السرية التي ابرمها المستشار ڤيرت الذي كان وزيرا للمالية بالوقت نفسه وبذل الاموال اللازمة لتغطية نفقات التسلح السري بسخاء متحملا كامل المسؤولية في سبيل الوطن •

ولقد قيل الكثير عن العلاقات السرية التي نشأت بين فون زيكت واصحاب المراكز القيادية في الدولة السوڤيتية • فهو بصفته القائد العام لجيش محرم عليه اقتناء أية اسلحة حديثة لابد أن يحاول بطبيعة الحال ادامة الاتصال بواسطة عدد من الضباط الاكفاء مع مصادر التطوير التقني ومتابعة التحسينات

والابتكارات والمخترعات المتعلقة بالتسليح اينما وجدت ٠ وقد جاءت المفاتحة الاولى من روسيا برسالة كتبها القائد العثماني السابق انور باشا عندما كان مقيما في موسكو بتاريخ ٢٦ آب ١٩٢٠ الى الفريق فون زيكت يخبره برغبة تروتسكي باستقدام بعض المدربين الالمان للجيش الروسي ٠ وفي أيلول ١٩٢١ تم الاتفاق بمسكن الفريق فون شلايخر على انشاء صناعة عسكرية روسية بمعاونة المانيا لقاء شروط معينة ٠

الا ان الروس رغبوا باجراء محادثات شخصية مع الفريق فون زيكت وقد أجرى السفير الروسي ببرلين محادثات عديدة معه٠الا ان أغلب المحادثات التفصيلية قام بها معاونو فون زيكت وهم هاسه ونيدرماير وتومسون ٠ وتقرر ارسال مجموعة صغيرة من الضباط الالمان الى روسيا لكي تقوم بتأسيس معامل صناعة الطائرات والدبابات والمدفعية الحديثة٠ وقد وافق المستشار ڤيرت على عقد اتفاقية سرية للتعاون العسكري يكون غطائها العلني ممثل بشركة وهمية تدعى «شركة التطوير الصناعي المشتركة» كما وافق على منح روسيا قرضا ماليا سريا لهذا الغرض وقد قامت هذه الشركة بتأسيس ميادين رمي عديدة داخل الاراضي الروسية كما قامت شركة (يونكرز) بتأسيس معمل لصنع الطائرات قرب مدينة موسكو٠

استندت اتفاقية راپاليو على المادة ١١٦ من معاهدة ڤرساي حيث منحت تلك المادة الاتحاد السوفيتي حق استئناف العلاقات الاعتيادية مع المانيا وحق التعاون معها على قدم المساواة مع دول الحلفاء الاخرى٠ وفي أواخر عام ١٩٢٢ اخبرنا السفير السوفيتي ببرلين راديك بأن فرنسا طلبت من الاتحاد السوفيتي استغلال هذا الحق وممارسة الضغط على المانيا٠ ثم ان فرنسا تجاوزت تلك المساعي الى محاولة ارباك العلاقات الالمانية ــ البولندية ٠

في ايلول ١٩٢٥ قام تشيتشيرين بزيارة فون زيكت فأشارت الصحف الالمانية لتلك الزيارة خصوصا عندما استقال الفريق فون زيكت بعد الزيارة المذكورة بأيام قلائل ٠ ثم تحدث زعيم الحزب الاشتراكي الديموقراطي شايدهمان في البرلمان باسهاب عن «الاتصالات السرية» التي يجريها الجيش

الالماني مع موسكو لكن احدا لم يأبه لأقواله ولم تؤخذ على محمل الجد.

تحمل الجيش الالماني لوما شديدا عندما قام الفرنسيون باحتلال منطقة الروهر ولجأ بعض اعضاء البرلمان من المحاربين القدماء الىاستدعاءمنظوماتهم العسكرية المقاتلة امثال «الفيلق الحر» و «الخوذة الفولاذية» و«حماة المانيا» بقصد التصدي للفرنسيين وطردهم من الاقليم الالماني المحتل. ومع ان استدعاء الاحتياط كان مخالفا لمعاهدة فرساي الا ان الالمان لابد ان يدافعوا عن اوطانهم مهما كان الثمن (لم تكن بريطانيا مشتركة بذلك الاحتلال) وقد هدد پوانكاريه بالتقدم بالجيش الفرنسي نحو برلين كما تأيد عزم البولنديون على مهاجمة المانيا بالوقت نفسه وعندئذ وجدت المانيا ان من الحكمة التريث لحين تقوية جيش المائة الف المتواضع بانشاء قوة حرس الحدود من بضعة آلاف رجل لحماية حدودها الشرقية ازاء الطمع البولندي بالتخوم الشرقية من الوطن.

وعلى المرء الا يتناسى حقيقة الموقف الداخلي الذي كان سائدا في المانيا آنذاك فالعملة متدهورة القيمة واستطاعت زمرة من الشيوعيين الاستحواذ على السلطة وتأسيس حكومة محلية في ولاية سكسونيا[٦]. وكان الاشتراكيون يديرون حربا أهلية ضد الجيش الالماني النظامي بينما يهدد الشيوعيون بالاستيلاء على السلطة في المانيا كلها باتباعهم شتى الوسائل.

لذلك وجدت ان من المهم مفاتحة قادة حزب الوسط الذي كنت انتمي اليه لاتخاذ التدابير الكفيلة بتقوية موقفنا الدفاعي لمجرد اثبات وجودنا. الا انني وجدت من هؤلاء كل رفض لمقترحي لانهم كانوا مناهضين للتطوير العسكري لاسيما بعد ان قام افراد من منظمة الخوذة الفولاذية باعتقال زعيم حزب الوسط الدكتور هيس في مدينة كوبلنز. وعندما نشبت الاعمال العدوانية ضد الفرنسيين في اواخر ايلول ١٩٢٣ واتخذت شكل المقاومة

---

(٦) عاصمتها مدينة فرانكفورت / مين بالمانيا الغربية حاليا .
ـ المترجم ـ

المنظمة بمنطقة الروهر حاول سكان اقليم (پفالز)[٧] القيام بحركة انفصال عن الدولة الالمانية وتأسيس جمهورية الراين • بينما اضطر رئيس جمهورية المانيا الاشتراكي ايبرت على استخدام الجيش الالماني لاستعادة السيطرة على النظام في اقليمي سكسونيا وتورنغن ووصلت الازمة الى أوجها في اواخر شهر تشرين الاول ١٩٢٣ عندما طلبت حكومة اقليم باڤاريا من الفرقة السابعة المرابطة في ذلك الاقليم ان يقسم رجالها يمين الولاء لحكومة باڤاريا بدلا من الولاء لالمانيا• وقد أصدر الفريق فون زيكت أمراً للواء فون لوسوف قائد منطقة باڤاريا بالامتناع عن تنفيذ طلب حكومة باڤاريا الذي ينطوي على خطوة انفصالية الغرض منها تقويض الوحدة الالمانية •

وقد تقدمت انا في تلك الفترة برجاء للفريق فون زيكت ان يبذل قصارى جهوده للحفاظ على الوحدة الالمانية • فكتبت له قائلا بأن أبسط خطوة في هذا السبيل أن يتولى هو شخصيا رئاسة حكومة جديدة لأنه في الواقع يعتبر الرجل الوحيد الذي يمكنه انقاذ الموقف• الا ان فون زيكت لم يكن راغبا في ان يصبح مستبدا عسكريا ولا ان يكون مستشارا لالمانيا بعد ان منحه الرئيس ايبرت كامل ثقته واعطاه جميع الصلاحيات لأحكام السيطرة على جميع اجزاء المانيا• وقد كان فون زيكت عند حسن ظن لرئيس ايبرت عندما سيطر الجيش الالماني على الاحداث التي وقعت في اقليم اڤاريا وقضى عنى محاولة هتلر الانقلابية • ولما قابلت فون زيكت بعد تلك نفترة وتحدثنا بشأن توليه منصب المستشار اكد لي ثانية مدى امانته في حمل المسؤولية ازاء الرئيس ايبرت قائلا:

« هناك في المانيا رجل واحد يمكنه تدبير انقلاب وهو انا • الا ان جيش الالماني لا ينقلب !»

---

هو الاقليم المتاخم لامارة لوكسمبورغ وعاصمته مدينة ماينز بالمانيا الغربية حاليا •
ـ المترجم ـ

كانت هناك دوائر فرنسية كثيرة تعتقد بأن الفريق فون زيكت يمثل المانيا القديمة وتزعم انه قائد الماني متعطش للانتقام وعليه فقد بذلت قصارى جهودها لتعقيد مهمته.

ولعل تلك الدوائر تشاركني الأسف الشديد الآن لأن فون زيكت لم يستطع السيطرة على الموقف في ذلك الوقت الحرج من تأريخ المانيا . اذ لو تولى رئاسة الحكومة في المانيا رجل مثله يكره الاستبداد ويتجنب الحرب لشهدت المانيا ازدهارا صناعيا وحافظت على كيانها المتماسك.

كان سقوط فون زيكت مهزلة سياسية. فقد دعى اكبر ابناء ولي عهد المانيا السابق لحضور مناورات الجيش. وكانت هذه الدعوة كافية لاستثارة الاحزاب اليسارية التي حذرت من خطر العودة للنظام الملكي وخشيت من مغبة التمادي بالاعمال المناهضة للجمهورية . وقد تضامن الاشتراكيون والنازيون ايضا في اثارة حملة الانتقاد الشديدة الموجهة للفريق فون زيكت واعربوا عن خشيتهم من اعادة ولاء الشعب الالماني للبيت المالك السابق. واذكر هنا ان هتلر اصدر اوامره في عام ١٩٤٣ بمنع ابناء الاسرة المالكة السابقة والامراء الالمان من الخدمة في الجيش والمساهمة بالدفاع عن الوطن. ومع ان فون زيكت بقى محافظا على وفائه لرجال الاسرة المالكة السابقة الا انه لم يحاول ابدا اعادة تلك الاسرة للحكم بالقوة. وكانت حصيلة الضجة السياسية التي اثيرت ضد القائد فون زيكت بسبب دعوته للامير لحضور مناورات الجيش الالماني ان اضطر وزير الدفاع الدكتور غيسلر على اقصاء الفريق فون زيكت من منصبه.

ويمكننا التعرف على آراء فون زيكت من خلال قراءة مذكرات الفريق فون رابيناو. فهو يعتبر الاطاحة بفون زيكت نتيجة لدسيسة من دسائس فون شلايخر. فقد حدث في مطلع سنة ١٩٢٦ ان تمكن اللواء فون شلايخر من اقناع وزير الدفاع الدكتور غيسلر بتشكيل لجنة وزارية يشرف عليها الوزير شخصيا وتكون برئاسة فون شلايخر نفسه. وقد لجأ فون شلايخر لهذا الاجراء لكي يبعد الجيش الالماني عن التأثيرات السياسية التي

اخذت تتناوشه، اما فون زيكت فكان من رأيه ان فون شلايخر كان يبغي بأجرائه هذا ابعاد فون زيكت نفسه عن أي نشاط سياسي وابقائه محايداً. وقال فون زيكت ان اتهامه بقضية الجيش الأسود[8] لم يكن السبب الأساسي لاقالته لأن وزير الدفاع ساهم بها شخصياً.

وعلى اية حال فان اقالة فون زيكت لم يكن اللواء فون شلايخر براء منها لأنه اعتقد باحتمال وقوف الفريق فون زيكت حجر عثرة في سبيل وصوله الى منصب مستشار المانيا فكانت عملية الاطاحة به جزء من مخططه المتقن للوصول الى المنصب الذي كان يصبو اليه.

في ٥ حزيران ١٩٣٢ كتب فون زيكت في يومياته وكان فون شلايخر قد رشح نفسه لعضوية البرلمان في الانتخابات التي كانت حكومتي تشرف عليها:

« وأخيرا وجب انتخاب فون شلايخر ايضا، وهذا في الواقع اكثر من الكثير».

في ايام العهد الملكي بالمانيا لم يكن هناك ضابط واحد ولا شخص واحد يمكن ان يعتبر الجيش الالماني اداة للسياسة الداخلية، ولم يحدث قط ان استخدمت اية قطعة عسكرية بمهمة تتعلق بالسياسة الداخلية . وحتى في عهد ثورة ١٨٤٨ لم تستخدم القطعات العسكرية الا بمهمة حماية شخصية الملك، وقد اعتدنا حتى عام ١٩١٨ على العيش في بلد يسوده النظام وتمارس الحكومة سياسة الدولة وتقتصر مهمة المحافظة على النظام والامن على الشرطة وحدها، اما حكومة ايبرت ـ شايدمان الثورية فلم يكن لها أي سند شعبي ولم تتمكن من المحافظة على وجودها الا بفضل القتال الذي خاضه الفيلق الحر وجيش المائة الف رجل، ومع ان فون زيكت شهد كل الاضطرابات التي تعرضت لها المانيا فانه بقي يواصل مهمته الاساسية وهي

---

(٨) الجيش الاسود منظمة من المتطوعين الالمان خصصت لمهمات حماية الامن الداخلي . ـ المترجم ـ

انشاء الجيش الجديد وفق احدث الأسس والعمل على تسليحه بأفضل المعدات والابقاء على تماسكه. وواضح ان اغلبية ضباط الجيش كانوا من المحافظين وهؤلاء اكثر ميلا للمفاهيم اليمينية منهم للمفاهيم اليسارية. ولما تنامت الحركة النازية بقي المحافظون وضباط الجيش بمنأى عن تقبلها.

ألا ان الافكار النازية وجدت قبولا وعلى نطاق واسع في صفوف الضباط الشباب بحكم تميزها بالعنفوان ولكن هذا الميل لم يكن خطرا طالما بقي المشير فون هندنبورغ على رأس الدولة لأنه كان الضامن للنأي بالجيش عن خضم المشاكل الداخلية واساءة استخدامه بسبب اعتماده الكلي على شرطة بروسيا في التصدي لأية اضطرابات.

وقد تعرضت انا لهذا المأزق عندما كنت مستشارا لالمانيا حيث حصلت حالة حرجة في ٢٠ تموز ١٩٣٢ لكننا عالجناها بالحكمة دون أي تدخل قسري . ولما دعت الحاجة الى تحويل رجال الجيش الاسود لاملاء ملاكات قوة حرس الحدود واكمال نواقص القوة المذكورة من المنظمات الحزبية شبه العسكرية التي سبق لها ان قاتلت على الحدود دفاعا عن الوطن اجرينا اتصالات مباشرة مع مختلف الاحزاب ومنها الحزب النازي ـ في تلك المرحلة الحرجة ـ وكانت اتصالاتنا متسمة بشيء من الجفاء.

ويرجع تمسك الجيش الالماني بالنأي عن المساهمة بالامور المتعلقة بالسياسة الداخلية واقتصار مهمته على الدفاع عن الوطن ازاء أي خطر خارجي للتقاليد التي جبل عليها رجاله والتزموا بها منذ مئات السنين. ولقد حاول بعدئذ بعض القادة الضعفاء في مهنة الجندية التذرع بالنشاط السياسي لتسلق قمة المجد وكان الفريق فون شلايخر نموذجا بارزا لهذه الزمرة وقد مارس نشاطه في عقد العشرينات وتميز بتسلله الهادىء.

كان فون شلايخر جنديا ابن جندي وصولا الى جده الرابع وقد بلغ سن الخمسين في عام ١٩٣٢ وقد حالفه الحظ عندما خدم في كتيبة الحرس الثالثة التي سبق ان خدم في صفوفها المشير فون هندنبورغ وولده اوسكار. وهكذا وجدت رابطة تقليدية يشترك بها اولئك السادة الثلاثة. اما في

الاركان العامة فقد خدم فون شلايخر قبل الحرب بأمرة الفريق غرونير الذي صار فيما بعد وزيرا للدفاع.

وفي فترة الحرب خدم فون شلايخر بمكتب الفريق فون لودندورف أي انه ساهم بصورة مباشرة في اصدار جميع القرارات المهمة. وباستثناء مرحلة قصيرة جدا فانه لم يخدم في جبهة القتال وعليه فانه لم يكتسب خبرة القتال وانما اكتسب لقب « قائد المكتب » الذي عرف به في الجيش الالماني على سبيل الانتقاص.

أدرك اللواء فون شلايخر المرحلة الحاسمة من حياته في كانون الاول ١٩١٨ عندما اوفده المشير فون هندنبورغ الى برلين لاخبار الرئيس ايبرت باعتراف الجيش الالماني بالجمهورية الوليدة واستعداده لأسناد الحزب الاشتراكي الديموقراطي في حالة تعهده بالنضال ضد الشيوعيين والمحافظة على النظام. وفي أواخر كانون الاول ١٩١٨ قامت فرقة بحرية شيوعية بتطويق مقر الحكومة والقاء القبض على الدكتور ايبرت والوزراء فأستطاع اللواء فون شلايخر بمعاونة الرائد پابست تحريرهم من الاعتقال ثم ساهم بصورة فعالة في القضاء على القلاقل التي أثارها الشيوعيون في ولايتي سكسونيا وتورنغن. وهكذا ارتبط اسمه بانقاذ الجمهورية الالمانية الوليدة وباعادة تنظيم الجيش الالماني الحديث.

لقد ساهم فون شلايخر آنذاك في جميع الفعاليات مثل عقد الاتفاقية السرية (الملمع عنها آنفا) مع روسيا . وقد حاول بعد تحقيق هذه العملية كسب استقلال اوسع في حرية العمل . وكان من الطبيعي ان يتقدم لوزير الدفاع بمقترح لتأليف لجنة برئاسته وتكون باشراف الوزير نفسه تكون مهمتها معالجة المواضيع المتعلقة بالسياسة العسكرية. ومن هذا الموقع الحساس باشر فون شلايخر ممارسة التأثير على المشير فون هندنبورغ. ولم يخضع الا للقليل من السيطرة التي حاول احكامها عليه وزيرا الدفاع غيسلر وغرونير بالتعاقب وكذلك قائد الجيش الفريق فون زيكت.

سبق ان تعرفت على الفريق فون شلايخر منذ عهد الاشتغال في هيئة

الاركان العامة كما انني رأيته خلال الحرب في المقر العام مرات عديدة. وقد تمكن من كسب عدد كبير من الاصدقاء بفضل تقديراته الذكية ونكتته الحاضرة وتفاؤله الدائم ووجهه الطلق. ولا يمكنني الزعم بأننا كنا اصدقاء ولكنني كنت أميل اليه لحسن شمائله. وفي خلال اشتغالي السياسي في البرلمان كنت اقابله كثيرا كمقابلتي لرفاقي العسكريين الذين سبق ان عملوا معي في هيئة الاركان العامة.

وقد قال لي آنذاك بأنه يرى وجوب اصدار أمر بمنع العسكريين من ممارسة العمل السياسي. وان جميع القضايا السياسية التي تخص الجيش يجب ان تتم معالجتها من قبل اللجنة الوزارية التي يرأسها هو ويشرف عليها وزير الدفاع. بينما ستكون قيادة الجيش متفرغة للعمل العسكري وحده. لكننا سمعنا آنذاك من فون زيكت بأن اللواء فون شلايخر يستغل منصبه المقرب من المشير فون هندنبورغ والوزير غروينر لابعاد قائد الجيش فون زيكت والشخصيات القيادية الاخرى عن المجال السياسي لكي ينفرد بالسيطرة على الجيش ثم على المانيا والوصول الى ارفع مقام.

عندما حان موعد اعادة انتخاب الرئيس فون هندنبورغ في ربيع١٩٣٢ واضطرب الموقف الداخلي نتيجة لتفاقم نشاط النازيين ناقشت الحالة القائمة في المانيا مع فون شلايخر عدة مرات وتباحثنا في الاحتمالات المختلفة . ولم يكن لدي أي انطباع أو تصور باحتمال ترشيحي لمنصب المستشار . وكان لصداقة فون شلايخر مع اوسكار فون هندنبورغ ودرجة الثقة التي يتمتع بها لدى الرئيس ابعد الأثر في كسبه لاحترام قادة الجيش الالماني وسأحاول التحدث عن تفاصيل تحول افكار فون شلايخر في الفصل الخاص بتوليه منصب المستشار.

كثيرا ما قيل لي بأن ظهور امثال فون شلايخر يعتبر متعذرا في الجيش البريطاني او في الجيش الامريكي. وانا اؤيد هذا الرأي. وأظن انه ما كان ليظهر في الجيش الالماني ايضا لو لم يصر الحلفاء المنتصرون على الاطاحة بالنظام الامبراطوري دون مبرر معقول . ذلك لأنه لم يكن هناك أي مجال للانتهازية في عهد المانيا البروسية.

دأبت طوال فترة اشتغالي بالمجال السياسي على ادامة الاتصال الوثيق مع ابناء الشعب وتتبعت مصالحهم الاقتصادية كما كنت دائم التحري عن مجالات التعاون الأوربي الضرورية وهذا التحري جعلني استمر على الاتصال بالشخصيات القيادية الفرنسية.

قضيت فترة في ممارسة اعمال الزراعة في المنطقة المحيطـة بمنزلي في ميرفيلد[٩] وساعدت على مد الطرق وايصـال الكهرباء ومد سكة حديد للمنطقة وكان لمساهمتي في تجفيف المستنقعات ابعد الاثر في انجاز هـذه المهمة بسرعة تامة. والفت اتحادا للفروسية من شباب المنطقة وجعلتهم اكثر حنوا على خيولهم وسهلت لهم وسائل تداول الخيول وتوفير العلف اللازم لها.

وفي اواسط العشرينات تلقيت من سكان تلك الانحاء منصب «محافظ شرف». فساهمت في وضع ميزانية ادارية متقنة وأطفيت ديونهـا وتظمت ضرائب الادارة المحلية. وقد اقتضت مني تلك الجهود بذل المساعي المتواصلة في ساعات الفراغ لدرجة الاجهاد لكنني كنت سعيدا بخدماتي للجيران.

وقد أدت خدماتي الكثيرة للمزارعين الويستفـاليين في البرلمان الى تحمسهم في انتخابي لعضوية اتحادهم الزراعي وغرفة التجارة الزراعية وقد ادى التعاون الوثيق مع اعضاء المؤسستين المذكورتين الى قيام صداقة متينة بيني وبين رئيسهما البارون فون كيركيرنك تسوربورغ وهو عضو بارزفي حزب الوسط في الفترة التي سبقت الحرب. وقد ساعدني الرجل كثيرا في استمالة احزاب اليمين الى جانبي عندما كنت بحاجة لتأييد مختلف الاحزاب. واجدني ملزما بالاعتراف بالجميل للاتحادات الزراعية الالمانية التي اولتني ثقتها في جميع المناسبات السياسية كلما كانت لها فرصة المساهمة بالاقتراع.

توصلنا في تلك الفترة الى وضع أسس متينة للاقتصاد الشعبي وتثبيت

---

(٩) تقع ميرفيلد شمال منطقة الروهر الصنـاعية وعلى مقربـة من الحدود الالمانية ــ الهولندية . ــ المترجم ــ

اسعار المنتجات الزراعية وكان التفاوت بين اسعار المنتجات الصناعية واسعار المنتجات الزراعيـة قد ادى خلال عقـد العشرينـات الى تهـديد وجود الكثير من المشاريع الزراعية. وقد وجدت ان افضل وسيلة لمعالجة هذه الازمة هي التوصل الى تفاهم مع زعماء التكتلات الصناعية. وقد اثمرت الاتصالات الشخصية التي أجريتها مع رجال معروفون امثال فريتز تيسن وپيتركلويكنر وشپرينغوروم وپوينزغن والبرت فوغلر وأسرة هانيل وأسرة فون كروپ التي سبق ان التقيت بشبابها في عهد شبابي عندما كنـت ملازما في حـامية ديوسلدورف ودعيت الى حفلاتهم. ولابد لي من الاشـارة هنـا ـ كما سأنوه فيما بعد ايضا ـ الى ان بعض الصحفيين المغرضين زعموا بعـد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأنني استغللت علاقـات الصداقة مع رجـال الصناعة من اجل تسهيل ارتقاء هتلر ووصوله الى قمة السلطان. و أنا اؤكد بأنني لم انفق فلسا واحدا في هـذا السبيل ولم ينفق أي فرد من اولئك الاصدقاء أي مبلغ لصالح هتلر.

اصطدمت رغبة الكنيسة الكاثوليكية الدائمة في تحقيق حرية كنائسها ومدارسها بمقاومة الاشتراكيين والاحرار. وكان ممثـل الكنيسة في تلك المباحثات المونسنيور العنيد أوجينيو پـاتشيلي ـ الذي صار فيمـا بعد البابا پيوس الثاني عشر ـ ومنذ مئات السنين لم يكن احد زعماء الكنيسة قد تعرف على المانيا وشعبها ومواطن القوة والضعف الكامنة فيه مثل ذلك السيد.. وقد اتيحت للكثيرين من رجال المانيا القياديين آنذاك فرصة التعرف على هذه الشخصية الدينية الرائعـة التي عـاصرت احرج مرحلة من تأريخ الانسانية والتي كانت لديها معلومات مستفيضة عن الشعوب واصولها. كما ان الرجل كان بالاضافة الى مقامه الدبلوماسي بصفته القاصد الرسولي لدى المانيا معلما ورجل دولة وقدوة حسنة للآخرين في جميع الظروف الحرجة. وقد بذل جهوده اللامحدودة من اجل سعادة البشر والتقرب الى الله . وكان جديرا بالحظوة التي حازها في المجتمع الالماني والاسناد الذي تلقاه من مختلف الاوساط الالمانية. ولو قيض له النجاح في مساعيه التي بذلها عندما اوفده

البابا بنيدكت الخامس عشر الى ولايـــة باڤاريا من اجل منع نشوب الحرب العالمية الثانية لتجنبنا الكارثة التي نجمت عنها.

تنامت صداقتنا في تلك الفترة وتعاونا في اقامة كنيسة جميلة اولاهـا الكثير من عطفه ومحبته. كما انه ابدى آنذاك مقاومة شديدة ضد الصبغـة الشاملة التي ارادها البروتستانت لبروسيا الشرقية التي كانت تهدد بانحسار الكاثوليك عن شمال المانيا. وكانت حصيلة ذلك ان توصل الى اتفـاقيـة منصفة مع البروتستانت ومع ذلك فقد اتهم بأنه كان يبغي كثكلة بروسيـا برمتها. ولا ازال أذكر انني عندما اخبرته بذلك الاتهام اجابني بأنه سبق ان كتب مقالا في احدى الصحف دعى فيه لاعادة بناء كنيسة كامين وان هذه الكنيسة القديمة كانت ترعى الكاثوليك في ولايتي پوميرانيا وبراندنبورغ وأعقب كلامه ضاحكا:

« هذا كل ما في الأمر »

ألا انه قال بأن الصعوبات الحقيقية التي صادفها تكمن في المحادثـات التي اجراها من اجل تعيين اسس اشتغال اسقفية العاصمة الالمانية.

كانت رغبتي في تلك الفترة شديدة لاقامة اتصالات وطيدة مع قـادة الكنيسة الكاثوليكية من نبلاء شمال المانيا . وقد لقيت هذه الرغبة تأييدا حماسيا من القاصد الرسولي. وكان ان زارني القاصد في احد تلك الايام في النادي الذي لم يسبق ان احتوت قاعاته احد زعماء الكنيسة الكبار ابدا. فأقمت على شرفه وليمة دعوت اليها نخبة من الاصدقاء المقربين اذكر منهم الكاردينال ــ فيما بعد ــ غراف غالن ورئيس الجمعيـة الزراعيـة غراف بالستريم واعضائها ماغنيس وبراشماو دروستــه فشەرنغ والبـارون فون كيركيرنك تسوربورغ وتڤيكل وهيرەمان وغيرهم وكانت الدعوة في نـادي فرقة خيالة الحرس. وقد رانت على تلك القاعات الخاوية بعد حل تشكيلات الجيش الالماني القديم مسحة من الاسى لأننـا لاحظنا ان جدران القاعات كانت مزينة بصور ناطقة للملاحم التي خاضتها كتائب الخيالة البروسية في العهود الغابرة كما شاهدنا الكثير من الهدايا النفيسة التي منحها ملوك وزعماء

بعض الدول الاجنبية ومنهم قيصر روسيا الذي كان آمر شرف لاحدى تلك الكتائب. وقد ظهر الانشراح على ملامح المونسنيور پاتشيلي عندما تطلع نحو رموز الامجاد الحربية بذلك التشكيل. ولما عرضت عليه صورة معركة «مارس لاتور» وبجانبها حطام البوق الذي اصابته رصاصة وتم ربطه كيفما اتفق لكي ينفخ به البوقي لآخر مرة نداء الهجوم قال بلهجة ملؤها الشفقة:

« كم من دماء نبيلة سالت على هذه الارض بلا موجب. اننا لنسأل المولى القدير أن نستعمل البوق من إجل السلام لأن العالم يحتاجه لافراحه ايضا».

وسوف لن انسى التوديع المؤثر لذلك الدبلوماسي البارع لبرلين حيث احتشد آلاف البرلينيين لتوديع الرجل الكبير لعاصمة المانيا الى الابد لأنه نقل الى منصب امين سر دولة الفاتيكان. وقد اتيحت لي فرصة الالتقاء به في روما يوم عيد الفصح لعام ١٩٣٣ لكي اتفق معه بصفته امين سر الدولة للبابا پيوس الحادي عشر على تفاصيل الاتفاقية الپاپاوية مع المانيا. وكان التحفظ الناتج عن وصول هتلر الى السلطة وتسنمه منصب مستشار المانيا مبررا للتمسك بحقوق الكنيسة.

وقد بذلنا جهودنا لتحقيق التفاهم المنشود بقصد التغلب على حالات الضعف البشري والتمسك بالمثل العليا لمقاومة الكره والافتراء والعادات الذميمة الاخرى المستشرية بين الناس.

لعل اوسع مجالات اهتمامي ــ وقد لاحظت مدى حراجة موقف المانيا بحكم موقعها الحساس في قلب اوربا ــ كان منصباً على تحسين العلاقات القائمة مع فرنسا. وقد قدرت ان الوسيلة الوحيدة لتحقيق السلام لألمانيا ولأوربا تكمن بمحاولة ازالة جدار الكره والشك والخوف التي اقامها كلا البلدان الواحد ازاء الآخر. ويجب علينا محاولة تغيير الروحية المؤدية الى ممارسة سياسة عدوانية متبادلة بين المانيا وفرنسا . لاسيما وان الكنيسة الكاثوليكية مقام محترم في كلا البلدين وتربطهما علاقات جوار أبدية تستوجب توفر حسن النوايا.

ولم تقتصر علاقاتي الشخصية مع فرنسا على وجود قرابة بين اسرتي المقيمة في اقليم السار الحدودي والكثير من الاسر الفرنسية مما يجعل هذه القرابة جسرا متينا بين شعبينا وانما تعدتها الى اهتمامي منذ سنين طويلة بالأدب الفرنسي ومتابعتي للصحافة اليومية الفرنسية وظللت مؤمنا بمجيء اليوم الذي سيحل به الوئام بين الشعبين العريقين. وفي عام ١٩٢٧ ساهمت لأول مرة في صحيفة (مجتمع الاحد) الصادرة عن المعهد الكاثوليكي بباريس ولا ازال احتفظ بذكريات جميلة عن تلك المحاولة الاولى. ولما دخلت الى القاعة الكبرى لذلك المعهد لاحظت وجود عدد من اعلام الدول تمثل المشتركين في ذلك الاجتماع ولما امعنت النظر لم أجد بينها علم المانيا وقد سألني امين سر حزب الوسط الذي كان معي بشيء من الغضب عما اذا كان اغفال وجود علمنا دليل على عدم الرغبة بوجودنا ولربما يستحسن انسحابنا من ذلك الاجتماع. فأجبته بأنني اعتقد عكس ما يزعم تماما لأن منظم الحفلة المونسنيور بوردريللا الذي صار فيما بعد كاردينالا تقدم بأحر اعتذاراته منا راجيا عدم اعتبار قضية وجود العلم مشكلة سياسية لكونها مجرد هفوة تنظيمية ولا علاقة لها بالسياسة.

أظهرت الزيارة المقابلة التي قام بها اصدقاؤنا الفرنسيون مدى التوتر والجفوة الواسعة بين الطرفين مما يجعل تحسين علاقات البلدين من الامور العسيرة وكان الوفد الزائر مؤلفا من رئيس الوزراء السابق فرانسوا مارسال والسيد كومت فيلكس دوفوغو والاساتذة جين برونيه ولويس رولاند ورئيس الحزب الكاثوليكي شامبيتيه دي ريبز. ورافق الوفد السيد غويو من اكاديمية فرنسا والسيد رينيه پينو مؤسس صحيفة (دوموند) والرهبان دولاتر ودولابريه ودانسيه ودولاسير وبوپان. واخيرا وليس آخرا ممثل اتحاد البيطرة الفرنسي العقيد پيكو.

وقد كتب السيد بواسار في صحيفة (اوربا الجديدة) بعددها الصادر في ٨ آذار ١٩٣١ مقالا مستفيضا عن آخر مؤتمر الماني ـ فرنسي عقد ببرلين في كانون الاول ١٩٣٠ منتقدا عدم جدية المشتركين بذلك المؤتمر وتكهن بعدم

امكانية تلافي الكارثة المحدقة بالعلاقات الالمانيـة ـ الفرنسية ومن حسن الحظ ان مهندسي حركة وحدة اوربا الحالية توصلوا للمشاكل السياسية التي عانت الاجيال السابقة من عقابيلها وتغلبوا عليها وقد جاء في ذلك المقال:

« كانت محادثات برلين مفعمة بالجديـة وتهدف للتغلب على الازمة الوخيمة العواقب •• وينتظر ان تتفـاقم الازمة القـائمة حالياء وقد اراد المؤتمر ان يبرهن على اهمية الثقة المتبـادلة • وعندمـا ابدى العقيد پيكو تخوفه من الرعب المتأتي عن الحرب مستعملا ادق العبارات للتنديد بالحرب التي تهدد العالم كله لأنه يدرك ما تنطوي عليه من نتائج مفجعة بصفتـه جنديا محترفا قديما وضابط في القوات المسلحة الفرنسية سبق ان ادى واجبه ازاء شعبه ووطنه بكل ما اوتي من قوة تلقى يده جندي الماني محترفوضابط في القوات المسلحة الالمانية وفي هذه اللحظة اشار المؤتمرون للمساواة التي تفرضها الكنيسة الكاثوليكية على اتباعهـا بينما تؤدي التفرقة الى المعاناة والظلم واخيرا اجمع المؤتمرون على ان العالم يحتاج الى الكثير من المساعي الخيرة لتحقيق العدالة بين البشر وتجنب العدوان الذي لا زالت بعض الدول تهدد الآخرين به»•

« واخيرا فان الجانبين توصلا الى اعتماد الجانب الروحي في توجيه نداء لكلتا الدولتين من اجل اقامة علاقات طبيعية بينهمـا واحترام حقوق الاوطان في كل منهما مع العمل على اقامة سلم اوربي وطيد»•

وسوف لا انسى ابدا تلك البادرة التي تنطوي على روح الفروسيـة الأصيلة عندما مددت يدي لمصافحة خصم قديم هو جندي فرنسي شجاع سبق ان أصيب بجرح بليغ وكنت امثل بذلك العمل ارواح الملايين من رفاقي الشهداء واخلاقية رفاقي الاحياء•

لقد أظهرت الدروس التي تعلمناها من السنين الماضية بأننا يجب أن نجدد السعي في الطريق الوحيد المؤدي الى السلامة باقامة الوحدة الاوربية• أما بشأن التقاليد التي تفرضها القومية في كلا بلدينا فهناك الكثير من التقاليد المنسية والتي ينبغي الاستعاضة عنها بالتمسك بالتقاليد الكاثوليكية المشتركة

التي تربط بلاد الغرب ببعضها البعض وتقربها من عبادة الله.

شمل نشاطنا المجال السياسي ايضا لتقريب وجهات النظر الفرنسية والالمانية ففي مايس ١٩٢٦ قام اميل مايريش الصناعي البارز من امارة لوكسمبورغ بتوجيه نداء لبعث «لجنة الدراسات الالمانية ــ الفرنسية» وقد لبى نداءه بعض الدبلوماسيين الفرنسيين المعروفين امثال السفير السابق شارل لورين ودي مارغري وعدد من الاقتصاديين الكبار امثال دي بيريمهوف وسومير وتيودور لورين وماريو وميرسييه وبييرلوتيه وعدد آخر من العلماء والمثقفين امثال الدوق دي بورغلي وهنري لشتنبرغ وجين شلومبيرغ ولوسيان روميه واندريه زيغفريد وفلاديمير دورميزون الذين صاروا اعضاء في اللجنة المذكورة عن الجانب الفرنسي. اما عن الجانب الالماني فقد لبى ذلك النداء اسقف برلين المونسنيور الدكتور شرايبر والسادة بيوشر وبوينزغن وفروهڤاين ودوتيش والمصرفيين المعروفين ڤاربورغ وميندل زوهن والاساتذة الدكتور كورتيوس وهاس وبيرغ شتراسر ومن دبلوماسيي المدرسة القديمة غراف أوبرندورف والامير هاتسفيلد ووزير الدولة السكسوني السيد فون نوستيز ڤالڤيتز.

لقد سردت على القاريء كل هذه الاسماء اللامعة للتدليل على مدى جدية عمل اللجنة التي صادفها احباط مدبر عندما جعل الوزير فون ريبنتروب رئاستها لصديقه السيد دي برينون.

شرعت اللجنة بنشاطها في عام ١٩٢٨ وهو نشاط متميز بالحماس والاخلاص وقد ذكر تفاصيله غراف فلاديمير دي اورميزون ـــ الذي صار بعدئذ سفيرا لفرنسا في الفاتيكان ــ في كتابه الموسوم «لجنة في المانيا» وقد نشرت ترجمة ذلك الكتاب الى الالمانية في دار نشر (جرمانيا) واذكر ان الفصل المتعلق بجلسة يوم ٣٠ كانون الاول ١٩٢٨ يشير الى رغبة الشعبين الاوربيين في تحقيق التعاون الوثيق بينهما.

انفصل عن اللجنة صديقنا القديم السيد اندريه زيغفريد. وقد كتب ذلك الالمعي المثقف في كتابه «اهداف الشعب» بأننا نملك من الناحية الجغرافية

مفتاح اوربا، ولكنه تشكك في مدى امكانية اعتبارنا من شعوب بلاد الغرب، حيث يبدو انه تأثر برأي الكاتبة «مدام دي ستايل» التي زعمت ان هناك المانيتين بدلا من المانيا واحدة وقالت ان احداهما تنتمي للحضارة الغربية والاخرى تنتمي للهمجية البروسية وحددت الحد الفاصل بينهما بالاراضي الممتدة شرق نهر البه اما سيغفريد فجعلها تبدأ من غابات توتوبورغ ونسي اننا تنصرنا منذ الف سنة وتمسكنا بالاخلاق الفاضلة واننا نحن الذين نذود عن حياض اوربا ولم يحدث أن قامت فرنسا بهذه المهمة. واذكر من اجتماعات اللجنة المتعددة ذلك الاجتماع المهم الذي عالجنا به المشكلات الالمانية الفرنسية بكل صراحة تحت شعار «المستقبل المشرق» يوم ١٩ تموز ١٩٣١ وتوجهت فيه بنداء لرجال الدولة الفرنسية للتعاون على اسس مسيحية مع المستشار الالماني الدكتور بريونينغ من اجل وضع مباديء راسخة لتسهيل التعاون الاوربي. واظن أن الصورة ستكون ناقصة ــ طالما انا بصدد احداث العشرينيات ــ اذا لم اتطرق للهيئة الثقافية في تلك الفترة . فبعد عملية الفصد الرهيبة التي تعرضت لها المانيا نتيجة لاندحارها في الحرب العالمية الاولى ظهرت بعض علائم الانهيار المعنوي على اولئك الذين لم يقتنعوا بقوة المانيا الدفاعية. ثم سرت موجة عارمة من الدعاية شنتها بعض الصحف والاذاعة وافلام السينما ضد المفاهيم السائدة باعتبارها مفاهيم (رجعية) وهاجمت القوانين والانظمة المرعية والتقاليد والعادات الاجتماعية زاعمة انها (اعباء ينوء بها الشعب) وان حماية الشعب تتطلب تخليصه من كل هذه العقبات. ودعت تلك الموجة الفوضوية للتخلص من نظام الزواج والنظام العائلي لأنها تعتبرهما من النظم التي لا تتوائم مع العصر. وقد ظهرت امارات هذه الموجة على مختلف فروع الفن كالرسم والنحت والمسرح. وكان ان نشبت مشاحنات كثيرة في مختلف الاوساط حتى بين الاذكياء عندما التقى المتمسكون بالقيم الروحية مع دعاة الفوضوية من البلاشفة.

لم تكترث حكومات المانيا التي كانت من الحزب الاشتراكي لهذه الموجة المضادة للقيم الروحية ولم تقاومها ولذا فقد قمت في عام ١٩٢٩ مع عدد من الاصدقاء بتشكيل «جمعية الحفاظ على الثقافة الغربية» وهي تحمل اسماً

رنانا وغير متواضع نسبيا . ولكنها كانت مجرد محاولة لمنع الضرر المحدق بالمجتمع الالماني اعتمادا على قوتنا الذاتية المحدودة. وقد قدرت بأن الاعتماد على قوة الدين سيؤدي للحصول على افضل النتائج لاحباط هذه الموجة الهمجية المنكرة. وما لبثت جمعيتنا ان اتخذت القرار باستطلاع آراء رجال الدين للمساهمة في حملتنا الوقائية. فتلقينا ترحيبا بالفكرة من زعيم الكنيسة الكاثوليكية في المانيا آنذاك الامير لويفنشتاين الذي تعهد بأسناد الكنيسة لجمعيتنا .كما انضم للجمعية غراف كيسرلنك ممثلا لمصالح الكنيسة البروتستانتية فيها. ولست ادري بالضبط مدى النجاح الذي حققناه رغم ان الصحافة التي كانت تدعو للفوضوية وجهت الينا اشد الانتقادات ونعتتنا الصحف الشيوعية بالطليعة الهجومية المضادة للديموقراطية وبمعاداة حقوق الانسان.

تجلت هذه الواقعة في ارجاء العالم الاخرى خلال عقد الثلاثينيات لتبرهن للعالم على ما تهدف اليه الشيوعية الاممية من تغيير للمفاهيم المعتبرة وتؤكد بأن اول تصد منظم لاحباطها حدث في المانيا قبل غيرها. والآن ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ عادت هذه الموجة لتجتاح اوربا التي لم تعد مركز القوة في العالم ـ شأنها شأن روما القديمة بعد اضمحلالها ـ وستبقى القيم الروحية العامل الحاسم في الحفاظ على الحضارة لأنها اشد مقاومة من القوة المادية والسلاح بأنواعه.

# الفصل العاشر

## سقوط حكومة ڤايمار وأخطاء بريونينغ

**مشكلات التصحيح . بريونينغ مستشارا لالمانيا . ممارسة الحكم وفق المادة ٤٨ . انتخابات مجلس الامة . نجاح الوطنيين الاشتراكيين . نداء للرئيس هوفر . بريونينغ في لندن وباريس وجنيف . تسلط فون شلايخر . انهيار الاقتصاد . لماذا بدون اليمين ؟ اعادة انتخاب هندنبرغ . مفتاح سياسة بريونينغ .**

ان المرحلة التي سآتي على وصف احداثها قد اخطأ المؤرخون كثيرا في سرد وقائعها لعدم تفهمهم لدقائق تلك الوقائع. كما قام الحلفاء الغربيون بعد انهيار المانيا في عام ١٩٤٥ بالعمل على تحطيم معنوية خصمهم المندحر معتبرين اوزار النازية من مسؤولية الشعب الالماني برمته بينما تقتصر تلك المسؤولية على الخوف الذي تعرض له الشعب الالماني خلال عشرة اعوام فقط. في الوقت الذي اعتبروا به مرحلة قيامي بمسؤولية المستشار تمهيد لارتقاء هتلر ووصوله الى سدة الحكم وهذه من الاخطاء الفاحشة التي القيت بها التهم جزافاً دون روية او اعتبار لضرورة ذكر الحقيقة المجردة خدمة للتأريخ. واني

لأمل ان يجيء من يعيد النظر في تأريخ المانيا خلال الفترة المحصـــورة بين ١٩١٨ و١٩٣٢ لما اكتنفتها من احداث كانت مثارا للنقد الشديد على مر السنين. كما انني سأضع هنا الخطوط العامة للاحداث التي جرت في الفترة الواقعــة بين عامي ١٩٣٠ و١٩٣٢ لما لها من اهمية مباشرة على نشاطي السياسي ووصولي الى منصب المستشار.

في ١٧ مايس ١٩٣٠ اعلنت الحكومة عزمها على تطبيق خطة يونغ التي حلت محل خطة داويس التي سبق ان اعلنت في عام ١٩٢٤ وهي خطة اقتصادية كنا نحذر من تطبيقها لأنها تتضمن اتخاذ اجراءات استبدادية لا تحمد عواقبها بالاضافة الى تدابير اقتصادية أخرى تعتبر أخطاء رأســـمالية. أما الغرض الأساس من هذه الخطة فهو اصلاح النظام الاقتصادي دون أي تبديل في نظام التعويضات الا انها تتضمن تحويل ثقل التعويضـــات من كاهل الدولة الالمانية الى المشاريع الاقتصادية والصناعية الخاصة. وواضح ان الغرض الحقيقي الكامن وراء تلك الخطـة هو تقويض النظام الاقتصـــادي الالماني بتعريضه الى ازمة اخرى تجعله غير قادر على معالجتها.

لقد حاولت في تلك الفترة اقناع وزير الخارجية الدكتور شتريزه مـان باللجوء الى اجراءات مالية جديدة تستعيد بموجبها المانيا اقليم السار على الاقل اذ مما لا شك فيه ان عودة هذا الاقليم الصناعي سيجعل موقف المانيا المالي اكثر رصانة. الا ان الدكتور شتريزه مان كان يتوقع القليل من الامل في هذا الاجراء ولذا بقي كل شيء على ما هو عليه.

لم تكن احزاب اليمين وحدها هي المعارضة لتنفيذ خطة يونغ وانما انضم لها الدكتور بريونينغ ـ الذي كان على وشك تسنم منصب مستشار المانيا ـ
١ وأوصى باصدار لائحة مالية للمحافظة على اقتصاد البلاد واكد بأن خطــة يونغ ليست خطة معقودة بين طرفين متكافئين وانما هي خطة مفروضة فرضا من خصم متسلط.

جعلت هذه الخطة حكومة ڤايمار في موقف شديد الحرج. وطلبت من

الاشتراكيين التحري عن وسائل حماية امن الدولة لانها تحسبت من عقابيل تنفيذ الخطة لاسيما وان الاضطرابات التمهيدية قد استشرت في مختلف ارجاء البلاد وكانت حصيلتها ان اصيب خلال العام المنصرم في اقليم بروسيا الشرقية وحده ثلاثمائة شرطي بجراح بليغة مات منهم أربعة عشر. وسرعان ما أدت تلك الازمة الى سقوط حكومة المستشار ميوللر الذي كان من الحزب الاشتراكي الديموقراطي. وكان الاشتراكيون قد رفضوا التصويت على لائحة الاصلاح المالي المطروحة على البرلمان لمعالجة قضية الضمان الاجتماعي للعاطلين عن العمل.

عندئذ قام رئيس الجمهورية بتكليف الدكتور بريونينغ بتشكيل الحكومة الجديدة.

وكان تشكيل الحكومات يتم منذ قيام الجمهورية الالمانية وفقا لقاعدة توفر الاغلبية البرلمانية . ولما تخلت اغلبية الاشتراكيين الديموقراطيين عن تولي السلطة فقد صار لزاما على المستشار الجديد التحري عن الاغلبية المنشودة بتآلف احزاب اليمين . اما اذا لم تتآلف تلك الاحزاب فلابد ان تشكل مجموعة المعارضة. الا ان الدكتور بريونينغ لم يشأ التعاون مع احزاب اليمين لأنه خشي من التعرض لأزمة اقتصادية يدبرها له الاشتراكيون . وعليه فقد آثر ابقاء حكومته بلا اغلبية برلمانية تسندها مؤملا ان يحصل على ثقة اصدقائه القدماء من التحالف الاشتراكي عندما يحقق لهم ما يرضيهم ولذلك فقد استبعد اليمينيين من الحكومة التي شكلها. وكان بالامكان تنفيذ هذه التجربة فيما لو اقرت بعض القوانين وفقا للمادة ٤٨ من الدستور. وهذه المادة تعطي لرئيس الجمهورية الحق بممارسة بعض الصلاحيات في الظروف الاضطرارية دون الرجوع للبرلمان.

لكن هذه الاجراءات تستوجب استحصال موافقة البرلمان حال زوال تلك الظروف الاضطرارية. ولربما يمكن استغلال الظروف الاضطرارية لحل البرلمان. الا ان حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة كان يخيف الاشتراكيين من احتمالات فقدان بعض المقاعد.

سميت حكومة بريونينغ الجديدة «حكومة الرئيس» لأنه تلقى التكليف بتشكيلها من الرئيس شخصيا وليس اعتمادا على اغلبية برلمانية.

ولما تعرضت انا شخصيا للتجربة نفسها بعد سنتين مع فرق واحد هو انني كنت آمل الحصول على تأييد احزاب اليمين لحكومتي وصفتني احزاب اليسار «دفان الديموقراطية». وكانت هناك بطبيعة الحال فروق كثيرة بين حكومتي وحكومة بريونينغ . فقد صبر بريونينغ على الاشتراكيين من اجل الحصول على الاسناد اللازم لحكومته في البرلمان. اما انا فقد تبنت احزاب اليمين اسناد حكومتي في البرلمان حال وصولها للسلطة وحرمتني من أية فرصة للتوصل الى تفاهم مع الاحزاب الاخرى من أجل الحصول على الاغلبية الضرورية في البرلمان. كما حرمتني من محاولة تحقيق أي تعاون مع تلك الاحزاب.

استقبلت اغلبية ابناء الشعب الالماني المستشار الجديد بريونينغ بالترحيب الحار. لأنه معروف بجديته واستقامته . وكان قد عمل مستشارا قانونيا للاتحاد المسيحي ولذا فانه ظهر في تلك الفترة كأفضل شخص ملائم لوضع اسس السلام الاجتماعي دون التأثير على الحالة الاقتصادية . وكان ان بذلت جهودي المخلصة لدى جميع الاصدقاء والمعارف لاسناد الدكتور بريونينغ وحكومته المحافظة أما النقد الذي اتعرض له الآن بسبب ذلك الاسناد للدكتور بريونينغ في عهد توليه المسؤولية فانه يرجع لاسباب تأريخية. ولا علاقة لما قمت به من جهود بالتقدير الفائق لشخصية الدكتور بريونينغ.

لم يشترك الحزب الاشتراكي الديموقراطي في حكومة الدكتور بريونينغ وعليه فان من الطبيعي قيام هذا الحزب الكبير بدور المعارضة ومتابعة نشاط الحكومة وتسقط هفواتها. الا ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي لم يسلك السبيل الديموقراطي وانما قام بحماية بريونينغ وتأييد مطالبته بالسلطات الاستثنائية ــ ولكن دون ان يتحمل مسؤولية ذلك التأييد ــ ولو مارس حقه في ابداء المعارضة لألجأ الدكتور بريونينغ الى الاعتماد على أغلبية مؤتلفة من احزاب اليمين. وعندئذ كانت احزاب اليمين قد حصلت على فرصة

بعد اجراء انتخابات جديدة. وفي هذه الاثناء تفاقمت الازمة الاقتصاديةالتي نشبت في مايس ١٩٣٠ وتدهور الموقف في المانيا بصورة حادة عندما تزايد عدد العاطلين عن العمل فأربى على المليون وتطلبت معونة هؤلاء وعوائلهم مبلغ ١٦ر٦ مليار مارك. ومع ذلك فان هذا الاجراء لم يكن كافيا واقتضى اعلان حالة الطوارىء للسيطرة على الموقف. بينما اقترحت الحكومة الاقدام على تضحية جديدة لتلافي هذا الموقف الحرج. وعند اجراء الاقتراع الثاني على طلب المستشار الموافقة على تغطية النفقات المالية المقترحة تقدم الحزب الاشتراكي الديموقراطي بطلب اقالة الحكومة. وقال زعيم ذلك الحزب:

« ان حكومة الدكتور بريونينغ تجري الآن محاولة للقضاء على الروح الديموقراطية للدستور».

بينما ادعى الشيوعيون في تعليقهم على خطاب بريونينغ بأنه يريد التحول الى مستبد فاشي. وعلى الرغم من ان الاشتراكيين لم يكن امامهم أي اختيار

آخر لتسوية النفقات المالية الباهظة التي تتطلبها اعاشة تلك الاعداد الغفيرة من العمال العاطلين . الا انهم اعتقدوا بأن الانتخابات الجديدة ستعرضهم للمغامرة لاسيما وان البرنامج المالي الذي اعده الدكتور بريونينغ يتضمن ايضا تقديم الاسناد المالي للعمال العاطلين . وعليه فانهم كانوا يأملون ايضا تسديد ضربة شديدة للرأسمالية في الانتخابات الجديدة . وهكذا اجبر المستشار بريونينغ على حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة.

تعتبر الانتخابات التي تمت في المانيا بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٣٠ نقطة تحول في تأريخ المانيا • اذ اشترك في خوض معركتها خمسة عشر حزبا سياسيا في عهد سادت به الفوضى السياسية بشكل لم تشهده البلاد من قبل. وقد تمخضت عن فوز ساحق للمتطرفين والاحرار. فحصل الشيوعيون على ٢٣ مقعد جديد بينما قفز رصيد النازيين من ١٢ مقعد الى ١٠٧ مقاعد. وخسر حزب الوطنيين الالمان نصف مقاعده تقريبا لأن احدا لم يتفهم دور المحافظين في عدم منح حكومة بريونينغ أية فرصة لتحقيق خططها. والملحوظة البارزة التي تمخضت عنها الانتخابات هي ان الحزب النازي اضبح ثاني اقوى حزب في البرلمان الالماني.

أما الملحوظة الأخرى التي تمخضت عنها تلك الانتخابات فهي ما أصاب الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي كان من اقوى احزاب المانيا وهوالذي تعهد دستور ڤايمار بالرعاية التامة وكان يضم بين اعضائه عددا كبيرا من الاذكياء والاحرار وكبار المفكرين • اذ افلس هذا الحزب من الناحية السياسية ولم يبق من اعضائه في البرلمان الالماني الا عدد متواضع من ممثليه. وقد تذرع الحزب باختلال المفاهيم الديموقراطية وعليه فقد ابدل اسمه الى «حزب الدولة الالماني» وكأنه يعتبر الدولة تصحيح للديموقراطية المختلة. ويمكن اعتبار هذا الحزب مثالا ناصعا لتراكم الاخطاء على ديموقراطية حكومة ڤايمار لدرجة ادت الى الاطاحة بها. وعندما جرى التصويت على قانون منح هتلر الصلاحيات الاستثنائية تدنى عدد ممثلي حزب الدولة الالماني الى اربعة ممثلين فقط.

في ١٦ تشرين الاول ١٩٣٠ القى الدكتور بريونينغ خطاب افتتاح البرلمان الجديد قائلا: « ان الازمة العالمية عصفت بالشعب الالماني بصورة خاصة واثرت الى حد كبير على قيمه الروحية النابعة من آلامه ومعاناته التي شهدها في السنين المنصرمة . وان المرحلة التي وصلنا اليها بالغة الحرج».

وقد ساهم الدكتور بريونينغ نفسه مع اعضاء وزارته في اجراء اتصالات متعددة مع الدول الاجنبية بغية التغلب على الازمة الناتجة عن قلة الموارد المالية الضرورية لتصريف امور الدولة الالمانية بعد ان برزت للعيان كارثة زراعية في شرق المانيا في ذلك العام. وكان الهدف الاول الذي جعلته الحكومة نصب عينها هو الحفاظ على الحرية القومية في السياستين الداخلية والخارجية دون ان يداخل الشك ابناء الجيل الجديد بشأن مستقبلهم. ولقد مضت في هذه الفترة كثير من الدول قدما في تنفيذ خطط تسلحها دون اعارة أي اهتمام للمواثيق الدولية فأدى ذلك الى خلل بالغ بأمن العالم وسلامه. وكان من الطبيعي ان تقوم الحكومة الالمانية بدورها باتخاذ التدابير الحمايوية اللازمة للدفاع عن الوطن وحماية الشعب الالماني.

ولربما يقوم البعض بانتقاد بريونينغ على هذا الاجراء واعتباره «قومياً متطرفاً» ولكن ما هو البديل الذي يمكن ان يلجأ اليه وقد وجد نفسه بموقف تسلح فيه جيرانه بشكل محموم؟

وعلى الرغم من تحذير الحزب الديموقراطي الاشتراكي من انسياق الدكتور بريونينغ نحو الاستبداد فانه ايده في خطواته التي اتخذها لتعزيز قوة الدفاع عن الوطن. وقد تطلبت الازمة الاقتصادية التي ازدادت شدة في مطلع كانون الاول ١٩٣٠ وضع برنامج تطهير مالي جديد. فجرى تقليص جديد للمصروفات والمشاريع كما رفعت نسبة الضرائب بالمقدار الضروري. ولما طرحت الحكومة اجراءاتها الاضطرارية وطلبت الموافقة عليها في ١ كانون الاول ١٩٣٠ وفقا للمادة ٤٨ من الدستور وافق عليها البرلمان بعد ايام قلائل وايدها ممثلو الحزب الاشتراكي الديموقراطي أيضا. الا ان آمال حكومة بريونينغ باتخاذ التدابير السلبية المذكورة للتغلب على الازمة الاقتصادية

العالمية مع ممارسة سياسة الايفاء بالالتزامات الدولية اعتمادا على قوتها الذاتية وحدها تبخرت نتيجة لتفاقم الازمة خلال مطلع سنة ١٩٣١. فقد اطاحت تلك الازمة باقتصاد الكثير من الدول لدرجة اضطرتها على زيادة الضرائب وتقليص النفقات مما الجأ روزفلت ـ قبل وصوله الى رئاسة الولايات المتحدة ـ الى وضع (خطة الولايات المتحدة لانقاذ الاقتصادالعالمي من التدهور) وكان ان توصل الدكتور بريونينغ الى اتفاق مع حكومة النمسا لتأسيس اتحاد كمركي الماني ـ نمسوي الا ان تنفيذ هذا الاتفاق اصطدم بمعارضةدول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الاولى التي لم ترض بقيام الدولتين الناطقتين بالالمانية بأية خطوة وحدوية.

ادى انهيار مؤسسة القروض النمسوية في حزيران ١٩٣١ الى جعل النمسا أول ضحية للازمة المالية العالمية فأصبحت الدولة النمسوية على حافة الانهيار الاقتصادي التام وفي ١٥ حزيران ١٩٣١ طالبت فرنسا بقسطها المستحق من التعويضات المفروضة على النمسا وكان معنى هذا افلاس النمسا تماما. واصبح على المانيا ان تنتظر نفس المصير. وعليه فقد قام المستشار ووزير الخارجية ثم اعقبهما رئيس الجمهورية نفسه باجراء اتصالاتشخصية كثيرة مع حكومات الدول المنتصرة وبذلوا منتهى الاساليب الودية المهذبة من أجل مساعدة المانيا في التغلب على الازمة المالية المحيقة بها ولكنهم لم يحققوا أي نجاح في تلك المساعي. افليس من العجب ان يشهد المرء تضامنا قوميا تاما مع الحكومة في هذا الظرف الحرج؟ فعندما طار الدكتور بريونينغ ومعه كورتيوس الى لندن ابدى رئيس الوزارة البريطانية مكدونالد تفهما لموقفهما ولكنه اسدى لهما نصيحة مفادها وجوب الاعتماد بالدرجة الاولى على قوة المانيا. الا ان مقياس تفاقم الازمة ازداد ارتفاعا فقامت الحكومة باستدعاء السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين الى برلين لاجراء محادثات شفوية معهم.

واعلن مصرف المانيا تعرضه لمضايقات شديدة من اصحاب رؤوس الاموال الاجانب.

في ٢٠ حزيران ١٩٣١ تقدم الرئيس فون هندنبورغ برجاء شخصي لرئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية السيد هوڤر طالبا مساعدة بلاده لالمانيا فأقترح الرئيس هوڤر على جميع الدول ارجاء المطالبة بديونها لالمانيا في ذلك العام فقط فرفضت الحكومة الفرنسية ذلك المقترح فوراه وكان تبريرها انها لم تأخذ في حساباتها المالية لذلك العام اقتطاع الموارد المذكورة وتأجيل دفعها. فطلب المستشار الالماني اجراء حوار الماني-فرنسي بهذا الصدد الا ان فرنسا اهملت الاجابة على هذا الرجاء ايضاء وفي هذه الاثناء ظهرت اول بوادر الانهيار على الاقتصاد الالماني خلال النصف الاول من شهر حزيران ١٩٣١ فأسرع مدير مصرف المانيا المركزي بالسفر جوا الى جميع مراكز المال الاوربية محاولا ايجاد أي مخرج للازمة والحصول على اسناد أي من تلك المراكز وفي ١٣ حزيران ١٩٣١ اصبحت الكارثة وشيكة الوقوع فأغلق احد مصارف المانيا الكبرى أبوابه. وبعد اربعة ايام تلقى الدكتور بريونينغ ووزير خارجيته دعوة لزيارة باريس. ولربما يرجع السبب في توجيه هذه الدعوة المفاجئة الى تحسن العلاقات الالمانية ـ الانكليزية نتيجة لزيارة الدكتور بريونينغ للندن.

في تلك الاثناء تلقى المستشار بريونينغ احدى الضربات القاصمة التي وجب عليه قبولها على مضض وهي نقض الحلفاء الغربيين للاتحاد الكمركي المعقود بين المانيا والنمسا . وكان السيد فرانسوا پونسيه ـ الذي صار فيما بعد سفيراً لفرنسا ببرلين لسنين طويلة ثم صار بعد الحرب العالمية الثانية حاكما عاما للقطاع الذي تحتله فرنسا من المانيا الغربية ـ يعمل بمنصب نائب امين سر الدولة في وزارة الاقتصاد الفرنسية . وواضح ان پونسيه ساهم الى حد كبير في الاطاحة ببريونينغ «حيث ترتب على المانيا والنمسا ان تقفا موقف المدان في جنيف وامام محكمة العدل الدولية في لاهاي. ولم تكن الأضرار التي لحقت بالمانيا ذات طبيعة معنوية فقط. وجددت المانيا الخطر الماثل للقضاء على السلام في قارة اوربا بسبب مضيها في وضع اسس الاتحاد الكمركي مع النمسا والتملص من الديون الاجنبية بقصد تحسين موقفها

الاقتصادي[1]».

بناء على هذا الاساس يجب على المرء ان يوازن مدى تقدير المجتمع الفرنسي للمستشار الالماني وهذا ما حدى بهتلر ان يستعيد قدر المانيا بجر اوربا نحو الكارثة لكي تعترف اوربا كلها ـ وليس فرنسا وحدهاـ بمكانة المانيا . ومما يثلج الصدر ان الدول تجردت الآن من الانانية واخذت تسلك سبل التفاهم الودي من اجل تحقيق التعاون الاقتصادي فيما بينها.

تمخضت زيارة المستشار لباريس عن أخبار الاقتصاديين الفرنسيين له بأن الحكومة الفرنسية وافقت على مساعدة المانيا فأشتركت مع بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بمنح المانيا قرضا مقداره (٥٠٠) مليون دولار يتم تسديده ببضائع ومواد مختلفة يتفق عليها مع التوقيع على اتفاقية ملزمة بالتسديد خلال عشر سنوات والتعهد بعدم زيادة القوة العسكرية الالمانية والامتناع عن اية محاولات لتحسين العلاقات الالمانية ـ النمسوية . ومن النادر أن يتم اجبار شعب كبير على الخضوع بهذا الشكل المهين نتيجة لنصيحة تقدمها له الشعوب الاوربية الاخرى. ولذا فان بريونينغ لم يجانب الصواب عندما اجاب مضيفيه بأن شروط هذا القرض الاقتصادي معناها موت المانيا . الا ان ما لم يقله لمضيفيه هو ان تشددهم في فرض الشروط المجحفة سيؤدي الى خلق التطرف الالماني وسيادة الاحزاب القومية على السياسة الخارجية الالمانية . ولقد حافظ الدكتور بريونينغ على صمته بناء على رجاء الحكومة الفرنسية لكي تبقي باب الاقتراحات المقابلة مفتوحا. الا أنه أعلن بأن المانيا بعد ان قبلت بشروط الرئيس الامريكي هوفر التي فرضها لتأجيل دفع القروض والتعويضات المالية فاننا تعرضنا لنكوص الدول المعنية في تنفيذ خطة يونغ. أي اننا تعرضنا للابتزاز وهذا ما سيدعونا لاعادة مراجعة موقفنا من معاهدة فرساي لاسباب قومية. ولكنه لم يقل بالضبط ما طلبه فرانسوا پونسيه خشية اثارة حفيظة الرأي العام الفرنسي ضد المانيا. ولما وجد المستشار

---

(1) مذكرات اندريه فرانسوا پونسيه الموسومة ( مذكرات سفارة ببرلين ) . ـ المؤلف ـ

ان النتائج المترتبة على زيارته لپاريس كانت ضئيلة جدا بسبب غلو المقترحات الفرنسية فانه علل النفس بتحقيق مكسب مهم لأنه تفهم تماما طبيعة نوايا فرنسا ازاء المانيا والتي عبرت عنها بوضوح مما جعل المانيا بموقف افضل لكي تعتمد على نفسها فقط في حل قضاياها.

ولما حللت بعد سنة واحدة بمحل بريونينغ واشتركت بالمؤتمر العالمي المنعقد في لوزان حاولت تسوية هذه الاخطاء. فتباحثت هناك مع السيدين هريو وماكدونالد مليا وقلت لهما ان حكومتي قد تكون آخر حكومة المانية معتدلة واذا لم احصل من حكومتيهما على التأييد الذي يحقق لي النجاح المعنوي فان ذلك سيؤدي الى وصول حكومة وطنية متطرفة الى سدة الحكم في المانيا وقد تقدمت بطلباتي لهما دون الالتفات للفشل الذي اصاب بريونينغ قبلي.

قام المستشار بريونينغ بعد عودته من پاريس بتوجيه دعوة مقابلة سيدين بريان ولاڤال لزيارة برلين الا ان هذه الزيارة الدبلوماسية أسفرت عن الفشل الذريع ايضا ولم يحصل المستشار على المكاسب التي اراد تحقيقها. ن الرغبة بالحصول على السيادة القومية لالمانيا كانت تصطدم بمعارضة الفرنسيين الذين بو على تحميل المانيا وحدها وزر الحرب العالمية ومنعها من حق التسلح للدفاع عن نفسها بينما كان هذا الحق مباحا للشعوب الاخرى. وبناء على ذلك فقد اخبر المستشار بريونينغ ضيفيه الفرنسيين بأنه سيتعرض من جراء موقفه هذا الى الاختلاف مع المعارضة البرلمانية الى حد التقاتل. وكان فون بسمارك قد تعرض من قبل الى موقف مشابه مع الفرنسيين فقال لهم بأنه سيضطر في حالة تعنتهم الى الاتفاق مع احزاب المعارضة من اجل التوصل الى ما هو ضروري لصالح المانيا من أجل وضع اسس السلام الاوربي العادل. اما الآن فقد افلتت فرصة عظيمة.

اقتصرت فائدة تأجيل دفع الاقساط المستحقة بموجب خطة الرئيس الامريكي هوڤر على تسهيل الموقف الاقتصادي الذي تعرضت له المانيا لمدة

محدودة فحسب. ولذا فقد حاول المستشار بريونينغ اللجوء الى وسائل اخرى تكميلية لتحسين الموقف المالي فأجرى تخفيضا على رواتب الموظفين والمتقاعدين . وكان الفلاحون يكرهون بريونينغ بسبب تخفيضه لاسعار منتجاتهم لدرجة باتت تهدد وجودهم. كما ان الصناعيين تعرضوا ايضا الى اجراءات مضادة لمصالحهم بصورة مستمرة بعد ان فرض اسعارا مخفضة لأسعار المنتجات الصناعية. فأرتفع عدد العاطلين عن العمل الى عدة ملايين. واصبح بريونينغ بموقف يقتضي ازاحته عن رئاسة الحكومة. وقد شاع في كانون الثاني ١٩٣٢ انه قال للسفير الانكليزي ببرلين بأن المانيا عازمة على عدم تسديد التعويضات حتى بعد انقضاء الاجل الذي حدده الرئيس الامريكي هوفر. فتعالت صيحات الصحافة الفرنسية لنزع سلاح المانيا . واستقال بيير لاڤال فقيل ان سبب استقالته يعود الى تساهله مع بريونينغ. والحقيقة هي أن اقالته كانت تنطوي على محاولة فرنسا التنصل من اية التزامات ووصلت الحالة بين البلدين الى التحدث عن النوايا بصراحة تامة سواء في باريس او في برلين.

الا ان الحكومة الفرنسية الجديدة شكلها لاڤال ايضا وعاد للتحدث عن المانيا هذه المرة بعنف شديد قائلا :

« سوف لن تتنازل فرنسا ابدا عن حقوقها في الحصول على التعويضات»

وفي هذا الجو المشحون تقرر ارجاء انعقاد مؤتمر لوزان لاعادة النظر بالتعويضات من ١٨ كانون الثاني الى ٤ شباط ١٩٣٢ الى موعد جديد بعيد نسبيا في شهر حزيران من ذلك العام فبقيت المانيا تقرض الأرم لهذا التبديد بالوقت الذي ينذر باشتداد الازمة التي كانت تشهدها. فعلا وتعاني من عقابيلها.

في هذه الفترة كان هناك مؤتمر آخر في جنيف لنزع السلاح وكان رئيس الوفد الفرنسي فيه اندريه تاردو قد فاجأ المؤتمرين بخطة لانشاء قوة مسلحة دولية. ولربما كان يبغي من وراء تلك الخطة التوصل الى الغرض الاصلي الذي جعلته فرنسا نصب عينها الا وهو نزع سلاح المانيا وجعلها بلا حول

ولا قوة. الا ان الدكتور بريونينغ اهتبل تلك الفرصة وقابل اندريه تاردو في ٢١ نيسان ١٩٣٢ واتفقا على الالتقاء بمنزل ستيمون وكيل حكومة الولايات المتحدة الامريكية الكائن في قرية بيسنغس القريبة من جنيف يوم ٢٩ نيسان ١٩٣٢. وزعم المستشار بعدئذ بأنه كان يرمي من ذلك الاجتماع الى اقرار ملحق باتفاقية نزع السلاح تتفق عليه كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وايطاليا وفرنسا الا ان اجتماع يوم ٢٩ نيسان ١٩٣٢ خلى من تاردو ممثل فرنسا الذي تخلف عن الحضور مدعيا المرض الا ان الدكتور بريونينغ شخص مرضه تماما عندما قال بأن مرضه كان دبلوماسيا. لاسيما وان السفير الفرنسي الجديد ببرلين فرانسوا پونسيه اسمع كل ذي اذنين بأن ايام بريونينغ في الحكم اصبحت معدودة وان خلفه سيكون فون پاپن. وواضح ان اللواء فون شلايخر كان قد افضى لصديقه السفير فرانسوا پونسيه بخطة الاطاحة بحكومة بريونينغ. وللمرء ان يتصور مدى الضرر الذي الحقه هذا الرجل ببلاده لأن اول عمل يقوم به السفير في هذه الحالة هو الكتابة لحكومته بهذا المآل فيجعلها تتعامل مع المستشار الالماني على هذا الاساس. وقد كتب السفير المذكور بعدئذ بمذكراته بأنه سبق ان حصل على انطباع منذ كانون الثاني ١٩٣٢ بأن المستشار بريونينغ سيستقيل في الوقت الذي لم يتكهن المستشار نفسه بذلك. وعلى كل حال فان من الواضح ان اللواء فون شلايخر لم يكن راغبا برؤية المستشار بريونينغ عائدا من جنيف وقد حقق النجاح المنشود وعليه فقد رأى ان افضل وسيلة لاحباط فعالياته هناك تتم باخبار السفير الفرنسي بعدم احتمال بقاء بريونينغ بالسلطة.

كم عجيبة هي تلك اللعبة التي مارسها مدير ادارة الجيش الالماني بافشاء اخطر أسرار الدولة الالمانية المتعلقة بشخصياتها القيادية للسفير الفرنسي من اجل تحقيق غرض تافه مع تأثير تلك الفعلة على مستقبل الجيش الالماني نفسه. وقد زعم بريونينغ بأنه سبق ان علم في ٣١ مايس ١٩٣٢ بموافقة الحكومة الفرنسية على مقترحاته بشأن نزع السلاح. ولو صحت هذه المزاعم فمعنى ذلك ان دسيسة فون شلايخر كلفتنا خسارة ستة اشهر ثمينة.

لأن موافقة الدول المنتصرة على مساواة المانيا في التسلح لم تحصل الا في ١١ كانون الاول ١٩٣٢ . والواقع ان الوثائق البريطانية السرية التي كشف عنها فيما بعد تشير الى ان الوعود التي عرضت على المستشار بريونينغ لم تترجم بصورة صحيحة. اما المناكفات التي صادفتها انا عندما توليت مهمة المستشار فسأتحدث عنها باسهاب في الفصل القادم.

ولنعد الآن الى محاولات بريونينغ للتغلب على الكارثة التي اخذت بخناق ألمانيا في صيف ١٩٣١. فقد وافق مؤتمر لندن على خطة ارجاء ديون المانيا التي سبق ان اقترحها الرئيس الامريكي هوڤر الا ان احدا لم يقرر كيفية التغلب على الازمة المالية التي شكى منها مستشار المانيا. وفي هذه الاثناء تدهور موقف حكومة بريونينغ في البرلمان الالماني نتيجة لتآلف الوطنيين الالمان مع النازيين الذين بلغ عدد اصواتهم مجتمعين ١٥١ صوتا فشكلا اغلبية معارضة ضمن الاقلية البرلمانية. عندئذ اصبح هؤلاء قطبا لتجمع الفئات الاخرى الحانقة على الحكومة لاسيما بعد ان لجأت الى تطبيق خطط التقشف الاصلاحية التي أضرت بمصالح مختلف الفئات. وكان الدكتور شاخت[٢] ــ الذي كان يشرف على تنفيذ خطة يونغ ــ قد ناشد الدكتور بريونينغ اشراك النازيين بالحكم بعد ان زاد نفوذ هذا الحزب في تورنغن وبراون شفايغ واولدنبورغ منذ شهر كانون الثاني ١٩٣٢ وحقق نجاحا باهرا في التضامن مع الاحرار وحزب الشعب الالماني والعصبة الوطنية. وقد برز دور النازيين في ادارة الحكومات المحلية وبرر مناشدته بقوله:

« اذا كان النازيون قد حصلوا على حق المشاركة بالحكم في الولايات لماذا لا يحصلون على هذا الحق في الحكومة المركزية؟»

لم يتقبل الدكتور بريونينغ هذا الرأي على الرغم من وهن موقف

---

(٢) الدكتور هيالمار شاخت عالم اقتصادي بارع عمل مديرا لمصرف المانيا ثم وزيرا للاقتصاد في عهد هتلر الذي سجنه في أواخر الحرب العالمية الثانية ولما احيل الى محاكمات نورمبرغ بعد الحرب برئت ساحته فاشرف على تنظيم ميزانيات الكثير من دول العالم . ــ المترجم ــ

حكومته وتعلق بقائها على تأييد الحزب الاشتراكي الديموقراطي. وكان وزير داخليته الدكتور ڤيرت فقد أوضح في ٥ آذار ١٩٣١ :

« ان الاعمال الاصلاحية العظيمة التي نقوم بتنفيذها بصورة قانونية لا يمكن مهاجمتها الآن من احد . وانما على الجميع المساهمة في التنفيذ. وعلى الذين يريدون ممارسة النضال في سبيل الوطن ان يتحملوا الاخطار المتأتية عن الموقف الداخلي الذي نعيشه حاليا. وعلينا جميعا ان نعمل ضمن الاسس القانونية المرعية من اجل تنفيذ الخطط الاصلاحية للدولة والخطط الاصلاحية للانتخابات».

الا ان المانيا كانت مهددة آنذاك بتفاقم الخطر الشيوعي ايضا. فقد صرح النائب اولبرخت[٣] قائلا بايجاز:

« لا يمكن تحقيق انتصار الطبقة العاملة الا بالثورة المنظمة وبتأليف حكومة المانيا السوفيتية».

لقد اظهرت لنا الديموقراطيتين الكبيرتين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا امكانيتهما على تحقيق تعاون الاحزاب في اوقات اشتداد الازمات الكبيرة. وليس ادل على ذلك من تعاون المحافظين الانكليز ذوي الاغلبية الساحقة مع حزب الاحرار. كما ان روزفلت[٤] دعى الجمهوريين للاشتراك بحكومته لكي يتفادى محاولات حزب المعارضة لاعاقة مسيرة حزبه الديموقراطي في المرحلة الصعبة التي كانت الولايات المتحدة الامريكية تحاول اجتيازها.

وعليه فان النازيين لم يكونوا اول حزب كون قوته اعتمادا على الصحافة . ولما طلبت منظمة (الخوذة الفولاذية) وهي منظمة شبه عسكرية

(٣) هو ڤالتر اولبرخت الذي كان مؤسس اللجنة الوطنية الالمانية الحرة في روسيا في مطلع سنة ١٩٤٥ وقد اصبح امين السر الاول للجنة المركزيه للحزب الشيوعي في المانيا الديموقراطية عام ١٩٥٠ ثم رئيسا لمجلس الدولة في عام ١٩٦٠ حتى وفاته في عام ١٩٧٣ . — المترجم —

(٤) هو الرئيس تيودور روزفلت . — المترجم —

قوية خاضت قتالات شديدة ضد أعداء المانيا وتتمتع بسمعة عطرة في أوساط الشعب الالماني في عام ١٩٣١ الاشتراك بالانتخابات الجديدة في ولاية پروسيا قابلتها حكومة پروسيا المحلية ـ النازية ـ بالرفض واظهرت المقاومة ازاء هذا الحق الدستوري وانبرت جميع صحف الاحزاب لاستنكار طلب منظمة الخوذة الفولاذية مما اضطر المنظمة على تقديم شكوى لرئيس الجمهورية لكي يحقق لكل مواطن حقه في الاعراب عن رأيه بكل حرية واخباره بأن الشرطة البروسية منعت اعضاء المنظمة من ممارسة هذا الحق باستعمال القوة . وان سلوك حكومة پروسيا هذا المسلك بتشجيع من حكومة ڤايمار يعطينا انطباع عن مدى التحريف الذي مارسه غوبلز عندما وجه دعايته ضد حكومتي بعدئذ وسماها (حكومة البارونات) بينما حرم حرية الرأي على خصومه.

كانت الرابطة الوحيدة بين احزاب المانيا ـ عدا الشيوعيين ـ هي الاجماع على الالتفاف وراء شخصية الرئيس مما دعى للاهتمام كثيرا بانتخابات الرئاسة القادمة رغم تشابك الموقف البرلماني السائد.

في ايلول ١٩٣١ اجريت انا والدكتور كلويكنر اتصالا مع المستشار وجلبنا انتباهه حول هذه النقطة بالذات . وعرضت عليه بأننا من اجل تجديد انتخاب الرئيس فون هندنبورغ فلابد من تحقيق اقصى التأييد الممكن من الاحزاب طبعا واستغلال هذا التأييد من اجل التوصل الى تفاهم سياسي بين الاحزاب في شتى المجالات وخصوصا مع الحزب النازي. واكدت له بأننا يجب ان نولي اهتمامنا للتعاون مع هذا الحزب من اجل ايجاد قاعدة رصينة لممارسة الحكم. واننا يجب ان نستغل هذه المناسبة لاجراء المصالحة الوطنية بين الأحزاب لاسيما وان قضية تجديد انتخاب الرئيس تعتبر بحكم المؤكدة بعد ان اثبت جدارته وحكمته خلال ممارسته لرئاسة الدولة بعد ان تشكك البعض في عام ١٩٢٥ بمدى قدرة ذلك الجندي العجوز على القيام بأعباء الرئاسة. لكن الحال تغيرت الآن ويمكن للجميع تقدير الثقة التي يتمتع بها بعد أن التزم باليمين التي أقسمها للحفاظ على الدستور. اما اذا تمخضت

انتخابات الرئاسة عن اختيار شخص آخر بصورة غير متوقعة فانني اتوقع سوء العاقبة. وكان ان عقب الدكتور بريونينغ على قولي بأنه لا يوجد أي سبب يدعو لزج شخصية الرئيس بموضوع المصالحة بين الاحزاب التي وصل الخلاف فيما بينها الى حد خطير لكنه قال بأنه سيعمل على تحسين الموقف بكل جدية واهتمام.

وقد علمت فيما بعد عند اذاعة حلقة تاريخية من (أخبار المانيا) في تموز ١٩٤٧ بأن الدكتور بريونينغ عكف على كتابة رسائل عديدة طوال يوم كامل في خريف ١٩٣١ من اجل الاطاحة بالرئيس فون هندنبورغ بعدم تجديد ولايته متذرعا بعدم مساعدة حالته الصحية لأن سنه العالية لم تعد تسمح له بممارسة مهماته . وعندئذ فقط تفهمت موقف المستشار الفاتر الذي شهدت منه لمحة قبل ستة عشر عاما. ولم يدر بخلدي بطبيعة الحال انه كان يبيت امرا آنذاك.

في تلك الفترة توسعت هوة الاختلاف بين مختلف الاحزاب بحيث تجاسر اتحاد الصناعة الالمانية على اصدار التصريح التالي:

« ان الموقف الاقتصادي وصل الى اقصى درجات التحمل وبات ينذر بتدمير الاقتصاد الالماني ويعود سبب هذا الموقف الى اضطراب الوضع الداخلي وسوف لن تجد حكومة المانيا مخرجا من هذه الازمة ما لم تحقق الاستقلال التام من الانقياد لرغبات الاحزاب المتضاربة وايجاد الطريق الصحيح للعمل على تلافي الازمة الراهنة فورا».

وفي ٦ تشرين الاول ١٩٣١ تم الاجتماع الثالث للجنة تنظيم الأمن الاقتصادي والمالي. وفي اليوم نفسه اعاد بريونينغ تشكيل وزارته فغير وزيرين مهمين هما وزيرا الخارجية والداخلية كورتيوس وفرت اللذين دل خروجهما من الوزارة على مدى صعوبة حصول المستشار على من يشاركه

مسؤولية وزارته. فقد رفض البارون فون نويرات(٥) تولي منصب وزير الخارجية. واعتــذر الدكتور غيسلر والدكتور شولتز تولي منصب وزير الداخلية ورفض كل من سيلفربيرغ وفويغلر وشميتز ودروپ ميولر تولي منصب وزير المواصلات الشاغر. واخيرا آمن المستشار بأنه يجب ان يتولى وزارة الخارجية وكالة وكلف وزير الدفــاع الفريق غروينر بوكالة وزارة الداخلية اضافة لمنصبه.

بعد ان وصلت حالة حكومة بريونينغ الى هذا الحد عقد اجتمــاع واسع في بادهارتسبورغ يوم ١١ تشرين الأول ١٩٣١ حضره ممثلون عن الحزب النازي وحزب الشعب الالماني ومنظمة الخــوذة الفولاذية وعصبة الوطن الالماني واقتصاديون من جميع الاتجاهات والدكتور شاخت والفريق فون زيكت فأتفق الحضور بعد القاء عدة كلمات حماسية على توحيد جهودهم وتشكيل معارضة قوية . وقد برز في ذلك الاجتماع دور الدكتور شاخت الذي قال:

« ان وجود المانيا سليمة هو ما نصبو اليه جميعا وهــذه ليست مسألة نقاط مسطرة في برنامج وليســت مسألة ذكاء وانما هي مسألة شخصية. فالاقتراض والاستجداء يورثان الهوان ويجعــلان الأمة غير قادرة على التصرف بحرية وغير كفوئة عند التحالف. والاعتماد على الذات فقط يمكن ان يؤدي الى التمتع بالحرية في العمل بمختلف المجــالات. ولقد تتبعت في حياتي وسائل الكفاح التي قامت بها الدول الاجنبية من اجل مصالحهــا ولاحظت مدى ضعف موقف المفاوض الذي لا يستند الى حكومة وطيدة الاركان في بلادها».

وقــد انتفض المستشــار بريونينــغ لاجتمــاع بادهــارتسبــورغ

---

(٥) تولى البارون فون نويرات منصب وزير الخارجية في حكومة هتلر من عام ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ وقد احيل بعد الحرب العالمية الثانيــة الى محاكمات نورمبرغ لكنه توفي بالسجن قبل صدور الحكم بحقه .

ـ المترجم ـ

واخبر رئيس الجمهورية بأن خصومه السياسيين شكلوا جبهة مناهضة للحكومة . وكان الرئيس قد استقبل هتلر في اليوم السابق وحاول التنديد بهتلر الذي اظهر ولائه للرئيس وحاز على رضاه. وكانت حصيلة اجتماع بادهارتسبورغ القرار على اسقاط حكومة بريونينغ وحل البرلمان.

كما ان تحديد احزاب اليسار لهجماتها على حكومة بريونينغ جعل موقفها لا يطاق. وما لبث ان قام احد احزاب الوسط وهو الحزب الذي يرأسه شتريزمان بسحب ثقته من الحكومة. حيث وجه رئيس الحزب المذكور اتهاما للمستشار مفاده انه لم يستخدم جميع طاقات الحكومة لخدمة الصالح العام والتغلب على الأزمات.

وقد اعلن الدكتور بريونينغ في خطاب القاه في اجتماع لحزب الوسط يوم ٥ تشرين الثاني ١٩٣١ عن آرائه قائلا:

« في هذا الشتاء سيتم حسم الموقف. ولابد من وضع حد لسياسة الاحزاب المتعددة التي اوشكت ان تؤدي الى انفجار الموقف. وستكون سنة ١٩٣٢ اصعب السنوات بالنسبة لألمانيا وللولايات الالمانية والاتحادات من الناحية المالية لأن الضرائب تستوفى على اساس الايرادات الحقيقية لسنة ١٩٣١ ذات الازمة الاقتصادية الرهيبة. وعليه فاننا سنعمل (حتى بدون تكاليف التعويضات) على عدم اللجوء الى اية اجراءات مالية اخرى صارمة لتصريف الامور خلال سنة ١٩٣٢».

ومن المؤكد ان المستشار بريونينغ لم يكن واهما في تقدير مدى جدية الموقف. ولكنه وصل الى الحالة التي يتعذر عليه معها معالجة الموقف. وذلك لأنه لم يرغب باتباع المسلك الوحيد المتيسر لديه لانقاذ حكومته وهومشاركة المعارضة في حكومته. وقد اعطى وزير العمل باليوم نفسه الجواب المناسب على هذه الحالة بقوله:

« قد يبدو تشكيل أي تآلف سياسي او جبهة غير ممكن لأن هذا الاجراء لن يؤدي للحصول على اغلبية».

وكان هذا الجواب مفتاحا لسياسة بريونينغ• فالمعارضة تعتبر وجوده عقبة في سبيل التوصل الى تفاهم مع الدول المنتصرة• ولما اشتركت حكومتي بعد ستة اشهر في مؤتمر لوزان وكانت حائزة على اسناد المعارضة الوطنية فاننا لم تتعرض للصعوبات التي صادفت حكومة بريونينغ•

في ٨ كانون الاول ١٩٣١ عرضت الحكومة تدابير اضطرارية جديدة لتوقيعها من قبل رئيس الجمهورية وكان الغرض منها تحقيق الأمن الاقتصادي والمالي للبلاد• وقد عرض الدكتور بريونينغ بمنتهى الصراحة مدى حراجة الموقف وقال في معرض تبرير تدهور الحالة ووصولها الى هذا الحد:

« ان حكومة المانيا سوف لن تصبر على اية قوة اخرى عندما تحاول تلك القوة المساس بالدستور• ولن يمارس السلطة في المانيا سوى رئيس الجمهورية والحكومة ولابد من اللجوء لجميع الوسائل الدستورية الكفيلة باستعادة السلطة وممارستها بكل اقتدار»•

ولم يشر بريونينغ في كلامه هذا للبرلمان او للديموقراطية• وانما خلص الى حقيقة مهمة هي ان لفون هندنبورغ ولحكومته فقط الحق كل الحق في ممارسة السلطة• وبصراحة تامة فانني وجدت هذا التصريح ينطوي على قصر النظر واعتبرته من خصائص دستور ڤايمار الذي اباح القضاء على الديموقراطية وبعد مدة وجيزة وجدت نفسي بموقع المسؤولية•

# الفصل الحادي عشر

# أنا المستشار

**انتخابات رئاسة الجمهورية . مفاوضات عقيمة . نتائج الانتخاب . خلاف مع بريونينغ . منع وحدات العاصفة . استقالة بريونينغ . فضيحة المساعدات الشرقية . الديموقراطية الفاشلة . نداء فون شلايخر . رجاء عجيب . حزمت امري بالقبول . معارضة احزاب الوسط . قابلت هتلر . الخطوات الاولى .**

بدأ عام ١٩٣٢ بمحاولة الدكتور بريونينغ جعل اعادة انتخاب الرئيس فون هندنبورغ وفق الطرق البرلمانية. فقد تداول بهذا الشأن في ٧ كانون الثاني ١٩٣٢ مع ادولف هتلر ومع الحزب الاشتراكي الديموقراطي. وجعل هتلر موافقته رهينة بمحادثات اخرى ينبغي عليه اجراؤها مع هوغنبرغ وعرض شروطه المتضمنة الاعتراف بشرعية الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) في جميع المناسبات والانتخابات في المانيا كلها وفي پروسيا[1].

(١) كانت پروسيا منفصلة برا عن الاراضي الالمانية لوجود الممر البولندي المؤدي الى دانزك . — المترجم —

اما الحزب الاشتراكي الديموقراطي فقد طالب بعدم قيام الاحزاب الاخرى الالمانية باتخاذ اية فعاليات مضادة لنشاطه في هـذا السبيل. فالانتخابات الجديدة يفترض ان تحقق اغراض المعارضة وتسهل لها الوصول للحكم.

واذا كان بريونينغ يبغى تحقيق هذا الغرض بنفسه فليس ثمة سبب يدعو لاعادة الانتخابات. الا ان الانتخابات تمخضت عن مزايا واضحة الى ابعد الحدود. اذ حاز بريونينغ ثقـة الرئيس التامة . واخيرا وليس آخراً سيحصل الحزب النازي على مسؤوليـة الحكومة كاملة ولكن المـداولات تعثرت في ١٢ كانون الثاني ١٩٣٢.

فقد كتب هوغنبرغ رسالة الى المستشار تتضمن عدم تأييده لتجديد انتخـاب الرئيس فون هندنبورغ لأنه لم يعـد يمثل آمـال الشعب ولأن الانتخابات البرلمانية تمخضت عن ارتفاع نسبة مقاعد المعارضة الى درجة تستوجب تكليفها بمسؤولية الحكم. اما هتلر فقد كتب مذكرة الى المستشار قال فيها ان اضطراب السياسة الداخلية سيجعل ممارسة السياسة الخارجية اكثر صعوبة.

ثم قال انه لا يمكن ان يعتقد بأن الحكومة الالمانية التي تخشى من مواجهة خصومها في خضم السياسة الداخلية يمكنها ان تمارس سيـاسة خارجية مؤثرة تمثل بها ضمير الأمة الالمانية . وكانت هـذه وجهـة نظر منطقية بكل تأكيد.

لم يحاول المستشـار بريونينغ اجراء أي اتصـال آخر بالمعارضـة وخصوصا بالحزب النازي مما جعل التوتر السياسي يزداد شدة في البلاد. وصارت المانيا تعطي للدول الاجنبية صورة محزنة للغاية عن انتخاب الرئيس الالماني للمرة الثـانية لأن تلك الانتخـابات دلت على تشتت آراء الشعب الالماني لاسيما وانه خبر خدمـة الرئيس خلال السنوات السبع المنصرمة وهذه الانتخابات تقدم الدليل الساطع على مدى الصعوبات التي توشك ان تعصف بالمانيا . وواضح ان المستشار بريونينغ لم يفكر آنذاك بالتدخل لمنع التمزق الذي ساد الانتخابات لتجديد ولاية الرئيس.

الا ان المستشار بريونينغ بذل قصارى جهوده ـ في تلك الظروف ـ من اجل تأمين اعـادة انتخـاب الرئيس فون هندنبورغ • لكن انتخابات الرئاسة ليوم ١٣ آذار ١٩٢٣ لم تتمخض عن حصول الرئيس فون هندنبورغ على الاغلبية المطلوبة حيث حاز الرئيس على نسبة ٤٩ر٦٪ من الاصوات فقط وحاز هتلر ٣٠ر١٪ من الاصوات وحاز تيلمان الشيوعي على ١٣ر٢٪ وحاز دويستربرغ (وهو مقدم مغمور كان ينتمي لمنظمة الخوذة الفولاذية) على ٦ر٨٪ من الاصوات•

وبعد شهر من ذلك التأريخ جرت في خلاله دعايات محمومة وصراعات حزبية عنيفة أعيدت الانتخابات للمرة الثانية فقال الدكتور بريونينغ في معرض تأييده للرئيس فون هندنبورغ بأن هذا الرجل ستكون له اهميته التأريخية دوما لأنه يعتبر رمزاً للوحدة الالمانية وللقوة الالمانية في العالم اجمع•

وقد تمخضت نتائج الانتخابات في دورتها الثانية عن حصول الرئيس فون هندنبورغ على نسبة ٥٣٪ من اصوات الناخبين الالمان بينما حصل ادولف هتلر على ٣٦ر٨٪ ومع ان الرئيس فون هندنبورغ حقق الحصول على اغلبية ضئيلة تضمن اعادة انتخابه لرئاسة الجمهورية الا ان تلك الانتخابات دلت بوضوح تام على ان ادولف هتلر يتمتع بثقـة اكثر من ثلث الناخبين الالمان•

فمن الذي يتشكك بمدى التأثير النفسي المتزايد الذي ينتظر ان يحققه حزب هتلر في انتخابات مجلس النواب الوشيكة؟ فانتخابات الرئاسة دلت على ان مرحلة ارتقاء هتلر وتعاظم قوته السياسية قد بدأت ولم يكن هتلر (كما يزعم البعض بعد الحرب العالمية الثانية) قد حصل على النجاح الساحق في الانتخابات التي جرت في عهد وزارتي بعد بضعة اشهر من ذلك التأريخ بفضل مساعداتي له• وانما كانت مخاوفي التي سبق ان عرضتها على المستشار في عام ١٩٣١ من مغبة تدهور الموقف الداخلي في محلها لكن المؤسف هو ان المستشار بريونينغ لم يصغ لتلك النصيحة المخلصة•

ثم ان نتائج انتخابات الرئاسة تمخضت عن حقيقة اخرى مهمة هي توسع الجفوة القائمة بين رئيس الجمهورية والمستشار لأن الرئيس اكتشف الحقيقة المرة المتمثلة بعدم جدارة مستشاره لأن هذا لم يفلح في توحيد آراء جميع الاحزاب لاعادة انتخاب الرئيس . فهو على الرغم من بذل كل مساعيه لم يستطع استمالة نسبة جيدة تشير الى مدى التفاف الشعب حول الرئيس وكان كل ما حققه هو حصول الرئيس على ادنى نسبة تضمن بقائه في منصبه.

ولعل اشد ما حز في نفس الرئيس ان رفاقه القدماء الذين قاتلوا معه في الحرب العالمية الاولى لم يجددوا ولايته. وكانت حصيلة ذلك ان اتجهت نية الرئيس الى اعادة تشكيل الوزارة ــ بناء على وصية المستشار بريونينغ ــ من عناصر غير حزبية وكان ان كلفني الرئيس بتشكيل الوزارة الجديدة على هذا الأساس.

في ١٣ نيسان ١٩٢٣ اعلنت الحكومة حالة الطواريء ومنعت الحزب النازي من الاحتفاظ بتشكيلات حرس الحماية[٢] ووحدات العاصفة[٣] وهي التشكيلات شبه العسكرية التي الفها الحزب النازي لاغراضه الأمنية. وبعد يومين من ذلك التأريخ كتب الرئيس فون هندنبورغ رسالة الى وزير الداخلية الفريق غروينر طلب فيها اصدار اوامره بمنع جميع التنظيمات شبه العسكرية المسلحة للاحزاب الاخرى وقد اوضح غروينر للرئيس انه لا يرى ما يبرر منع منظومتي (الجبهة الحمراء) و(حماة المانيا) الشيوعيتين والمنظمات الاخرى المشابهة لهما. وبعد شهر واحد اقيل الفريق غروينر.

ولكن كيف لنا ان نتصور وجود بلد يحرص على النظام بينما تحتفظ جميع الاحزاب السياسية فيه لنفسها بقوات شبه عسكرية مسلحة من اجل الدفاع عن نفسها؟ والجواب بكل بساطة هو ان الاقطار الديموقراطية الاخرى

---

(٢) يرمز لهذه القوة بالحرفين SS وهما مختصر عبارة Schützstaffeln ــ المترجم ــ

(٣) يرمز لهذه القوة بالحرفين SA وهما مختصر عبارة Strumabteilungen ــ المترجم ــ

امثال بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية لديها قوات من الشرطة مسؤولة عن حفظ النظام وضمان حرية جميع الاحزاب. اما في جمهورية ڤايمار فكان هناك ترتيب آخر اذ ان المشاحنات والمماحكات الحزبية بين تجمعات احزاب اليمين واحزاب اليسار لم تكن لتهم وزراء داخلية النظام الذين كانوا المشرفين المباشرين على ادارة الشرطة لالمانية .. ولذا فان من البديهي قيام كل حزب باتخاذ التدابير الوقائية الذاتية لحماية اعضائه من العدوان. وعليه فقد قام الحزب الاشتراكي الديموقراطي بتنظيم قوة (حماة المانيا) لحماية نفسه ازاء (اعداء الجمهورية) وكانت للحزب الشيوعي منظمة شبه عسكرية للغرض نفسه كما اسس الحزب النازي قوة مشابهة. ولقد كانت جميع هذه المنظمات حتى ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣[٤] غير مسلحة رسميا . ولكن النازيين شرعوا بعد هذا التأريخ بتسليح حرس الحماية وقطعات العاصفة بأسلحة قياسية.

ولقد ذكر بريونينغ في عام ١٩٤٧ لوكالة الانباء الالمانية بأنه سبق ان حاول في عام ١٩٣١ منع منظمة (ذوي القمصان البنية) النازية الا ان فون هندنبورغ لم يوافق على هذا المنع لأن الشيوعيين كانت لديهم منظمة مشابهة. ثم ان بريونينغ سمع اثناء حملة انتخاب الرئيس من قادة الجيش ووزراء داخلية الولايات مقترحات تقضي بضرورة حل منظمة وحدات العاصفة النازية لكن الرئيس فون هندنبورغ رفض التوقيع على أي امر ينص على حل تلك المنظمة شبه العسكرية ولما تأكد بريونينغ من ان هذه المسألة ستكون سبباً لأثارة الخلاف بينه وبين الرئيس فضل التغاضي عن وجود منظمة وحدات العاصفة.

وقد أظهر اللواء فون شلايخر عدائه الشديد للحزب النازي عندما اجتمع هو ورئيس اركان الجيش الفريق فون هامرشتاين اكوورد مع المستشار بريونينغ في (ڤلدباد) في خريف عام ١٩٣١ واكدا له ما يلي:

« في حالة تبدل الحكومة فانهما يخشيان على نفسيهما من خطر جدي

---

(٤) هذا هو تاريخ وصول هتلر الى السلطة . — المترجم —

لأنهما غير راغبين في تحمل مسؤولية الجيش الذي سيصبح خاضعا لحكومة نازية».

وهكذا يتبين ان المستشار بريونينغ لم يعد يهتم للرئيس فون هندنبورغ بعد ان اخذ يقيم علاقات سرية مع المغامر فون شلايخر الذي صار يشعره بالخطر الذي يتهددهما معاً. فتوطدت علاقاتهما على سبيل تبادل الاسناد .

الا ان الاجراء السديد الذي اصر عليه الرئيس فون هندنبورغ هو القرار على منع جميع المنظمات شبه العسكرية لجميع الاحزاب.

والسؤال الذي يلح على فرض نفسه هو . من الذي كان مسؤولا عن تقويض دولة ڤايمار؟

والجواب هو ان الذي قام بهذا العمل ضابط شاب برتبة لواء يشغل منصب مدير مكتب وزير الدفاع وليست له اية مسؤولية مباشرة لكنه كان ذو تأثير على كل من وزير الدفاع والمستشار وهذا الضابط هو كورت فون شلايخر. وكانت وجهة نظر فون شلايخر صحيحة من ناحية واحدة هي ان الجيش الالماني بقي المؤسسة السالمة الوحيدة التي يعتمد عليها في المحافظة على النظام العام بعد ان اثبتت دولة ڤايمار فشلها الذريع في ممارسة الديموقراطية.

وتقع مسؤولية انهيار النظام البرلماني الذي وضعته الجمهورية الالمانية على كواهل عدد كبير من الرجال. وعندما اصبحت مستشارا لالمانيا بعد شهرين وظهرت للوجود قضية منع قطعات العاصفة مرة اخرى كان فون شلايخر قد مهد لذلك قبيل تسنمي للسلطة مؤكدا بأن رغبة الرئيس فون هندنبورغ والجيش الالماني تتجه نحو حل قطعات العاصفة بينما ارسل لي هتلر من يقول لي بأنه سيتعهد بعدم انضمام الحزب النازي للمعارضة في حالة عدم اصراري على حل قطعات العاصفة.

ولقد علل سير رومبولد في ٩ حزيران ١٩٣٢ أسباب استقالة بريونينغ بارجاعها الى عدة اسباب منها عدم نجاحه في تسديد التعويضات الكبيرة التي

فرضها المنتصرون على المانيا وتزايد عدد العاطلين عن العمل وافلاس اغلب المؤسسات المالية في پروسيا الشرقية . وقد ايد الدكتور بريونينغ فيما بعد هذا الرأي بزعمه ان افلاس تلك المؤسسات المالية ادى الى هجرة ٠٠٠ ٦٠٠ نسمة من پروسيا أي عشر عدد العمال العاطلين آنذاك.

والمؤسف ان كارثة اندحار المانيا في الحرب العالمية الثانية تمخضت عن ظهور ما يسمى (بأدب ما بعد الحرب) والذي تميز بالقاء التهم جزافا على كل مسؤول الماني بحيث لم ينج أي مسؤول من تهمة ظالمة الصقت به فظهرت صحيفة «برلين اليومية» وهي ذات نهج ديموقراطي وعلى صفحاتها مقال كتبه رودولف اولدن ذكر فيه «سر تسليم السلطة في المانيا لنائب العريف البوهيمي[٥]» كما تضمن اتهاما موجها ضد الشيخ فون هندنبورغ بزعم انه تلقى مزرعة (نوي‌دك) هدية من ارباب الصناعة بمناسبة عيد ميلاده الثمانين بينما كانت المزرعة المذكورة من املاك اسرته التليدة.

وسرعان ما جائت تبرئة المشير الشيخ فون هندنبورغ ــ وهو في‌مثواه ــ من وزير الاقتصاد الالماني الاسبق الذي كان احد اعضاء حكومتي وهو البارون براون الذي أقام اواخر ايام حياته في الولايات المتحدة عندما كتب وثيقة يؤكد بها عدم تسلم الرئيس فون هندنبورغ وولده اوسكار أية هدية مالية أو عينية من أحد.

والمؤسف ان بريطانيا اخطأت خطأ فاحشا باعتقادها بأن كبار الصناعيين الألمان يتحملون النصيب الاكبر من جريرة وصول هتلر الى السلطة. والحق هو ان حكومة ڤايمار حازت ــ رغم محاولتها الجادة لاعادة انشاء المانيا الجديدة ــ عداء احزاب اليمين واحزاب اليسار على حد سواء ولذا فأحزاب المانيا كلها تتقاسم بدون استثناء مسؤولية وصول هتلر الى السلطة. ذلك لأن السعي لاستعادة سيادة المانيا المفقودة نتيجة لخسارتها الحرب العالمية

(٥) المقصود ادولف هتلر . ــ المترجم ــ

لاولى ادى الى ارتفاع مستوى الحماس الوطني ولكن ذلك الحماس الوطني لم يتجه نحو تحقيق التعاون الاوربي ولم يجد مع الأسف عددا كافيامن السياسيين اللامعين الذين يؤمنون بفكرة التضامن الأوربي وكانت حصيلة التطرف الوطني ايجاد المناخ المناسب لازدهار فكرة الاشتراكية الوطنية التي وضع هتلر اسسها وطبقها في سبيل رفعة المانيا وعظمتها في العالم.

أما المحافظون الالمان من الوطنيين المتحمسين واصدقائهم فقد بقوا سادرين بمنأى عن الافكار الجديدة وصار همهم منصرفا لمكافحة الشيوعية والتصدي بالوقت نفسه للحزب الاشتراكي الديموقراطي القوي. وكانوا قد منحوا ثقتهم للزعيم اليميني (هوغنبرغ) الذي اعتبر تضامنه مع الاحرار خطوة تقدمية واسعة نحو اخراج المحافظين من تزمتهم.

بدأ الحزب الاشتراكي الديموقراطي نشاطه السياسي في عام ١٩١٩ وصار اقوى احزاب المانيا عندما حاز ١٣٫٨ مليون صوت في الانتخابات. وكان هذا الحزب اقوى من هتلر وانصاره لأنه لم يحصل في اوج انتصاراته في انتخابات ٣١ تموز ١٩٣٢ على اكثر من ١٣٫٧ مليون صوت.

وقد حكم الحزب الاشتراكي الديموقراطي المانيا كلها واقليم بروسيا طوال احد عشر عاما بصورة مستمرة. ولكنه لم يتمكن من المحافظة طوال هذه الفترة لا على الاستقرار في البلاد ولا على وجود حكومة ڤايمار لجمهورية الوليدة ولم يتمكن من تحقيق التعاون الأوربي وكان ان ادت سياسته الداخلية الى زيادة الانقسامات بين ابناء الشعب وتزايد عدد لاحزاب وعدم قدرته على السيطرة على الازمة الاقتصادية العالمية التي سرت الى المانيا وسببت تفاقم مشكلة البطالة . ثم ان الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى لا يمكن تبرئتها من جرم الاستمرار على اذلال المانيا واعاقة استقرارها.

ولما تدهور الموقف الداخلي في المانيا خلال عام ١٩٣٠ تخلى حزب لاحرار البريطاني الحاكم والاشتراكيون الفرنسيون الذين كانوا يتولون

مسؤولية السلطة في بلادهم عن اسناد الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني الحاكم آنذاك.

ولابد لي بهذه المناسبة من الاعتراف بأن حزب الوسط الذي كنت انتمي اليه يتحمل هو الآخر قسطا من تلك المسؤولية لأنه تلقى الكثير من الاتهام بسبب اخفاقه في مساعيه التي بذلها طوال سنين عديدة من اجل وضع الاسس القويمة لاقرار الديموقراطية في البلاد. كما أن المساعي التي بذلتها شخصيا لتحقيق التعاون الوثيق مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي الحاكم ـ خصوصا في بروسيا الشرقية ـ من اجل تنفيذ الاصلاحات الكبيرة اصابها احباط تام. لكن الاصلاحات البرلمانية والحكومية كانت ضرورية لازدهار البلاد.

ومع ان الدكتور بريونينغ لم يتمكن من التغلب على المشكلات التي صادفت حكومته ولا التغلب على الانتكاسة التي اصابت الحزب الاشتراكي الديموقراطي في انتخابات حزيران ١٩٣٢ فانه بذل قصارى جهوده لتأليب جميع الاحزاب للعمل وفق توجيهاته ضد حكومتي .

وانني لا ازال متعجبا من تصرفه هذا ولا ادري لماذا لم يحاول اسنادي بينما ادت كل فعالياته المناهضة لإجراءاتي الى نتيجة واحدة هي ارتقاء الحزب النازي ووصوله الى السلطة.

وتتوفر لدى الدولة الديموقراطية احتمالين فقط لمعالجة مثل هذا الموقف . احدهما وضع برنامج مشترك مع المعارضة والتوصل لتشكيل حكومة ائتلافية . وبذا تتحمل احزاب اليمين المعارضة نصيبها من المسؤولية وعندئذ سيعلم ناخبوها بأن هناك ما يبرر ائتلافها مع الحزب الحاكم لمعالجة اوضاع البلاد. والمؤسف ان احدا لم يفكر في عام ١٩٣٠ـ١٩٣١ باللجوء الى هذا المسلك.

أما الاحتمال الآخر فيتمثل بازالة المسببات التي تعتمدها المعارضة في مناهضتها للحكومة . فالحزب النازي وصل الى السلطة بسبب وجود الملايين

من العمال العاطلين وبسبب ضعف الحكومة في السيطرة على نشاط الاحزاب والجماعات المتطرفة ، وهكذا كان على حكومة بريونينغ بذل كل جهودها لمكافحة البطالة بشتى الوسائل المتاحة لها والتعامل مع جميع الاحزاب والفئات المتطرفة بحزم يجبر تلك الفئات على احترامها.

ألا ان الدكتور بريونينغ لم يحاول القيام بأي من هذين الاجراءين. كما ان سياسته الضيقة الافق ادت الى تدهور الحالة الاقتصادية لدرجة اشد مما حفز احزاب المعارضة على مضاعفة نشاطها للاطاحة بحكومته.

حاولت طوال هذه الفترة في محاضراتي وفي مقالاتي التي كتبتها في الصحف المطالبة بتبديل سياسة بريونينغ وفي نيسان ١٩٣٢ دعوت لمعارضة التغييرات البرلمانية التي عزمت حكومة بريونينغ تطبيقها على البرلمان البروسي وبعد ذلك بقليل دعوت للتمسك بحق مطالبة المستشار بوضع خطط ادارية جديدة. لكنني لم اكن في تلك الفترة على بينة من وجود اختلافات حادة بين المستشار والرئيس فون هندنبورغ. لأن قضية منع منظمة وحدات العاصفة لم تكن قد ظهرت بشكل علني بعد. وفي ٢٦ مايس ١٩٣٢ تلقيت دعوة من اللواء فون شلايخر. اذ وجه لي الرجل دعوة عاجلة لاجراء محادثة معه ببرلين. وقد زرته بمكتبه في ٢٨ مايس ١٩٣٢ دون ان تكون لدي اية فكرة عن سبب تلك الدعوة.

أوضح لي فون شلايخر باسهاب حالة الموقف السياسي وطبيعة الازمة المحدقة بالحكومة مع رغبة الرئيس بتكليف شخصية لا انتماء لها في الحال الراهن آنذاك لأي حزب سياسي بتولي منصب المستشار بغية تشكيل حكومة من الاختصاصيين ، ويبدو انه من المتعذر – من الناحية الفنية – تشكيل حكومة برلمانية في تلك الظروف وذلك لعدم وجود اغلبية متميزة. وهكذا لم يبق امام الرئيس أي اختيار سوى اللجوء لانتخاب رجل يقع اختياره عليه لتشكيل الحكومة الرئاسية.

اوضح لي فون شلايخر بمنتهى الحماس اسباب عدم اعتماد الرئيس على

المستشار بريونينغ للنهوض بهذه المهمة فقال ان دعوة المستشار لحل منظمة وحدات العاصفة اثارت عليه حفيظة الحزب النازي الذي ناصبه العداء وحمل عليه لواء المعارضة التي تزداد عنفا باضطراد • كما ان المشير فون هندنبورغ متحامل على بقية الاحزاب لأنها خذلته في انتخابات تجديد ولايته• ثم انه من غير الممكن مقاومة حزب قوي مثل الحزب النازي باللجوء لاجراءات سلبية بينما يثبت هذا الحزب قوته المتنامية بشتي الوسائل لدرجة اصبحت تزداد خطورة•

وحيث ان الحزب النازي يتوخى تحقيق الكثير من الآمال الوطنية التي يتعاطف مع تحقيقها كل وطني الماني فسيكون من الصعب ـ ان لم يكن من المتعذر ـ اجبار الضباط الشباب المتقدين حماسة على القيام باجراءات قسرية مضادة للحزب المذكور او منعهم من التعاطف مع افكاره الوطنية•

وكان الدكتور بريونينغ قد صرح اكثر من مرة بأنه سوف لن يجلس يوما على منضدة واحدة مع الحزب النازي• وهكذا ظهرت القطيعة بين المستشار والحزب النازي الذي بادله عداء بعداء• وفي هذه الاثناء اظهر اتحاد فلاحي شرق المانيا عدم ثقته بالمستشار بريونينغ واتهمه بالحاق الضرر بالاقتصاد الشعبي • وثمة احتجاجات اخرى تعرضت لها حكومة بريونينغ واثارت امتعاض الرئيس فون هندنبورغ عندما اقدمت على تخفيض رواتب الموظفين والمتقاعدين لدرجة اثرت على المستويات المعاشية لملايين المواطنين الالمان بدلا عن التحري عن مسببات الازمة الاقتصادية والعمل على ازالتها بوسائل ايجابية فعالة• وكان ان خشي الرئيس فون هندنبورغ على شعبيته وثبت له بأن مستشاره سيؤدي بتصرفاته الى تقويض الكيان الاقتصادي وانه يسير بألمانيا نحو الهاوية•

ادركت من حديث فون شلايخر بأنه يتحدث بأسم الجيش الالماني من موقع الشعور بالمسؤولية وان الجيش هو الأداة الوحيدة لحفظ النظام ويبدو انه يحاول السيطرة على الموقف المتدهور لوضع حد للفوضى السياسية التي تشهدها المانيا وهذا ما كنا قد تحدثنا بشأنه مليا في مختلف المناسبات•

ثم خلص فون شلايخر الى ان مناهضتي لحكومة بريونينغ كان لها ما يبررها وقال انه يرى وجوب تشكيل حكومـة المانية على غرار حكومة فون بسمارك يدين اعضاؤها بالولاء لألمانيا وتحافظ على التوازن في مجـال السياسة الداخلية • وعندئذ ايدت رأي فون شلايخر من حيث المبدأ مؤكدا على ضرورة قيام الحكومة الجديدة باصلاحـات برلمانية وان يتم انتخـاب شخصيات الحكومة المنتخبة من خارج الاحزاب الثلاثين التي كانت تمارس نشاطاتها السياسية في المانيا مع منحها صلاحيات العمل دون التعرض للتحديات التي يفرضها البرلمان • الا ان فون شلايخر نحى هذه الافكار جانبا مفضلا ممارسة اتخاذ القرارات الحازمة وراء الكواليس بمنأى عن نشاطات الاحزاب وعن الحكومة القائمـة وعن الرئيس فون هندنبورغ• ثم ان فون شلايخر حاول انهاء حديثه معي متسائلا عن الشخصية الملائمة لرئاسة الحكومـة الجديدة وقال ان عدة اسماء معروفـة تم استعراضهـا وطلب رأيي بتلك الشخصيات تباعا • والى هنـا كانت محادثته معي طبيعية جدا ولم تخرج عن المألوف• الا انه اعقب ذلك بمفاجأتي الى ابعد الحدود عندما سألني بصورة مباشرة عما اذا كنت على استعداد لتولي هذه المهمة•

وقد بدى لي انه قابل شعوري بالفخر والتعجب ازاء هـذا العرض بطيف ابتسامة ودودة لكنها تحمل في معالمها شيء من التهكم فأجبته:

« انني لم اتهيأ لتولي مثل هذه المسؤوليـة الصعبة• كما انني اشك كثيرا بكوني الرجل المناسب لهذه المهمة• وطالما نحن بصدد تقدير الموقف الراهن لوحدنا فانني اتعهد بمساعدتك في ابداء المشورة قدر استطاعتي على ألا اكون انا المستشار»•

فأجابني فون شلايخر قائلا:

« لكنني سبق ان اقترحـت اسمك على الشيخ الجليل[٦] فرحـب بتكليفك بالمهمة» •

---

(٦) المقصود الرئيس فون هندنبورغ • — المترجم —

فرددت عليه قائلا:

« لقد استعجلت باللجوء الى هذا الاجراء قبل استشارتي، فأنا لا يمكن ان اتخذ قرارا بمثل هذه الخطورة بسهولة تامة واضع نفسي بين طاقي الوحي».

عندئذ تحولت نبرة فون شلايخر نحو التودد والتأكيد على علاقاتنا الحميمة القديمة واحتضنني بذراعيه قائلا بأنني يجب ان اقدم على هذه التضحية من اجله ومن اجل المشير فون هندنبورغ وقال انهما استعرضا كل رجالات المانيا فلم يجدا من هو انسب مني لتحمل هذه المسؤولية وابعاد البلاد عن خطر التسلط الاستبدادي وقال انه اتتقى نخبة من الاختصاصيين لتشكيل الحكومة وان تلك الاسماء لابد ان تحوز اعجابي ورضاي.

قاطعت فون شلايخر لاضع حدا لاسترساله في اقناعي فقلت له:

« اعطني بعض الوقت يا شلايخر لكي اتمعن بهذا الامر واقلبه على وجوهه، فلربما سأتوصل لما هو افضل من اجلك، اذ يجب ان يكون من الواضح لدينا تماما ما يجب ان نعمله من اجل التوصل للغرض الرئيسي بتشكيل حكومة جديدة مع مراعاة التوتر المحتمل من جراء معارضة الحزب النازي لقيام حكومة رئاسية».

فأجابني فون شلايخر:

« لقد تمعنت مليا بهذه المعضلة ، كما سبق ان ناقشتها مع هتلر ووعدته بالغاء المنع المزمع اصداره ضد منظمة وحدات العاصفة في حالة محافظتها على النظام العام وكذلك حل البرلمان فتعهد بدوره بعدم التعرض للحكومة الجديدة على الرغم من عدم اشتراك الحزب النازي فيها».

ولما قرأ فون شلايخر على وجهي امارات التفاجؤ عندما سمعت بعزمه على حل البرلمان طفق يبرر لي هذا الاجراء قائلا:

« انني أمثل في هذا المقام رأي المشير فون هندنبورغ، وقد يكون اجراء حل البرلمان سديداً لأنه يخلص الحكومة من معارضة الأحزاب بينما

تتم ممارسة الحكم بنخبة من الاختصاصيين • كما ان شعبنا قاسى الكثير بسبب تناحر الاحزاب وسيكون الرئيس فون هندنبورغ ممتنا فيما لو تم التغلب على الازمة الاقتصادية الخانقة وفيما لو وضع حد للاشتباكات المستمرة في الشوارع بين انصار مختلف الاحزاب وستجري مراعاة العدالة ووضع الامور في نصابها على أية حال».

لم نمض في اختلافنا بالرأي الى ابعد من ذلك وهببت من مجلسي مصافحا فون شلايخر على امل اللقاء به ثانية في صباح يوم الاثنين (وكنا في صباح السبت) لكي اواصل معه حديثي. ولما تركت شارع بندلر[٧] ساورني شعور ملح.

فأنا امارس السياسة الداخلية والخارجية بمنتهى الحماس منذ اكثر من عشرة اعوام مساهمة مني في اعادة نهوض بلادي من كبوتها بعد الحرب الضروس • بينما كان اكثر السياسيين سادرين في هدوء حياتهم البرلمانية المريحة. وقد تحملت كامل مسؤولياتي دون خشية او تردد لكنني الآن ازاء قرار خطير لا يخصني لوحدي بصورة شخصية وانما ينطوي على اقدامي او احجامي عن قبول مسؤولية كبيرة.

ولم يتوقف قبولي لهذا المنصب الرفيع او رفضي له على اللواء فون شلايخر ولا على تقديري للموقف السياسي وانما كان يتوقف ايضا على مدى كفايتي الشخصية ومدى تحملي للمسؤولية الكاملة وقدرتي على النهوض بهذه المهمة بنجاح تام. وكان شعوري بمحدودية قدرتي كافيا لرفض الطلب الذي عرضه على فون شلايخر.

لذلك عزمت على محاولة مراجعة نفسي بهذا الشأن ومشاورة من اعتمد عليهم وسماع آرائهم. وكان ان عزمت على عرض القضية على صديقي الحميم هانس هومان وهو رجل اثق كثيرا برأيه واعتز باخلاصه فحثثت الخطى نحو

---

(٧) كان شارع بندلر ببرلين شارع مقرات وزارات الدولة ومنها وزارة الدفاع. — لمترجم —

مقامه في (نوي بابلزبرغ) فدعاني الرجل الى نزهة في زورق شراعي تبادلنا على متنه الآراء بمنأى عن الناس اجمعين ونحن نتهادى على صفحة الماء في بحيرة (ڤانزي) وكانت حصيلة ذلك اللقاء ان اتحفني هومان برأيه السديد لتميزه بالصراحة الشرقية ووضوح التقييم لمختلف الشخصيات وكانت خلاصة رأيه ان خفف كثيرا من اعجابي بمناورات فون شلايخر قائلا:

« من الطبيعي انهم يحتاجون لرجل يحمل افكار احزاب الوسط وينحدر من اسرة محافظة ولا يؤمن بالاساليب الديموقراطية التي اثبتت فشلها، وهو غير مستهدف من الاحزاب المتطرفة وهذه الصفات تجتمع كلها في شخصك. ولكن هل يمكن للمرء الاعتماد على اقوالهم؟ انني اشك في ذلك كثيرا، ثم انك ستلاقي اشد معارضة من حزبك السابق ــ حزب الوسط ــ الذي كان يدين لبريونينغ بالولاء وعليه فهو لن يسامحك على تسنم منصبه والحلول محله حتى ولو كنت بريئا من هذه الجريرة. وأنا لا ابغي من هذا القول تجريعك المنغصات ولكنني اعرض عليك حقيقة مهمة هي ان رئاسة الحكومة تتطلب تفهما سديدا لطبائع الناس وادراكا واسعا لحاجاتهم وتصورا شاملا للسياستين الداخلية والخارجية مع التسلح بالشجاعة الادبية . وطالما سبق ان اثبت اهليتك في شتى المواقف فلابد ان فون شلايخر والمشير فون هندنبورغ كونا فكرة بأنك انت الشخص المناسب لهذا الظرف. لكن اشد ما اخشاه هو الا تدرك الاحزاب بأن حكومة ڤايمار سوف تلاقي حتفها ما لم تنل الاصلاحات العاجلة . وانني ادعوك لقبول العرض فورا فيما لو كانت لدينا معارضة تقدمية واعية تساعد حكومتك على تنفيذ خططها البناءة».

وهكذا استوعبت تقديرات هومان التي محضني بها نصيحته ببضع جمل موجزة .

عدت في صباح يوم الاثنين الموافق ٣٠ مايس ١٩٣٢ الى شارع بندلر وكنت قد عقدت العزم على اخبار فون شلايخر بقراري المتضمن رفض القيام بمهمة مستشار المانيا . فلما قابلته تلقاني بوجه طافح بالبشر الذي يبدو على محيا كل من تتحقق آماله وتسير خططه حسبما رسمه لها وابتدرني

قائلا:

« والآن اخبرني عما عقدت العزم عليه يا عزيزي پاپن، اذ لا ينبغي لرجل فعال مثلك ان يترك مثل هذه الفرصة الذهبية تفلت من يديه دون ان يبرهن على صدق خدمته لبلاده ».

فأجبته :

« الا يمكنني ان اثبت لبلادي صدق خدمتي؟ لقد سألت نفسي هذا السؤال مرارا منذ يوم السبت الفائت . وقد تمخض الامتحان الذي خضته مع نفسي عن نتيجة سلبية. فالموقف الذي نعيشه يتطلب الاستفادة من جميع الجهود المخلصة وحشد القوى الوطنية كلها ــ ضمن الاحزاب وخارجها ــ وقد وجدت انني لست بالرجل المناسب. اذ انني اذا صرت خلفاً لبريونينغ فعلي ان آخذ في حساباتي الاستعداد لمواجهة العداء السافر من احزاب الوسط. ثم ان الاشتراكيين يراقبون أي محافظ بعين الريبة لأنهم يعتبرونه مناهضا لمبادئهم وعدوا للدولة الجمهورية الحديثة الولادة.

أما الصناعيون فانهم يتصدون بصورة تلقائية لكل من يعارض الحزب الديموقراطي الاشتراكي حتى ولو نجحت الحكومة الجديدة في القضاء على الكارثة الاقتصادية المحيقة بالبلاد وتمكنت من التغلب على مشكلة البطالة.

ثم اننا يجب ان نحاول اصلاح الاحزاب ولكن دون ان نتجاهل وجودها وليس هناك أي معنى للشروع بالتعامل معها انطلاقا من ازمة برلمانية مصطنعة».

عندئذ اجابني فون شلايخر ضاحكا:

« لقد فكرنا بجميع هذه الأمور . ويبدو انك تعالج القضايا بجدية اكثر مما تستحق وتتصور وجود صعوبات . فمن الطبيعي انك ستصادف من يتعرض لك ويتعرض لي ايضا. لكننا اذا ما نجحنا في تطبيق برنامج واسع للقضاء على البطالة فسيكون الشعب كله شاكرا لنا . واريد ان أرى عندئذ الحزب الذي يمكنه ان يمارس معارضة جدية ضد حكومتك . اما

الصناعيين ذوي الخزانات الخاوية فسينفض عنهم انصارهم وقد ضمنا لك حياد هتلر بعد تخلصه من تزمت بريونينغ . وينتظر تحسن موقف احزاب الوسط اذا ما تولى زعامتها رجل ذكي مثل كاس وسنجد ان الحرب الاهلية القائمة ستختفي تدريجيا ».

ولا يمكنني الانكار هنا فقد اقنعني فون شلايخر بقوة حجته عندما قال لي اخيرا:

« ان هذه المهمة تتطلب رجلا مستعدا للتصدي للهجمات السياسية المتوقعة رغم انه لا يتمتع بأي اسناد من الاحزاب . والحكم على مدى نجاح هذا الرجل سيصدره الشعب الالماني وحده . وان الرئيس فون هندنبورغ يتطلع لولائك بكل ثقة وهو متأكد من انك سوف لن تخذله. لأنه يريد التغلب على الازمة الراهنة بأسرع ما يمكن وينتظر مقابلتك له هذا اليوم».

وهكذا اصبح من الواضح لدي بأن فون شلايخر ادرك هدفه بكل تاكيد . اذ يبدو انه وضع خطته بالإتفاق مع الرئيس فون هندنبورغ باقالة حكومة بريونينغ وترشيحي خلفا له ــ دون وجود أي مرشح بديل عني ــ ويبدو انهما اعدا قائمة بوزراء الحكومة الجديدة واتفقا على تعيين بعض الاسماء لمناصب وزارية معينة. وكان ان استشففت من الاسماء التي اخبرني بها فون شلايخر بأن الحكومة الجديدة تضم عددا من المحافظين غير الحزبيين وكلهم من الاختصاصيين.

لكنني لم اكن قد اعطيت أي وعد بقبول العرض بعد. فقلت للواء فون شلايخر بأنني ارغب باجراء محادثة مع زعيم حزب الوسط الأب كاس اولا.

ثم انني يجب أن اتمعن بردود فعل الدول الاجنبية ازاء قيامي بمهمة المستشار . اذ ان من المؤكد احياء البعض للاقاصيص القديمة التي تشير الى فعالياتي خلال الحرب في الولايات المتحدة الامريكية بصورة مبالغ بها وبشكل يسيء الى سمعتي السياسية.

فعلق فون شلايخر على طلبي قائلا:

« سيان عندك اذا تخرص البعض او لـم يتخرص فالناس يعيشون حاضرهم وما فعلته في زمن الحرب بحكم الواجب تبرره الحرب ولا تثريب عليك » .

ألا ان المهم هو انك تحظى بسمعة جيدة في فرنساء ذلك لأن الفرنسيين يقدرون تماما مدى حرصك على تحسين العلاقات الالمانية الفرنسية بدأب حاز اعجابهم. وهذه السياسة ستلقى منهم كل ترحيب» .

وقد ايدت اقواله هذه وقلت له بأنني سأوافيه في صباح الغد لكي اتخذ قراري بهذا الشأن وربما سأقوم بمقابلة الرئيس فون هندنبورغ.

في الساعة الثالثة من بعد ظهر الثلاثاء الموافق ٣١ مايس ١٩٣٢ ذهبت الى مستشفى (هيدڤيك) لمقابلة الأب الدكتور كاس . وكانت تربطني بـه علاقة حميمة منذ ان قدمـت له الكثير من الاسنـاد في مرحلة وصوله الى زعامة حزب الوسط. ولم يكن من الضروري اخباره بالقصد من زيارتي له. حيث سبق ان قام اللواء فون شلايخر (كما سبق ان ذكرت آنفا) باخبـار السفير الفرنسي ببرلين فرانسوا پونسيه بأسرار سقوط الوزارة الوشيك وعرف العالم اجمع بأن الكرسي كان يترنح تحت المستشار بريونينغ . كما كان من غير الضروري ايضا اخبار كاس بعدم مساهمتي الشخصية في الاطاحة بالمستشار بريونينغ لأن كاس كان يعلم جيدا بمدى اخلاصي في اسناد المستشار بريونينغ. وقد قال لي كاس في ذلك اللقاء دون ان يتوغل بالتفاصيل بأن اشد ما يخشـاه هو ان يحل احـد المغمورين بمحـل بريونينغ ومن الذين يناصبون حزب الوسط العداء وقد اقسم بأنه سيعمل ــ اذا مـا حصل ما يخشاه ــ على الاطاحة بالرئيس فون هندنبورغ.

وكان هذا الموقف متوقعـا من الأب كاس لكنني مع ذلك اخبرتـه بمحادثاتي مع فون شلايخر ومدى اتساع شقـة الخلاف بين الرئيس فون هندنبورغ والمستشار بريونينغ الى حد القطيعة لدرجة دعت الرئيس لاتخاذ قراره باقالة المستشار . وقلت للأب كاس بأنني عازم على مواجهة الرئيس والاعتذار له عن قبول التكليف لأنني لا يمكن ان اقبل بمنصب المستشار

بينما انا لا اتمتع بثقة احزاب الوسط.

وبعد تلك المقابلة بربع ساعة كنت احظى بمقابلة الرئيس الجليل فون هندنبورغ الذي تلقاني كعهده بابتسامته الأبوية الحانية وابتدرني قائلا بصوته الجهوري المجلجل :

« ايه يا عزيزي پاپن. هل ستساعدني في هذا الموقف العسير؟»

فأجبته:

« اخشى أنني لا استطيع النهوض بالمهمة يا سيدي الرئيس »

وأعقبت تلك المحاورة محادثة مطولة قلت في ختامها للرئيس:

« ولكن ربما بالامكان التمسك ببريونينغ»

فأجاب الرئيس:

« كلا . فهو لا يريد مواصلة مهمته . وهو يلح على منحه صلاحيات استثنائية . ثم انه لا يفهم بأنني لوحدي غير قادر على حل تلك المنظمات النازية المسلحة. اضف الى ذلك انه جعلني بموقف بالغ الحرج عندما جعل الاحزاب اليسارية تجدد انتخابي بينما جعل احزاب اليمين ـــ وهم اقرب المقربين الى نفسي ـــ تندفع للارتماء في احضان نائب العريف وتنحاز اليه ضدي».

وأكد اخيرا بأنه يريد تأليف حكومة من رجال يعرفهم هو بصورة شخصية ويمارسون الحكم دون أية تأثيرات من احزابهم تصل الى حد استمزاج آرائها حتى في ادق التفاصيل. فقلت له:

« ان كل هذا واضح يا سيدي الرئيس. ولكنك ارسلت في طلبي لأنك اعتبرتني عضواً في حزب الوسط ولأنني اتمتع باسناد الوسط. ومما لا شك فيه ان بمقدورك ايضا تكليف احد اعضاء الحزب الوطني بهذه المهمة. ولذلك فانني لا اود ان اضللكم يا سيدي. فأنا في حالة قيامي بمهمة المستشار سوف اجلب لنفسي الكره والمناوأة الشديدة من حزب الوسط».

ولم يخرج الأب كاس في محاورته معي عما هو متوقع سواء من قبلي

أو من قبل الرئيس فون هندنبورغ في تقديرنا لموقف حـزب الوسط من الحكومة الجديدة.

واختتم مشهد لقائي مع الرئيس فون هندنبورغ عندما هب من مقعده وتناول كلتا يدي قائلا وهو يحملق في عيني:

« كيف يمكنك خذلان الشيخ الذي ربطتك به روابط الاخوة طوال سنين عديدة وهو متحمل مسؤولية المانيا برمتها عندما وجد نفسه بموقف صعب وهو يطالبك بمساعدته في قضية حاسمة تتعلق بمستقبل المانيا؟

انني انتظر من حميتك الوطنية ان تستجيب لندائي في سبيل المانيا».

وشعرت في تلك اللحظة الحاسمة بصعوبة في التنفس وتسمرت مذهولا وأنا اصغي لعبارته المؤثرة الدافئة بينما استأنف كلامه قائلا:

« سيان عندي سواء حظيت بمودة حزبك او تعرضت لعداوته . فأنا أريد حولي رجالا بلا انتماء ولكنهم يعرفون دقائق عملهم بأفضل ما يمكن لكي اتغلب على الازمة».

ثم تهدج صوته عندما اختتم كلامه قائلا:

« لقـد كنت جنديا وأديـت واجبك في الحرب . ونحن في بروسيا لا نعرف غير الطاعة عندما يدعونا داعي الوطن».

عندئذ لم اتمكن من الاستمرار على العناد بعد ان تحول الرئيس للربط بين التكليف ومفاهيم الطاعة والاخلاص. ولم البث ان شـددت على يد الرئيس مؤكدا طاعتي له وقبولي لتكليفه.

وسرعان ما جاء فون شلايخر ـ الذي كان ينتظر في غرفة مجاورة ـ ليشد على يدي مهنئاً برئاسة الوزارة. لكنني لم اشعر بفرحـة تبرر قبولي للتهنئة وانما شعرت في تلك اللحظة بوطأة الحمل الذي تقبلته تواً.

في تلك الاثناء اصابني الحظ بلطمة شديدة لدرجة اثرت على مستقبلي السياسي بصورة حاسمة فيما بعد . اذ بينما استقر بنـا المقام انا والرئيس

فون هندنبورغ واللواء فون شلايخر لوضع تفاصيل تشكيل الحكومة الجديدة. قام احدهم ــ ولم اعلم ابدا من هو ذلك الشخص ــ بافشاء نبأ اجتماعنا بنداء هاتفي فأنتشر خبر اجتماعنا في طول البلاد وعرضها بسرعة مذهلة ووصل الى البرلمان ايضا بطبيعة الحال وهناك تحدث الأب الدكتور كاس عن مقابلتي له وسرد كل ما قلته له وتأكيدي له برفض طلب الرئيس فون هندنبورغ. وللمرء ان يتصور مدى شعور اعضاء البرلمان عدما يؤكد لهم ذلك الأب المحترم بأنني قلت له امرا وأقدمت على اجراء معاكس له تماما ولابد ان الأب كاس شعر بعدئذ بتأنيب الضمير لأنه فضح حديثاً شخصياً ائتمنته فيه اسراري.

لقد كانت تلك الواقعة من الاحداث التي لا جدوى من التعمق في عقابيلها. وكان ان اجتمع عدد من السياسيين حول المستشار بريونينغ مستنكرين خطوتي التي اقدمت عليها بكل ما لديهم من قوة . ولو علمت فيما جرى في حينه لتكلمت مع الدكتور كاس هاتفيا واخبرته بتفاصيل عرض الرئيس والحاحه علي مما اضطرني على الاذعان لطلبه ــ لأسباب تتعلق بالاخلاق القويمة التي جبلت عليها ــ ومع اني كتبت للرجل بتفاصيل ذلك العرض وملابسات القبول بعد بضع ساعات الا ان كتابتي هذه كانت متأخرة واعتبرت من المبررات الحاذقة بدلا من كونها الحقيقة الناصعة.

ولربما كانت حملة التشهير هذه التي افتتح بها خصومي عهدي السياسي هبة نزلت من السماء على المستشار الذي حللت محله فأراد الانتقام مني بمنتهى القسوة. وكان كل ما استطعت القيام به كرد فعل على هذه الحملة هو تقديم استقالتي من عضوية حزب الوسط. وقد اعطت رسالتي انطباعا بأن استقالتي تتيح لي حرية العمل بالتعاون مع جميع الاحزاب في سبيل خدمة الوطن. حيث قلت في تلك الرسالة بأن رغبتنا المشتركة يجب ان تنصب على توطيد علاقاتنا مع العالم وفق الأسس المسيحية الراسخة.

والمؤسف ان احداث تلك الواقعة اظهرت مدى تسميم «القضية» للجو وارباكها لجميع احتمالات العمل المشترك لدرجة اودت بكل ما عزمنا عليه

قبل الشروع به.

القينا نظرة فاحصة على مصادر الخلل في النظام البرلماني الذي كان السبب في اثارة المشكلات الشخصية والحزبية المقلقة للحكومة بصورة مستمرة. وقد حدث في عام ١٩٤٨ ان اقمنا حفلا تذكاريا بمناسبة مرور مائة عام على ثورة ١٨٤٨ المجيدة في مدينة فرانكفورت وذكرنا انفسنا فيه بأن الحرية والوحدة كانتا وستبقيان اهم مبادئنا التي اتخذناها نبراسا في حياتنا. ولكننا لم نترسم خطى المبادىء التي وضعتها كنيسة پولص والمعروفة لدى الاوساط الانكلوسكسونية الديموقراطية بقبول نظام حزبين فقط احدهما الحاكم والآخر المعارض. وقد تمخضت الحربين العالميتين عن وجود ثمانية احزاب مختلفة البرامج في المانيا الغربية. والمعروف عن برامج الاحزاب الالمانية انها جامدة الى حد الصرامة لدرجة مشابهة لنظام الأديان ويعتبر الاخلال بالبرنامج ـ المقدس ـ خطيئة لا تغتفر ولذا فان الاحزاب تدافع عن برامجها بكل ما اوتيت من قوة دون اية محاولة للتغيير . وتعطي فرنسا والمانيا اسوأ مثل عن الضرر الذي يلحق بهما نتيجة لقبولهما بنظام تعدد الاحزاب الى حد غير محدود. وكانت حصيلة هذا النظام ان تسلط المستبدون على الحكم في فرنسا لمرتين واصبحت حكوماتها قصيرة الاعمار حتى في ايامنا هذه بسبب صعوبة الحياة البرلمانية المفرطة بالديموقراطية . اما المانيا فتنتظرها ازمات سياسية داخلية غير قليلة بسبب تعدد احزابها التي تعتبر من اهم مسببات الوهن. والمؤسف اننا لم نتعلم من اخطائنا السابقة فالحل الامثل يكمن في اعتماد الحكم على حزب قوي تأتلف معه كل القوى الخيرة المحبة للوطن وتستهدي كلها بالمفاهيم الدينية القويمة.

والمؤسف ان انتهازيي حزب الوسط الذين عايشتهم في تلك الفترة لا يزال امثالهم يسرحون في المجال السياسي دون ان يدركوا متطلبات المرحلة الراهنة.

والآن لنرجع الى المشاكل التي صادفتنا في عام ١٩٣٢ . فقد انهينا في اليوم التالي مباحثاتنا بشأن تشكيل الوزارة الجديدة . وكان لفون شلايخر

القدح المعلى في اقتراح الشخصيات للمناصب الوزاريــة بينما كنت اؤيد مقترحاته من اجل ادراك اهدافنا المشتركة . والواقع هو ان فون شلايخر اختار نخبة من الرجال الاختصاصيين ذوي السمعة العطرة . فأصبح البارون فون نويرات ـ وهو الرجل الذي رفض التعاون مع بريونينغ رغم تكليفه بأشغال وزارة الخارجيــة مرارا ـ وزيرا للخارجيــة والبارون فون غاول الاداري المتمرس وزيرا للداخلية وهو رجل عمل لفترة طويلة عضوا في مجلس ادارة الدولة ويمتاز بحصافته وخبرته الرائعة في مجال الاصلاح البرلماني. واصبح الدكتور غيورتنر وزير العدل الباڤاري والذي سبق ان تعرفت عليه شخصيا ابان خدمتنا معاً في الحملة على فلسطين وزيرا للعدل. وكنت قد عزمت على تسمية الدكتور شيتسل وزيرا للبريد والمواصلات الا ان حزب الشعب الباڤاري الذي كان شيتسل ينتمي اليه منعه من الاشتراك بحكومتي. وعليه فقد كلفت صديقي البارون فون ايلتس بتسنم هــذا المنصب وهــو من خبراء سكك الحديد المعدودين في ولاية بادن وكان قد خدم في الولايات المتحدة الامريكية لسنين طويلة في هذا المجال. واخترت البارون فون براون الخبير القدير في الشؤون الزراعية وزيرا للزراعة . اما اللواء فون شلايخر فقد تولى وزارة الدفاع التي خدم في مقرها سنين طويلة واكتسب خبرة جيدة في ادارتها وبذا اصبح فو شلايخر من اقوى وزراء الحكومة الجديدة بعد ان ساهم في انتخاب اعضائها.

وقد صادفتنا صعوبة في اشغال منصبي وزير الاقتصاد ووزير العمل. وكان اختيار فون شلايخر قد وقع على محــافظ لايبزك !! كتور غويردلر الذي سبق ان رشحه الدكتور بريونينغ لدى الرئيس فون هنـدنبورغ ليكون المستشار الذي يخلفه. ولما اشترط علينا غويردلر توليه كلتا الوزارتين في وقت معاً فقد عهدت وزارة الاقتصاد للمفكر الاقتصادي الاستاذ الدكتور فارمبولد صاحب النظريات الاقتصادية الرائعة وعهدت بوزارة العمل للخبير الماهر والمدير العام فيها الدكتور سيروپ.

في خلال ٢٤ ساعة اصبحت على استعداد لتقديم اعضاء وزارتي الجديدة

للرئيس لكي يقسموا يمين الولاء قبل توليهم مناصبهم الجديدة. ولم يتم تشكيل اية وزارة المانية بمثل هذه السرعة منذ العهد القيصري الغابر . وهكذا لم يكن الانطباع الأولي عن الوزارة سيئاً. ولابد من الاعتراف بفضل اللواء كورت فون شلايخر للهمة التي بذلها في هذا المضمار.

كانت المشاكل التي تنتظرنا بالغة الخطورة لدرجة لا يستهان بها أبداً. وعليه فقد بذلت جهدي لأكون ـ كألماني مخلص ـ عند حسن ظن الرئيس فون هندنبورغ . وكان الموقف المادي والمعنوي الذي تعيشه المانيا يتطلب حشد جميع طاقات البلاد من اجل تحسين ذلك الموقف الحرج. ولعل اعوص المشاكل التي صادفت حكومتنا في اول عهدها هي اضطراب الموقف المالي للحكومة المركزية ولكثير من الولايات الالمانية لدرجة تستوجب المعالجة الفورية . ولم تكن الاصلاحات الضرورية الاساسية التي ضمن طاقاتنا لمعالجة التدهور الشديد الذي اصاب الحالة المالية. كما ان ازدياد عدد العاطلين عن العمل اثر على الملايين من ابناء الشعب الالماني. اما مشاريع الضمان الاجتماعي فقد اصابها الافلاس.

وكانت الحكومات الالمانية المتعاقبة في فترة ما بعد الحرب قد اعتقدت بأن في مقدورها التوفيق بين متطلبات العمال وارباب العمل ولكنها لم تفلح في ذلك.

وهكذا فشلت الدولة الالمانية في تحقيق الرخاء المنشود لابناء الشعب وكانت حصيلة ذلك ان طرأ الوهن على قوة الشعب المعنوية.

تفاقم هذا الشر بنشوب صراع الطبقات الذي اججه الشيوعيون لدرجة وجب علينا معها التصدي بكل ما اوتينا من قوة للخطر الماثل وكانت العقيدة المسيحية من اولى الوسائل المتاحة لمناهضة هذا الخطر.

وترتب على الحكومة الجديدة في مجال السياسة الخارجية التعاون مع الأمم الأخرى من اجل تحقيق المساواة مع القوى الاوربية الاخرى والنضال من اجل ضمان حرية السياسة الخارجية الالمانية . وكانت المشكلات الخارجية

التي تقف بوجه المانيا هي تحديد قواتها المسلحة وتعويضات الحرب المفروضة عليها والازمة الاقتصادية المحدقة بها.

ولا يمكن القضاء على هذه المشكلات ما لم يتم وضع اسس واضحة للسياسة الداخلية وضمان التفاف الشعب الالماني كله حول الحكومة . ولهذه الاسباب طلب الرئيس فون هندنبورغ من الحكومة الجديدة حل البرلمان.

في ١ حزيران ١٩٣٢ اصدر تجمع احزاب الوسط في البرلمان الالماني بيانا جاء فيه:

« ان احداث الايام القلائل الماضية التي تمخضت عن استقالة حكومة بريونينغ تتطلب التسلح بالشجاعة والتصدي للتدابير المتخذة بأشد ما تستطيعه قوى التجمع الوطني استحضارا لاجراء المفاوضات الدولية انطلاقا من قاعدة دستورية رصينة.

وان اقدام عدد من الاشخاص غير المسؤولين على اتباع نهج مجرد من أي امل في تحسين الاوضاع السائدة لابد أن يؤدي الى تدهور الموقف الاقتصادي واضطراب الحالة الاجتماعية السائدة مما سيجر الشعب الالماني الى صعوبات جديدة تؤثر على وجوده...

وفي هذه المرحلة الدقيقة التي تشهدها البلاد يجد حزب الوسط ان من واجبة التصدي لهذه الاعمال والعمل على توحيد الجهود السياسية من اجل تحقيق الحرية الوطنية والعدالة بغية التصدي للمشكلة الاساسية القائمة مشكلة البطالة .. ولذا فقد عزم حزب الوسط على ايجاد الحل المناسب للمشكلة المذكورة.»

وفي مساء يوم ١ حزيران ١٩٣٢ نفسه صدر عن حزب الوسط بيانا لاحقا جاء فيه:

« ان اللجنة التنفيذية للحزب قررت بالاجماع رفض الاعتراف بحكومة فون پاپن من حيث المبدأ. وان حزب الوسط يرى ان تشكيل هذه الحكومة

يعتبر حلاً غير كامل ويرى وجوب تكليف الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) بمسؤولية تأليف الحكومة الجديدة».

وهذا الاعتراف الصريح لابد ان يستأثر باهتمام المؤرخين الذين دأبوا على تصديق مزاعم جميع الأحزاب الالمانية والدكتور بريونينغ حيث اجمع هؤلاء على ترديد العبارة التالية:

« هتلر ؟ كلا لقد دأبنا على رفضه من حيث المبدأ وباستمرار، ان اسمه لم يكن واردا بالنسبة لنا».

لم تكن صحافة حزب الوسط متفقة مع روح البيان المغرض ـ لأسباب شخصية ـ والصادر عن الحزب المذكور ، حيث نادت بعض صحف الوسط بضرورة تكليف هتلر بتشكيل الوزارة الجديدة وسرعان ما تبادلت صحف اليمين وصحف اليسار الاتهامات التي وصلت الى حد الاتهام بالخيانة.

في ٤ حزيران ١٩٣٢ تم حل البرلمان، وكنت قد بينت في محاورتي مع فون شلايخر بأن حل البرلمان والتوقف عن حل منظمة وحدات العاصفة هما الاجراءين اللذين اضمن بهما عدم معارضة هتلر لحكومتي تمهيدا لاشراك حزبه في الحكم، وعندما اجتمعت الحكومة لأول مرة وجدت ان من الضروري اخبار الوزراء بهذين الاجراءين وتبريرهما وقلت لزملائي بأنني اردت من حل البرلمان اتاحة الفرصة ايضا لابناء الشعب الالماني لمراجعة ارائهم بشأن ممثليهم على ضوء سياستنا الجديدة.

تعرضت لاتهامات مفادها انني اتخذت قرارا فرديا بحل البرلمان لكي اتيح للحزب النازي فرصة الحصول على نسبة اعلى من الاصوات، وقد زعم الدكتور بريونينغ في رسالته المعنونة لوكالة الانباء الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية بأن فون پاپن لم يتخذ قرار حل البرلمان ولم يوقف حل وحدات العاصفة آنذاك لأن فون شلايخر هو الذي اقدم على اتخاذ هذين الاجرائين بالاتفاق مع الحزب النازي قبل تكليف المستشار فون پاپن بتشكيل وزارته، كما اكد بأن المشير فون هندنبورغ اخبره في ٣٠ مايس ١٩٣٢ بعزمه على حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة، وهذا معناه ان فون شلايخر كان قد

اخبر الرئيس فون هندنبورغ بشروط الحزب النازي قبل تكليفي بتشكيل الوزارة. وقد قال لي فون شلايخر آنذاك بأن الانتخابات الجديدة ربما ستتمخض عن انتصار الحزب النازي بصورة ساحقة وهذا معناه وجوب اشراكي لبعض الوزراء النازيين في حكومتي بعد الانتخابات. ولو كنا قد تسامحنا مع النازيين واشركناهم بالوزارة لما كان هناك من داع لحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة. والسبب الحقيقي الذي دعانا للجوء الى هذا الاجراء هو اننا كنا على وشك الاشتراك بمؤتمر لوزان مع الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى وأردنا التفاوض في المؤتمر معتمدين على قاعدة داخلية رصينة.

قابلت هتلر وتحدثت اليه لأول مرة في حياتي يوم ٩ حزيران ١٩٣٢ وقد تم لقائنا بناء على طلبي لأنني اردت التأكد شخصيا من مزاعم فون شلايخر. وقد التقينا بمنزل السيد فون الفينس ليبن صديق الوزير فون شلايخر والذي كان مكلفا بمهمة الاتصال مع الحزب النازي.

كان انطباعي الأول عن شخصية هتلر ينطوي على الاعجاب. فقد بدى لي بمظهره الريفي وميل جرمه نحو القصر وبشاربه المبتور وبخصلة الشعر المشهورة التي كثيرا ما كانت تنفر على جبينه اكثر بوهيمية من اعتباره رجلا سياسيا مرموقا حاز اكثر من ثلاثة عشر مليون صوت في انتخابات رئاسة الجمهورية الالمانية . أما سحر عينيه الذي تحدث عنه الكثيرون بأسهاب فيما بعد فانني لم ألمس منه الا القليل.

كان سلوك هتلر مهذباً ولمست فيه ميلا للتواضع. وفي خلال المناقشة التي اجريتها معه أثار هتلر الشكوى المعتادة من عدم كفاية رجال الدولة الالمانية. وان حزبه الكبير لا يمكن ان يسند حكومة لا يشترك فيها ما لم يلمس منها مُنتهى الحرص على استعادة سيادة الشعب الالماني.

وقد اكدت له بأنني سأبذل قصارى جهودي في هذا السبيل بينما تعهد لي بتقديم اسناد حزبه والوقوف من حكومتي موقفا إيجابيا خلال انعقاد مؤتمر لوزان.

اما بصدد مساهمة الحزب النازي في الحكومة فقد ابقى هتلر هذا الموضوع غامضا فهو لم يشأ الالتزام بوعد معين ما لم تظهر نتائج الانتخابات الجديدة • ولكنه قال بصراحة انه يعتبر حكومتي حكومة وقتية للمحافظة على الحالة العامة وانه سيواصل النضال من اجل جعل حزبه اقوى احزاب المانيا قاطبة تمهيدا لتوليه منصب المستشار •

وعندما افترقت عن هتلر في ذلك اللقاء اصبح من الواضح لدي تماما بأن مهمتي المقبلة في مؤتمر لوزان ينبغي ان تتمخض عن النجاح التام مع تحقيق الاستقرار الداخلي في المانيا نفسها لكي نحظى بثقة الدول الاخرى ونكسب الشعب الالماني قبل اندفاعه وراء الحزب النازي•

شرعنا ببذل جهودنا في ظروف مفعمة بالمعوقات • فقد كانت خزانة الدولة خاوية لدرجة لا يمكن معها دفع رواتب الموظفين لشهر حزيران١٩٣٢• وهكذا حز في نفوسنا الاضطرار على اللجوء للمسلك الذي عزم بريونينغ على اتباعه بتقليص الرواتب مع ما تترتب على ذلك الاجراء من نتائج• وقد شرع وزير الداخلية الجديد باتخاذ خطواته التمهيدية للاصلاح البرلماني• بينما اوضحت للمجلس الزراعي الالماني بأنني على اتم استعداد لاسنادالنشاط الزراعي من جميع الوجوه وتمكنا من تشغيل ٦ــ٧ ملايين عامل عاطل تشغيلا كاملا وتشغيل ١٢ــ١٣ مليون عامل عاطل بنصف عمل ريثما تتوسع مشاريعنا بحيث تستوعب كل العاطلين بتشغيل كامل • وبذلك تغلبنا على ازمة البطالة التي كانت تؤثر على الحياة الاجتماعية الى ابعد الحدود ومع ذلك فقد بقي لدينا زهاء مليون ونصف شاب متسكع على قارعة الطريق بانتظار الحصول على فرصة العمل•

وهكذا كانت الاربعة عشر يوما الاولى من عهدي حافلة بالعمل الدؤوب قبل اشتراكي بمؤتمر لوزان • اذ ترتب على الشعب الالماني وعلى العالم كله ان يعرف تماما مدى قوة الحكومة الجديدة واهليتها قبل ان تقدم على تمثيل الشعب الالماني في تلك المدينة السويسرية الواقعة على بحيرة جنيف بمؤتمر دولي تحرص فيه على اسماع صوت المانيا وكسب ثقة المؤتمرين من ممثلي

الدول المنتصرة في الحرب العظمى.

ثم ترتب علينا ايجاد حل للوعد الذي قطعه الوزير فون شلايخر بعدم حل منضمة وحدات العاصفة لاسيما بعد ان وجه رئيس الجمهورية مذكرة طارئة للحكومة بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٣٢ واعطى نسخة منها الى وزيرالداخلية وقد جاء فيها.

« اطلعت على مقترح الحكومة المتضمن اتخاذ تدابير معينة لتهدئة الاوضاع الداخلية في المانيا وعدم لجوء الفئات المتناحرة سياسيا للاجراءات القسرية ضد بعضها البعض. ولما لم تكف تلك الفئات عن التناحر باستعمال العنف فقد قررت منع المنظمات والقوات شبه العسكرية لجميع الفئات واللجوء لكل الوسائل المتاحة لدى الدولة لتنفيذ هذا المنع».

وكثيرا ما ادعت الاحزاب اليسارية بعدئذ بأنني كنت حريصا على عدم حل وحدات العاصفة لأنني كنت مؤيدا للنازية وهذا الادعاء ملائم لادعاءاتها لأنها لابد ان تتحرى عن كبش للفداء ولكنني اثبت الوقائع التأريخية هنا كما حصلت خدمة مني للحقيقة. فالمنع الذي صدر عن الرئيس شمل القوات شبه العسكرية لجميع الاحزاب بدون استثناء.

وفي ١٨ تموز ١٩٣٢ وجد وزير الداخلية نفسه مضطرا على منع المظاهرات في جميع اجزاء المانيا وتنفيذ المنع الصادر بشأن المنظمات شبه العسكرية لجميع الاحزاب السياسية . لكن هذا المنع لم ينفذ مطلقا على وحدات العاصفة النازية في بعض الولايات ــ مثل باڤاريا وبادن ــ لأن حكومات تلك الولايات اخبرت العاصمة بأن قوات الشرطة النظامية المتيسرة لديها غير كافية للمحافظة على الامن الداخلي وبالتالي فهي مضطرة على الاستعانة بوحدات العاصفة القوية المتيسرة لديها بدلا من مناوأتها وحلها قسرا.

ولو زعم البعض بأن الانتخابات البرلمانية التي جرت في ٣١ تموز ١٩٣٢ تمت في ظروف مواتية للحزب النازي بسبب تأثير الاجراءات الحكومية

نصالحه فان هذه المزاعم لا اساس لها من الصحة لأن الحكومة اصدرت اوامرها بمنع المظاهرات في جميع ارجاء المانيا قبل موعد الانتخابات بأسبوعين•

عندما شرعت بعملي الجديد بكل همة ودأب لم يكن لي مسكن شخصي ببرلين • وذلك لأن قصر رئيس الجمهورية كان قيد التجديد وقد رجاني الرئيس فون هندنبورغ اعارته مسكن المستشار للاقامة به لمدة ستة اشهر ريثما تنجز اصلاحات قصره وقد لبيت طلبه بطبيعة الحال • وكان ان وجدت لي سكنا في بيت متواضع بشارع ڤيلهلم رقم ٧٤ كان مخصصا لسكنى امين سر المستشارية سابقاء واتخذت من احدى قاعاته مكتبا وقد انفقت لاصلاح الدار — على ما اذكر — مبلغ ٤٢ مارك ونصف ولما سكن الدار بعد ذلك وزير الداخلية ڤيلهلم فريك انفق على تجديدها آلاف الماركات وبصرف النظر عن الموقف المالي الذي كنا نعيشه فانني رأيت بأن كبار الموظفين يجب ان يجعلوا من أنفسهم قدوة حسنة في جميع المجالات ومنها مجال المصروفات•

# الفصل الثاني عشر

# لوزان

**الآمال الكبيرة . محادثة مع هريو. مصالحة المانية-فرنسية. مقترحاتي . اعتراض ماكدونالد . مقاومة هريو العنيدة . تفاهم بشأن مشكلة التعويضات. مباغتة انكليزية . جني الثمار المتساقطة. حلف مشترك على حساب المانيا .**

كان ايجاد حل لمشكلة التعويضات في خضم الازمة الاقتصادية العالمية ضرورة ملحة لم تجد لها المانيا مخرجا لسنين عديدة. وقد استحضر الدكتور بريونينغ لمساهمة المانيا في مؤتمر لوزان باجراء سلسلة طويلة من المحادثات. وعليه فلابد للمرء ان يقدر جيداً مدى حرصه على عدم اتاحة الفرصة لغيره كي يجني ثمار مجهوداته هذه. لكنه اذا ما ادعى (بأنه ابعد عن موقعه قبل وصوله الى هدفه النهائي بمائة متر فقط) فلابد ان ارد على هذا الادعاء بالقول انه لا اساس له من الصحة. لاسيما وان المعارضة لم تأل جهدا في الترديد-بأن نتائج المؤتمر كانت ستكون افضل بكثير فيما لو كان بريونينغ هو الذي مثل المانيا بدلا عني.

لقد جاء في الجزء الثالث من «الوثائق البريطانية في السياسة الخارجية» نص اقوال رامزي مكدونالد في ٢٣ نيسان ١٩٣٢ حيث قال اذ الدكتور بريونينغ اخبره باستعداده لقبول اية تسوية تتضمن ارجاء دفع المانيا للتعويضات واعتبار تلك التعويضات ديوناً واجبة التسديد وان مقادير الديون يجب ان تحدد ايضاء وليس هناك ما يدعو الدكتور بريونينغ للجوء الى كسب النجاح الوهمي بارجاء تسديد مبلغ خمسة مليارات مارك للدول المنتصرة في الحرب العظمى مع الاستمرار على نزع سلاح المانيا. بينما تمكنت انا من تخفيض المبلغ المذكور الى ثلاثة مليارات مارك فقط مع الحصول على اقرار من الدول المذكورة بعدم اللجوء الى مطالبة المانيا بأية مبالغ اخرى. وبينما كان بريونينغ قانعا بتحديد تسلح المانيا خرجت انا من مؤتمر لوزان وكلي امل باعادة تسلح المانيا اسوة بالدول الاخرى.

وأنا لم اكتف بانهاء مشكلة التعويضات وحدها تلك المشكلة التي جعلها كل رجال الدولة الالمانية نصب اعينهم. وانما انصبت رغبتي الملحة على الحصول على مكاسب كثيرة يمكن تسمية الغرض الاصلي منها بالمصطلحات السائدة حاليا «استعادة التسلح المعنوي لألمانيا» فاذا اردنا لالمانيا ان تواكب الركب الاوربي في التقدم الحضاري السلمي وتلعب دورها التأريخي في الحضارة الاوربية فلابد لنا ان نجنبها عقدة النقص قبل كل شيء. فقد عوملنا بفرساي معاملة شعب من الدرجة الثانية وانتقصت سيادتنا بشكل مهين وحرمنا من حقوق طبيعية مهمة. ولم يعد بمقدورنا اتخاذ التدابير الدفاعية المحضة لحماية وطننا وجردت منطقة الراين من وسائل الدفاع واقتطعت أرض المانية وأعطيت الى پولندا ففصلت اقليم بروسيا الشرقية عن بقية الاراضي الالمانية (بالممر البولندي) وجعلت منطقة السار تحت سيطرة دولية. ثم جاء في الفقرة ١٣١ من اتفاقية فرساي نص يقول اننا وحدنا نتحمل وزر الحرب العظمى.

ولابد لمن شهد فترة ارتقاء الحزب النازي ان يعرف النتائج التي ترتبت على تكرار الضرب على نغمة الشعور بالنقص ومدى معاناة الحكومات

الالمانية المتعاقبة من التأثيرات النفسية التي اصابت الشعب الالماني في تلك الفترة. ولم يكن التخلص من التعويضات سوى جزء يسير من تدابيرنا العديدة لانقاذ موقف المانيا الحرج. اما الانقاذ الشامل للشعب الالماني من المحنة التي كان يحياها فيتم باستعادة المعنويات وشحذ الهمم في نفوس المواطنين الالمان.

ما ان وصل الوفد الالماني الى لوزان في ١٥ حزيران ١٩٢٣ الا وحرصت على المبادرة باجراء اتصال مباشر مع الصحافة العالمية . ولم انتظر تقدم الصحفيين برجاء لمقابلتي وانما استقللت سيارتي وقدتها بنفسي متوجها الى مقر الصحافة العالمية هناك. ولم يكن مثل هذا الاجراء مألوفا من أي مستشار الماني قبل ذلك التأريخ. وقد سبب هذا الفعل حصول بعض الحساسية. وكان ان تحدثت الى ممثلي مختلف الصحف العالمية عن آمال المانيا من هذا المؤتمر العالمي ورجوتهم ان يسندوا المانيا بعرض الجوانب الايجابية للوفد الالماني على الرأي العام في مختلف ارجاء العالم.

قدمت نفسي في اليوم التالي لرئيس وزراء فرنسا هريو في فندق قصر لوزان . وقد حياني السيد هريو بكل حرارة ولم اجد بدوري اية صعوبة في اقامة علاقة ودية حميمة مع الرجل . وقد تحدثت اليه طوال ساعة ونصف ببساطة وعفوية تامة عارضا عليه آمالي الكبيرة التي عقدتها على ذلك المؤتمر الدولي. وقد اوضحت له بطبيعة الحال ظروف وملابسات تبديل الحكومة الالمانية وتحدثت عن المزايا التي حققتها بضمان التفاف المعارضة حول الحكومة في هذه المرحلة بالذات. وفي ختام تلك المقابلة ساورني الامل بحصول تقارب وطيد بين وجهتي النظر الالمانية والفرنسية بحيث يمكننا التغلب على اختلافاتنا العديدة.

جرى الاجتماع الاول للمؤتمر في ١٧ حزيران ١٩٣٢ وراء ابواب مغلقة في قاعة الاحتفالات بفندق بوريفاج — ولم يسبق لي الاجتماع بمثل هذه النخبة من رجال السياسة الذين يمثلون دهاة اغلب الاقطار الاوربية.

وكانت أغلب النقاط التي طرحتها على المؤتمر من القضايا التي أعدت لها حكومة بريونينغ دراسة مستفيضة منذ ١٩ تشرين الثاني ١٩٣١ وبعد مناقشة مع اعضاء الوفد قررت التكلم في المؤتمر باللغة الفرنسية • وكانت العادة قد جرت بأن يتحدث كل رئيس وفد بلغته القومية • لكننا قدرنا بأن اغلب الحضور يجهلون اللغة الالمانية او يعرفون منها عبارات معدودة بينما اردت أن احقق من خطابي تأثيرا مباشرا على القوم لأنني قدرت بأن اغلب الحضور يتقنون اللغة الفرنسية بدرجة قلت أم كثرت• والمعروف من التجارب السالفة ان الترجمة مهما كانت جيدة فانها لا يمكن ان تؤدي نفس التأثير الجيد الذي تحدثه الخطابة الشخصية • وقد انتقدت الصحافة الالمانية هذه البدعة التي قمت بها مما حدى بي ان القي خطابي الختامي في ذلك المؤتمر باللغة الالمانية• وقد حققت النجاح المأمول من تحدثي بالفرنسية بصورة لمست نتائجها بصورة فورية•

اوضحت للحضور في خطابي الافتتاحي بصورة لا ابهام فيها بأننا لسنا عازمين ابدا على التخلص من مشكلة الاتاوة المفروضة علينا باللجوء للوسائل القانونية او بالانتقاص من قيمة التواقيع التي امضاها المثلون الالمان في المعاهدات الدولية المعقودة آنفاً مهما كانت ظروف تلك المعاهدات• والأمر الوحيد الذي سنلجأ اليه هو مناقشة الحالة العالمية الراهنة وكيفية التعاون على تغيير هذه الحالة • وبعد ان القيت نظرة شاملة على الأزمة العالمية التي كنا نعيشها ثم وصفت مدى مساهمة مشكلة التعويضات في تفاقم تلك الأزمة• ثم قارنت بين الحالة العالمية السائدة والموقف الدولي الذي عشناه جميعا في عام ١٩٢٩ ابان أزمة التضخم الماحقة وهو الموقف الذي نتجت عنه بطالة ملايين العمال في جميع الاقطار الصناعية مما ترتبت عليه مشكلات اجتماعية عويصة•

ثم انني تطرقت في ذلك الخطاب الى قضية اخرى تكاد تكون مجهولة خارج المانيا وهي تأريخ التضخم والنتائج المترتبة عليه في المانيا نفسها• اذ ربما يعتقد بعض الاجانب بأن للتضخم مزايا جمة بالنسبة لنا حيث يمكننا

تسوية ديوننا الداخلية الا ان الحقيقة هي ان التضخم تمخض عن نتائج مدمرة للاقتصاد الوطني الالماني، فهو قد استنفذ جميع احتياطات البلاد المالية وأودى بالمؤسسات الصناعية وأدى بملايين العمال الى التعطل عن العمل، ولذا فلابد لنا من التأكيد بأن التضخم يؤدي الى نتائج ليست بصالح المجتمع ولا يمكن ان يحقق أي هدف جيد، وخلصت الى مطالبة القوى العالمية بالاعتراف بأن المرض لا يمكن معالجته بمنح المريض فرصة قصيرة للتنفس أو اية حلول وقتية مشابهة، ولا يمكن تخليص الأقطار الاوربية من الكارثة المحيقة بها ما لم يتم التعاون الوثيق بين الدول الاوربية كلها، وان الحكومة الالمانية الجديدة على اتم استعداد للتعاون مع الاقطار الاوربية الاخرى الى أبعد الحدود وستقدم كل ما لديها من طاقات في هذا السبيل . ويقتضي ان تنشيء المانيا قوتها الذاتية بحيث تكون على قدم المساواة مع الدول الاوربية الاخرى من اجل تحقيق السلام الاوربي وهذا هو اقصى ما تصبو اليه حكومتي، وقد قوطع خطابي مرات عديدة بعبارات الاستحسان ولما فرغت منه تأكدت من انه نال ما يستحقه من ترحيب،

وليس ادل على النجاح الذي حققته في محادثاتي خلال تلك الايام الحرجة من مدة انعقاد المؤتمر من التفاصيل الواردة في الوثائق البريطانية التي اعلنت للملأ فيما بعد وتعطينا هذه الصورة الصادقة انطباعا مؤسيا عن محاولاتي الدائبة يوما بعد آخر من اجل تحقيق التوازن الاوربي ـــ وترجع أسباب عدم نجاحي في تلك المساعي الى الشكوك التي قوبلت بها آنذاك ـــ لكنني مع ذلك وضعت اساسا راسخا لمفهوم التعاون الاوربي المنشود، وكانت المرحلة الاولى من ذلك التعاون تتضمن اقامة علاقة المانية ـــ فرنسية مبنية على أسس جديدة راسخة،

ألا ان التعاون الالماني ـــ الفرنسي لم يرق بطبيعة الحال لبريطانيا ولذا فقد وقف منه السيد ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا موقف المناهض العنيد، وقد تجلى موقف هريو عندما تصدى لمحاولات تخفيض تعويضات الحرب واعتبر هذه المحاولات نقضاً سياسياً لاتفاقية الهدنة . الا ان هذا الموقف

تبدل بصورة جذرية عندما تحول المفاوض البريطاني من وسيط متحيز الى انكليزي اناني.

أظهر السيد هريو تجاوباً واضحا معي ولو أنه رفض تخفيض التعويضات المفروضة على المانيا بمقدار سبعة مليارات مارك وأظهر مقاومة شديدة للمقترحات الانكليزية التي دعت الى شطب جميع المبالغ المتبقية من التعويضات الا انني — والحق يقال — لمست من السيد هريو تأييدا لالمانيا في القضايا السياسية الاخرى المطروحة وكانت آرائه قريبة من مقترحاتي. وكانت حكومة هريو احدث من حكومتي سناً بثلاثة ايام فقط. لكنه كان يخشى كثيرا من العودة الى بلاده دون الحصول على نتيجة باهرة. وعليه فان السياسة الداخلية كانت مؤثرة على سياسة فرنسا الخارجية الى ابعد الحدود. وهكذا تأرجحت كفة ميزان الفرصة الاخيرة والكبيرة معاً من اجل بداية اوربية جادة على طريق التعاون في سبيل الحصول على بضعة ملايين من الماركات التي حرصت فرنسا على ابتزازها من المانيا وسرعان ما انحاز هريو الى بريطانيا ليقتسم معها مبلغ سبعة مليارات مارك من التعويضات المفروضة على المانيا ولكنه فرط بفرصة السلام العادل التي افلتت من الجميع.

وحالما اصبح من الواضح للجميع بأنني اطالب بتصفية كل الحسابات طالبت الوفود بفترة وجيزة للاستراحة ولكي تتصل الوفود خلالها بحكوماتها وترجع اليها في طلب المشورة. وكان ان لقي هريو بباريس موقفا صعبا لأن حكومته كانت قد خفضت بعض الضرائب بعد حساب مواردها من التعويضات المفروضة علينا بطبيعة الحال. وقدر الخبراء الماليون الفرنسيون شكل التعويضات التي ينبغي ان نسددها لهم وكان اغلب ما تضمنته تلك المطالب قطارات ومستلزمات لمد سكك الحديد الا ان وزير المالية الالماني اعتبر هذا الطلب متعذر التنفيذ وغير مقبول.

زارني وزير خارجية ايطاليا غراف غراندي في محل اقامتي بفندق ساڤوي وناقشنا مع وزير خارجية المانيا البارون فون نويرات مدى الاسناد الذي يمكن ان نحصل عليه من الوفد الايطالي. وبعد رجوع رئيس الوفد

الايطالي مباشرة حاولت الاتصال بالسيدين هريو وماكدونالد لكي اوضح لهما بجلاء ان حكومتي قد تكون آخر حكومة (معتدلة) المانية اذا ما اجبرت على الرجوع الى بلادي بخفي حنين حيث ستتمخض اقالة حكومتي عن وصول حكومة يسارية او يمينية متطرفة • وقد اعتبر السيد هريو ملاحظتي هذه محاولة لممارسة الضغط ولو انه ابدى بعض التفهم لموقفي ولفكرتي التي عرضتها عليه• فأجبته بأن المؤتمر سيبقى بلا نتيجة حاسمة ما لم تحقق تقارباً وطيدا معي من اجل تعاون شعبينا بوضع الحجر الاساس لهذا التعاون•

لقد حرصت على ممارسة هذه السياسة منذ امد بعيد وحاولت وضع مقترحات عملية لتنفيذها• الا ان امين سر الدولة فون بيلوف حذر من مغبة السير بهذا الاتجاه اعتمادا على تجاربه الخاصة قائلا بأنه يخشى علي من الاصابة بخيبة الامل وقد ثبت لي بعدئذ بأنه كان على صواب•

عرضت على السيد هريو لائحة اتفاقية للتعاون الالماني ـ الفرنسي تتضمن تعهدنا المشترك بعدم الاقدام على معالجة اية قضية اوربية ما لم يتم التشاور المسبق بين حكومتينا بشأنه لكي نصل دوما الى آراء متقاربة او موحدة• ولكن الاقتصار على هذا الاجراء لا يمكن ان يضمن لنا تبادل الثقة التامة وعليه فقد اردت العمل على ازالة مخاوف فرنسا من المانيا•

فلو ان فرنسا بادرت الى شطب الفقرات المهينة لالمانيا والمخلة بسيادتها من معاهدة ڤرساي فلابد انها ستجني لقاء ذلك الكثير من مودة المانيا اعترافا منها بهذا الجميل•

لقد غبرت مئات السنين كانت فيها بريطانيا وفرنسا عدوتين لدودتين لبعضهما البعض ونجدهما الآن حليفتين حميمتين تتبادلان الآراء بروح الثقة والتعاون وهذا دليل ساطع على امكانية تبدل الموقف العدائي حتى ولو استمر لبضعة قرون اذا توفرت النوايا الحسنة• ولو منحتنا فرنسا حقوقنا المهضومة واعتبرتنا امة ذات سيادة وأعادت لنا حقنا بالتسلح أسوة بالدول الاخرى فستكون المانيا على اتم استعداد لتقديم اخلاصها للشعب الفرنسي

من اجل كسب السلام الذي يصبو اليه، وان افضل واقصر طريقة لتحقيق هذا الأمل هي اقامة اتحـاد، لكنني يجب ان اعترف بأن آراء رجـال كلا البلدين لم تكن متقاربة الى هذا الحد، ويمكن للمرء أن يستعد لاقـامة الاتحاد المنشود بايجاد صيغة من التعاون بين هيئتي الاركان في كلا البلدين وعليه فقد اقترحت الحاق عدد من ضباط الركن الفرنسيين في جميع المواقع المهمة من شعب هيئة الاركان الكبرى الالمانية فبهذه الوسيلة ستكون فرنسا على بينة مما تعمله هيئة الاركان الالمانية مع المامها بجميع تفاصيل فعاليات القوات المسلحة الالمانية ، ثم ان هؤلاء الضباط الفرنسيين المثقفين سيعكسون ما يرونه لابناء وطنهم فيشيعوا الطمأنينة في نفوس مواطنيهم الذين سيتأكدون من نوايا المانيا تجاه جارتها فرنسا وبشكل يفوق كل وسائل الاقناع السياسية الاخرى، واخيرا اردت ان تشهد جميع الوفود الاخرى على المقترح المطروح على فرنسا وان يتمخض مؤتمر لوزان عن شطـب المادة ٢٣١ من معـاهدة فرساي وهي المادة التي تدين المانيا باعتبارها الدولة المسؤولة لوحدها عن نشوب الحرب العظمى.

قلت لماكدونالد في ٢٠ حزيران ١٩٣٢:

« يجب ان يتمخض هذا المؤتمـر عن شعور فرنسا بأمـان اكثر ازاء المانيا ، وهذا يتم بتقارب الاراء السياسية بيننا وبين فرنسا ايضا،، وأنا ارغب بوضع حد لجميع الاختلافات القائمة بين البلدين الآن وهنا وهذا امر يعتبر في غاية الاهمية بالنسبة لاوربا، ويقتضي أن تكون لهريو نفس الرغبة» في اليوم التالي كتبت رسالة الى السيد مكدونالد اوضحت له فيها لماذا لم توافق المانيا على تحمل عبء جديد بتجهيز فرنسا بمعدات لسكك الحـديد وقلت له انني على اتم استعداد لاتخاذ اجـراءات أخـرى لصالح بريطانيا وفرنسا مثل:

« مساهمة المانيا في جميع التدابير المالية والاقتصادية المقررة لاعـادة بناء اوربا، وستكون المانيا على استعداد للالتزام باتفاقيـة ايقاف التسلح المقررة لمدة خمس سنوات والمحافظة على النسب المقررة لها قياسا على تسلح لدول الاوربية الأخرى.

ولكي نسند عملية ازالة التوتر السياسي السائد في اوربا فاننا سنكون أخيراً على استعداد لعقد ميثاق بهذا الشأن مع كل من فرنسا وبريطانيا وايطاليا. وسيكون هذا الميثاق مطمناً للدول الثلاث ازاء أية مفاجأة تخشى من اقدام المانيا عليها».

وعلى الرغم من الصعوبات التي لاقيتها من هريو في مجال تخفيض التعويضات فانني لمست منه ميلا واضحا لتفهم محاولاتي لتحسين العلاقات الالمانية ـ الفرنسية وعليه فقد كلف امين سر الدولة الفرنسية الموافق للوفد السيد دي لابولاي بصياغة مقترحاتي بشكل مسودة اتفاقيات عديدة. وكان دي لابولاي قد اشتغل بمنصب مستشار السفارة الفرنسية ببرلين لعدة سنوات وانا اقدره باعتباره من الدبلوماسيين اللامعين الاكفاء. ولكن مفاوضاتنا الشفوية اعتورتها عقبات كأداء عندما اردنا وضع مسودات الاتفاقيات المقترحة . فقد بدى ان هريو يرى ان من واجبه عرض خططنا على زميله الانكليزي لكي يحصل منه على موافقة مبدئية. ولا يمكن ان أوافق على مثل هذا العمل بطبيعة الحال لأن بريطانيا ليست طرفاً في تلك الاتفاقيات.

عندئذ برزت حالة غير متوقعة عندما اخبر هريو زميله الانكليزي بتفاصيل ما طرحته عليه. فقد تجمعت كل الغيوم السوداء على رأس ماكدونالد ووجد بلاده بمواجهة خطر وهمي يتمثل بحصول تقارب الماني فرنسي وهذا أمر ظن ماكدونالد ان من شأنه عزل بريطانيا تماما والاخلال بالتوازن الاوربي العتيد. وسرعان ما خوّف هريو من مغبة الاقدام على عقد أي تقارب الماني فرنسي لأنه سينطوي على تفريط فرنسا بحقوقها من التعويضات وشيكاً.

أردنا مواصلة السعي لتحقيق رغبتنا هذه فأستعنا بصحفي معروف هو السيد لوزان من صحيفة (ماتان) الفرنسية باجراء حوار لأحد رجال الدولة الالمان معه ووضحنا في ذلك الحوار الخطوط الرئيسة للمشروع الالماني المقترح وقد رجوته انا بهذه المناسبة ان يقوم بمساعدتنا في طرح وجهة نظرنا وشرح تفاصيل خطتي للرأي العام الفرنسي. وقد بينت في محادثتي مع

الرجل بأن الوقت لم يحن بعد لعقد حلف عسكري بين الدولتين • ولكن هذا يمكن ان يكون الهدف النهائي لفكرة السياسة الاوربية التي نحرص على التوصل اليها في مؤتمر لوزان•

أسرع السيد لوزان في انذار العالم اجمع بنشر الخبر وزعم انني اوجه المؤتمر نحو اقامة حلف الماني ـ فرنسي• وبذا تم القضاء المبرم على المحادثات التي شرعنا بها مع هريو• والآن لنستمر في القاء نظرة على سير الاحداث•

في ٢٧ حزيران ١٩٣٢ اتصل السيد هريو بماكدونالد واخبره بما يلي:

« اذا طولبت فرنسا بتخفيض التعويضات فستتعرض الى ازمات سياسية واقتصادية لا تحمد عقباها • وكان السيد فون پاپن قد عرض علينا مقترحات عديدة اعطتنا انطباعا بأن المانيا على استعداد للتعاون في التغلب على تلك الازمات• وانه (أي السيد هريو) قد سمع من السيد فون پاپن مقترحا يتعلق باقامة حلف عسكري بين فرنسا والمانيا مع اقامة اتصال وثيق بين هيئتي الاركان العامة للبلدين••• وتسائل هريو عن مدى تأثير مثل هذه الاجراءات على تسديد المانيا للتعويضات المالية المفروضة عليها• لاسيما وان الحكومة الفرنسية ترى ان التوصل الى وفاق الماني ـ فرنسي يفوق في قيمته اية مبالغ من المال• وعليه فان الحكومة الفرنسية تميل لتأييد المقترح الالماني»•

ولا تتضمن مجموعة الوثائق البريطانية التي كشف عنها فيما بعد ردود ماكدونالد على تلك المحادثة التي اجراها هريو معه • ولكنها اشارت الى وجهة نظر الصحفي لوزان الذي قال عني انني احاول التوصل الى عقد حلف مع فرنسا•

وواضح ان رد فعل ماكدونالد كان شديدا لدرجة جعلت هريو يتراجع عن الفكرة ويزعم لرئيس وزراء بريطانيا بأن فكرة الحلف كانت مجرد هدف بعيد المدى وان الصحفي لوزان قال انها غير ممكنة التنفيذ• ثم اشترك رئيسا الوزراء في ايجاد مخرج من هذه المبادرة وما لبث هريو ان تمسك بمؤتمر لوزان الذي كنا بصدده ثم ادعيا بعدئذ بأنني غيرت آرائي الى حد كبير بعد عودتي الى برلين•

والحقيقة هي انني ادركت اسباب رفض خطتي لعقد معاهدة المانية فرنسية عندما قمت بزيارة السيد ماكدونالد في عصر يوم ٢٧ حزيران ١٩٣٢ نفسه فقال لي ماكدونالد:

« يا سيد فون پاپن، انك اوضحت موقف المانيا بالنسبة لمشكلة التعويضات التي لم تتم تسويتها ، ولكنك حاولت بشتى الوسائل اجراء فعاليات متميزة في مجالات أخرى، ولقد اجهدت فرنسا في محاولة ايجاد مجال للتعاون الوثيق بينها وبين المانيا بعد مرور اثنى عشر عاما من الزمن المشحون بالشكوك المتبادلة رغبة منك في فتح صفحة جديدة خلال الحقبة المقبلة، ولقد بذلت قصارى جهودك لازالة العوائق القائمة بين المانيا وفرنسا ــ على الرغم من الانتقاد الشديد الذي ستتعرض له من داخل المانيا ــ ومما لا شك فيه انك تحاول ايجاد حل لمشكلة التعويضات من اجل مستقبل اوربا»،

ثم ان السيد ماكدونالد زودني بفكرة شاملة ــ بصورة مكتومة ــ عن وجهة النظر الفرنسية:

ان فرنسا سوف لن تتخلى عن التعويضات مهما كانت الظروف، كما ان الولايات المتحدة الامريكية تحذو حذو فرنسا في هذا المضمار لأنها لا تؤيد شطب التعويضات كليا ، ثم قال بالنص:

« ان الصحافة تؤكد على عزمكم على اقامة حلف عسكري، وان مثل هذه الفكرة ستجلب لكم الكثير من المشاكل مما يقوض جميع فرص التعاون المشترك، اما الولايات المتحدة الامريكية فانها تقدر بروح ودية أي اتفاق اقتصادي يتم التوصل اليه في مؤتمر لوزان»،

وقد جاء في الوثائق البريطانية ما يلي:

« اعتذر السيد فون پاپن عن مقاطعته لرئيس الوزراء عندما وصل الى هذه النقطة قائلا انه تقدم بهذا المقترح رغبة منه في ازالة شعور فرنسا بفقدانها الأمن،،، وان فرنسا سبق ان استفادت من مزايا اتفاقية لوكارنو التي

تعتمد فيها على الضمان البريطاني • ثم ان فرنسا استفادت من ميثاق (كيلوغ) الذي اتاح لها امكانية تحصين حدودها الشرقية الى حد كبير واخيراً فأنها تعتمد على جيشها القوي• عندئذ سأل فون پاپن عما اذا كانت فرنسا ستحوز على شعور اقوى بالأمن فيما لو توصلت الى عقد حلف مع المانيا• وانه من المتعذر بطبيعة الحال مناقشة مثل هذه الفكرة بالوقت الحاضر في فرنسا أو في المانيا»•

وخلص رئيس وزراء بريطانيا الى القول:

« انه يخشى من تمخض المؤتمر عن نتيجة سيئة ربما ستؤدي الى زيادة حدة الخطر الذي تتعرض له المانيا خصوصا اذا خرجنا من مؤتمر لوزان دون التوصل الى اتفاق بآرائنا•»

وفي اليوم التالي اجريت انا ووزير خارجيتي فون نويرات محادثات اخرى مع السيدين ماكدونالد وهريو• وجاء في التقرير السري البريطاني المذكور ما يلي:

« وقد قال السيد ماكدونالد بأنه اعتراه قلق شديد بسبب المحادثات التي اجراها السيدان فون پاپن وهريو في اليوم السابق •••»

فهو يخشى من توصلنا الى تفاهم نضع به حداً للنزاع الذي يريد لنا خوضه الواحد ضد الآخر خلال الايام التالية وعليه فقد اوضحت له انا والسيد هريو بأننا قد توصلنا الى تفاهم تام ولما قلت له بأنني لم اغيرفكرتي الاساسية قال له السيد هريو: «بأنه يريد الحصول على مكسب مادي من المانيا لقاء الثقة التي يحاول المستشار الالماني تحقيقها • ثم اعاد القول بأنه يرجو للوفد الالماني حظاً سعيدا في مساعيه»•

عندئذ اعدت على مسامعهما مقترحاتي كلها نقطة بعد اخرى• والتي تضمنت اعادة الرفاه الاقتصادي لاوربا• والتخلي عن تحديد نسبة التسلح المفروضة على المانيا واعتبارها كالدول الأوربية الاخرى• الا انني اتفقت مع السيد ماكدونالد على ابقاء الحظر المفروض على هيئة الاركان العامة

الالمانية لكي لا اسبب لرئيس وزراء بريطانيا الكثير من الحرج الذي قد يضايقه عند عودته الى بلاده. ولكن من الواضح ان التعامل السياسي يتقبل التغيير بين عشية وضحاها. فقد اوضحت الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية بأنها لم تعد كشأنها السابق دائما راغبة في حصول أي تقارب وطيد بين فرنسا والمانيا . وانها تتوقع من الحكومة الفرنسية رفضا لجميع مقترحاتي. وعندئذ اعلن السيد هريو:

« ان محاولات تخفيض التعويضات المفروضة على بعض دول وسط وجنوب شرق اوربا تعتبر محاولات مضادة لمصالح فرنسا. وان مسألة تحديد التسلح لتلك الدول لا علاقة لها بقضية التعويضات. وانه مستعد للتثبت من مدى امكانية عقد معاهدة مشتركة معها ولكن...»

في ٢٨ حزيران ١٩٣٢ تحولنا للمناقشة على جبهة ثالثة عندما تقدمت بطلب أساسي لمساواة المانيا مع الدول الأخرى في مجال التسلح كما تقدمت بالوقت نفسه بطلب آخر لاعادة النظر في جميع بنود معاهدة ڤرساي المجحفة وبعد مجادلة طويلة خضتها مع السيد هريو سألته عن ضمانات الأمن التي يريدها لبلاده من المانيا . فتملص هريو من الاجابة على هذا السؤال فهو لم يشأ التفاوض بشأن الضمانات السياسية وانما كان حريصا على كسب التعويضات المفروضة لفرنسا من المانيا.

وأجد لزاما علي ان اعترف هنا بأنني لمست من فرنسا رغبة صميمة في المصالحة مع المانيا على حساب صداقتها مع بريطانيا . لكن سياسة بريطانيا كانت تنطوي على قصر النظر في هذا المجال. ذلك لأنها دأبت على ممارسة سياستها القديمة المعروفة (فرق تسد) وهي السياسة التي نجحت في تطبيقها على اوربا. الا ان اوربا اصبحت صغيرة بفضل المواصلات الحديثة بينما فات رئيس وزراء بريطانيا ادراك مدى الخطر القادم نحو المانيا قلب القارة الاوربية من بلادروسيا.

حاولت اعادة فتح الحوار مع اولئك الناس مرارا ومع ذلك فان فصاحتي

وقوة حجتي لم تكن مجدية في اقناعهم لأن بريطانيا احبطت جميع محاولات التقارب بين المانيا وفرنسا.

لقد كانت ضربة شديدة لآمالي لأنني لم احقق ما كنت اصبو اليه بتصفية قضية التعويضات التي طالما عانت منها بلادي. واصبح من الواضح ان بريطانيا اخذت تقاوم رغبة هريو في التوصل الى تفاهم معنا. وعليه فقد عزمت على تكرار المحاولة مع فرنسا على أمل الحصول على اسناد من باريس لمقترحاتي. ثم حاولت على الأقل تخليص المانيا من اوضار المادة ٢٣١ من معاهدة فرساي لاسيما وان تحسن الجو السياسي بين المانيا وفرنسا يمكن ان يجعل هذا الامر اكثر سهولة . الا ان تملص المانيا من معاهدة فرساي برمتها كان من الامور البالغة الصعوبة. وانني لأذكر بأن ممثل بلجيكا رفض محاولتي لازالة العقود المفروضة على تسلح المانيا بقوله:

« كيف يمكن للمرء تصحيح وقائع تأريخية ساطعة مثل تقدم القوات الالمانية نحو الاراضي البلجيكية وهذا دليل على عدم ارتياحنا لتسلح المانيا».

وأجد لزاما علي ان استدرك هنا بأن الرئيس الامريكي هوفر اجرى في ٢٣ حزيران ١٩٢٣ للمرة الثانية محاولة تنطوي على الشجاعة بالتدخل لنزع السلاح على نطاق دولي كما انه ابدى في السنوات الاخيرة من ولايته مساعدة كبيرة لألمانيا في مجال اعادة تسليحها على عجل. وبينما استقبلنا نحن وايطاليا مقترحاته بالتشجيع والاسناد لاحظنا ان فرنسا ـ عدا ليون بلوم ـ تصدت لتلك المقترحات واعتبرتها مجرد مزايدة اعلانية رخيصة كان يبغي من ورائها ضمان اعادة انتخابه.

في ذلك اليوم بالذات انقطعت المباحثات الانكليزية ـ الفرنسية بصورة مفاجئة عندما اخفق ماكدونالد في اجبار الحكومة الفرنسية على الغلو في المطالبة بالتعويضات.

تحرج موقف حكومة هريو واصبح في غاية الدقة لدرجة بات بها الجميع يتوقعون استقالتها وشيكاً. ثم ما لبثت ان علمت بأن وزير خارجية بلجيكا السيد هومانس والمستشار المالي البلجيكي السيد فرانكي

يحثان عني، ولكنهما لم يفصحا عن الاسباب التي تدعوهما للاتصال بي، ويبدو ان المقترحات الفرنسية تحولت لقبول تأجيل المانيا دفع اقساط التعويضات لمدة ثلاث سنوات على ان يتم خلال هذهالفترة التوصل الى اتفاق دولي تتعهد المانيا بموجبه بتسديد مبلغ سبعة مليارات مارك ذهب للدول للدول المنتصرة، لكننا رفضنا هذا المقترح بطبيعة الحال،

ولما سافر هريو الى باريس في ٢٤ حزيران ١٩٣٢ اجتمعت في مساء ذلك اليوم بأعضاء الوفد الالماني وجميع ابناء الجالية الالمانية في لوزان وكان اغلب هؤلاء من الطلبة الالمان الذين يدرسون في سويسراء والغريب ان ذلك الاجتماع حضره مستشار النمسا الدكتور دولفوس وجميع الطلبة النمسويين المقيمين في لوزان ايضاء

وكان الدكتور دولفوس يبدي نشاطا ملموسا في حركة الفلاحين النمسويين وطالما التقيت معه بالآراء بصدد هذا المجال، وقد وصل المستشار النمسوي الى لوزان من أجل الالتقاء برؤساء الدول المؤتمرة في سبيل الحصول على قرض عاجل وضروري لحكومته المتشكلة حديثا ، وقد قال لي الرجل ان محاولاته مع فرنسا قد فشلت لأن فرنسا ــ كعادتها دائما ــ ربطت بين المساعدة المالية المطلوبة ومصالحها السياسية فأشترطت على النمسا التوقف عن اجراء أي تقارب مع المانيا بينما لبينا طلب النمسا دون اية شروط بمنحها قرضا متواضعا من صندوق الاتحاد الكمركي، لكن دولفوس كان يبغي الحصول على قرض كبير وعليه فقد اضطررت لمصارحته بقولي:

« سأوجزك عن سياسة المانيا الأساسية يا صديقي العزيز حتى ولو كان ذلك افشاء لأسرار وزارة الخارجية، وسأتحمل لومها لأنني اؤمن بممارسة السياسة من خلال العلاقات الانسانية، فأنت تريد المال ولابد لك من الحصول عليه، وانني اجد ان حصولك على اكبر مبلغ ممكن من الدول المنتصرة هو افضل ما يمكن ان تعمله حتى ولو اجبرتك تلك الدول على قطع علاقات بلادك مع المانياء وسوف لن اعاتبك على ذلك ابداء فأنا أعلم علم اليقين بأنه سيأتي اليوم الذي تتوحد به معكم، وعندئذ سنتعاون سوية على تسديد

كل ديونكم لتلك الدول».

فأنفرجت اسارير الدكتور دولفوس ولاحت على وجهه ابتسامة عريضة وشكرني على هذه المصارحة.

خضنا في الاسبوع الاخير من ايام مؤتمر لوزان صراعا مريرا من اجل الحصول على بعض المكاسب فيما يخص قضية التعويضات على أقل تقدير . وكانت بريطانيا متمسكة بالتوقيتات المحددة سابقا . وقد هدد ماكدونالد بترك المؤتمر في حالة الحاحنا بالرجاء لا سيما وانه ملتزم بحضور مؤتمر آخر في اوتاوا ولديه العذر في الاستعداد لحضوره . كما انني كنت مستعجلا بالعودة الى المانيا لأنني اعلم بوجود اكداس من المعاملات الرسمية التي تنتظر عودتي واتخاذ قراراتي بشأنها. وعليه فقد وجد الوفد الالماني نفسه بموقف حرج لأنه خشي من قطع المحادثات الجارية في المؤتمر والعودة للوطن دون الحصول على نتيجة مرضية. ذلك لأن فشلنا في ذلك المؤتمر من شأنه التأثير على جميع الخطط الواسعة التي كنا ننوي تنفيذها ان لم يؤد الى احباط تلك الخطط ونسفها كليا . ثم ان المعارضة النشيطة سوف لن تألو جهدا في الادعاء بأن بريونينغ لو مثل المانيا في المؤتمر لحقق النجاح المنشود الذي لم تحققه الحكومة الجديدة لسبب واحد هو عدم جدارتها. ولهذه المزاعم او غيرها تأثير كبير على مصير حكومتنا في الانتخابات التي ستتم في ٣١ تموز ١٩٣٢ . وعليه فقد كان من رأي اغلبية اعضاء الوفد الالماني ان من الافضل الرجوع الى المانيا بعد تحقيق نتيجة هزيلة بدلا من العودة للوطن دون تحقيق اية نتيجة. اذ لابد للمرء من اقامة جسر من الآمال التي يمكن تطويرها في المستقبل.

انه لمن المتعذر علي هنا اعطاء وصف دقيق لطبيعة النضال الذي خضناه في تلك الايام من اجل التوصل الى اتفاق مقنع بشأن التعويضات ووضع حد نهائي لها. وكنت قد دأبت على الترديد آنذاك بأننا ما لم نتوصل الى حل مرض فاننا سنعرض العالم لأزمة جديدة.

بعد محاورة جرت بين الانكليز والفرنسيين يوم ٥ تموز ١٩٣٢ كرر

السيد هريو انه يسعى لتحقيق تعاون بين بلاده وهيئة الاركان الالمانية بصورة سرية وانه اخفى هذه الحقيقة عن السيد ماكدونالد . لكنه لا يبغي ربط ذلك الاتفاق بأي اتفاق سياسي. الا ان ماكدونالد كان على علم بتلك المحاولة لأن هريو لم يكن يعرف كيف يخفي اسراره.

كنت قد اجريت محاورة مع السيد ماكدونالد في عصر ذلك اليوم. وقد جاء في الوثائق الرسمية البريطانية التي عرضت فيما بعد التقرير التالي عن تلك المقابلة:

« قام السيد ماكدونالد باخبار السيد فون پاپن بقبول مقترحاته التي سبق للالمان عرضها على الفرنسيين. وابدى له مدى مفاجأته هو والسيد تشامبرلن عندما ابلغهما السيد هريو بفحوى تلك المقترحات».

وفي ٦ تموز ١٩٣٢ قال تشامبرلن لوزير ماليتنا غراف شڤيرين كروسيك: «الواقع هو اننا استغربنا كثيرا لتغيير الفرنسيين لآرائهم بصورة مفاجئة» فما الذي يمكن للمرء قوله ازاء مثل هذا التناقض؟

ولكي اوضح هذه الملابسات بعض الشيء فانني اذكر هنا بأن الذي حصل في ٥ تموز ١٩٣٢ هو ان الوفد الانكليزي اتهم الفرنسيين صراحة بأنهم بمحاولتهم الاتفاق مع المانيا على عقد اتفاقية للتعاون سيسببون تملص الالمان من بنود معاهدة ڤرساي وذكروا لهم بأن حكومة صاحب الجلالة ستحتفظ لنفسها بحقوقها ولن تتنازل للحكومة الالمانية عن أي جزء من التعويضات المفروضة. ثم خلصوا للقول:

« ان ما نسعى اليه هو ضمان امن البلدين ازاء الخطر الالماني. وقد حذرناكم لأن الصراحة هي اساس السياسة البريطانية ».

وكانت هذه الخطوة تنطوي على النفي المباشر لمحاولاتي الجدية لانقاذ بلادي من وهدتها وتخليص اوربا من الخطر الذي ستتعرض له. ولما اراد الحلفاء استخدام خطتي المقترحة كأداة للنيل من المانيا ادت حساباتهم الخاطئة لوصول هتلر الى السلطة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣.

وكان اسوأ ما صادفته في مؤتمر لوزان هو ما حصل في المحادثات التي تمت يوم ٨ تموز ١٩٣٢ بين الرئيسين ماكدونالد وهريو حيث قال الأول للثاني « بأنه ليس من الحكمة اشراك الالمان بالاتفاقية الانكلوفرنسية الآن، ذلك لأن الالمان تمكنوا في لوزان من تحقيق عـدة مكاسب وعليه يجب الا نشرك المانيا باتفاقيتنا لكي لا نعطي للعالم انطباعا بأن الحكومتين الفرنسية والانكليزية توصلتا الى حلف جديد موجه ضد اوربا ».

بعد مفاوضات شاقة مع الفرنسيين توصلنا معهم الى اتفاق بتقليص المبلغ المتبقي من التعويضات المفروضة علينا لهم وجعلها ثلاثة مليارات مارك فقط وجعلنا تسديد هذا المبلغ رهيناً بتحسن الميزان المالي المقبل لالمانيا، وكان من الواضح لدينا ان سلفي ترك لنا تركة ثقيلة من الديون الاجنبية وان الاقتصاد الالماني لم يكن رصيناً لدرجة تسوغ لنا تسديد التعويضات لفرنسا او لغيرها، وعليه فاننا سوف لن تتمكن من تسديد التعويضات الا بعد ان نحصل على قروض اجنبية جديدة، ومع ان مفاوضاتي مع هريو سادها شيء من التكتم فقد كان الوعد الجميل الذي اعطيته لفرنسا من الاغلاط الكبيرة التي ارتكبتها لأن ذلك الوعد تسبب في تحطيم جميع خططي المقبلة.

القيت في مساء يوم اختتام مؤتمر لوزان خطاباً على الشعب الالماني من محطة الاذاعة، ولم اتطرق في ذلك الخطاب لمأساة اندحار المانيا والمناطق المحتلة منها وانما تحدثت عن مفاوضاتي بشأن تقليص التعويضات المتبقية بذمة المانيا بكثير من التفاؤل، والواقع هو انني كنت متحرجا من التحدث بشأن وصولنا الى هذه المرحلة الدقيقة لأن كل ما اعطيته للفرنسيين كان وعداً بدفع مبلغ معين مستقبلا ولذا فقد حاولت ايضاح هذه الحقيقة للشعب الالماني مع بيان مدى الاهمية النفسية لايجاد مخرج من هذه القضية في المفاوضات التي اجريناها مع خصومنا .

ومع ذلك فقد بقيت مشكلة الحاجز الكمركي قائمة بيننا لأن المشكلة المذكورة لم تكن ضمن منهج اعمال المؤتمر، وقد ازدادت هذه المشكلة تعقيدا في مؤتمر اوتاوا الذي عقد بعد مؤتمر لوزان مباشرة.

وكان على الدول الغربية ان تتحمل مسؤولياتها المترتبة على نتائج المؤتمر . ذلك لأن موقفها المتشدد ازاء المانيا في مؤتمر لوزان كان من العوامل التي ساهمت في ارتقاء هتلر ووصوله الى السلطة.

وعندما وصل هتلر الى السلطة فانه أفلح في تخليص المانيا من ذل معاهدة فرساي باللجوء الى اساليب فظة حقق بها نجاحا ازاء الحلفاء بينما فشلت في استمالة ممثليهم بالحسنى في محادثات مؤتمر لوزان.

في ١٢ تموز ١٩٣٢ عقدت مؤتمرا صحفيا لممثلي الصحافة الالمانية فحاولت تبسيط الموقف لأولئك السادة واوضحت لهم بأن حكومتي هي اول حكومة المانية تحاول تخليص المانيا من قيود معاهدة فرساي منذ ايام توقيع تلك المعاهدة حتى ذلك التأريخ وقد صارحت رجال الصحافة الالمانية في المؤتمر الذي عقدته لهم وقلت لهم بأنني ملتزم اخلاقيا وقانونيا بالمعاهدة الجائرة التي وقعها ممثلو المانيا اما هتلر فقد تجرد من ذلك الالتزام ولم يأبه له مطلقاً.

انتهى مؤتمر لوزان في ٩ تموز ١٩٣٢ وتم التسويف بالاتفاق بشأن تأجيل الاقساط المستحقة على المانيا من التعويضات الى اليوم الاخير من المؤتمر الذي جرى التوقيع فيه على وثائق المؤتمر. وقد تطرق السيد ماكدونالد في خطابه الختامي الى الصعوبات الشديدة التي صادفت المؤتمرين وصعوبة توصلهم الى قرار موحد متفق عليه وقد أرجع الصعوبات المذكورة الى كون الأمم والشعوب أسيرة لذكرياتها القومية المريرة. وهكذا اصبح مؤتمر لوزان آخر فصل من كتاب قديم وأول فصل من كتاب جديد. لأن نظام تسديد التعويضات كان مفيداً لجميع الشعوب ذات العلاقة وهو كفيل بالتغلب على الصعوبات المتوقعة. فالحل البسيط والحكيم الذي تم التوصل اليه بعد الحرب العالمية الثانية[1] والذي جنب المانيا دفع التعويضات اتاح

(١) رغم ان المانيا فرحت لعدم اجبارها على دفع تعويضات للحلفاء المنتصرين الا ان اديناور اعترف للعدو الصهيوني بدفع تعويضات باهظة لليهود وكبد دولته مليارات الدولارات اعطيت للصهاينة نقدا أو كسلع ومعدات بموجب اتفاقيات عديدة.

— المترجم —

لها فرصة اعادة بناء البلاد بسرعة بحيث استعادت دورها في المجتمع الاوربي وثبت بذلك ان تحديد التسلح لم يكن ضمانا للأمن أو السلام.

وقد تطرقت في خطابي الختامي بالمؤتمر الى استعداد المانيا للتعاون مع الاقطار الاوربيـة الاخرى في مختلف المجالات وليس بالضرورة ان يقتصر التعاون على المجالات ذات الطبيعة المالية. وأشرت بهذه المناسبـة للعلاقات العريقـة التي تربط لوزان وبرن السويسريتين بمدينة فرايبورغ الالمانية حيث سبق ان عقد حلف ثلاثي بين تلك المدن الثلاث في عام ١٥٢٥ وأكدت توثيق هذه الاواصر بمناسبة انعقاد مؤتمرنا بمدينة لوزان.

تناولت الصحافة الالمانية نتائج المؤتمر باختلاف واضح في آرائها. فقد هاجمتنا صحافة الاحزاب اليسارية واعتبرت المؤتمر كارثة وطنية . وقـالت لو ان بريونينغ مثل المانيا في المؤتمر لما وقع على ما وقعت عليه . كما غضبت صحف الأحزاب اليمينية هي الاخرى وأثارت عاصفة من الغضب وقال الزعيم اليميني هوغنبرغ في اجتماع حزبي عقد في مدينة بريمن بأن النتائج التي تمخض عنها مؤتمر لوزان هي دون الآمال الوطنية للشعب الالماني. اما صحف احزاب الوسط فقد ثارت مني لأنني حللت محل الدكتور بريونينغ وزعمت انني احبطت كل المساعي المثمرة التي انجزها الرجل في سبيل تحقيق المكاسب الملحة لمصلحة المانيا. ووصفت صحيفتي السابقة (جرمانيا) نشاطي في المؤتمر بأنه صفر وقالت انني كنت نموذجا رديئا للسياسي الذي فشل في ترسم خطى بريونينغ ولما وصلنا ــ انا واعضاء الوفد الالماني لآخرين ــ الى محطـة آنهالت ببرلين استقبلنا المتظاهرون برجمنا بالبيض الفاسد والتفاح التالف.

ولعل اغرب ما صادفني بعد المؤتمر هو ان السيد هريو لم يقبل بمقترحي المتضمن عقد اتفاقية للتعاون بين المانيا وفرنسا زاعماً بأن مثل هذه الاتفاقية تتناقض مع نص المادة ١٩ من ميثـاق عصبـة الأمم التي تعطي لكل أمة الحق بتمثيل مصالحها بنفسها.

ويطيب لي الآن ان اسأل السيد هريو:

« لماذا تنطبق المادة ١٩ من ميثاق عصبة الامم على اتفاقية التعـاون المعقودة بين بريطانيا وفرنسا ولا تنطبق على اتفاقيـة للتعـاون بين المانيا

وفرنسا؟»

ولما حدث ان حضرت دعوة للعشاء مساء ١٨ تموز ١٩٣٢ وجلس الى جانبي السفير البريطاني ببرلين سير هوراس رومبولد اعربت له عن تصوري بأن عهدي في الحكم سيكون قصيرا واستفهمت منه عن مدى ترحيب حكومته للتعاون مع حكومة يرأسها هتلر. فلم يحر جواباً.

ان الموقف الذي عشناه بعد مؤتمر لوزان يشبه تماما ما تنبأ به وزير الخارجية الراحل شتريزه مان عندما القى خطاباً قبيل وفاته بأيام قلائل في عام ١٩٢٩ وقال فيه:

« لقد بذلت قصارى جهدي من اجل تحقيق السلام والتآخي فكان ان كسبت الى جانبي نسبة ٨٠٪ من ابناء الشعب الالماني. وقد وقعت على معاهدة لوكارنو فأعطيت واعطيت ثم أعطيت حتى تحول عني ابناء شعبي واصبحوا ضدي. والآن وقد مضت خمس سنوات على توقيع معاهدة لوكارنو . ولو تحقق لي بعض ما وعدني به الحلفاء في لوكارنو لكنت قد كسبت ابناء وطني. وهذا ما يمكنني تحقيقه اليوم ايضا. ولكنهم لم يمنحوا المانيا أي شيء وكل ما اعطوه لها من النزر اليسير كانوا يمنحونه في وقت متأخر جداً وعليه فان حصيلة ذلك ان خسرنا ثقة الشباب الالمان بامكانية تحقيق التعاون الاوربي. هذه هي مأساتي وهذه هي جريرتهم».

# الفصل الثالث عشر
# فون هندنبورغ يطلب الى هتلر
# الاشتراك بالحكومة

**اضطراب في بروسيا . انتخابات جديدة لمجلس النواب . الحزب النازي يحصل على ٢٣٠ مقعدا . محادثة مع هتلر . هتلر يرفض . قضية بوتمپا . مشكلة نزع السلاح .**

قمت بعد وصولي الى المانيا بزيارة للرئيس فون هندنبورغ في ضيعته بنوي دك لكي اعرض له نتائج مؤتمر لوزان فوجدت الرئيس الجليل يتمتع بصحة رائعة وقد تفهم تماما مدى الصعوبات التي تعرضنا لها في المؤتمر المذكور. ولما جرى التطرق في تلك المقابلة الى قضايا اخرى مهمة فقد تعرضنا لموضوع الانتخابات الجديدة واحتمالات حصول اشتباكات بين انصار الاحزاب المتطرفة. وتجدد طرح موضوع منع نشاط منظمة وحدات العاصفة الذي يعتبر اجراء مناهضا للحزب النازي. لاسيما وان الجريدة الرسمية لذلك الحزب «فولكشر بيوباختر[1]» كتبت في تعليقها على نتائج

(١) معنى اسم الصحيفة المذكورة هو ( الراصد الشعبي ) وكان رئيس تحريرها الدكتور يوسف غوبلز الذي صار فيما بعد وزيرا للدعاية .
ـ المترجم ـ

المؤتمر لوزان قائلة:

« لقد انتصرت روح معاهدة ڤرساي عندما وقع المستشار فون پاپن على وثيقة ديون جديدة ».

أما الرئيس فون هندنبورغ فقد حذر من مغبة تزايد الصراع بين الشيوعيين والنازيين وعندئذ اقترحت على الرئيس منع نشاطات المنظمات السياسية المسلحة التي يرتدي افرادها قيافة موحدة.

قلقت كثيرا لتدهور الموقف الامني في اقليم بروسيا لأن المراقبين الاجانب لم يفهموا أسباب تراخي سلطة الدولة الالمانية في ذلك الاقليم لدرجة اضطرت معها الحكومة الالمانية على تخصيص حراسة خاصة لوزاراتها وشخصياتها وحتى لشخصية رئيس الجمهورية نفسه لأنها لم تعد تعتمد على ولاء الشرطة المحلية لاقليم پروسيا. كما ان حكومة پروسيا نفسها كانت تعاني من نفس الصعوبات التي كانت تعاني منها حكومة المانيا المركزية. كما أن وضعية الاحزاب جعلت تأليف حكومة تتمتع بأغلبية برلمانية أمرا متعذراً.

عرض لي وزير الدفاع فون شلايخر بعد عودتي من مؤتمر لوزان بأن أحد موظفي وزارة داخلية بروسيا اخبره بحصول اتفاق بين أمين سر الدولة الدكتور آبيغ والنائب الشيوعي كاسپار يتضمن توحيد جهود الحزبين الشيوعي والاشتراكي الديموقراطي في المعركة الانتخابية. كما سرت اشاعات مفادها حصول اتفاق بين الحزب الشيوعي ووزارة الشرطة البروسية بشأن المعركة الانتخابية ايضا. وقد تبين بعد الحرب العالمية الثانية وفي جميع الاقطار الاوربية التي ساد فيها النظام الشيوعي بأن الشيوعيين يهدفون في التمهيد للوصول الى السلطة بالسيطرة على جهاز الشرطة. أما الامور الاخرى فتكون اكثر بساطة بالنسبة لهم فيما بعد. ولم يراودني الشك ولا للحظة واحدة بأن تطورات الموقف السائد في بروسيا يتطلب المتابعة والاهتمام للسيطرة عليه. لاسيما وان التطورات المحتملة تشير الى قرب وصول حكومة جديدة يشارك بها النازيون بنسبة عالية في ذلك الاقليم ولابد انهم

سيستحوذون على وزارتي الداخلية والشرطة مما يجعل مهمتي ومهمة فون شلايخر اكثر صعوبة.

لذلك قررت كتابة مذكرة بهـذا المآل الى الرئيس فون هندنبورغ استندت بما جاء فيها الى المـادة ٤٨ من الدسـتور ورفعتها الى مقـامه في ٢٠ تموز ١٩٣٢ وجعلت عنوانها :

« من اجل اعادة الأمن والنظام في بروسيا»

وطلبت فيها تسمية مستشار المانيا حاكماً عاماً لبروسيا وتوليه منصب رئيس وزراء بروسيا في الوقت نفسه ومنحه صلاحية اقصاء أي وزير بروسي عند الاقتضاء. وكان تبرير هذا الطلب هو عـدم السمـاح لذلك الاقليم بالاستقلال التدريجي عن سلطة الحكومة المركزية لدرجة ربما تؤدي الى افلات زمام الحكم هناك من ايدينا والسماح باضطراب حبل الأمن. الا انني جعلت طلبي هذا محدودا الى ان تعود الحالة الى الوضع الطبيعي في اقليم بروسيا.

وأذكر ان التدخل في شؤون الاقاليم بهذه الصورة لم يكن البـادرة الاولى من نوعهـا حيث سبق للرئيس الالماني السـابق ايبرت ان خـول المستشار في عام ١٩٢٣ صلاحيات استثنائية وجعله حاكما عاما على اقليم سكسونيا وأقاليم أخرى من اجل اعادة الأمن والنظام في تلك الاقاليم.

استدعيت الى دار المستشـارية ثلاثـة وزراء بروسيين هم سيفرنك وهرتسيفر وكليبر على ان يصلوا يوم ٢٠ تموز ١٩٣٢. وكان رئيس وزراء بروسيا السيد براون مريضا ويتعذر استدعائه. ولما حضر اولئك السـادة اخبرتهم بأن حكومة المانيا تشعر بالأسف لاضطرارها على التدخل لاعـادة السيطرة على اقليم بروسيا وعليه فقـد صدر مرسـوم جمهوري يخولني صلاحيات كاملة للقيام بمهمتي رئيس وزراء بروسيا ووزير داخليتها اضافة لواجبـاتي وانني ارجو وزراء بروسيا أن يسكنوا في مكاتبهم. ثم سألت الوزير سيفرنك عما اذا كانت لديه اية اعتراضات على هذا الاجراء فأجاب بأنه بصفته وزيرا جمهوريا يمتثل لأوامر السيد الرئيس لأن قراره هـذا

يعتبر قررا دستورياً، الا أنه يرى ان القرار المذكور سيضعف سلطة الحكومة على الاقليم. وقد سميت بدوري محافظ مدينة أيسن الدكتور براخت ليكون ممثلي في ممارسة ادارة شؤون الحكومة البروسية . وقد اخبرت الوزراء الثلاثة بقراري هذا وقلت لهم انني اخترت هذا السياسي النابه ـ وهو من رجال حزب الوسط ـ لأنني لم اشأ تعقيد الحالة السائدة في بروسيا. لكن السيد سيفرنك لم يعجبه قراري بتسمية الدكتور براخت ممثلا لي في ادارة حكومة بروسيا فأعاد على مسامعي عبارته السابقة قائلا ان هذا القرار من شأنه اضعاف سلطة الحكومة على الاقليم. ولم البث ان انهيت المقابلة القصيرة للوزراء البروسيين الثلاثة.

اجتمعت بوزير الدفاع الفريق كورت فون شلايخر وتدبرنا أمر السيطرة على بروسيا لكي نقطع على الوزير سيفرنك سبل تحريك قوة الشرطة البروسية التي بأمرته ضد الحكومة المركزية. ثم استحصلنا موافقات استثنائية من السيد رئيس الجمهورية لتنفيذ خطة أمن برلين الكبرى بحيث تشمل مقاطعة براندنبورغ ايضا. وقام بعملية تنفيذ الخطة الفريق فون روندشتيدت(٢) الذي صار فيما بعد مشيرا.

وقد كتب وزير مالية بروسيا كليپر عن تلك الواقعة في عام ١٩٤٧ فقال انه عرج قبل سفره الى ايسن بيوم واحد لمقابلة الدكتور براخت على زملائه ببرلين وحذرهم من المصير الذي ستتعرض له مناصبهم. وكان رئيس وزراء جنوب المانيا قد دعى اولئك الوزراء الثلاثة الى وليمة تحدث فيها اليهم مليا قبل استدعائي لهم ببضعة ايام. وقد قام الوزير هرتسيفر بأيجاز رئيس

---

(٢) صار المشير فون روندشتيدت قائدا لمجموعة جيوش الجنوب عند مهاجمة المانيا لپولندا في ايلول ١٩٣٩ ثم قائدا لمجموعة الجيوش ( آ ) عند مهاجمة المانيا لفرنسا في عام ١٩٤٠ وقد احاله هتلر على التقاعد، ثم ما لبث ان استدعاه ليكون قائدا لمجموعة الجيوش التي دافعت عن فرنسا عام ١٩٤٤ ثم احاله على التقاعد ثانية وقد سجنه الانكليز بعد الحرب العالمية الثانية بضعة أعوام واطلقوا سراحه بعدها حيث مات في المانيا الغربية .
ـ المترجم ـ

وزراء المانيا بشأن تطورات الموقف في اقليم بروسيا والاحتمالات المترتبة عليه وذكر ان تعيين حاكم عام يجب ان يقاوم بالقوة • وكان ان وعدت اقاليم المانيا الجنوبية ـ متمثلة برئيس وزرائها ـ باسناد حكومة بروسيا ضد الحكومة المركزية • وتم الاتفاق على استدعاء قوات الشرطة الاحتياطية وتحشيدها تحت الراية (اسود ــ احمر ــ اصفر) وتسليحها مع ضمان تحييد الرئيس فون هندنبورغ والقاء القبض على اعضاء الحكومة المركزية والاعضاء القياديين في الحزب النازي• وعندئذ يجري تشكيل لجنة قوامها رؤساء وزراء الحكومات المحلية للاقاليم الخمسة ويشترك معهم مستشار الدولة لاقليم بروسيا الدكتور اديناور ووكيل الوزارة الدكتور شبيكر وقد وافق هذان السيدان على الاشتراك باللجنة المذكورة•

كانت جميع هذه النشاطات السرية قد جرت كلها بالخفاء دون ان نحاط بها علماً• الا ان هذه الخطة التي تنطوي على الخيانة المطلقة اصبحت الاساس لما هو مناسب حقاً•

تم تنفيذ المرسوم الجمهوري وفق المنهج المقرر لتنفيذه دون أية معوقات• وقد حاول رئيس وزراء بروسيا المريض التوجه الى مكتبه في شارع ڤيلهلم لكنه قابل على باب البناية من منعه من ولوجها ولما عاد السيد براون الى مسكنه قدم شكوى الى محكمة الدولة• اما سيفرنك فانه توجه الى وزارته ــ وزارة الشرطة ــ ومنع رجال الشرطة البروسيين من تلقي أية اوامر تصدر عن الحكومة المركزية • وعندئذ تلقى الفريق فون روندشتيدت امرا مني بالتوجه الى مقر ادارة الشرطة البروسية وطرد كل من قائد الشرطة غرتسيسنسكي ومعاونه ڤايس ومدير الشرطة السرية العقيد هايمانسبرغ وتأمين ايصال السادة الذين نسبوا للحلول محل هؤلاء الى مكاتبهم• ولما قاوم قادة الشرطة المطرودين قام فون روندشتيدت بالقاء القبض عليهم ولكنني أمرت باطلاق سراحهم بعد ساعة واحدة بعد ان وقع كل منهم على ورقة يوافق بموجبها على تولي أي منصب يعين له• اما وزير الداخلية فقد ذكر فيما بعد في مذكراته بأنه عندما توجه نحوه ملازم ومعه اثنا عشر

جندياً لتنفيذ اقالته قسراً عند الاقتضاء كتب لهم العبارة التأريخية المشهورة :
« انني انزل على حكمكم »

تحدثت للشعب الالماني من محطة الاذاعة في مساء ذلك اليوم • وذكرت في كلمتي اسباب القرار بالغاء التضامن الحزبي المعقود في ڤايمار وتبرير التغييرات الادارية التي الجأتنا الى التعجيل بتنفيذها قبل اجراء الانتخابات لاختيار رئيس الوزراء الجديد وعلى الرغم من ان الحزبين اليمينيين ( الحزب النازي وحزب الشعب الوطني الالماني) يمثلان نسبة ٤٧٪ من اصوات المجلس المحلي لاقليم بروسيا فان تعاونهما مع حزب الوسط اصبح ضروريا للحصول على الاغلبية القانونية وهذا امر لم يحصل مما اتاح للشيوعيين الذين لا تزيد نسبة اصواتهم على ١٦٪ فرصة اللعب بالورقة الرابحة في التحكم بالاحداث الجارية في اقليم بروسيا • ولكي اجنب الاقليم عقابيل التطورات المضرة التي قد تؤدي الى لجوء الاحزاب الى ممارسة اعمال العنف ضد بعضها البعض فقد امرت بمنع الحزب الاشتراكي الديموقراطي من اقامة اية جبهة مع الحزب الشيوعي وحددت نشاطهما فوراً•

كان قائد شرطة برلين الجديد الذي وقع اختيارنا عليه هو السيد ميلشر من خيرة ضباط الشرطة الاكفاء وقد نجح الرجل في السيطرة على الموقف بسرعة وجعل الحياة طبيعية في بروسيا برمتها دون اراقة للدماء او اللجوء لأية فعاليات قسرية•

بعد ايام قلائل وجهت حديثا من محطة الاذاعة العالمية الى الاقطار الاجنبية لكي اوضح للعالم بأن الاجراءات التي اضطرت حكومتي على اللجوء اليها كانت لغرض منع الاصطدامات الدموية المحتملة بين متطرفي اليمين ومتطرفي اليسار الالمانيين وعدم السماح بنشوب حرب اهلية تدمر المانيا•

وأنا اجزم الآن وبعد مرور تلك الحقبة الطويلة من الزمن بأنني لم احاول التسلط او ممارسة الحكم الاستبدادي وانما وجدت هذا الاجراء

ضروريا لانقاذ احد اقاليم بلادي من الفوضى التي اوشكت ان تمتد منه الى الاقاليم الاخرى وكانت اجراءاتي من صميم واجباتي بصفتي رئيس الحكومة المسؤول عن ادارة الحكومة المركزية وقد شعرت بالخطر بصورة واضحة عندما لاحظت على الوزراء البروسيين الثلاثة عدم الامتثال لأوامر الحكومة مما جعلني اقدم على اقالة وزراء حكومة بروسيا كلهم بموجب صلاحياتي الممنوحة لي من قبل رئيس الجمهورية فون هندنبورغ.

تمخضت الانتخابات التي اجريت في ٣١ تموز ١٩٣٢ والتي ساهم فيها ٣٦٫٨ مليون ناخب عن حصول احزاب تآلف ڤايمار على ١٢٫٩ مليون صوت فقط بينما حصل الحزب النازي على ١٣٫٧ مليون صوت فارتفع بذلك عدد مقاعده بالبرلمان من ١١٠ مقاعد الى ٢٣٠ مقعدا. وكانت نسبة الأصوات التي حازها النازيون مقاربة للنسبة التي حازها ادولف هتلر في الانتخابات الثانية لرئاسة الجمهورية اذ حصلوا في انتخابات البرلمان على نسبة ٣٦٫٨٪ من مجموع أصوات الناخبين. الا ان حصولهم على هذه النسبة جعل مفتاح الموقف السياسي بأيديهم لأن أي ائتلاف برلماني تتحقق به الاغلبية اللازمة لتولي السلطة لا يمكن ان يتم بدونهم.

والآن وقد مضت ثمانية اسابيع على تشكيل حكومتي فأن الانتخابات الجديدة لابد ان تتمخض عن تطورات جديدة تتوائم مع نظرة الاحزاب الفائزة في الانتخابات للنتائج التي حققتها حكومتي سواء في المجال الاقتصادي او في مؤتمر لوزان.

قررت بعد الانتخابات قضاء اجازة للاستجمام قبيل افتتاح البرلمان الذي حضر الرئيس فون هندنبورغ من ضيعته الى برلين للمساهمة في افتتاحه وللمشاركة في المباحثات الضرورية لتشكيل الحكومة الجديدة.

طرحت في ٩ آب ١٩٣٢ مذكرة لايقاف موجة الارهاب السياسي التي تفشت بين مختلف الفئات المتناحرة وطلبت الموافقة على جعل عقوبة الموت رادعاً لكل من يقدم على ممارسة القتل لأسباب سياسية وذلك قطعاً لدابر معارك الشوارع. وعندما طلبت مناقشة هذا الطلب مع جميع الاحزاب رفض

الحزب الديموقراطي الاشتراكي المساهمة في اية مباحثات بهذا الشأن.

في صباح ١٢ آب ١٩٣٢ استقبلت كلا من السيد روهم[٣] وغراف هيلدورف وكان اولهما رئيسا لاركان وحدات العاصفة النازية اما ثانيهما فكان قائداً سياسيا لمنطقة برلين من الحزب نفسه. وطلبا مني تحديد موقفي وقالا بكل وضوح ان حزبهما لن يرضى بغير تكليف زعيمه ادولف هتلر بمنصب مستشار المانيا فقلت لهما ان الرئيس فون هندنبورغ ابدى رغبته في اشراك بعض اعضاء الحزب النازي في حكومتي واما مطالب الحزب الاخرى فيمكن تقديمها فيما بعد.

في صباح ذلك اليوم بالذات استقبل وزير الدفاع كورت فون شلايخر بمكتبه ادولف هتلر وجعله على بينة من عدم احتمال ترشيحنا له لرئاسة الحكومة الجديدة. ثم ان هتلر ما لبث ان زارني في عصر اليوم نفسه وكان معه الدكتور فريك[٤]. فأوضحت لهتلر بجلاء خلاصة رأيي قائلا:

« ان السيد الرئيس لا يرغب الآن باسناد منصب المستشار لكم لأن معرفته الشخصية بكم لا تزال قليلة . ثم انكم قدتم حزبكم لحد الآن وهو في موقف المعارضة فقط. كما انكم أعلنتم منهج الحزب الذي نختلف معكم في عدة نقاط وردت فيه. اضف الى ذلك ان منهج حزبكم يتضمن معالجة

---

(٣) نظم ارنست روهم وحدات العاصفة النازية (S.A) وادار معارك الشوارع مع اعداء الحزب النازي ردحا طويلا من الزمن ولما تفاقم شره لدرجة باتت تؤثر على هتلر ونظامه في عام ١٩٣٤ قام هتلر بقتله هو وانصاره في عملية تصفية مشهورة جرت في ذلك العام . — المترجم —

(٤) صار الدكتور فيلهلم فريك وزيرا للداخلية في حكومة هتلر ثم عين في آب ١٩٤٣ حاكما عاما لمورافيا وبوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) خلفا لراينهارد هايدريش فبقي بهذا المنصب حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وقد احيل بعد ان وضعت الحرب اوزارها الى محاكمات نورمبرغ وحكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ فيه يوم ١٦ تشرين الاول ١٩٤٦ متهما بمناواته للسامية .
— المترجم —

اصعب مشكلة في السياسة الداخلية لبلادنا ــ واعني بها المشكلة الاجتماعية ــ حيث انكم تعرضون لها حلولا ايجابية مقبولة • كما اننا تتفق معكم بشأن السياسة الاقتصادية الا ان الرئيس يجد أن من واجبه ازاء الوطن استغلال طاقاتكم الحماسية في المجال السياسي بالوقت الحاضر الا انه يرى بأن المرحلة الراهنة تتطلب تعاون جميع الالمان المخلصين لخدمة بلادنا•

انصت لي هتلر بصمت مطبق لكنني استرسلت في كلامي لأعطيه انطباعا بأنني لا اعيق وصول حزبه الى الحكم• كما انني لست حريصا على التمسك بمنصب المستشار والاستئثار به دونه• ولكي ابرهن له على سلامة نيتي فقد دعوته في ذلك اليوم لقبول تعييني له بمنصب نائب المستشار وتعيين عدد من انصاره بمناصب وزارية في حكومتي• ثم اخبرته باستعدادي للتنازل له عن منصب المستشار حال حصول حركته على ثقة البرلمان وبعد أن يكتسب هو شخصيا ثقة الرئيس فون هندنبورغ ويتعرف عليه بصورة اوثق• ومع ان هتلر بدى عليه تقبل آرائي الا انه رفض طلبي قائلا انني لابد ان أقدر مدى تعذر اشتغاله (وهو زعيم حركته) نائبا لمستشار آخر• لاسيما وان حزبه يتوقع ان يراه رئيسا للحكومة • ثم كرر القول بأنه لا يشك ابدا بصدق مشاعري لكنه يأسف لعدم استطاعته قبول العرض الذي قدمته له• لكنني ما لبثت ان قدمت له عرضا آخر:

اذ بمقدوره ــ بصفته زعيم حركته السياسية ــ البقاء خارج الحكومة وتكليف احد اعوانه المقربين بتولي منصب نائب المستشار • وبذا ستتاح الفرصة لرئيس الجمهورية كي يتعرف على شخصيات الحزب عن كثب تمهيدا لكسب ثقة الرئيس الشخصية•

الا ان هتلر أصر على رفض هذا المقترح ايضا•

وهكذا استمرت محاورتنا لفترة طويلة ونحن في حلقة مفرغة• وكنت أؤكد له بأن عليه التريث قليلا لأنه ليس من المعقول بقاء مثل هذا الحزب الكبير مجرد قوة للمعارضة• اذ لابد للحزب ان يصل الى ذروة التفوق التي اوشك على ادراكها وعندئذ ستنفسح امامه اوسع ابواب المستقبل•

ولما يئس هتلر من اقناعي بالاستقالة لصالحه سألني عما اذا كنا قد وصلنا الى ختام المناقشة فأجبته بالايجاب فقال لي بأن حزبه سيحمل لواء المعارضة ضد حكومتي. فقلت له ان سبب الفشل في التوصل الى اتفاق يكمن في تمسكه شخصيا بتولي منصب المستشار وانني سوف اخبر الرئيس فون هندنبورغ بتفاصيل محاورتنا اولا بأول. وكنت على ثقة تامة من ان الرئيس سوف لن يذعن لاصرار هتلر على تولي منصب المستشار كما ان وزير الدفاع فون شلايخر أكد بأن هتلر ـ ان شاء التمسك بالوصول الى منصب المستشار ـ لابد ان يحصل على تزكية من حزبه اولا.

وأخيرا اختتمنا المناقشة المطولة بتوديع اتسم بالبرود. وسرعان ما شرعت وسائل اعلام الحزب النازي باظهار ردود فعلها العنيفة ضد الحكومة معلنة عن تحول الحزب الى صفوف المعارضة.

لم يطالب هتلر بمنحه الصلاحيات المطلقة في اول الامر وانما طالب بمجرد تولي رئاسة الحكومة . ولكن هذا الطلب كان تلاعبا بالالفاظ. وقد ادركنا ـ انا وفون شلايخر ـ من الوهلة الاولى خبيئة نفسه على حقيقتها لأن خطواته للسيطرة على مقدرات المانيا كانت على حساب ازاحتنا كلينا من منصبينا الخطيرين.

ثم ان الصحافة النازية تجاوزت حدودها بالاجتراء على مقام رئيس الجمهورية فون هندنبورغ نفسه ونقضت العهد الذي سبق لهتلر انقطعه لفون شلايخر وقد اكد هذا بأن هتلر قال له بصورة جازمة بأنه سيلتزم بالوفاء لشخص الرئيس فون هندنبورغ دون أية حدود زمنية.

أما موقف صحافة احزاب الوسط فكان يتسم بعدم المبالاة مع انها لم تشجع وصول هتلر الى الحكم ولم تتوقع الوصول الى أي تعاون من شأنه مشاركة النازيين بالحكم. وانصبت أغلب تقديراتها للموقف السياسي الداخلي على احتمال حصول ائتلاف احافظ به على بقاء حكومتي بعدكسب اغلبية برلمانية اضمن بها ثقة الاحزاب الكبيرة الحائزة على نسب كبيرة من مقاعد البرلمان الجديد.

وكانت المعضلة الرئيسة التي صادفتني في تلك المرحلة هي كيفية تنفيذ الاصلاح البرلماني • وقد كتب سير هوراس رومبولد السفير البريطاني ببرلين آنذاك تقريرا لحكومته جاء فيه:

« يبدو ان السيد فون پاپن يعتقد بأنه حائز للوصاية على الشعب الالماني وله ان يحكم البلاد ويصلح النظام البرلماني• وهو يظن ان الاحزاب الالمانية لا تمثل الشعب وعليه فانه يحاول اصلاح النظام البرلماني على حساب المؤسسات البرلمانية التي اقامتها حكومة ڤايمار» وهذا تقرير يمكن اعتباره مغاليا في النقد ولكن الذي اثبته نظام هتلر فيما بعد يدل على انني لم اجانب الحق والاصلاح في محاولتي التي لم يكتب لها النور•

كانت الخطوة التالية التي اقدمت حكومتي على معالجتها هي كيفية التغلب على معضلة البطالة المتفشية في المانيا انقاذا لاقتصادها المتدهور•

وقد اعدت حكومتي خطة لمعالجة هذه المسألة وناشدت الشعب ان يسندها في وضع خطتها موضع التنفيذ وبناء على ذلك فقد توجهت الى ضيعة (نوي دك) لمقابلة الرئيس فون هندنبورغ يوم ٢٦ آب ١٩٣٢ وهناك علمت بأن المستشار السابق بريونينغ يسعى للتوصل الى تضامن بين حزبه والحزب النازي•

في تلك الايام فوجئنا بمشكلة جديدة تمثلت بصدور الحكم باعدام خمسة من النازيين لاشتراكهم في قتل شيوعي يوم ٢٢ آب ١٩٣٢ وقد رفعت الصحافة النازية عقيرتها لتخليص اولئك المجرمين الخمسة من عقوبة الاعدام• اما هتلر فقد ارسل برقية للصحف قال فيها:

انه يعبر عن حزنه الذي يفوق الوصف لسفك دم ذلك القتيل وان الهدف الرئيس لحركته هو مناوأة حكومتي بالدرجة الاولى•

القيت خطابا في مونستر يوم ٢٨ آب ١٩٣٢ باجتماع لاتحاد الزراعيين الويستفاليين الذي سبق ان ساهمت في فعالياته لسنين عديدة • فأنتقدت هتلر لبطلان ادعاءاته التحريضية ودافعت عن سياسة حكومتي المتزنة•

لم يكن تمسكي بمنصب المستشار بالسبب الوحيد الذي دعاني لمعارضة وصول هتلر الى السلطة وانما كان المعيار الاخلاقي البروسي المعروف «لكل ما يستحق» والسائد منذ عهد ملوك بروسيا هو الذي دعاني للمعارضة في تكليف هتلر بمنصب المستشار لاسيما وان حزبه لم يكن حائزا للاغلبية التي تؤهله للوصول للسلطة وقيادة الامة الالمانية.

وعليه فقد قررت اطفاء نيران الحرب الاهلية التي لاحظت ان بوادرها لاحت في الافق ووضع حد للاضطراب السائد في الميدان السياسي وانهاء التسيب الذي وصل الى درجة استعمال القوة بين الاحزاب دون اي احترام للسلطة الشرعية القائمة.

وكانت العقوبات القاسية التي وصلت الى احكام الاعدام وتشدد الحكومة في تعاملها مع العناصر المتطرفة من جميع الفئات السبب المباشر في تهدئة الاوضاع . الا ان وزير العدل اصدر امرا ليلة تنفيذ احكام الموت بتخفيضها الى السجن المؤبد. وواضح ان هذا الاجراء كان سياسيا اكثر من كونه قضائيا . ذلك لأنني لم اشأ مطلقا اعطاء أي انطباع بأنني مناهض للنازية . كما انني لم اشأ من الناحية الاخرى اعطاء المتطرفين اسبابا دعائية قد توجه ضد حكومتي بعد الانتخابات الجديدة التي اعلنا عن اجرائها في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ .

وكان ان اردت الاسترسال في ابداء النوايا الحسنة واتخذت قرارا بالغاء عقوبة الاعدام والاستعاضة عنها بالسجن المؤبد ولما تغيرت الحال ووصل هتلر الى السلطة ادركت بأن ميلي الى الرحمة على حساب العدل كان خطأ سياسيا ما كان لي ان ارتكبه.

في أثناء معالجاتي المضنية للوضع الداخلي السائد في الوطن ظهرت صعوبات اخرى جديدة في الموقف الخارجي. ذلك لأن مؤتمر لوزان لم يتمخض عن أي تحسن تحصل به المانيا على سيادتها المقيدة. ووجب على حكومتي ايجاد الوسائل الكفيلة بتحسين الحالة المعاشية لابناء الوطن .

ولذا فقد اصدرت توجيهاتي لوزير الخارجية البارون فون نويرات للسعي الحثيث في سبيل مساواة المانيا مع بقية الدول وفقاً لمعاهدة جنيف. واصطدمت هذه المحاولة بعقبة كأداء هي وجوب الحصول على موافقة فرنسا المبدئية. وعلى الرغم من التضليل الذي مارسه هريو معي في محادثاتي معه بلندن الا انني كنت على ثقة من انه يرغب في اعماق نفسه الى التوصل للسلام الدائم مع المانيا.

وفي ٢١ آب ١٩٣٢ كتب البارون فون نويرات مذكرة ـ بحضور وزير الدفاع فون شلايخر ـ الى السفير الفرنسي ببرلين فرانسوا پونسيه تضمنت التوجيهات التي زودته بها . وبعد يوم واحد قابلني السفير البريطاني سير هوراس رومبولد متسائلا عن مدى صحة اجراء محادثات وشيكة بين برلين وباريس.

وقد كتب فرانسوا پونسيه فيما بعد بمذكراته تفسيرا لهذه الواقعة تضمن قيام وكيل وزارة الخارجية الفرنسية السيد هرڤيه آلفان ـ الذي وجد إن البرقية الواردة من السفير الفرنسي ببرلين مهمة جدا ـ بالتوجه الى رئيس الورزاء شخصيا (الذي كان متغيبا عن پاريس في سفرة بحرية في القنال) فلما وصل وكيل وزارة الخارجية بالطائرة وقابل رئيس الوزراء الذي كان في السفينة وحوله عدد كبير من الصحفيين لم يبق لالمانيا سر مكتوم. وفي صباح اليوم التالي كانت على مكتب رئيس وزراء بريطانيا مذكرة سرية جاء فيها:

« يدرس السيد هريو بكل اهتمام الموقف الجدي الذي ازعجه الى ابعد الحدود » وقد ذكرتني هذه العبارة بالموقف الذي وصلنا اليه فيمحادثات نزع السلاح يوم ٢٣ تموز ١٩٣٢ عندما لم تعترف بريطانيا وفرنسا بمساواتنا معهما من حيث المبدأ. وعليه فان رغبتنا المشروعة في اعادة فتح الحوار معهما بهذا الشأن لابد ان تثير قلقهما لاسيما وان الحكومة الالمانية لم تعد قادرة على البقاء في وضع متخاذل يسيء موقفها في نظر ابناء الشعب الالماني. وعليه فان وزارة الخارجية الفرنسية اهتمت للامر الى اقصى الحدود كما

توجه السفير الانكليزي سير هوراس الى لندن يوم ٣١ آب ١٩٣٢ بعد ان اوجزته بشأن خطورة الموقف وحذرته من مغبة تجاهل طلبات المانيا.

أما سفيرنا بلندن غراف بيرنستورف فقد قابل وزير خارجية بريطانيا سير جون سيمون الذي قال له ان طلبنا لا يزيد عن كونه اعادة للطلبات التي سبق ان عرضها المستشار السابق الدكتور بريونينغ في نيسان ١٩٣٢ .

لكن الدكتور بريونينغ كتب فيما بعد رسالة الى وكالة الانباء الالمانية ذكر فيها الواقعة المذكورة كما يلي:

« في الوقت الذي تقررت استقالة الحكومة كان السفير الامريكي في سويسرا ستيمون قد ناقش رئيس وزراء فرنسا هريو طوال أيام عديدة بشأن مساواة المانيا في ميدان التسلح واشترك في مناقشة الطلب الالماني ممثلون عن الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وايطاليا في جلسات عديدة عقدت بمنزل السفير ستيمون الواقع في بيسنغس القريبة من جنيف. وكنت انتظر بين ساعة وأخرى تطور الحوادث من السفير الامريكي في سويسرا مؤملا موافقة هريو على مساواة المانيا في مجال التسلح مع الدول الاخرى لكن حكومتي استقالت في ٣١ مايس ١٩٣٢ قبل ان يتوصل المؤتمرون الى اقناع هريو بمنح المانيا حقها في التسلح . وهكذا بقيت هذه المعضلة قائمة كعقبة بارزة تؤثر على سياسة المانيا الخارجية ».

أما المضيف السفير ستيمون فقد كتب عن تلك الواقعة ما يلي:

« أوضحت الحكومة الالمانية للحكومة الفرنسية بأن طلباتها لا تتجاوز الحقوق الطبيعية التي سبق ان عرضها المستشار الالماني (بريونينغ) على رئيس وزراء بريطانيا في بيتي بمدينة بيسنغس . وقد سبق ان حضرت مناقشات الرئيسين الالماني والانكليزي بصفة مراقب دون ان اساهم فيها . ولذا يمكنني التأكيد بأن الطلب الالماني كان معقولا ولكنه لم يلق من الانكليز أي شكل من الموافقة او الاسناد او التأييد ».

وقد علق رئيس وزراء بريطانيا السيد ماكدونالد على كلام ستيمون بالملحوظة التالية:

« ان كل ما ذكره السيد ستيمون صحيح تماما»[٥].

اوضحت جهودي المضنية لاقناع هريو بمنح المانيا حقوقها دون جدوى في محاضرة القيتها بنادي اتحاد الصحافة الاجنبية يوم ٨ تشرين الثاني ١٩٣٢ وحازت التأييد الحار من الحضور لأنني عرضت فيها استعداد المانيا لتوقيع معاهدة سلام مع فرنسا وذكرت مدى أهميتها للبلدين . وأملت ان بقية الدول ستشجعنا في هذا السبيل لأنها لابد ان تتفهم المزايا التي سنجنيها من تجنب الخصام الذي يهدد علاقاتنا بصورة مستمرة وقلت في معرض محاضرتي ما يلي:

« ان طريقنا ينبغي ان يكون باتجاه التفاهم السلمي ولقد خطونا خطواتنا الاولى في هذا السبيل في لوكارنو ثم خطونا لمسافة ابعد في مؤتمر لوزان وسنتابع المسير على نفس الاتجاه مهتدين بالمباديء العظيمة التي اغمدنا بموجبها اسلحتنا في عام ١٩١٨ من اجل ازدهار اوربا».

واخيرا التقى الرئيسان ماكدونالد وهريو في جنيف في مطلع كانون الاول ١٩٣٢ وتوصلا مع البارون فون نويرات الى صيغة سمحت لنا بتجديد المساهمة في مناقشات نزع السلاح. وفي ١١ كانون الاول ١٩٣٢ تم الاعتراف التام بمساواتنا مع الدول الاخرى في هذا المجال بمذكرة جاء فيها:

« تعلن حكومات المملكة المتحدة وفرنسا وايطاليا بأن مساواة المانيا معها في مجال التسلح يعتبر من الأسس الذي يجب ان تعتمدها في كل المؤتمرات وذلك ضمانا لنظام الأمن السائد بين جميع الأمم».

ولما ادركت الهدف الذي سعيت لتحقيقه طويلا لم اكن متحملا مسؤولية الحكم في بلادي لأن حكومتي كانت قد استقالت قبل ذلك التأريخ بثمانية ايام واصبح وزير الدفاع فون شلايخر مستشارا لالمانيا . وهكذا ظهرت نتائج الجهود التي بذلتها في مؤتمر لوزان بصورة متأخرة وثبت نجاحي ولكن بعد استقالة حكومتي .

---

(٥) راجع الوثائق البريطانية للسياسة الخارجية ١٩١٩ – ١٩٣٩ المجلد الرابع التسلسلات ١٣٦ و ٨٨ و ١٠٠ و ١٣٤ (باللغة الانكليزية) .

ـ المؤلف ـ

# الفصل الرابع عشر

# المستشار فون شلايخر

**البرلمان الجديد . حل البرلمان الجديد . الخطة الاقتصادية الكبرى . انتخابات جديدة . اندحار مريع للحزب النازي . تعذر اقامة جبهة ائتلافية برلمانية . استقلت . ساعة حاسمة. الرئيس فون هندنبورغ على استعداد ليحكم ضد الدستور . رد فون شـــلايخر العنيف . مهمة الرائد اوت « انه مسن ولا يصلح لادارة حرب أهلية » . فون شلايخر يتولى منصب المستشار .**

افتتح البرلمان الجديد يوم ٣٠ آب ١٩٣٢ بخطاب ملتهب القته النائبة كلارا تستكين العائدة لتوها من موسكو وقاطعها النواب الشيوعيون بتهليل وهتاف تضمن الدعوة لانشاء (الجبهة الحمراء) وهـاجمت الخطيبة العـالم الرأسمالي وحكومة فون پاپن الخادمة لمصالح الرأسمالية ودعت الى ثورة شاملة .

ثم جرت انتخابات رئاسة المجلس فأتفق حزب الوسط والحزب النازي على انتخاب السيد هرمان غورنغ رئيسا للمجلس . وهكذا اثبت المجلس

باتتخابه لغورنغ تفوق التضـامن القومي على التكتل الشيوعي• وقد قرر الرئيس الجديد للمجلس عقد الجلسة الثانية في ١٢ أيلول ١٩٣٢ •

لاحظت في تلك الأثناء ـ كما هو معتاد في كل برلمان ـ اننـا يجب ان نقدم تقريرنا المتضمن خططنا التي نزمع تنفيذها من أجل التغلب على الأزمـة الاقتصادية وكانت حكومتنا على اتم استعداد لعرض برامجها امام البرلمان وتلقي كل الانتقادات البنائة برحابة صدر•

افتتحت الجلسة الثانية برئاسة السيد هرمان غورنغ وكان المجلس كامل الانتنام ومقصورات الهيئات الدبلوماسية الاجنبية غاصة بالحضور وكان أول المتكلمين النائب الشيوعي تورغلر الذي طالب بالغاء حالة الطواريء المفروضة من قبل الحكومة فوافق المجلس على هذا الطلب دون اية مناقشة وبالاجماع• ثم طالب النائب المذكور بحجب الثقة عن حكومتي•

وجه الرئيس هرمان غورنغ سؤالا لاعضاء البرلمان عما اذا كانوا يؤيدون مقترح النائب أم يعـارضونه • فنهض النائب النازي الدكتور ڤيلهلم فريك وطالب باستراحة للمجلس امدها نصف ساعة• فتوجسـت خيفة من هذا الموقف المفاجيء لأنني لم استعد لالقاء خطبة ادحض فيها الافتراءات التي ينتظر ان تتعرض لها حكومتي وكان الاستحضار للخطبة المذكورة يتطلب عدة ايام على الاقل• لكنني يمكنني استحصال الامر بحل البرلمان الجديد في ذلك اليوم نفسه• وأرسلت ساع على عجل الى دار المستشارية وتدبرت امر حل البرلمان خلال نصف الساعة المقررة للاستراحة ولما استؤنفت الجلسة الثانية دخلت القاعة الكبرى متأبطا الاضبارة الحمراء المعهودة والتي تحوي الامر بحل البرلمان•

علت ضجة القوم عندما رأوا اضبارتي الحمراء التي تنذر بحل مجلسهم وقال رئيس المجلس ان استحصالي لأمر حل المجلس جاء اجابة حاسمة على مقترح النائب تورغلر ألا انني وضعت الاضبارة المتضمنة امر رئيس الجمهورية بحل المجلس امام رئيس المجلس وغادرت قاعة البرلمان انا وأعضاء حكومتي•

تجاهل غورنغ أمر حل البرلمان ووضعه جانبا وشرع بالاقتراع على الثقة بحكومتي وكانت نتيجة الاقتراع التصويت بالغاء حالة الطوارىء ثم حجب الثقة عن حكومتي بنسبة ٤١٢ الى ٤٢ صوت. وعندما ظهرت هذه النتيجة أعلن غورنغ حل البرلمان وقال ان وثيقة الامر بحل البرلمان لا يمكن اعتبارها نافذة دستوريا لأنها موقعة من وزير لم تحز حكومته على ثقة ممثلي الشعب وهكذا تسبب الحلف غير المقدس الذي اتفقت به عدة احزاب متنافرة على الاطاحة بحكومتي في ٣٠ آب ١٩٣٢ الى حل البرلمان وانني لفي اشد الاستغراب حتى يوم الناس هذا للاسباب التي حدت برجال امثال الدكتور بريونينغ والدكتور كاس للتضامن مع الشيوعيين والنازيين في سبيل اسقاط حكومتي قبل ان يتسنى لها طرح منهاجها المزمع تنفيذه على انظار ممثلي الشعب حتى قبل ان يسمع اولئك السادة بالخطط المقترحة لمعالجة الازمة الاقتصادية وازمة البطالة.

وأغلب الظن ان ذينك السيدين كانا يأملان التوصل الى تشكيل حكومة ائتلافية يساهم بها النازيون والشيوعيون الى جانب حزبيهما الاشتراكيين.

ولما حرمت من فرصة الكلام امام البرلمان بصفتي رئيسا للحكومة آثرت التوجه الى ابناء الشعب الالماني قاطبة بالقاء كلمة بجميع محطات الاذاعة الموجودة في المانيا فوصفت تطورات الحوادث في ذلك اليوم تحت قبة البرلمان وأوضحت خطط الحكومة لمعالجة الازمة الاقتصادية وناشدت ابناء الشعب الالماني الوقوف صفاً واحدا وراء حكومتهم لكي يحبطوا كافة الالاعيب التي شرع النازيون بممارستها من البرلمان.

كنا قد حاولنا في تلك الفترة معالجة ازمة البطالة بتقليص ساعات العمل الأسبوعية من ٤٠ ساعة الى ٣٠ ساعة واقتصار أيام العمل على خمسة أيام في الاسبوع والاستعاضة عن تقليص الساعات العشر واليوم الواحد بتشغيل اعداد أخرى من العمال العاطلين.

أما الموقف المالي فقد كان حرجا للدرجة لا نحسد عليها. اذ كان ما لا يقل عن ٢٣ مليون الماني يعيشون على الموارد العامة للدولة الالمانية أي ما يعادل

٣٦٪ من ابناء الشعب، وهذه الحقيقة تدل على مدى ابتعادنا عن الاقتصاد المتمثل باستغلال رؤوس الاموال بطريقة حرة وهي تدل ايضا على تعذرملافاة هذه الحالة بين عشية وضحاها • وكان رصيدنا الكلي الذي عضضنا عليه بالنواجذ وحرصنا على عدم التفريط به الا عندما تلجئنا لذلك الظروف لا يتجاوز ٢٢ مليار مارك تدبرناها من مختلف المصادر وجعلناها احتياطنا النهائي، والمفرح اننا استطعنا ـ بفضل تطبيق خططنا الاقتصادية ـ تقليل عدد العاطلين خلال شهر تشرين الثاني ١٩٣٢ وحده بما يقرب من ١٢٣٠٠٠ عامل•

كان اصلاح النظام البرلماني من الامور التي اشغلت بالي كثيرا وبخاصة مسألة حق الانتخاب التي اوليتها اهمية كبيرة، وكان السؤال الذي رددته آنذاك هو مدى امكانية اجراء الانتخابات الجديدة التي تقررت في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ بموجب قانون الانتخاب الجديد •

الا أنني وجدت عدم ملاءمة اقرار قانون جديد للانتخابات لأن حكومتنا كانت تمارس سلطتها في ظل حالة الطوارىء •

لم تكن حكومتنا بوضع افضل من موقفها في الانتخابات الاخيرة • وكنا قد تساءلنا عن امكانية تأسيس حزب جديد للحكومة بحيث يمكن الركون اليه في البرلمان لكنني استبعدت هذه الفكرة لأنني كنت على ثقة من عدم جدواها ولأنها تناقض خططنا المقبلة•

تمخضت الانتخابات الجديدة عن فقدان النازيين لـ ٣٥ مقعدا من مقاعدهم في البرلمان لكن احتفاظهم بـ ١٩٥ مقعد أبقاهم بوضع قوي لدرجة يتعذر معها تشكيل أية حكومة تتمتع بالاكثرية البرلمانية المطلوبة دون مساهمتهم• وهكذا فقدنا الأمل في مواصلة النهج السياسي للحكومة في ظل دستور ڤايمار•

وقد حاز الاشتراكيون الديموقراطيون ١٢١ مقعدا في البرلمان الجديد وحاز الشيوعيون ١٠٠ مقعد بينما حاز الحزب الوطني الالماني ٥١ مقعدا

فقط. وافلس حزب الدولة والحزب الديموقراطي عندما حاز كل منهما على مقعدين اثنين.

اتجهت بحواسي فور اعلان النتائج النهائية للانتخابات نحو علاقاتنا الخارجية مع اوربا . ولذا فقد عقدت مؤتمرا صحفيا بعد ظهور نتائج الانتخابات بيومين قلت فيه بأنني سبق ان شخصت طبيعة الامراض السياسية التي تنتاب المانيا لزعماء اوربا الذين التقيت بهم في مؤتمر لوزان. وانني أرى ان اعادة سن قانون الانتخابات الالماني ليس مجرد ضرورة حياتية بالنسبة لنا وانما هو مشكلة مركزية تخص اوربا كلها. وقد تجلى صدق توقعي هذا بعد ثلاثة اعوام فقط عندما وصل هتلر الى الحكم واقام نظاما جديدا موافقا لاطماعه واستهان بكل الاتفاقيات الدولية المعقودة بين المانيا ودول اوربا وخلق لأوربا مشاكل جمة وبصورة متتالية ومتواصلة . وعندئذ فقط ادركت الدول الاوربية الكبرى ان من الصعوبة بمكان التوصل الى تفاهم مع المانيا القوية التي ظهرت الى الميدان بصورة مفاجئة تحت زعامة هتلر وكان فهمها لهذه الحقيقة متأخرا.

حاولت في هذه المرحلة ــ كما هو مألوف ــ اجراء اتصالات سياسية مع زعماء مختلف الأحزاب بغية التوصل الى تفاهم معهم بشأن الموقف السائد.

ولقد رفض الحزب الاشتراكي الديموقراطي اجراء اية اتصالات معي. كما رفض الدكتور كاس أي تعاون بين حزب الوسط والحكومة .

وظهر ميل اغلب الاحزاب القوية لتشكيل حكومة جديدة يرأسها هتلر وتتمتع بالاغلبية البرلمانية المطلوبة.

وجدت في قرارة نفسي شعورا شديدا بالتنازل عندما اضطررت على الكتابة الى هتلر ما يلي:

« عندما تلقيت رغبة الرئيس فون هندنبورغ في ١ حزيران ١٩٣٢ بتشكيل الحكومة كانت المهمة التي كلفت بها تتضمن قيادة تجمع مؤلف من

جميع القوى الوطنية. وكنتم قد رحبتم برغبة الرئيس هذه وتحمستم لها ووعدتم باسناد مثل هذه الحكومة. ولما طالبتم بعد انتخابات ٣١ تموز ١٩٣٢ بتحقيق ذلك الوعد ذكرتم لي بأن قيادة تلك القوى الوطنية لا يمكن أن تتم الا تحت رئاستكم .. الا أن السيد رئيس الجمهورية رفض تكليفكم بمهمة تشكيل الوزارة للاسباب التي تعلمونها..

وبعد انتخابات ٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ حصل موقف جديد واتيحت امكانية جديدة لتحقيق التعاون بين جميع القوى الوطنية .. وعلى الرغم من كتابة الصحافة النازية مقالات عديدة تنال فيها من رئاستي الشخصية وتشكك بقدرتي على تنسيق جهود شخصيات مختلف الاحزاب ومحاولتها نسف المباحثات عندما رفعت شعار (لا مفاوضات مع فون پاپن) وعليه فقد آثرت الاتصال بكم رغم الاحباط الذي تحاول به صحافتكم التأثير على تحملي لمسؤولياتي وعلى الرغم من ثقتي بأنكم تطلبون لنفسكم منصب المستشار..

وعلى الرغم من ذلك ايضا فانني اعتقد بأن زعيم حركة وطنية كبيرة لا ينبغي له أن يحرم رجل الدولة المتحمل مسؤوليات ادارة دفة الحكومة بالوقت الحاضر من تحمل مسؤولياته باتخاذ القرارات المناسبة لصالح الوطن. ويجب علينا ان نحاول نسيان المرارة التي صادفناها في الانتخابات وان نضع مصلحة الوطن نصب اعيننا بصورة مشتركة قبل كل القضايا الاخرى».

ألا ان هتلر ــ المطالب بمنصب المستشار ــ لم يتخذ قراره لفتح حوار مع خصمه السياسي . وأخل بالتعهد الذي سبق أن قطعه على نفسه في ٣١ آب ١٩٣٢ عندما كتب لي جوابا مسهبا ضمنه طلباته كلها التي تتناقض تماما مع نهجي السياسي وخطتي الاقتصادية.

ومع ان هيئة محكمة نورمبرغ لم تعتبر هذه الرسالة (وثيقة ذات قيمة) لاثبات براءتي فيما بعد الا انني اتساءل هنا:

كيف يمكن لرئيس الحكومة استمالة زعيم المعارضة اذا كان هذا مصراً على التمسك بطلبات معينة وغير راغب في التوصل الى أي نوع من التفاهم كما فعل هتلر معي.

ولما كانت مواقف الاحزاب الاخرى مشابهة لموقف هتلر فقد وجبت علي مقابلة الرئيس فون هندنبورغ يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٢ لاخباره بتعذر التوصل الى أي اتفاق مع الاحزاب لكسب ثقتها في البرلمان من اجل تطبيق البرنامج الاصلاحي الذي وضعته الحكومة . ثم قلت للرئيس بأن تشكيل حكومة جديدة تضم تجمعاً وطنياً ائتلافيا تحت رئاستي اصبح من الامور المتعذرة . ورجوت الرئيس ان يقوم بالاتصال بالاحزاب بنفسه لكي يتحرى عن المقترحات المناسبة لحل قضية تشكيل الحكومة الجديدة . ولكي ينفسح المجال امام الرئيس في مداولاته اقترحت تقديم استقالة الحكومة . ثم عرضت على الرئيس فون هندنبورغ استقالة حكومتي على ان تقدم الاستقالة حال تشكيل الحكومة الجديدة الا ان وزير الدفاع فون شلايخر كان من رأيه تقديم استقالة الحكومة فورا لكي تتاح للرئيس حرية عمل أوسع.

تبين من محادثاتي مع الرئيس بأنه يفكر فيما اذا كانت اتصالاته مع رؤساء الاحزاب ستؤدي الى نتائج افضل من تشكيل حكومة رئاسية لأنه غير راغب في تشكيل حكومة اغلبية برلمانية والرجوع الى الاسلوب القديم فأيدت وجهة نظره هذه لتعذر تأليف حكومة اغلبية نظراً لتعدد الاحزاب وتنافرها . وعليه فقد قرر الرئيس العودة الى تأليف حكومة رئاسية.

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٢ استقبل الرئيس فون هندنبورغ زعماء احزاب اليمين والوسط وهم السادة هوغنبرغ وكاس ودينغلدي وفي ١٩ منه استقبل هتلر وشيفر. ولم يستقبل زعيم الحزب الديموقراطي الاشتراكي لأنه سبق ان اعلن عزمه على عدم المشاركة في أية حكومة ائتلافية . وكما هو مألوف فان الرئيس كلف زعيم حزب الاغلبية ـ النسبية هتلر بالتحري عن امكانية تأليف حكومة ائتلافية بحيث تساهم بها احزاب الوسط واليمين بعد ان ابدى زعماء تلك الاحزاب استعدادهم للمساهمة في الحكومة الجديدة . وانه سيعهد له بمنصب المستشار دون أدنى شك بشرط تشكيل مثل هذه الحكومة.

في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٢ قدم هرمان غورنغ للرئيس فون هندنبورغ

الاجابة التحريرية التي كتبها له ادولف هتلر واعتذر بها عن تكليف الرئيس له لأنه ـ كما زعم ـ يشعر بتعذر تأليف الحكومة الائتلافية . عندئذ تحول الرئيس لمفاتحة الدكتور كاس فأكد هذا للرئيس في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ بأن هتلر لم يباحثه قط في مسألة تشكيل حكومة ائتلافية . لكنه اعتذر في اليوم التالي واعتذر معه هوغنبرغ عن تشكيل الحكومة الجديدة . وكان النازيون قد رفضوا المشاركة في اية حكومة ائتلافية معهما.

وهكذا ثبت للرئيس فون هندنبورغ تعذر تشكيل حكومة ائتلافية من الاحزاب التي تشكل اغلبية برلمانية . وفي مساء يوم ١ كانون الاول ١٩٣٢ استدعاني الرئيس انا ووزير الدفاع فون شلايخر لاجراء مباحثات بشأن تشكيل الحكومة الجديدة . وتوجه لي الرئيس بالسؤال اولا عما يمكن عمله في الموقف الذي وصلنا اليه فأجبته:

« يجب ان نحاول استبعاد النازيين عن تحمل مسؤولية الحكم لأنهم رفضوا التعاون في هذا السبيل للمرة الثانية . كما أن هتلر سبق أن رفض أي ائتلاف مع الاحزاب الاخرى. ولو فرضنا بعد استبعاد هذين الاحتمالين اللجوء الى تكليف هتلر بتولي رئاسة وزارة رئاسية دون الزامه بأي تعاون مع الاحزاب الاخرى فسيبرز امامنا سؤال مهم هو ـ هل تغير الموقف منذ انتخابات ١٣ آب ١٩٣٢؟ فالثابت لدينا ان دجل هتلر واسفافه قد وضحا لابناء الشعب الالماني في الاشهر الاخيرة بكل جلاء لدرجة اثرت على حركته السياسية فهبطت نسبة مؤيديها وصارت تبعده عن احتمالات تولي السلطة. وعليه فانني والسيد فون شلايخر نعرض لمقام الرئيس بأن الاستمرار على اعلان حالة الطوارىء يعتبر من الامور المهمة جدا للبلاد في هذه الظروف. ذلك لأن دستور ڤايمار لا يتيح امكانية السيطرة على الموقف الراهن».

ثم انني اقترحت على الرئيس ابقاء حكومتي في سدة الحكم لكي تتاح لنا فرصة تنفيذ خطط الاصلاح الاقتصادي ومتابعة الخطوات التالية في مجال الاصلاح البرلماني لأن البرلمان الجديد لا يختلف من حيث الاساس عن التركيب الذي كان عليه البرلمان السابق . واذا كان هذا الاجراء غيرمقبول

فيجب حل البرلمان بعد فترة وجيزة لأن الحاجة للاصلاح البرلماني ملحة ولابد من اعادة النظر في اسس الانتخاب الشعبي، وهذا الاقتراح ينطوي على الغاء دستور ڤايمار.

ثم ان حراجة الموقف الداخلي تتطلب الابقـاء على فرض حالة الطوارئ، رغم ان هذه الحالة من شأنها اضعاف قوة الدستور، وان الذي الجأني الى اتباع هذا المسلك هو الشعور بالمسؤولية العظمى وفاء بقدسية اليمين الذي اقسمته، ولكن الذي يحدوني لسلوك فرض حالة الطوارئ هو السـابقة التي أقدم عليها فون بسمارك عندما نشب نزاع بينه وبين برلمان بروسيـا فلجأ للملك راجيا منح حكومته صلاحيات استثنائية لكي تمـارس الحكم متجاوزة تحديدات الدستور . واكدت للرئيس فون هندنبورغ امكانية العودة للحياة البرلمانية الطبيعية بعد تنفيذ الاصلاحات الدستورية المقترحة.

ثم تكلم وزير الدفاع كورت فون شلايخر مؤكـدا تعذر المضي في ممارسة الحكم في ظل الدستور مع وجود اغلبية برلمانية معارضة للحكومة وقال انه على استعداد لاحداث انشقاق في صفوف الحزب النازي لأنه متأكد من وجود ما لا يقل عن ٦٠ نائب نازي يتجمعون تحت زعامة غريغور شتراسر وان من السهل على فون شلايخر شق هذه المجموعـة عن زعامة هتلر اذا ما استطعنا استمالة شتراسر وجماعته للمسـاهمة في الحكم مع الحـزب الاشتراكي الديموقراطي والاحزاب الصغيرة الاخرى.

قاطعت كلام فون شلايخر قائلا انني اشك بامكانية شق الحزب النازي الذي يؤمن اعضاؤه بزعامة هتلر لحزبهم ولو ان فون شلايخر اكثر اتصالا مني بأوساط ذلك الحزب ولربما تتوفر لديه رؤية اوضح لعلاقـة اعضائه فيما بينهم من الرؤية المتوفرة لدي.

ومع ان المرء قد يلجأ لتجربة مختلف الوسائل لمعانجة المعضلات التي تصادفه ألا ان اقتراح فون شلايخر كان ــ من حيث الاسـاس ــ منافيـا لطبيعتي.

ولربما كان هذا الاقتراح وغيره من الخطط من الاسباب التي جعلت فون شلايخر يتولى المسؤولية ويكون على المحك بصورة مباشرة لكنني بقيت متشككا بامكانية نجاح فون شلايخر في خططه التي يميل فيها للخيال. كان الرئيس فون هندنبورغ ينصت الى اقوالنا بهدوئه المعهود بكل اهتمام وقد حدست بأنه في موقف دقيق لأنه يوشك على اتخاذ اصعب قرار في حياته الطويلة الحافلة . ولذا فقد نهض من مجلسه دون ان يعلق بشيء على أي من مقترحينا واكتفى بالقول:

« لقد قررت قبول الحل الذي تقدم به السيد فون پاپن»

ثم التفت نحوي قائلا:

« ارجوك يا حضرة المستشار اجراء الاتصالات اللازمة فورا من اجل تشكيل حكومة جديدة. وارجو ان تستعجل بتقديم اسماء زملائك وفقا للمقترح الذي طرحته مع مراعاة المهمة التي كلفتك بها عند تشكيلك للحكومة الحالية».

ونهضنا مستئذنين بالانصراف فقرأت على ملامح الفريق فون شلايخر أمارات الذهول لأن المشير العجوز لم يقبل بالمقترح الذي قدمه له والذي ينطوي ــ في نظره ــ على الكثير من التضحية . وعندما اوشكنا على مغادرة موئل المشير التفت نحو فون شلايخر وقلت له:

« انني متفهم تماما لرغبتك يا عزيزي شلايخر في تشكيل حكومة جديدة الآن لاسيما وانك بذلت جهودا كبيرة لتحقيق هذا الغرض في سعيك العلني ونشاطك المكتوم من وراء الستار لكنني كنت دائم التشكك بامكانية نجاح خططك . ألم يكن من الافضل لنا بكثير لو حاولنا حل المعضلة القائمة بالتوصل الى اصلاح النظام البرلماني بدلا عن اجراء مناورات سياسية عديمة الجدوى؟ فقد سبق لي أن وعدت الشعب الالماني قبل ستة أشهر بايجاد حل جذري لهذه المعضلة . بينما قمنا نحن الاثنين باستغلال هيبة المشير فون هندنبورغ . والآن الا يمكننا استغلال هيبة المشير ــ التي تمثل آخر

الاوراق الرابحة لهذه الدولة ـ من أجل ايجاد حل جذري للمعضلة المحيرة لنا •

انني على أتم استعداد حتى في يومنا هذا للتخلي لك عن منصب المستشار اذا تعهدت لرئيس الجمهورية بتنفيذ الغرض الذي سبق ان حدده لي• وأرى أن من الافضل اتصالك به شخصيا لاسيما وانك عرضت له آنفا استعدادك لتشكيل حكومة جديدة• ثم انني اجد من الجهة الاخرى ان من المفيد تماما بقائي في سدة الحكم لبضعة اشهر أخرى اتمكن خلالها من تنفيذ خطة الاصلاح البرلماني• وعندما استقيل بعدئذ ستتولى انت الحكم دون أن تصادفك المشاكل التي تعرض لها من سبقك ويمكنك الانطلاق من بداية افضل بكثير• واؤكد لك قبل كل شيء ان معالجتنا لهذا الموضوع ينبغي ألا تتخذ الصفة الشخصية• فالوطن باق والاشخاص زائلون وما علينا ألا ان نشرع باجراء مشاوراتنا»•

أصغى لي فون شلايخر بجماع فؤاده وهو لا يكاد يصدق ما اعرضه عليه• فالمصارحة التي درجنا على التحلي بها في علاقاتنا تلاشت من جانبه في الاسابيع الاخيرة وحل محلها البرود التام لدرجة وصلت بنا الى القطيعة التامة عندما اضطرني على تحذيره من مغبة اللعب بالنار فقلت له العبارة التأريخية المشهورة:

« لقد سلكت طريقا وعرا ايها الراهب الصغير[1]»

وكانت هذه العبارة الاعلان السافر للقطيعة بيننا•

رجعت بعد هذه المحاورة الجادة الى دار المستشارية • ولما استعرضت الاحداث في خاطري خيل الي ان فون شلايخر وجد نفسه بموقف جديد لم يتوقعه لاسيما وانه سبق ان ذكر لي في ١٠ أيلول ١٩٣٢ بأنه لم يسبق ان عرض على المشير فون هندنبورغ وجود أي خطر يحيق بحكومتنا• وتساءلت مع نفسي:

---

(١) قيلت هذه العبارة للراهب مارتن لوثر الذي اسس الكنيسة البروتستانتية وتعرض لمعارضة الكنيسة الكاثوليكية •

ـ المترجم ـ

« لماذا لم يصارحني ؟»

لقد كانت علاقاتنا الشخصية متينة لدرجة لم يساورني معها أي شك تجاهه. ثم توصلت الى نتيجة مهمة هي انه كان يقصد جعل حكومتي بموقف دقيق.

وقررت اجراء مباحثات شاملة مع زملائي اعضاء الحكومة فوراء وبخاصة الذين لي معهم علاقات شخصية وطيدة منهم . وسرعان ما طلبت السيد غيورتنر والبارون فون التس وعرضت عليهما مباحثاتي مع السيد الرئيس والمهمة التي كلفني بها. ولما سألتهما عن مدى امكانية تعاونهما معي في النهوض بهذه المهمة العسيرة ومشاركتهما في تحمل المسؤولية أبديا استعدادهما للتعاون الى اقصى الحدود بنفس روح الصداقة الحميمة التي تربطني بهما . وكان من رأيهما ادارة دفة الحكم في أول الأمر في ظل حالة الطوارىء وكان البارون فون التس ـ وهو رجل القانون الحصيف ذي التجارب الغنية ـ اشد الاثنين تحمسا لصحة رأيي وتأييدا له.

ألا انهما صارحاني بأن الوزير فون شلايخر اكثر من اتصالاته مع بقية اعضاء الوزارة ولدرجة ملحوظة خلال الاسبوعين الماضيين. وقالا ان رأيه يتضمن احتمال نشوب حرب اهلية في حالة تمسك الرئيس فون هندنبورغ ببقائي في الحكم رغم توتر الموقف الداخلي وانه يرى والحالة هذه اضطرار الجيش الالماني على التدخل للدفاع عن استقلال البلاد. وبذا سيستخدم الجيش الالماني لغير المهمة التي وجد من أجلها. ومما لا شك فيه ان عددا كبيرا من قادة الجيش الالماني يولون الحزب النازي عواطفهم بشكل سافر وهذا هو اشد ما يخشاه فون شلايخر لأنه لا يريد ان يجعل الجيش الالماني بموقف حرج كهذا.

وأكد لي صديقاي بهذه المناسبة ان زميلهما في حكومتي كورت فون شلايخر يرنو بكل ما اوتي من قوة لتولي رئاسة الحكومة الجديدة . الا انني خالفتهما بهذا الرأي وقلت لهما انه ابدى استعداده للتعاون معي امام الرئيس فون هندنبورغ ولم يذكر ادنى تحفظ او اعتراض على محافظة الجيش

الالماني ــ عند الحاجة ــ على الامن والنظام في حالة اعلان حالة الطواريء. ولما ودعتهما طلبت عقد اجتماع لاعضاء الحكومة في دار المستشارية بالساعة التاسعة من صباح يوم ٢ كانون الاول ١٩٣٢.

عرضت في الاجتماع تقريرا عن محادثاتي مع الرئيس في الليلة الماضية والمهمة الجديدة التي كلفني بها وقلت لأعضاء الحكومة ان مهمتي تنطوي على النضال ضد الحزب النازي وليس لأحد منهم أن يتنصل من دوره في تنفيذ هذه المهمة على الرغم من ان السيدان غورتنر وفون التس اخبراني في الليلة الماضية بأن السيد فون شلايخر أجرى اتصالات متعددة مع بعض الزملاء دون ان يخبرني بتلك الاتصالات . ولكي تتوضح هذه المسألة لنا جميعا فانني ارجو اسيد فون شلايخر ان يبين لنا الان مدى استعداده لتحمل مسؤولياته بصفته وزير الدفاع.

نهض السيد فون شلايخر وأخذ يوضح كيفية تكليفي من قبل السيد الرئيس بمهمة تشكيل الحكومة الجديدة وقال ان هذه المهمة يتعذر تنفيذها لأن ذلك ينطوي على دمار سيحيق بالمانيا لا سيما وان قوات الشرطة والجيش ليست بقادرة في الحال الراهن على حماية خطوط المواصلات الحيوية لالمانيا في حالة حصول اضراب عام او السيطرة على الموقف فيما لو نشبت حرب أهلية . وكانت هيئة الاركان العامة قد كلفت الرائد الركن أوت باجراء لعبة حرب تمخضت عن الحقيقة المذكورة ويمكن استدعاء الضابط المذكور أمام اعضاء الحكومة لشرح التفاصيل التي توصل لها . ثم اضاف فون شلايخر قائلا بأنه بصفته وزير الدفاع يرى ان من واجبه ابعاد الجيش الالماني عن الانغماس بالمشاكل الداخلية وابقاء هذه الأداة بمنأى عن الحروب الاهلية لأنها لم توجد اصلا لهذا الغرض.

خالفت فون شلايخر برأيه هذا وقلت له على الرغم من ان الواضح لنا جميعا بأن مهمة الجيش الاساسية هي الدفاع عن الوطن ازاء أي عدوان خارجي الا انني اخالف السيد فون شلايخر برأيه المتضمن ابقاء الجيش الالماني بمنأى عن الصراعات الداخلية اذا ما تهدد النظام بحرب أهلية ماحقة

في الوقت الذي أيد به عدم كفاية الشرطة للسيطرة على الموقف وحفظ النظام. وعليه فانني أرجو السيد فون شلايخر استقدام الرائد الركن اوت لكي يقدم تقريره عن نتائج لعبة الحرب التي أجرتها هيئة الاركان العامة فيسمعه اعضاء مجلس الوزراء.

لقد كتب الرائد الركن اوت (الذي صار فيما بعد سفير المانيا لدى اليابان) فيما بعد تقريرا عن مهمته التي استدعيناه فيها الى دار المستشارية ونشره بالصحف يوم ١٥ كانون الاول ١٩٤٧ وقال فيه:

« نتيجة لتدهور الموقف الداخلي في المانيا فقد رأت هيئة الاركان العامة مدى امكانية تدخل الجيش الالماني لوضع حد للارهاب المتزايد مما يوجب قمع المتطرفين اليمينيين واليساريين على حد سواء.

وقد كلفت بصفتي مدير القسم السياسي بوزارة الدفاع بمهمة اجراء دراسة تتخذ شكل لعبة الحرب للتأكد من مدى قدرة الجيش الالماني في المساهمة بالقضاء على أية فعاليات ارهابية قد تسود البلاد . وأجريت لعبة الحرب المذكورة في تشرين الثاني ١٩٣٢ .

ساهم في لعبة الحرب المذكورة ممثلون من جميع مؤسسات الدولة المهمة. واستمرت الدراسة ثلاثة ايام متواصلة وتم التحري عن المرافق الحيوية في جميع ارجاء المانيا والاجراءات الضرورية لحمايتها فتوصلنا الى نتيجة واضحة هي عدم كفاية القوات المتيسرة لحماية تلك المرافق.

وكان طول خط الحدود الالمانية الجديدة في بروسيا الشرقية ـ التي فصلت عن الوطن الأم بممر دانزك ـ وتوتر الموقف مع بولندا الى درجة خطيرة من الأسباب الأولى التي أدت الى عدم كفاية القوات الالمانية المتيسرة. حيث لم تتيسر لنا في بروسيا الشرقية كلها سوى فرقة واحدة مطلوب منها حماية جزء من السكان الى جانب قيامها بالدفاع عن الحدود الطويلة التي تحيط بذلك الاقليم من ثلاث جهات. واذا اردنا ارسال اية تعزيزات قوية لهذه الفرقة فلابد ان تكون من صفوف الحزب النازي المنظم بشكل

جيد في اوساط شباب بروسيا الشرقية، وهذا معناه تعذر استخدام تلك القوة في مقاومة الحزب النازي، فالفرقة مكلفة بواجبين أولهما حماية الحدود ازاء التجاوزات البولندية وثانيهما الحفاظ على الامن الداخلي مع التأكيد بعدم امكانية ارسال أية تعزيزات اضافية للقوة المدافعة عن بروسيا الشرقية من الوطن الأم.

أما في منطقة هامبورغ فكان علينا ان نأخذ في حساباتنا امكانية حصول اضراب عام يشل العمل في الميناء، وهذا من الامور الخطيرة التي تؤثر على ارتباط المانيا البحري بالعالم وحاجتها للمواد الغذائية الضرورية بينما كانت قوات الشرطة والجيش والاسطول غير كافية ابدا للتصدي لهذا الاضراب. وقد ذكر مدير شرطة المدينة انه يفتقر للمعدات الحديثة الضرورية لمكافحة الاضراب كما ان اغلب المتطوعين لمقاومة الاضراب هم من انصار الحزب النازي وهذه الحقيقة تفقده الشعور بالاطمئنان.

وفي اقليم الراين ـ الروهر كانت امامنا ثلاث معضلات تتعلق بصناعة المناجم والصناعات الثقيلة وترتيبات النقل النهري . وكان الموقف السائد في ذلك الاقليم في غاية الحراجة لأن أي استخدام للقوات المسلحة لم يكن مسموحا في المنطقة المنزوعة السلاح حتى ولو كان ذلك في حالات طارئة وتقتصر معالجة الشغب على استخدام قوات الشرطة التي سبق ان أثبتت عجزها في اكثر من مناسبة عندما استخدمت لمقاومة بعض النشاطات الارهابية السياسية التي نشبت في تلك المنطقة .

لقد توصلنا الى نفس النتائج عند مناقشة امكانية السيطرة على الموقف في بقية ارجاء المانيا باستخدام القوة واصبح من الثابت لدينا عدم توفر أية قوات احتياطية لمعالجة المواقف الطارئة في اية منطقة من المانيا.

بعد تكامل هذه الدراسة قمت بعرضها شخصيا على وزير الدفاع حيث اوضحت له نتائج الدراسة واخبرته بأننا توصلنا الى حقيقة واضحة تتلخص

بتعذر تصدي القوات المسلحة الالمانية للعناصر المسلحة من الحزبين النازي والشيوعي والحفاظ على امن الحدود في الوقت نفسه. وخلصت الى الاقتراح على الوزير بتقديم النصح للحكومة كي تتجنب فرض حالة الطواريء العسكرية».

ومن مطالعة هذه الحقيقة يتبين مدى الحيف الذي اصاب المانيا نتيجة لتطبيق معاهدة فرساي بحيث بات من المتعذر حفظ الامن والنظام داخل الوطن لعدم توفر القوات الكافية.

أصيب اعضاء الحكومة بخيبة امل لدى سماعهم لتقرير الرائد الركن اوت. فنهضت من مجلسي وقلت لهم ان هذه الدراسة قد جعلت الموقف بصورة جديدة وأجد ان من واجبي اخبار السيد رئيس الجمهورية بحقيقة الموقف الراهن. لاسيما وان السيد فون شلايخر لم يتطرق امام الرئيس ليلة البارحة الى هذه الحقيقة المهمة.

قمت بزيارة السيد الرئيس واخبرته بكل ما جرى في الليلة الماضية وفي اجتماع مجلس الوزراء. وسألته عما اذا كان لا يزال مصرا على تكليفي بمهمة تشكيل الحكومة الجديدة أم لا وذلك على ضوء تطورات الموقف. لاسيما وانني لا ازال أرى ضرورة استخدام القوات العسكرية للتصدي للنازيين والشيوعيين على الرغم من اعتقادي بعدم امتثال نسبة كبيرة من العمال لنداءات الاضراب العام التي يمكن ان تكون مجرد وسيلة ضغط على الحكومة ليس الا . حيث ثبت لنا في احداث ٢٠ تموز ١٩٣٢ عدم لجوء نقابات العمال لممارسة الاضراب. ولا ارى ابدا وجود أسباب تدعو لنشوب حرب أهلية لأننا وفرنا الخبز والعمل لملايين العمال العاطلين.

وعليه فانني ارى - بعد تنصل السيد فون شلايخر من مسؤولياته وتعذره بعدم كفاية الجيش لحماية الوضع السائد في المانيا - ان على الرئيس فون هندنبورغ اتخاذ قراره باتباع احد مسلكين فاما ان يسمح باقالة الوزير فون شلايخر ويمنحني صلاحية انتخاب قائد آخر يتمتع بثقة الرئيس ويلتزم بالحفاظ على الامن والنظام. أو ان يقبل استقالتي ويعين السيد فون شلايخر

بمنصب المستشار.

انصت الرئيس فون هندنبورغ لما قلته بكل هدوء ولم يعلق على كلامي أو يتطرق لما سبق ان قاله في اليوم السابق وانما نهض من مجلسه وقال لي بصوته المتميز الأجش :

« انك ستضطرني على تغيير رأيي يا عزيزي پاپن . ولكنني اصبحت شيخا كبيرا بحيث يتعذر على تحمل مسؤولية حرب اهلية في آخر ايامي. ولذا يتحتم علينا ان نسأل الله القدير ان يسدد خطى السيد فون شلايخر عندما يحاول تجربة حظه في هذا المضمار ».

قال هذا وانهمرت من عينيه دمعتان كبيرتان على وجنتيه. ولما صافحني الرجل الكبير مودعا كان عملي معه قد وصل الى نهايته. وايقنت مدى التقدير الذي اولانيه بعد ان توثقت علاقاتنا بشكل رصين خلال الاشهر الستة الاخيرة من عهد وزارتي عندما وصلتني منه بعد ساعات قلائل صورته موشحة باهداء رائع قال فيه:

« كان لي رفيق [٢]... »

وفي ٣ كانون الأول ١٩٣٢ وصلتني رسالة من الرئيس مكتوبة بخط يده جاء فيها :

« كان لطلبكم التنحي عن منصب مستشار المانيا والحاكم العام لاقليم بروسيا أثرا ممضا في نفسي.

وعلى الرغم من وطأة طلبكم على قلبي فانني أقدر الاسباب الشخصية التي حدت بكم للتنحي عن مهمتكم. ويطيب لي في هذا المقام ان أعرب لشخصكم عن ثقتي واحتراماتي وسأبقى محافظا على تقديري لجهودكم ولابد لي من الاشادة بفعالياتكم التي استمرت مع الأسف لمدة ستة أشهر فقط كمستشار لالمانيا والحاكم العام لاقليم بروسيا لانني لمست فيكم حبا لتحمل

(٢) هذا مطلع نشيد عسكري الماني مشهور بمجد الشهداء .
ـ المترجم ـ

المسؤولية المنطوي على التفاني في حب الوطن وسوف لن انسى أيام اشتغالنا معا قط • ويطيب لي أن أشكركم باسم المانيا وبأسمي شخصيا الشكر الجزيل على مجهوداتكم الثمينة خلال الاشهر العسيرة التي مر بها الوطن •

وأخيرا ارجو لكم احلى الاماني واحتفظ لكم بأعمق مشاعر الزمالة وتقبلوا تحياتي•

فون هندنبورغ »

ولكنني لا استطيع هنا وصف الفرحة التي عمت اوساط النازيين واحزاب الوسط واليسار بسبب استقالة حكومتي• الا ان صحافة احزاب المحافظين والاحرار اشادت بفعاليات وزارتي في مختلف المجالات•

ولما اجتمع مجلس الوزراء للوداع شكرت افراد الحكومة فردا فردا على تعاونهم الرائع ورجوتهم ايلاء خلفي السيد فون شلايخر نفس الاخلاص الذي لمسته منهم ابان اشتغالنا سوية في سبيل رفعة الوطن وارتقائه• ثم تكلم المستشار الجديد فون شلايخر ورجاني قبول منصب سفير المانيا بباريس• وكان لهذا القرار مسبباته لأنني طالما سعيت لتحسين العلاقات الالمانية الفرنسية• ولما عرضت الموضوع على رئيس الجمهورية اعرب عن ترحيبه برؤيتي سفيرا لبلادي لدى فرنسا لكنه آثر ابقائي على مقربة منه في هذه المرحلة السياسية الحرجة• لأنه كان شديد الرغبة في سماع مشورتي بين آونة وأخرى وبخاصة عند تأزم الموقف•

وهكذا لم يكن بمقدوري تجاهل رغبة الرئيس الجليل فأضطررت على رفض العرض الذي تقدم به المستشار الجديد مع ادراكي لمدى تأثير هذا الرفض على مستقبلي السياسي•

والآن عندما اعود بذاكرتي للحظات الحاسمة من حياتي اتهيب من مدى الخطورة التي تعرضت لها بحكم بقائي بالميدان السياسي في فترة انقلاب

روهم . واشتغالي بمنصب سفير المانيا لدى النمسا في الفترة التي سبقت اندماجها بألمانيا ثم اشتغالي بمنصب السفير لدى تركيا ابان الحرب العــالمية الثانية فأحمد الله على توفيقي في خدمــة وطني وعدم تفريطي بالكلمة التي اعطيتها للرئيس فون هندنبورغ يوم ٢ كانون الاول ١٩٣٢ وتمسكي بحب تحمل المسؤولية حتى بعد وفاة الرئيس فون هندنبورغ.

# الفصل الخامس عشر

# أَهتلر أَم فون شلايخر

**حكومة فون شلايخر . الافطار مع السيد فون شرويدر . الانتخاب الشفوي . تمويل الحزب النازي . اضطراب فون شلايخر . فشل خطة الاعتماد على شتراسر . آخر مناورة لفون شلايخر . قرار يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٢ . خواطر عن فون شلايخر .**

تضمن بيان تأليف حكومة فون شلايخر الاشـارة الى تشغيل العمال العاطلين وتوفير الخبز وصار من الواضح تمـاما انه كان يبغي من بيـانه احداث صدع جديد في علاقات الاحزاب ولم يشر بيان الحكومة الجديدة الى أي اصلاح. كما انه اشار لي بكلمات ودية قليلة للتدليل على حسن علاقاتنا ولم يحاول ابدا القاء أي ضوء على حقيقة الصراع المكتوم والملابسات التي اوصلته الى منصب المستشار.

وقد لامني الكثيرون من اصدقائي المقربين واتهموني بالتخلي عن عجلة قيادة الحكومة طواعية في تلك المرحلة الحرجة. ولربما كان لهم الحق فيذلك

اللوم. ذلك لأن علاقاتي الشخصية مع فون شلايخر اعتراها شيء من البرود الا أنها لم تتبدل . فقد قدرت حرصه الشديد على تولي مسؤولية الحكم بنفسه وتجربة قدراته بعد ان سعى لهذا الهدف سنوات طويلة.

في ١٦ كانون الاول ١٩٣٢ دعيت ضيف شرف في «نادي السادة» بمناسبة الاجتماع السنوي لاعضاء ذلك النادي البالغ عددهم زهاء ثلاثمائة عضو بالاضافة لضيوفهم. وقد تحدثت في النادي عن فعاليات حكومتي خلال الاشهر الستة التي مارست بها مسؤولياتها والموقف السياسي العام وضرورة اجراء الاصلاحات الدستورية المقترحة . كما بينت مدى اهمية التفاهم الالماني الفرنسي من اجل اقرار السلام المنشود في اوربا.

حياني في تلك الامسية عدد كبير من الحضور وتحدثوا الي في شتى المسائل السياسية احاديث موجزة وكان بين الذين تحدثوا معي المصرفي الكولوني[1] المشهور البارون فون شرويدر. حيث وقفنا بضع دقائق على انفراد وتناقشنا بأمور ذات طبيعة عامة . ويحضرني مما قاله الرجل ان من الضروري بل من الواجب والممكن جدا التوصل الى تفاهم مع النازيين.

وزعم تعذر ممارسة اية حكومة لمسؤولياتها ما لم تتعاون مع تلك الحركة. ثم اقترح علي اجراء محادثات ذات صفة شخصية مع هتلر . فأكدت لشرويدر بأنني والمستشار فون شلايخر جعلنا الاتصال مع هتلر من الاهداف التي سعينا كثيرا لتحقيقها في سبيل التوصل الى تعاون مع حركته واذا يعتقد بأن ذلك الاتصال مجديا فلماذا لا نجرب هذه المحاولة مرة أخرى ؟

وبذلك انتهت محادثتي مع فون شرويدر . ولو كان الرجل قد طرح علي أمرا جديدا يستحق الاهتمام لكنت اخبرت به المستشار فون شلايخر قبل مغادرتي لبرلين . الا انني سافرت الى السار لمشاركة أسرتي في اعياد الميلاد دون ان اكترث للمحادثات الكثيرة التي أجريتها في امسية «نادي السادة» الا انني لم البث ان تلقيت نداء هاتفيا من السيد فون شرويدر في

---

(١) نسبة الى مدينة كولن . — المترجم —

٢٨ كانون الاول ١٩٣٢ يرجوني اخباره عن مدى امكانية اجراء مباحثات مع هتلر، فأجبته بأنني عازم على السفر الى برلين يوم ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ وسأمر بكولن لكي اجري معه اتصالا عاجلا قبل اللقاء مع هتلر.

ولم يدر بخلدي بطبيعة الحال ان هذا اللقاء العابر صار فيما بعد من دلائل الاتهام الخطيرة التي عرضت حياتي للخطر في محاكمات نورمبرغ عندما زعمت هيئة الادعاء العام بأنني ساعدت هتلر في ذلك اللقاء على التسلط وهددت أمن العالم . وكان هذا الزعم باطلا وركيكاً لأننا نعلم جميعا بأن هتلر أصر منذ عام ١٩٣٢ على تولي منصب المستشار ولم يقبل بما دون ذلك.

كان للنازيين ١٩٥ مقعدا في البرلمان وقد حافظوا في عهد فون شلايخر على قوتهم السياسية المتنامية . وكنت على ثقة بأن أمل المستشار فون شلايخر في شق ذلك الحزب على نفسه كان مجرد اوهام. وحتى لو نجح في تحقيق تلك الامنية لما حصل في أحسن الاحوال الا على اغلبية ضئيلة لا تكفي لتحقيق الاصلاحات المنشودة.

وقد انصبت جهودي ومن بعدي جهود فون شلايخر للتعاون مع النازيين من أجل منع تنامي قوة الشيوعيين . وفي أواخر كانون الأول ١٩٣٢ تمكن فون شلايخر من احداث فتنة في صفوف الحزب النازي عندما انفصل الاخوان شتراسر عن هتلر ولكن الاخوين شتراسر اقدما على فعلتهما لوحدهما ولم ينضم اليهما أي عضو آخر من اعضاء الحزب واثبت هتلر قدرته المعروفة على التنظيم وسيطرته على اتباعه فأعاد تنظيم صفوف حركته المتسمة بالضبط الصارم. وكانت الحالة المالية للحزب النازي مضطربة ويمكن اعتبارها سيئة بسبب التكاليف الباهظة لانتخابات تشرين الثاني ١٩٣٢ ولم يثبت بالتحديد مصدر المعونات المالية التي تسلمها ذلك الحزب رغم الادعاءات الكثيرة المتضاربة بهذا الشأن. والآن لنعد للمقابلة التي هددت حياتي بالخطر.

فقد وصلت الى دار السيد فون شرويدر وقت الظهيرة واعترتني الدهشة عندما نزلت من سيارة الاجرة ووجدت غريبا يتسكع قرب باب الدار ـ واضح انه كان من رجال الشرطة السرية ـ والتقط لي صورة يثبت بها دخولي بيت السيد فون شرويدر . ولما دخلت الى هناك حييت هتلر وكان معه كل من هيس وهملر وكيبلر. وكانت بداية المناقشة عاصفة بعض الشيء لأن هتلر استهل حديثه معي بالعتاب المرير وتدرج به للغضب مدعيا بأنني كنت مناوئا لحركته ابان عهدي بالحكم. فأجبته بأن ما مضى مضى واننا بشأن المستقبل. وانني لم اكن لاجيء الى الاجتماع به لولا ان اكد لي السيد فون شرويدر بأن لهتلر الرغبة للمناقشة معي بشأن الحكومة المزمع تشكيلها. وبعد ان اسهب هتلر في وصف معاناته من مناوأة حكومتي لحركته حاولت ان اوضح له بأن الواضح لدي ان حركته وصلت لتوها الى اوج الارتقاء الذي بدت عليه بوادر فتور الشعب الالماني الذي لا يمكن أن يستمر على تأييد اية حركة لديها آمال عريضة ولكنها تحجم عن تنفيذها ويعزف زعمائها عن تحمل مسؤولية السلطة . وان بمقدوره الآن ـ قبل فوات الاوان ـ المساهمة بالحكم وتولي منصب نائب المستشار مع فون شلايخر . ثم تعهدت له باستعدادي لاسناده والتوسط لدى فون شلايخر لتحقيق هذه الخطة . وكانت فكرتي تتضمن عرضا آخر ـ في حالة رفض هتلر لقبول أي منصب دون منصب المستشار ـ بترشيح أحد اعوانه ليحل محله بقبول منصب نائب المستشار لكي يمهد له تولي منصب المستشار وهذا هو نفس المقترح الذي سبق ان عرضته عليه في مناسبة سابقة.

عندما وصلت الى هذه النقطة رجاني المضيف السيد فون شرويدر الاكتفاء بالحديث الى هذا الحد ودعانا أنا وهتلر لتناول طعام الفطور في منزله صباح اليوم التالي حيث ستتاح لكلينا فرصة التكلم مع صاحبه على انفراد بكل صراحة. وحصلت على انطباع بأن هتلر سره هذا الاقتراح لأنه كان على ثقة من انني احمل فكرة وجوب اشتراكه في الحكم.

وقد زعم الكثيرون فيما بعد بأنني ساهمت في ذلك الاجتماع بتخليص

الحزب النازي من ازمته المالية واقول هنا للحقيقة انني لم أساهم بالتبرع ولم احض أحداً على التبرع بفلس واحد لهتلر او للحزب النازي او لأيةمنظمة من منظماته.

لم أعد بعد اجتماعي مع هتلر في بيت فون شرويدر الى برلين رأساً وانما آثرت البقاء بضعة أيام أخرى في ديوسلدورف أزور فيها أمي . وحللت في تلك الفترة بفندق (اكسلسيور) حيث كتبت رسالة شخصية للمستشار فون شلايخر ضمنتها كل تفاصيل مقابلتي لهتلر . وكان يفترض وصول تلك الرسالة للمستشار صباح يوم ٥ كانون الثاني ١٩٣٣ الا انني اعترتني الدهشة عندما طلعت صحف الصباح في اليوم المذكور تحمل عناوين كبيرة تتضمن الوصف الشامل للقائي السري مع هتلر في منزل فون شرويدر معززة بصورتي وانا الج باب الدار وتتهمني بخيانة فون شلايخز والتآمر على حكومته . فأستشطت غضبا واردت ايضاح الحقيقة واتصلت بهتلر لكي يوضح الواقعة من جانبه ايضا.

تبين فيما بعد ان السبب الذي ادى الى هذه القضية كان مؤسفاً جداً. إذ لم يخطر على بالي مطلقاً في تلك الفترة ان فون شلايخر كان يتشكك في تصرفاتي ويسيء بي الظنون . فهو يعلم حق العلم بمدى العلاقة الوطيدة التي كانت تربطني برئيس الجمهورية. وهو يعلم ايضا مدى الغم الذي يصيب الرئيس فون هندنبورغ فيما لو انفصلت عنه. ويبدو ان فون شلايخر لم يرتح ابدا لبقائي قرب الرئيس . ولكي يكون على بينة من تحركاتي كلها فقد وضع هاتفي تحت المراقبة وهكذا علم بمحادثتي يوم ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ وأرسل وكيلا سريا يلتقط صورتي على باب دار فون شرويدر .

ولعل لفون شلايخر بعض الحق في مراقبتي لو انه بقي في جهل بشأن تصرفاتي . لكن الظاهر انه تسرع بعض الشيء ولو تريث بضع ساعات فقط قبل ان يوجه لي سهامه المسمومة لوصلته رسالتي التي ضمنتها كل التفاصيل التي كان يتعطش لسماعها . ثم انني لا أزال غير مدرك للاسباب التي حدت بفون شلايخر للتنكر لعلاقاتنا الشخصية الحميمة التي استمرت اعواما طويلة.

ولو وجد مني ما يستنكره ويعتبره مخلا بصداقتنا فكيف ينتظر مني أن ازيح هتلر عن طريقه ؟

ما ان وصلت الى برلين يوم ٩ كانون الثاني ١٩٣٣ الا وتوجهت لمقابلة المستشار فون شلايخر حيث حاولت خلال الساعة والنصف التي ناقشته فيها محاولا ازالة سوء فهمه لحقيقة موقفي. وتحضرني عبارة كان قد فاه بها في تلك المناقشة وأثبتتها زوجتي في مذكراتها حيث قال لي آنذاك :

« سيكون اليوم الذي افقد به صداقتك من اسوأ الايام السوداء في حياتي كلها ».

وعلى الرغم من كل المزاعم التي ادعتها الصحافة فأنني اجزم هنا بأن اجتماع يوم ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ لا علاقة له مطلقا بالوزارة التي تم تشكيلها في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣.

والآن وقد غبرت سنين طويلة على تلك الاسابيع الحافلة من شهر كانون الثاني ١٩٣٣ التي تمخضت عن تشكيل الحكومة التي حددت مصير المانيا فانني عندما استعرض مفكرتي اليومية الاحظ للوهلة الاولى مدى حرص فون شلايخر على النيل من سمعتي والتعريض بشخصي في محاولة سافرة لاسائة علاقاتي مع الرئيس فون هندنبورغ باللجوء الى مختلف الوسائل التي تظهرني بمظهر الدساس المتآمر على الحكومة الشرعية القائمة آنذاك لكي يعزف الرئيس عن استقبالي ومشاورتي .

لقد تبينت لي هذه الحقيقة بعد أن كتبت رسالتي المؤرخة ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ للمستشار من مدينة كولن . ولما صارحت الرئيس بأول مقابلة معه بهذا الهاجس أجابني قائلا :

« لقد اتجه فكري الى هذا التصور ايضا. حيث انني لا اتصور ابدا صدق هذه المزاعم ومن الطبيعي ان الوقيعة لا يمكن أن تؤثر أدنى تأثير على علاقاتنا».

١١ كانون الثاني ١٩٣٣ ـــ وصل هتلر الى برلين الا انه لم يقابلني ولم

يقابل السيد هوغنبرغ زعيم الحزب الوطني كما انه لم يقابل المستشار فون شلايخر . أدعت الصحافة ترشيح غريغور شتراسر نائب للمستشار تفسيرا لمقابلته للرئيس فون هندنبورغ. ويبدو ان التفاهم بين المستشار فون شلايخر وغريغور شتراسر بات من الامور العسيرة . ويرى قادة الحزب الوطني الالماني ضرورة منح فون شلايخر فرصة كافية لتجربة حظه في ممارسة الحكم. وهم يرشحون زعيمهم هوغنبرغ لتولي منصب وزير الاقتصاد في حكومة فون شلايخر لكي يسيطر على الصناعة.

١٢ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ أصبحت علاقات فون شلايخر مهددة بعد ان اتهم (عصبة الدولة) يوم أمس بمناوأتها للحكومة مما اغضب الرئيس فون هندنبورغ وجعل الحكومة معرضة للاستقالة . والعجيب ان المستشار لم يكن لديه أي مبرر لاثارة هذه العصبة المسيطرة على الزراعة في المانيا ضد حكومته. حيث لم توجه لحكومتي مثل هذه الكلمات العنيفة التي وجهت لحكومة فون شلايخر.

١٣ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ ربما يكون بامكان الحكومة التوصل الى تسوية مع هوغنبرغ بشأن المسائل الزراعية. فقد حاول المستشار فون شلايخر اجراء تعديل وزاري يدخل به هوغنبرغ وزيرا للاقتصاد.

(لم تعلن الحكومة هذه المحاولة الا في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣) ويحتمل ان يقوم فون شلايخر بمحاولة اخرى لاستمالة غريغور شتراسر وزمرته.

١٤ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ استقبل رئيس الجمهورية الدكتور هوغنبرغ وواضح انه يبغي بذلك اجراء تعديل وزاري لكي تضم الوزارة اعضاء من احزاب الوسط واليمين.

كتبت صحيفة حزب الوسط هذا اليوم متنبئة حصول تعديل وزاري ليكون غريغور شتراسر نائبا للمستشار واحتمال استيزار الدكتور هوغنبرغ وأحد اعضاء حزب الوسط.

١٥ كانون الثاني ١٩٣٣ ــ تشير الدلائل الى ارتفاع أسهم الحزب النازي بصورة مضطردة فبعد الاندحار الذي شهده الحزب في انتخابات تشرين الثاني ١٩٣٢ تتزايد نقمة مختلف اوساط الحزب المذكور على شعار هتلر الذي رفعه والذي مفاده (كل شيء أو لا شيء) الا ان هتلر تمكن من التغلب على الانشقاق الذي حاول شتراسر احداثه في صفوف الحزب النازي.

ولكن يبدو ان اعوان شتراسر أصيبوا بخيبة امل وهذا سيتجلى بكل وضوح في الانتخابات المقبلة . ومن البديهي ان هتلر استخدم اقصى طاقاته للتغلب على هذه الازمة بينما لم يكن خصومه بمستوى جديته.

تمخضت الانتخابات الاولية عن نتائج مذهلة . فقد فاز النازيون بنسبة عالية بينما اندحرت احزاب اليمين وفقدت ثلث الاصوات التي سبق انحصلت عليها. وقد سبق لي في ١ كانون الاول ١٩٣٢ ان حذرت فون شلايخر من عدم تعليق آماله كلها على محاولة شق الحزب النازي . ــ والمؤسف ان صح ما توقعته ــ واما الآن فأتوقع ان تؤثر نتائج هذه الانتخابات على اقتصاد المانيا الى درجة ملحوظة لأنها ستزيد من التوتر في جميع ارجاء المانيا.

والآن فقد استفاق السيد فون شلايخر من أحلامه فحاول انقاذ حكومته من التهديد الجدي الذي صارت تتعرض له فصرح قائلا بأنه ربما سيلجأ ــ في حالة الضرورة ــ الى اعلان الاحكام العرفية.

١٦ كانون الثاني ١٩٣٣ ــ استقبل المستشار فون شلايخر صباح اليوم زعيم حزب الوسط القس الدكتور كاس . وواضح انه يبغي من هذه المقابلة تحسين علاقات الحكومة مع الاتحاد الزراعي. اما الصحافة فتشير الى احتمالات تشكيل جبهة تضم شتراسر وهوغنبرغ وشتيغرفالد . الا ان المؤكد هو فشل المستشار فون شلايخر في احداث الانشقاق الذي أراده للحزب النازي بانفصال شتراسر عنه.

١٧ كانون الثاني ١٩٣٣ ــ بعد ان حصلت قطيعة لا رجعة بعدها بين

هتلر وشتراسر يوم أمس فان هتلر أجرى محادثات مع هوغنبرغ وكانت الغاية من تلك المحادثات اجراء محاولة لاقامة جبهة معارضة او تشكيل حكومة مشتركة.

٢٠ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ أجل المجلس اجتماعه المقرر في ٢٤كانون الثاني ١٩٣٣ الى ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ حيث يأمل البعض امكانية التوصل الى تسوية سياسية في ٢٧كانون الثاني١٩٣٣ أما النازيون فيأملون تأجيل النزاع في الوقت الحاضر. ولم تعد للحكومة تلك القوة التي تفرض بها وجودها. وترى الحكومة ان مناقشة القضايا السياسية ينبغي ان تتم بعد بحث موضوع الميزانية ويؤيدها في هذا الرأي الحزب الوطني الالماني بينما يرى حزب الوسط امكانية التأجيل لمدة اسبوع واحد فحسب.

والحالة السياسية السائدة باتت واضحة المعالم. فقد اعطى فون شلايخر جميع الفرص الممكنة لانشاء حكومة اغلبية الا انه راغب في ممارسة الحكم بخرق احكام الدستور.

كان الاحتفال الوحيد الذي حضرته في شهر كانون الثاني ١٩٣٣ هو الاحتفال بوضع الحجر الاساس لنصب (الخوذة الفولاذية) ببرلين ولم يشارك به هتلر لأنه كان مشغولا بتحشيد الالآف من اتباعه في ميدان الرياضة للتظاهر ضد غريمه غريغور شتراسر.

٢١ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ تألبت الاحزاب اليوم على حكومة فون شلايخر بصورة سافرة وطالبت باستقالتها ولم يبق الى جانب الحكومة سوى حزب الوسط. (أعلن فون شلايخر بعدئذ في ١ شباط ١٩٣٣ بأنه توصل الى اتفاق مع الرئيس فون هندنبورغ على عدم تكليفي بتشكيل حكومة رئاسية ثانية لأنها لا يمكن ان تحوز على ثقة اكثر من ١٠٪ من ابناء الشعب) وهو يحاول الآن اللجوء لنفس الحل الذي اقدمت عليه آنفا بحل البرلمان.

٢٢ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ صرح هرمان غورنغ اليوم في دريسدن بأن هتلر سوف لن يشترك بالحكومة مهما كانت الظروف. وان الحزب النازي يتابع منذ مدة طويلة تدهور موقف حكومة فون شلايخر وهو يدرك مواطن

ضعفها ولذا فهو يوجه اليها أشد النقد في مساء الأحد الماضي (١٨ كانون الثاني) ظهرت أولى نتائج التقائي مع هتلر يوم ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ .

اذ اوفد لي هتلر رسولا سبق ان خدم معي ابان الحرب العالمية الاولى في تركيا هو السيد يواكيم فون ريبنتروپ، راجيا اجراء محادثات مع هتلر في منزل فون ريبنتروپ.

وقد سألت الرئيس فون هندنبورغ عما اذا كان يرى ثمة جدوى من الالتقاء بهتلر، وكان من رأي الرئيس فون هندنبورغ ان استمع في جميع الاحوال الى وجهات نظر هتلر لاسيما بعد ان ثبت عجز فون شلايخر، ولما كنت مدركا لمدى حراجة الموقف فقد رجوت الرئيس اصدار موافقته على قيامي بمقابلة هتلر وطلبت سماحه بمرافقة ولده الرائد اوسكار وامين سر الدولة الدكتور مايزنر لي في هذه المقابلة ابعادا للشبهات التي قد تثار ضدي نتيجة لهذا اللقاء، ومن البديهي أن لقائنا مع هتلر لابد ان يكون مخططا له في جميع مراحله.

التقيت في منزل فون ريبنتروپ بمحلة داهلم ببرلين بكل من هتلر وفريك ثم التحق بهما في ساعة متأخرة من المساء هرمان غورنغ الذي وصل خصيصا من دريسدن . ولما سألني هتلر عن كيفية تصور الرئيس للموقف السياسي اجبته بأن رأيه بخصوص تولي هتلر منصب المستشار لم يتغير ابداء ولكنه قد يكون من رأيه ان الحزب النازي يمكن ان يساهم في هذه الحكومة او الحكومة الجديدة.

رفض هتلر المشاركة في حكومة فون شلايخر واكد بأن اشتراك حزبه في الحكومة لن يكون الا بوزارة يكون فيها المستشار . وكنا على ثقة منذ ١٣ آب ١٩٣٢ بأنه اصبح اقوى شخصية في حزبه دون منازع، وقد قال في هذا الاجتماع انه لا يؤيد قيام اية حكومة رئاسية على غرار حكومتي التي شكلتها في ١ حزيران ١٩٣٢ ثم اعاد هذا الرأي على مسامع كل من الرائد اوسكار فون هندنبورغ والدكتور مايزنر، ولما عاد نجل الرئيس في الهزيع الاخير من الليل الى منزله اعرب عن تأثره البالغ بشخصية هتلر.

ولقد اوضحت في ذلك الاجتماع عدم التزامي بترشيح هتلر لمنصب المستشار وايدني في هذا الايضـاح كل من الدكتور مايزنر واوسكار فون هندنبورغ•

٢٣ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ حصل اليوم تغير حاسم في الموقف حيث قام المستشار فون شلايخر باخبار الرئيس فون هندنبورغ بعجزه عن الايفاء بتعهده للرئيس لأنه غير قادر على احداث انشقاق في صفوف الحزب النازي• وصارحه بتعذر تشكيل حكومة اغلبية ما لم يكلف هتلر بمهمة تأليف الحكومة ويصبح مستشارا لالمانيا • وهكذا لم يبق امام حكومة فون شلايخر سوى اعلان الاحكام العرفية وحل البرلمان وعليه فقد طـالب فون شلايخر منحه الصلاحيات الكاملة لممارسة الحكم بمنأى عن القيود التي يفرضها الدستور•

وهكذا صح مع الاسف كل ما سبق ان توقعته في كانون الاول ١٩٣٢ لأن البرنامج الذي قدمه فون شلايخر هو نفس البرنامج الذي سبق لي ان طرحته• وعليه فقد اوضح له الرئيس فون هندنبورغ ما يلي:

« سبق لك في ٢ كانون الاول ١٩٣٢ ان استبعدت احتمال نشوب حرب أهلية فهل لي الآن ان اتبع المقترحات التي تقدم بها فون پاپن آنذاك؟ ثم انك زعمت بأن الجيش والشرطة غير قـادرين على السيطرة على الموقف والحفاظ على الأمن والنظام في المانيا • ومنذ سـبعة أسابيع والحالة السائدة في تدهور مستمر • وقـد نشطت الاحـزاب مجـددا في التصـدي السافر للحكومة • فاذا كنا نتوقع آنذاك نشوب حرب اهلية وكان الجيش عاجزا عن المحافظة على الامن والنظام فلا يمكنني والحالة هذه اتخاذ القرار الملائم لرغبتك بحل البرلمان ومنحك صكا موقعا على بياض »•

ولكن هذه المناقشة لم تعلن لا لأبناء الشعب ولا لزعماء الأحزاب •

٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ حاولت الاحزاب ايجاد شيء من التضامن لكي تتجنب انهيار الحياة البرلمانية وقد تصدى لها المستشار فون شلايخر بتصـريح مفاده « واضح ان هـذه المحاولة ما هي الا تسديد لحسابات السيد هوغنبرغ الذي سـبق أن رفض تولي وزارة الاقتصـاد عنـدما عرضت عليـه في

١٣ كانون الثاني ١٩٣٣ » •

٢٦ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ سرت موجة عارمة من الاشاعات مع ذعر عـام استشرى في اوساط الاحزاب السياسية • وتنذر الايام المقبلة بالخطر نتيجـة لتحشد ( جبهة هارتسبورغ ) المؤلفة من الحزب النازي وحزب الشعب الالماني ضد المستشار فون شلايخر • ولا تزال ردود فعل الحكومة مجرد تخمينـات وينتظر ان يحصل الصدام المتوقع في البرلمان حال اجتماعه •

٢٧ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ أصبح موقف الحكومة مهددا باقتراب موعد اجتماع البرلمان في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ • وتدور في الاوساط همسات عن احتمال حصول المستشار على صلاحيات مطلقة من الرئيس فون هندنبورغ لان مناقشة الرئيس للمستشار لم تعلن للملأ ويبـدو اللجوء الى حل تكليف هتلر بمنصب المستشار من الاحتمالات الصعبة التنفيذ • وعليه فانني اتوقع انيكلفني الرئيس بتشكيل حكومة جديدة • الا ان الحزب النازي اعلن بكل صراحة بأنه سوف لن يساهم بالحكومة التي سأشكلها وسيتصدى لها بكل ما أوتي من قوة •

بعـد المحـادثة التي أجريتهـا مع هتلر في منـزل فون ريبنتروب يوم ٢٢كانون الثاني ١٩٣٣ قدمت للرئيس فون هندنبورغ تقريرا ضافيا عن كل ما حصل فيها بطبيعة الحال • أما أنا فقد آثرت الترقب لحين انجلاء الموقف بعد اصطدام فون شلايخر بمعارضة البرلمان شبه الجماعية • فربما ستؤدي به مداولاته الى تسوية مرضية للطرفين • ثم عاودتني فكرة احتمال تكليفي بتشكيل حكومة جديدة • لكنني أظن بأن فرصتي لتشكيل حكومة جديدة اقل نصيبا من موقفي قبل ثمانية أسابيع •

ونظرا لكثرة الاشاعات المتواترة والمتناقضة فقد قابلت الرئيس وقلت له بأنني لست على استعداد لتولي المسؤولية مجددا ما لم ازود بالصلاحيات التي أرادها فون شلايخر لنفسه في ١٢ كانون الثاني ١٩٣٣ ورجوته احاطة المستشار فون شلايخر علما بأنه ينبغي ان يطمئن من جانبي لأنني سوف لن اكون مصدر تهديد لمنصبه •

٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ لعب فون شلايخر آخر اوراقه حيث زعمت الصحافة التي يسيطر عليها في مقالاتها الافتتاحية بأن الرئيس رفض تشكيل حكومة برئاسة فون پاپن تتمتع بصلاحيات مطلقة ثم زعمت بأن المستشار فون شلايخر سوف يقابل الرئيس خلال هذا اليوم لكي يحصل منه على الصلاحيات التامة ويحل البرلمان • واذا لم يقبل الرئيس بمنح المستشار الصلاحيات المطلوبة فسيستقيل المستشار فون شلايخر وعندئذ سيتحمل الرئيس وحده كامل المسؤولية عن كل ما سيترتب على استقالة الوزارة• وقالت تلك الصحف ان امامنا الآن ثلاثة احتمالات هي:

حصول تحالف بين الحزب النازي وحزب الشعب الالماني وحزب الوسط بحيث يصبح هتلر مستشارا • الا ان حزب الوسط انسحب من التحالف لأن هتلر اصر على حصول حزبه بالاضافة الى المستشارية ورئاسة وزارة بروسيا على وزارات الدفاع والداخلية والمواصلات•

أو تأليف وزارة من جبهة هارتسبورغ ربما يكون المستشار فيها السيد فون پاپن بينما يحصل الحزب النازي على بعض المقاعد الوزارية وربما منصب نائب المستشار ايضا•

والاحتمال الاشد توقعا هو الثالث ويتضمن تأليف حكومة مستبدة برئاسة السيد فون پاپن ومنحه كامل الصلاحيات من الرئيس فون هندنبورغ وستضم هذه الوزارة عددا من اصدقاء الرئيس القدماء الذين لا تزال اسمائهم قيد التمحيص• وقد جرى تحذير الرئيس فون هندنبورغ من مغبة الاطاحة بحكومة المستشار فون شلايخر لاسيما بعد اثارة فضيحة (معونة الشرق) التي لم يكن ليتدبر تسويتها وتجنب النتائج المترتبة عليها غير المستشار فون شلايخر رغم انها كانت مصدرا خطيرا للنيل من النظام•

وبعد هذه المطالبة الصريحة قام المستشار فون شلايخر بمقابلة الرئيس وعاود مطالبته بالصلاحيات الاستثنائية الا انه تلقى نفس الاعتراضات التي سبق ان قابله بها الرئيس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٣ ثم ان الرئيس اعلن اقالته لوزارة المستشار فون شلايخر•

كان فون شلايخر متعلقا ولفترة طويلة بأمل ايجاد اغلبية برلمانية تعتمد عليها حكومته. وكان من الواضح لديه أن اية حكومة يشكلها هتلر ستكون حكومة أقلية تسندها بعض احزاب اليمين . وقد بذلت في لقائي مع هتلر بكولن كل جهودي لاحتواء هتلر ولكنني جوبهت بصلابته.

تم استدعائي لمقابلة الرئيس في ظهيرة يوم ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣ ولما مثلت امامه اوجزني بشأن مقابلته الاخيرة مع المستشار فون شلايخر ثم اقالته له ثم اعرب عن امتعاضه من الاساليب الملتوية التي دأب فون شلايخر على ممارستها لتحقيق مآربه. وهو مدرك لتعذر تكليفي بتشكيل الوزارة الجديدة ويقدر مدى المرارة التي سيضطر على تجرعها بتكليف هتلر بتشكيل الوزارة.

وبعد ان صارحني الرئيس بكل خواطره بالتفصيل رجاني للمساعدة في تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة هتلر مع مراعاة الدستور واستحصال موافقة البرلمان. فهل كان بمقدوري التملص من تنفيذ المهمة التي كلفني بها الرئيس؟

ولو اقترحت على الرئيس تكليف شخص آخر غير هتلر فمن هو الشخص المناسب من زعماء الاحزاب لتولي منصب المستشار ؟

اجريت في عصر ذلك اليوم اتصالاتي بقادة الاحزاب وبدأت بالاتصال مع هوغنبرغ وكان تقديره للموقف مطابقا لتقديري. ذلك ان الحل الممكن الوحيد هو تشكيل حكومة برئاسة هتلر تحل محل حكومة فون شلايخر على ان يشترك اليمينيون وحزب الوسط. وقال اننا يجب علينا والحالة هذه تحقيق طموحات هتلر مع كبح جماحه قدر المستطاع . وطالب هوغنبرغ لنفسه بكرسي وزارة الاقتصاد الالمانية ووزارة الاقتصاد لاقليم بروسيا . وقال ان كلتا الوزارتين ينبغي ان تكونا بيده لكي يمارس السياسة الاقتصادية الموحدة التي يراها ضرورية لازدهار الاقتصاد الالماني.

ثم استقبلت هتلر في نفس ذلك اليوم حيث رفض كما هو متوقع

تشكيل حكومة تمثل فيها الاغلبية البرلمانية • وقال بأنه في حالة رغبة الرئيس بتكليفه بتشكيل الوزارة الجديدة والتعاون مع حركته فانه يطالب الرئيس، بمنحه نفس الصلاحيات الاستثنائية التي سبق ان منحها لفون پاپن وفون شلايخر باعتبار حكومته حكومة رئاسية ايضا وليست له اية طلبات اخرى، كما انه يبدي استعداده لاشراك السادة الذين سيسميهم السيد الرئيس في وزارته•

ولما أخبرته بأن الرئيس قد يقبل بهذا الطلب ويعهد اليه بتشكيل الوزارة الا ان الرئيس قد يعين له الوزراء لجميع الوزارات وفق رأيه لأنه يريدهم كلهم من غير الملتزمين بالانتماء لأي حزب• طالب هتلر باعطاء منصب وزير الداخلية لأحد اعضاء حزبه وكذلك تعيين عضو آخر بمنصب حاكم بروسيا العام•

وفي المساء قابلت زعيم حزب الشعب الباڤاري الدكتور شيفر الذي اخبرني بأنه والدكتور بريونينغ ـ المستشار الاسبق ـ على استعداد لتولي منصب وزاري في حكومة ائتلافية يرأسها هتلر لكنني اكدت له أسفي لتعذر تحقيق هذه الأمنية • ذلك لأن هتلر لم يرغب ابدا في تشكيل حكومة ائتلافية وانما هو عازم على تشكيل حكومة تضم اغلبية من المستقلين • وقد أسفت كثيرا لأن الدكتور بريونينغ اتخذ قراره بالتعاون مع هتلر في وقت متأخر جدا• ذلك لأنه كان ينبغي ان يكون اكثر واقعية• ألا ان الدكتور شيفر وجه لي عبارة عدوانية بقوله بأنه والدكتور بريونينغ ليسا على استعداد لقبول أي منصب وزاري في حكومة اكون انا مستشارها • والمؤسف ان الدكتور شيفر اقسم اليمين في كانون الثاني ١٩٤٧ امام محكمة نورمبرغ الدولية وشهد ضدي مدعيا خلاف الحقيقة بأنه سبق ان اكد لي في تلك المقابلة عدم استعداده او أي عضو من حزب الوسط للاشتراك في حكومة يؤلفها هتلر وقال امام تلك المحكمة بأنه كان ودياً معي في تلك المقابلة • وهكذا شهد ضدي لأنه اعتبرني مذنبا•

فمن منا كان على حق؟

وفي ساعة متأخرة من الليل قـدمت لرئيس الجمهورية تقريرا بشأن محادثاتي مع اولئك السادة خلال اليوم المذكور • وقد فرح الرئيس لاعتدال هتلر ووافق على طلبه فورا لأنه قبل بضم السـادة الذين اقترح الرئيس اشراكهم في الوزارة امثال البارون فون نويرات وغراف شڤيرين كروسيك وغيورتنر والبارون فون التس ريوبيناخ وذلك لكي يضمن بقاء الوزارات المهمة تحت ادارة رجال يعتمد عليهم وبخاصة وزارتي الخارجية والدفاع • وقد اتفقنا على احتفاظ البارون فون نويرات بمنصب وزير الخارجية ثم صرنـا نتحرى عن الشخصية المنـاسبة لتولي منصب وزير الدفاع فأقترحت على الرئيس صديقي القديم منذ عهد الكلية العسكرية والقائد النابه الذي اكن له كل تقدير الفريق فون فريتش • ولم يرفضه المشير فون هندنبورغ الا أنـه قال بأنه لم يتعرف عليه شخصيا بعد وشعرت انا من جانبي بأن الرئيس تهمه معرفة الاشخاص عن كثب الى حد كبير وعليه فقد ذكر لي الرئيس الفريق فون بلومبرغ• لأنه تعرف عليه عندما كان المشير متقاعدا في ضيعته وكان فون بلومبرغ قائدا للقوات المرابطة في بروسيا الشـرقية كما انه عرفه عندما اشتغل رئيسا للبعثـة العسكرية الالمانية في مؤتمر نزع السلاح وهو برأي الرئيس يتمتع بالمرونة التي تؤهله لتولي منصب وزير الدفاع• اما انا فأعرف فون بلومبرغ معرفة سـطحية وليست لدي فكرة واضحة عن كفايته • فهو مجرد رجل عسكري ليس له اي انتماء سياسي وهذا ما اعتبره الرئيس فون هندنبورغ كافيا لترشيحه لأنه يضمن بذلك عدم انتمائه للحزب النازي •

ثم ان الرئيس طلب الي الاتصال بالدكتور هوغنبرغ والاستفسار منه عن مدى استعداده للاشتراك بالوزارة بتولي منصب وزير الاقتصاد ــ كما سبق ان أبدى استعداده لتوليه في اواسط كانون الثاني ــ مع التقدم برجاء خاص لهتلر كي يقبل بتوليه الوزارة المذكورة استثناء للتحديد الذي سبق ان فرضه هتلر • كما ان الرئيس طلب الي شخصيا تولي منصب نائب المستشار ــ وكان هذا الطلب في ختام المقابلة ــ مع تأكيده علي بوجوب قبول هـذا المنصب ضمانا لبقائي الى جانب الرئيس • وكنت أتوقع بعض الشيء مثل هذا التكليف• ولكنني ارجو ان يصدقني الجميع بأنني لم تكن لي رغبة خالصة

في قبول هذا المنصب او السعي لتوليه. ويبدو ان الرئيس فون هندنبورغ كان متحسباً من تشكيل هتلر لوزارته ولذا فقد حشد فيها عددا من اصدقائه وجعلني ممثله البارز في تلك الوزارة. وحيث انه اتخذ قراره هذا فليس لي الا الامتثال لأمره.

٢٩ كانون الثاني ١٩٣٣ — يوم آخر حافل بالمباحثات. كان فيه اول زواري هتلر وغورنغ وقالا لي انهما يطرحان اسم الدكتور ڤيلهلم فريك مرشحا عن الحزب النازي ليكون وزيرا للداخليـة والسيد غورنغ ليكون وزيرا لداخلية بروسيا. وقد كان الدكتور ڤيلهلم فريك معروفا لنا بكونه موظفا قديرا عمل بكفاية في اقليم تيورنغن لمدة طويلة . وكان تبرير ذانك السيدان لاشغال منصب وزير داخلية بروسيا هو حرصهما على السيطرة التامة على جهاز الشرطة في ذلك الاقليم بعد ان تفاقم شر الشيوعيين هناك خلال الاشهر الاخيرة بينما لم تستطع الشرطة (التي كانت تحت ادارة تمثل الحزب الديموقراطي الاشتراكي طوال اكثر من عشر سنوات) اتخـاذ اية اجراءات رادعة لاعمال العنف المتفاقمة في الاقليم. وكان لأثارة هذه النقطـة معنى خاص بالنسبة لتجربتي التي سبق ان لمستهـا في تموز ١٩٣٢ فقلت للسيد هتلر بأن الرئيس فون هندنبورغ لم يمنحه صلاحيات حاكم بروسيا العام وانما جعلني أنا حاكما عاما لبروسيا اضافة لتعييني نائبـا للمستشار فابتلع هتلر الايمائة بخيبة أمل ظهرت على أساريره ثم أضمر في نفسه شيئا من الحقد. أما ترشيح غورنغ لمنصب وزير داخلية بروسـيا فقد وعدتهما بالتفكير بقبوله بصفتي حاكما عاما للاقليم.

وفي المناقشات التي أجريتها مع السيد هوغنبرغ وبعض السادة من (جبهة هارتسبورغ) بحثنا مشكلة التصدي لأي تسلط قـد يحـاول هتلر ممارسته . كما تحادثت بهذا الشأن مع قادة منظمة الخوذة الفولاذية وهي منظمة شبه عسكرية محافظة كنا نعتمد عليها كثيرا في السياسة الداخلية لأنها لم تكن منظمة ارهابية على غرار (وحدات العاصفة) النـازية او (الجبهـة الحمراء) الشيوعية .

شملت موجة الزوار الذين تقاطروا علي في ذلك اليوم عدد من اصدقائي المحافظين والذين اقسموا لي بأنهم يرفضون تشكيل هتلر للوزارة مهما كانت الظروف . لكنني اكدت لهم بأن الدستور يسمح باستيزاره ولم يبق أي مجال لتكليف غيره بتشكيل الوزارة الجديدة لاسيما بعد ان حجبت الاحزاب ثقتها عن حكومة فون شلايخر وبخاصة الحزب الاشتراكي الديموقراطي. وان أي شخص آخر غير هتلر يكلف بتشكيل الوزارة سيكون اختياره منطويا على اخلال واضح بأحكام الدستور.

وصل التوتر الى اشده في يوم الاحد هذا عندما اخبرني هرمان غورنغ بعد الظهر بأن فون شلايخر يلعب الآن آخر اوراقه. فقد ارسل اليه ڤيرنر فون الفينسن ليبن الذي اوضح لغورنغ ما يلي:

« ان فون پاپن يريد غش النازيين وعليه فان من الافضل للنازيين ان يتحدوا مع فون شلايخر الذي ليست له أية رغبة سوى الاحتفاظ بمنصب وزير الدفاع».

وقد قال فون الفينسن ليبن لغورنغ خلال مناقشته له بأن بالامكان تنحية الرئيس فون هندنبورغ عن منصبه بكل سهولة في حالة احتمال تسببه بأثارة بعض العقبات في هذا السبيل. وقد ابدى فون شلايخر استعداده للبرهنة على صدق مزاعمه باستنفار حامية پوتسدام[٢].

ثم اخبرني غورنغ بأنه وهتلر قد استمهلا فون شلايخر بعض الوقت وهما يرجواني اخبار امين سر الدولة الدكتور مايزنر والرائد اوسكار فون هندنبورغ بنوايا فون شلايخر دون ابطاء.

اتصلت فوراً بالمشير فون هندنبورغ وأخبرته بتطورات الموقف فوجدت ان ولده اوسكار كان قد احاطه علما بتلك التفصيلات اولا بأول . وقد بدى لي ان ذلك الشيخ الجليل لم يتأثر كثيرا بالانباء التي تواترت اليه عن نوايا مستشاره فهو لم يتصور ان قائدا في جيشه ويتبوأ أعلى منصب في حكومته

(٢) تعتبر بوتسدام احدى ضواحي برلين وفيها حامية برلين العسكرية ومثوى الملك الجندي فردريك الكبير . — المترجم —

يمكن ان تمتد يده بسوء لقائده الأعلى • ورغم ذلك كله فقد اقنعاه بعد لأي ــ تجنباً لما لا تحمد عقباه ــ اشغال منصب وزير الدفاع بأسرع ما يمكن• وحصلت موافقة الرئيس على الاتصال هاتفيا بالفريق فون بلومبرغ الذي كان بمهمة في جنيف لموافاتنا فورا الى برلين وتقديم نفسه للمثول امام الرئيس في صباح يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ •

سرت في هذه الاثناء اشاعة مفادها ان المستشار فون شلايخر يخطط للقيام بانقلاب يزيح به الرئيس فون هندنبورغ• وسرعان ما تحققت الاشاعة عندما اجتمع المستشار فون شلايخر برئيس الاركان العامة الفريق فون هامرشتاين اكوورد وارڤين پلانك والفريق فون بريدوف في مكتب رئيس الاركان العامة وقال لهم فون هامرشتاين اكوورد صاحب الفكرة الأصلي:

« يجب ان يتدخل الجيش الالماني الآن قبل ان يجانب الحظ المانيا كلها» وكان من رأي اولئك المتآمرين كلهم ان من الواجب اعتقال هتلر واعلان حالة الطواريء • الا ان فون شلايخر قال ان تنفيذ هذه الخطة يبدو متعذرا لأن تنفيذها لا يمكن ان يتم بدون استحصال موافقة الرئيس فون هندنبورغ عليها مسبقا • فأجابه الفريق فون هامرشتاين:

« لهذا يجب عزل المشير فون هندنبورغ واعتقاله»•

الا ان فون شلايخر لم يتخذ قراره وانما بقي يتأمل ايجاد مخرج ما من الازمة• ويبدو لي ان صاحب الفكرة باعتقال هتلر وعزل الرئيس فون هندنبورغ هو الفريق فون هامرشتاين اكوورد وانها لم تلق استجابة لا من المستشار فون شلايخر ولا من كبار القادة الالمان•

ولقد كذب كلا من المستشار فون شلايخر والسيد فون الفينس ليبن فيما بعد وجود اية محاولة انقلابية • وقد يكون من المحتمل ان ثانيهما حصل على معلوماته من مصدر آخر غير المستشار فون شلايخر من اجل ممارسة الضغط على هتلر وغورنغ•

والطريف ان الفريق فون بلومبرغ عندما وصل الى محطة قطار برلين وجد باستقباله مرافق رئيس الاركان فون هامرشتاين اكوورد الذي حاول كسب

الوزير الجديد لكن الرائد اوسكار فون هندنبورغ افسد هذه المحاولة عندما رافق الوزير لمقابلة والده دون أي تأخير . وفي هذا الجو المنذر بالخطر وجب علي التعجيل بايقاف الوزارة الجديدة على اقدامها.

٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ — قابل الفريق فون بلومبرغ الرئيس زهاء الساعة التاسعة حيث اخبره الرئيس بتفاصيل الموقف . وابلغه بوجوب السيطرة على الموقف فورا والدفاع عن حكومة هتلر الجديدة . وفي الساعة العاشرة والنصف اجتمع ببيتي جميع السادة الذين وقع عليهم الاختيار لتشكيل الوزارة الجديدة . ثم ذهبنا سوية الى مكتب امين سر الدولة الدكتور مايزنر في القصر الجمهوري انتظارا للمثول امام الرئيس فون هندنبورغ. . وقد جدد هتلر طلبه بتولي صلاحيات حاكم بروسيا . وفي هذا تجاوز تام على صلاحياته كمستشار فقلت له ان طلبه هذا سابق لأوانه ويمكن بحث هذا الطلب بعد ان نعمل سوية لفترة كافية نكسب بها ثقة الرئيس . ثم انه اردف طلبه (بعد ان سبقت مطالبته بأدنى نسبة للمشاركة بالحكم) بطلب مفاجيء باعادة انتخابات مجلس الامة . وقد برر مقترحه الجديد هذا بادعائه بأن حركته لا تتوفر لديها الاغلبية البرلمانية اللازمة لكسب ثقة المجلس حتى لو تضامنت مع الاحزاب اليمينية الاخرى. كما ان الحكومة الجديدة اذا ما حازت ثقة ابناء الشعب الالماني فستحصل على الاسناد اللازم من اجل اجراء انتخابات ذات نتائج جيدة.

ما ان ازفت الساعة الحادية عشرة الا ودخل علينا الدكتور مايزنر راجيا انهاء احاديثنا ومرافقته الى مكتب الرئيس فلما وصلنا قدمت المستشار الجديد هتلر واعضاء الحكومة للرئيس وبعد ان اقسمنا يمين الولاء للشعب الالماني تزودنا بنصائح الرئيس الثمينة. وبذا ولدت حكومة هتلر.

لكننا سرعان ما وجب علينا ان نتعلم مدى تأثير هذه الحكومة التي تم تشكيلها وفق الأسس الديموقراطية على مستقبل المانيا وسأحاول هنا التحدث بكل صراحة عن كل الملابسات التي أدت الى تسمية هتلر مستشارا لألمانيا .

وأول الأسباب الواضحة هو ان حكومة هتلر تم تشكيلها وفق السياق البرلماني المتبع بموجب دستور ڤايمار النافذ المفعول آنذاك .

وكان هذا هو الاجراء الوحيد الممكن ( وهذا أمر ذكرته مرات عديدة ) لأن أي تجاوز للدستور يتطلب ضمان فرض السيطرة على البلاد بالقوة وهو ما صرح به وزير الدفاع فون شلايخر للرئيس بحضوري بعدم تمكن الجيش الالماني من ضمان تنفيذه .

وحيث ان فون شلايخر قد مات فانني أرى من الشهامة الا أنال من رفيقي القديم بعد مقتله . وبالتالي فانني استميح القارىء عذرا اذا ما ضربت صفحا عن التوغل بهذه الواقعة اكثر مما ذكرت . وتكفي آراء الآخرين من الأحياء بتلك الشخصية أمثال المستشار الاسبق الدكتور بريونينغ والسفير الفرنسي آنذاك فرانسوا پونسيه .

أما بشأن ترشيح الشخصيات المناسبة لتولي منصب المستشار فقد سبق ان فكر المستشار السابق فون شلايخر بهذا الأمر مليا منذ مطلع سنة ١٩٣٢ ثم توصل الى اقتراح اسمي فعرضه على الرئيس فون هندنبورغ . وقد اتفقنا آنذاك على ضرورة اعادة تشكيل الوزارة خلال فترة وجيزة .

اذ كان الرجل مدركا للصعوبات التي صادفتني بحكم كوني عضوا سابقا في حزب الوسط لأنني أوضحت له بكل جلاء ما يترتب على حلولي بمحل الدكتور بريونينغ وعليه ألا يفاجأ بتنكر حزب الوسط لي . والأمر الوحيد الذي لم يعرفه عني هو سعة اتصالاتي بالأوساط المحافظة وعلى نطاق دولي .

ويبدو انه كان متصورا امكانية جعلي واجهة لنشاطه الذي يبغي به الوصول الى رئاسة الحكومة لكنه وجد نفسه متوهما لأنني لم أكن ذلك الشخص الذي أراده وقد ناقشت هذه الحقيقة مع الرئيس فون هندنبورغ في

١ كانون الاول ١٩٣٢ فقد فات فون شلايخر اننا استطعنا خلال فترة الحكم التي استمرت ستة أشهر فقط اثبات جدارة حكومتنا ومعالجتها لمختلف المعضلات الداخلية والخارجية وكسبنا ثقة جميع الاحزاب لأنها أدركت بأن حكومتنا لم تكن كالحكومات التي سبقتها مجرد العوبة تتقاذفها مصالح الاحزاب ذات النسب البرلمانية القوية •

وحتى قيامنا انا وفون شلايخر بالمثول امام الرئيس في تلك المقابلة المصيرية التي ناقشنا معه فيها امكانية تشكيل حكومة جديدة فان فون شلايخر لم يفاتحني ولا بكلمة واحدة منتقدا سياستنا الداخلية •

فقد كنت أنا واياه من المحافظين وكنا في سرائرنا ملكيين بحكم التقاليد والثقافة على الرغم من وضوح الحقيقة التي مفادها ان تقوض النظام الملكي قد تم في ميدان القتال وان هذا النظام يمكن أن يعود الى المانيا في ظروف معينة • وكنا انا وفون شلايخر نأمل بعودة الملكية في حالة وفاة الرئيس فون هندنبورغ واحداث الظروف الممهدة لكسب آراء أغلبية أبناء الشعب الالماني لا سيما وان انصار الملكية كانوا أقوياء جدا في اقليم باقاريا •

ولقد أخطأ السفير الفرنسي فرانسوا پونسيه في زعمه بمذكراته بأن فون شلايخر كان بالغ النشاط في العمل وراء الكواليس • وان خطتي للانتقام منه تضمنت وضعه على المحك وجعله تحت وطأة المسؤولية الكاملة بتولي منصب المستشار •

والواقع انني كنت على علم تام بتحركات فون شلايخر حتى عندما ارسل من وراء ظهري أمين سر الدولة السيد پلانك الى فرنسا في النصف الثاني من تشرين الثاني ١٩٣٢ بصورة مكتومة ليجس نبض الفرنسيين في مدى قبولهم بتولي قائد عسكري لمنصب المستشار بالاضافة الى وزارة الدفاع وزعم لهم ان تشكيل الوزارة الجديدة من قبلي أيضا معناه نشوب حرب أهلية في المانيا مع ان الجيش الألماني غير قادر على التحكم بالموقف الداخلي • وقال للفرنسيين انه ليس هناك أي شخص آخر يتمكن من تولي منصب المستشار في تلك الظروف غير فون شلايخر •

ثم ان فون شلايخر أرسل صديقه الرائد الركن أوت الى هتلر بصورة سرية في تشرين الثاني ١٩٣٢ لكي يرتب مساهمته في الوزارة • ولما فشلت جميع تلك الخطط تعهد للرئيس فون هندنبورغ باحداث انشقاق في صفوف الحزب النازي لكي يضمن قيام وزارته التي أمل اعتمادها على أغلبية ضعيفة في البرلمان•

وبعد أن عملنا سوية في حكومتي طوال ستة أشهر في مختلف القضايا بتفاهم تام قال للرئيس امام اعواني :

« ليس لفون پاپن في أحسن الأحوال أكثر من ١٠٪ من ابناء الشعب ولذا فان برامجه معناها نشوب حرب أهلية » •

فمن أين جاء بهذا التصور الجازم بصورة مفاجئة ؟ اذ من المؤسف عدم وجود ( معهد غالوب ) للاحصاء في تلك الأيام كما لم تتوفر وسائل الاحصاء الحديثة المعتمدة حاليا لتحديد نسب أصحاب الرأي في كل مجال •

وأود هنا أن أنوه قليلا عن علاقاتنا أنا وفون شلايخر خلال المدة المحصورة بين استقالة وزارتي في ٢ كانون الاول ١٩٣٢ واستقالة وزارته • اذ اعتبرت اقتراحه بتعييني سفيرا لبلادي بباريس في كانون الاول ١٩٣٢ ايماءة ودية مشكورة •

ولكن سرعان ما تبين أن مقصده من ذلك التعيين ابعادي عن الرئيس فون هندنبورغ • وكان الرئيس نفسه أول من ادرك ذلك وابدى لي رغبته بيقائي الى جانبه • ولم أتمكن من تقويم موقف فون شلايخر مني رغم قراري بمعاونته بكل ما اوتيت من قوة لكي اسهل له مهمته خدمة مني لبلادي •

وقد تقدم فون شلايخر في أول خطاب القاه بصفته مستشارا بالشكر الجزيل للمستشار السابق وكانت عباراته المفعمة بالتأدب مدعاة لخجلي • ولم يخطر ببالي آنذاك انه كان يعتبرني من أهم العناصر غير المريحة له والتي تهتبل كل فرصة مناسبة للنيل منه •

كان هذا شعوره تجاهي في الوقت الذي تحدثت به أمام مئات من علية القوم القادمين من جميع ارجاء المانيا في الحفلة السنوية الكبرى التي اقامها

( نادي السادة ) فأثنيت على المستشار الجديد فون شـلايخر • بينما كان فون شلايخر قد وضع هاتفي تحت التنصت المستمر ثم أخذ يراقب تحركاتي كلها وهذه حالة بدأها فون شـلايخر واستمرت عليها حكومة هتلر معي ومع غيري طوال عهدها •

عرضني لقائي مع هتلر يوم ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ في كولن الى توجيه جميع اسلحة الخصوم نحوي ولا حاجة لي ان ابرر ذلك اللقاء بعد ان ادلى فيرنر فون الفينس ليبن بتصريح للصحافة في مساء يوم ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ نفسه وأعرب فيه عن مدى اخلاصي • ولو فرضنا ان هذا الدليل لا يكفي فان المستشار فون شلايخر بعد ان تسلم رسالتي التي ارسـلتها له من كولن فأنه سلمها للرئيس فون هندنبورغ لكي ينـدد بتصـرفي ذاك لكن الرئيس اعتبر مبادرتي دليلا على الاخلاص وانكشفت للرئيس محاولة فون شلايخر للايقاع بيني وبين الرئيس فصارحه بخطأه بشأني •

أدت ثقة الرئيس بشخصي وتمسكه بي الى تقويض العلاقات القائمة بيني وبين المستشار فون شلايخر • فمنذ ذلك اليوم لم أحاول التحدث للمستشار فون شلايخر • وادركت آنذاك انه كان قد سعى حثيثا طوال شهر تشرين الثاني ١٩٣٢ لاسقاط الحكومة التي كان أحد اعضائها • ولم اتصور خلال تلك الفترة انه كان يمارس لعبة قذرة موجهة ضدي شخصيا وهذا ما لا يمكن ان أنساه • وعلى الرغم من تجلي هذه الحقيقة الساطعة الا انني لم أخط خطوة عدوانية واحدة ضد المستشار الجديد الذي يتحمل مسؤولية السلطة في بلادي •

لكن الاشخاص المقربين من فون شلايخر لم يحافظوا على اخلاصهم له • وكان ان قام فيرنر فون الفينس ليبن بدور غير مشرف لانه كان يحتفظ بصورة شخصية لهتلر وقد كتب عليها عبارة :

« لأثمن اصدقائي » •

وكذلك كان اصدقائه اوت وبلانك وماركس وسواهم يلاحظون مدى مجانبة فون شلايخر للمصلحة العامة في خطواته السياسية التي اقدم عليها في المرحلة الاخيرة من عهده مما أفقده البقية الباقية من اسناد الاحزاب السياسية

لحكومته •

كما ان صديقه الحميم اوت وجه له مذكرة انتقادية في ١ كانون الثاني ١٩٣٣ • وأخيرا فانه عندما عرض نفسه على هتلر ليكون وزير الدفاع في حكومته زعم لهتلر بأنه الرجل الوحيد الذي يحكم السيطرة على الجيش الالماني • ولم يدر آنذاك بأنه حفر بذلك الادعاء قبره بنفسه • فلما حصلت مؤامرة أرنست روهم فيما بعد تحسب النازيون من فون شلايخر وتصوروه أكثر من حقيقته فشملته التصفية الواسعة عام ١٩٣٤ •

والغريب أيضا ان غلطة فون شلايخر المميتة كان دافعه النفسي للاقدام عليها في محاولته اسناد هتلر وتقديم نفسه ليعمل وزيرا للدفاع في حكومته كان هذا مجرد محاولة مبتسرة منه للايقاع بي والانتقام من الرئيس فون هندنبورغ • وكانت حصيلة ذلك نشوء قطيعة بين المستشار فون شلايخر والرئيس فون هندنبورغ • ولما تسنم الفريق فون بلومبرغ منصب وزير الدفاع وبقي فيه حتى مطلع ١٩٣٨ لعب دورا مجردا عن روح الاصالة البروسية المعروفة •

لقد اختتمت حياة فون شلايخر بمأساة مزدوجة عندما قبرت معه عقيلته فالمعروف انه من العزاب المشهورين لكنه تزوج في خريف ١٩٣٢ وليس للمرء الا ان يقدر اخلاص تلك المرأة ويرثي للظروف التي اوردتها حتفها •

ولقد احسن المؤرخ النابه غورليتز عندما قال عبارته المأثورة عن فون شلايخر •

« على الرغم من ذكائه الوقاد فانه ارتكب الغلطة التي ارتكبها جميع الدساسين الا وهي الخلط في السياسة بين الاشخاص والقوى والافكار» •

# الفصل السادس عشر

## هتلر يتولى السلطة

**صار هتلر مستشارا . المسؤوليات . الاشاعات . لا تآمر ولا ثورة . المشكلة الاجتماعية. قوة هتلر . منهاجه الحزبي . مشكلة الائتلاف . غلطتي الاساسية . شخصية هتلر : الجوانب الجيـــدة والجوانب الرديئة . فون هندنبورغ وهتلر . نقد تأريخي بحت .**

تمخضت الملابسات السياسية المعقدة عن تسمية ادولف هتلر مستشارا لألمانيا في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ واصبحت انا نائب المستشار معه.

لم يكن هتلر في ذلك اليوم هتلر الذي عرفناه فيما بعد خلال الاثنى عشر عاما التي مارس بها دوره التأريخي. اذ كانت اغلب سجاياه التي عرف بها بعدئذ كامنة في نفسه. وأغلب الظن ان الاحداث والملابسات التي صادفته كانت هي المحك الذي أجج في نفسه الوسـائل الكفيلة بنظره بحـل تلك المعضلات. كما ان التطور الذي شهدته المانيا في السياسة الداخلية خـلال التسعة عشر شهرا الأولى من عهده فرضت عليه حل الأحزاب الأخرى وممارسة

الحكم المطلق.

وسأحاول بحث الاسباب المؤدية لتلك التطورات اعتمادا على تجربتي الخاصة ومساهمتي في ادارة الحكومة من منصبي الرفيع. لكنني اؤكد هنا تعذر اجراء تحليل شامل دون اغفال الاشارة الى جانب او لآخر من القضية المعقدة التي نحن بصددها نظرا لتشعب جوانبها بشكل يفوق طاقة فرد بعينه وبالتالي فان تسلسل الافكار لاستجلاء شخصية هتلر وايضاح كل خصائصها يعتبر من الامور العسيرة.

وثمة صعوبة اخرى بهذا الصدد الا وهي ان الامور والمسببات الكامنة ورائها كانت غير معروفة في ايامنا الاولى من ممارسة الحكومة لمسؤولياتها.

اذ كان الناس يتعاملون مع هتلر وفقا لطبائعهم وسجاياهم وهم بين ايجابي وسلبي وبين متحمس وفاتر الهمة وبين شديد الاحترام له وكاره لرؤيته والسماع به. ولكنني اذا ما زعمت بأن كل ما سأقوله كان معروفا آنذاك فسأكون مجانبا للحقيقة. اذ أن اغلب المسائل التي حصلت خلال السنة والنصف الاولى لم تكن تفاصيلها معروفة للناس.

لم يكن ذلك اليوم المطر من كانون الثاني ١٩٣٣ مهما بالنسبة لي او للرئيس فون هندنبورغ لأننا لم نكن متحمسين لتولية هتلر مهمة المستشار. فقد أدى تدهور الحالة الداخلية في المانيا منذ عـام ١٩٣٠ في عهد وزارة بريونينغ الى تعاقب حكومتي ثم حكومة فون شلايخر واخيرا حكومة هتلر وكلها تتمتع بسلطات استثنائية تتجاوز بها تحديدات الدستور والمعوقات التي برعت الاحزاب السياسية في اختلاقها لتعجيز الحكومات عن انجـاز مهماتها. واود ان اؤكد هنا بأنني رغم حرصي على ايضاح الحقيقة فانني لا اريد ان اجرد الاحزاب من مسؤولياتها كما انني لا احاول ابدا الانتقاص من دورها . فأنا احرر هذا الكتاب مستعرضا به اخطائي التي ارتكبتهـا ايضا ومشيرا الى تصرفاتي التي ندمت عليها فيما بعد.

كما انه من الواضح تماما ان وصول حركة سياسية الى السلطة وورائها

نسبة تناهز الـ ٤٠٪ من اصوات الناخبين الالمان لا يمكن اعتبارها حركة مجردة من الجذور الشعبية، اذ سبق ان وصفت مدى حرصي على اشراكها في تولي مسؤولية السلطة قبل توليها لها فعلا بمدة طويلة.

أضف الى ذلك ان من شهد ارتقاء هتلر التدريجي في تلك الفترة لابد ان يتذكر بأن رجالا مشهود لهم بالفطنة والذكاء امثال الدكتور بريونينغ وغراف باليستريم والأب الدكتور كاس والدكتور ماير ورتر فون ليكس قد تصوروا بأن هتلر وقد وضع على المحك فسوف لن يلبث ان يشهد مصير حركته في خضم الاضطراب السياسي الذي كانت تعيشه المانيا . ثم ان فون شلايخر نفسه ـ والذي ربما يمكن اعتباره من اكثر الناس معرفة بالنازيين كان يظن بأن هتلر سينقلب على المحافظين بأسرع ما يمكن وعندئذ سيتم تشكيل حكومة جديدة تضمه هو (فون شلايخر) وهتلر وبريونينغ[1].

وثمة عامل مهم آخر لا سبيل لاغفاله هو تشجيع الصناعيين الكبار امثال تويسين وكيردورف وغيرهما من الذين وجدوا في حركة هتلر المناهضة للشيوعية ملاذا لهم ازاء الموجة العارمة التي دهمت المانيا من الشرق. وقد اجتمع هتلر بأولئك الرأسماليين لأول مرة في (نادي الصناعة) بديوسلدورف وتحدث اليهم مطمنا فكسب ثقتهم وضمن انحيازهم الى جانبه.

والعامل الآخر الذي تجدر الاشارة اليه هو الجيش الالماني المتشبع بالروح البروسية والمتمسك بالتقاليد وليس غريبا ان نلاحظ عطف عدد من الضباط الشباب على الحركة الاشتراكية الوطنية . وقد اثيرت هذه القضية عند محاكمة بعض اولئك الضباط في حامية لايبزك. وكان من رأي الكثيرمن ضباط الجيش الالماني الكبار ومنهم مساعد فون شلايخر الرائد الركن اوت ان الجيش لم يكن بموقف يؤهله للدفاع عن الحدود الشرقية دون الاعتماد على (وحدات العاصفة) التي نظمها هتلر.

أما المراقبون الاجانب فكانوا معتادين على اعتماد الاساليب البرلمانية

---

(١) من تقرير رفعه السفير البريطاني لحكومته بتاريخ ٩ شباط ١٩٣٣ .
ـ المؤلف ـ

ولذا فانهم يعتبرون طاعة الشعب الألماني بهتلر جريرة مبررة لأدانة الأمة الالمانيه برمتها دون ادراكهم لطبيعة الشعب الالماني أو تحليلهم لخصائصه الاصيلة بعد ان انتابته سلسلة من الازمات كالاندحار في الحرب العالمية الاولى وما ترتب عليه من نتائج والتضخم النقدي والانهيار الاقتصادي خلال عقد الثلاثينات وتفاقم مشكلة البطالة وتضعضع التماسك الاجتماعي بين الشباب . واستشراء الخطر الشيوعي الذي صار ينذر بخطر اكتساح المانيا برمتها . كما ظهرت في هذه الفترة بوادر الحركات المتطرفة وانتشر الارهاب بحيث أخذ يعصف بالقيم التراثية . كما أن الجيل الجديد صار يبتعد عن الايمان بالدين المسيحي.

لهذه الاسباب كلها فان حركة هتلر وجدت استجابة من مختلف الاوساط التي رأت فيها ملاذا يجعلها بمنجاة من الأوضار المبهمة التي كانت تتحسب من شرورها. اضف الى ذلك ان الحماس الذي اتصفت به الحركةالاشتراكية الوطنية أدى الى استمالة الشباب الالمان فتقاطروا على الالتحاق بها بمجموعات كبيرة.

وقد ينحي بعض الاجانب باللائمة اليوم على الشعب الالماني لأنه لم يدرك المصير الذي ساقه هتلر اليه. ولكن فات هؤلاء ان الخطر الحقيقي الذي كنا نخشاه آنذاك هو الشيوعيـة . وعليـه فان أغلب الالمان الذين انضووا تحت لواء النازية كانوا يعتبرونها افضل وسيلة لمكافحة الشيوعية ان لم تكن الوسيلة الوحيدة.

لقد كنا نعيش هذه الازمة في الوقت الذي تتفاقم به ازمة البطالة التي تركت ملايين العمال الالمان وعوائلهم يكافحون من اجل الحصول على خبز يومهم.

والغريب ان نسبة عاليـة من ابناء الشعب الالماني ـ وهي بالتأكيـد ليست الفئة الرديئة منه ـ اعتبرت سنة ١٩٣٣ (عام اليقظة القومية) واذا اردت التحري عن الاسباب فلا يسعني الا ان اكرر ما سبق ان قلته في مؤتمر لوزان من ان الشعب العظيم لابد ان يحصل على حقوقه اما رضاء او عنوة.

ولكن لا هريو ولا ماكدونالد ولا أي رجل دولة من رجال الدول الأخرى المفاوضة لنا آنذاك اراد ان يفهم ما انطوى عليه كلامي وما ترتب عليه.

كان هتلر قد دبج منهاج حركته منذ عام ١٩٢٠ ولخصه بخمس وعشرين نقطة . وفي عام ١٩٢٦ اعتمدها حزبه واعتبرها غير قابلة للمساومة أو الانتقاص . ولم يخطر ببالي ان هتلر عندما يتسلم السلطة سيصر على تلك النقاط لأنني خبرت احزابا اخرى تخلت عن بعض اهدافها عندما وجدت عقبات كأداء حالت بين النظرية والتطبيق. وعليه فقد تصورت ان الحزب النازي سوف لن يكافح اليهود بمثل تلك الشدة حيث أن هتلر اعتبرهم ضيوفا يمكن لهم العيش في المانيا ولكنه لم يعتبرهم المانا قط[٢]. كما ان معاهدة فرساي المجحفة يمكن اعتبارها من اهم الاسباب التي حدت بهتلر الى شن حرب هجومية.

وعندما شكلنا حكومة هتلر كان من الواضح لدينا بأن هتلر ومن ورائه حزبه لا يمكن استبعاده عن تولي مسؤولية السلطة. لكننا كنا نأمل احداث تطور لاجباره على الاعتدال بتأثير من الجماعات المحافظة والدينية. ولما تحدث معي الرئيس فون هندنبورغ بهذا الشأن في ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٣ فانه حاول القاء ثقل المسؤولية على كاهلي بقوله :

« انني لا ادري ما الذي سيحدث فعلا . فأنت نائب المستشار وانت رئيس وزراء بروسيا . ولو استثنينا وزيرين نازيين فقط فان جميع اعضاء الوزارة هم من رجالنا . ثم انك ستشهد كل اجراء يقوم به هتلر».

فكيف تسنى لهتلر رغم كل هذه التحوطات التي اتخذناها لكبح جماح الحزب النازي بعد ان وضعنا ثمانية وزراء ازاء وزيرين نازيين فقط تقوية حزبه باضطراد بحيث تمكن من الاستحواذ على جميع المقاعد الوزارية وجعل وزارته خالية ممن لا ينتمون لحزبه؟

---

(٢) هذه ادانة واضحة للنظام النازي الذي شجع اليهود الالمان على الهجرة من بلادهم المانيا والتوجه الى فلسطين في المرحلة الاولى من عهد هتلر حيث اعقبت تلك المرحلة اتباع الوسائل القسرية لطرد اليهود من بلدانهم في جميع اقطار اوربا التي احتلها الالمان وتشجيعهم على الهجرة الى فلسطين بتعاون مباشر وغير معلن بين النازيين والصهاينة . – المترجم –

ان هذا يعود لنا كما يعود لهتلر نفسه. وسأحاول توضيح هذه الحقيقة وليس تبريرها على سبيل التنصل. وكل ما يجب ان اعترف به هو الخطأ الفاحش الذي ارتكبته باسنادي (للفكرة الجديدة) التي جاء بها هتلر ومرد ذلك هو حرصي على استعادة المانيا للانضباط وحب النظام اللذين كانا سائدين في العهد الأمبراطوري واللذين افتقدناهما بصورة مريعة بعد أن ضربت الفوضى أطنابها في طول المانيا وعرضها منذ تأسيس الجمهورية في عام ١٩١٨ وحتى عام ١٩٢٣ وظهور التشكيلات السياسية شبه العسكرية التي كانت تخوض معارك الشوارع مع خصومها وكأن المانيا خالية من حكومة مسؤولة عن النظام . وقد ادركت في تلك الفترة ـ بصفتي عسكري سابق ـ ان الفيلق الحر الذي شكله المخلصون من ابناء المانيا لم يعد قوة قادرة على حماية الشعب من الاوضار الداخلية التي استشرت في البلاد وقد قدرت بأن التصدي للفعاليات الحماسية المتطرفة التي يمارسها خصوم النظام لا يمكن ان يتم الا بوجود قوة وطنية متحمسة مثلها.

وثمة غلطة أخرى فاحشة ارتكبها جهاز الدولة الالمانية آنذاك بالتخلي للنازيين عن وسائل الدعاية التي كانت مستقلة وتسخيرها لصالحهم. اضف الى ذلك ان هتلر سعى خلال السنة والنصف الاولى من عهده لازاحتنا تدريجيا ـ ونحن الذين لم نخبر التعامل مع نظامه ـ حتى وجدنا انفسنا بصورة غير ملحوظة في آخر المطاف بمنتهى الضعف على الرغم من عدم احكام النازيين سلطتهم آنذاك على عاملين مهمين آنذاك هما الرئيس فون هندنبورغ والجيش الالماني. ولكن سرعان ما تبين لنا انهما وان كانا غير منحازين للنازيين الا انهما لم يكونا ضدهم ابداه كما ثبت فيما بعد ان اختيار وزراء من الخبراء المستقلين كان لصالح النازيين تماما . وأود أن أؤكد بهذه المناسبة بأنني لم أحاول مطلقا اعاقة هتلر عن فعالياته وانما انصب حرصي كله على التوفيق بين هتلر والرئيس فون هندنبورغ كما أؤكد هنا ايضا ان هتلر كان يتمتع بكامل ثقة الرئيس بدئا من توليه السلطة وحتى حصوله على الصلاحيات استثنائية.

اما وزير الدفاع فون بلومبرغ فقد كان متعاطفا مع هتلر منذ بداية

عهده وذلك امر طبيعي جدا بالنسبة للتقاليد البروسية القديمة التي تفرض على الجندي طاعة شديدة للنظام القائم وكان هذا ما قام به الفريق فون بلومبرغ وقادة الجيش الآخرين • اضف الى ذلك ان الرئيس فون هندنبورغ لم يكن قادرا او بالاحرى لم يشأ ان يجعل شخصيته في كفة يريد لها الترجيح على مستشاره الجديد باثارة صراع شخصي لا موجب له • ثم ان المعضلات التي تبينت معالمها فيما بعد لم تكن قد ظهرت بشكل متبلور آنذاك• ولما أصر هتلر على اقالة الوزراء المحسوبين على احزاب لها قوة برلمانية في صيف ١٩٣٣ فأننا لم نعتبر اجرائه هذا مؤسفا بشكل ما• ذلك لأننا اكثر اهتماما بمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية من الانهماك بأثارة مشاكل جديدة بسبب تبديل بعض اعضاء الحكومة • ولقد كانت الكنيسة الكاثوليكية من العوامل المؤثرة في المجتمعات الأوربيــة لدرجة تفوق الأحزاب السياسية المعروفة وهي تتبع نظاما دقيقا ومتقنا وتسير وفق نهج البابأوات ورجالهم الاكفاء• وهي تحظى بتقدير جميع الاحزاب السياسية واحترامها•

والعامل المهم الثاني الذي أثر في تطور الأوضاع الى ما آلت اليه هو شخصيه هتلر • فقد كانت الآراء بشأن شخصية هتلر تنقسم قبل وصوله للحكم الى فئتين تصورت اولاهما ( وهي الفئــة الغالبــة عددياً ) انه مجرد واجهة لقيادة حركته وانه دعي مهذار وكان هذا التصور ــ كما تبين فيمــا بعد بجلاء ــ مجانبا للصواب اما الفئة الثانية وكنت انا منها فقد تصورت ان شخصية هتلر لم تظهر ابعادها بعد وانها لابد ان تتجلى خصائصها على مر السنين • وان هتلر هو الطاقة المحركة لحزبه وهو العامل القيادي المنفرد لحركته•

وانه لمن الصعوبة بمكان استجلاء الخصائص الحقيقية لتلك الشخصية اعتمادا على المميزات الظاهرية وحدها• فهو لم تظهر عليــه علائــم النبوغ لا بتصرفاته الاعتيادية ولا بمظهره الخارجي كما لم تظهر عليــه علائم حب السيادة الا انه مما لا سبيــل لانكاره انه كان يتمتع بقدرة خــارقة للتأثير بشخصيته على الآخرين وانه كان يسحر مجموعات كبيرة من الناس فيجعلهم مأخوذين بقدراته غير الاعتيادية • وكانت هذه الخاصية من الامور التي تبدو

مبهمة لأنه كان يمارس فرض آرائه على الناس فيتقبلون وجهة نظره ويقتنعون بها وقد كنت انا من ضمن ضحاياه الذين اثر عليهم فآمنت بأهدافه ووسائله التي عرضها علي. ولم ادرك نفاقه وادعائه غير ما يضمر الا بعد ان تجلت قسوته الرهيبة على خصومه في ٣٠ حزيران ١٩٣٤[٣].

وعندما كنا نعرض عليه التجاوزات التي مارسها قادة وحدات العاصفة كان يطلب منا التذرع بالصبر ريثما «يستعيد السيطرة على زمام الامور التي أفلتت منه ضمن حركته» وكثيرا ما كنت اناقش هـذه المسـائل مع زميلي الحميمين غيورتنر وأيليتس وكنا نجد الفرق الشاسع بين تطمينـات هتلر الشفوية والتطورات الفعلية المناقضة لها . وكنا نأمل بأنه لابد ان يضع حدا لهذا الفرق في الأيام القابلة . وسرعان ما تبين بأنه لم يكن على استعداد لطرح آرائه امام مجلس الوزراء لمناقشتها وانما كان يؤثر عرض الفكرة على ذوي العلاقة فردا فردا فيحصل على الاذعـان الذي يريده دون التعرض لنقض أغلبية أعضاء مجلس الوزراء لأي رأي من آرائه .

وبعد ان تمعنت بالخصائص الشخصية التي كان هتلر يتميز بها حددت علاقاتي معه منذ البداية باقامة علاقات شخصية حميمة معه مبنية على التفاهم مع اعطائه شعورا بأنه ازاء ند له . ولربما كنت اكثر فرد ــ من غير اعضاء الحزب النازي ــ قرباً منه . وقد نجحت في اقامة هذه العلاقة فكسبت ثقة الرجل واحترامه حتى انني لم اشهد ولا مقاطعة واحدة لاحاديثي معه . لقد كان يصغي لاقوالي لدرجة تصورت معها قدرتي على التأثير عليه . وكان هذا مجرد تصور.

لم تقتصر محاولات هتلر للتأثير على اعوانه والعاملين معه وانما تجاوزها لمحاولة التأثير على الرئيس فون هندنبورغ ايضا. اذ استدعاني الرئيس في نيسان ١٩٣٣ طالبا مني تعديل المهمة التي كلف بها هتلر عندما تولى رئاسة الحكومة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ لأن لهتلر شعور بأن صيغة تلك المهمة تنطوي على الشك بشخصه وان الرئيس لا يرغب بتكدير مستشاره الجديد.

---

(٣) قام هتلر بهذا التاريخ بتصفية خصومـه الرئيسيين ومنهم روهم وفون شلايخر وكان اولهما القائد العام لوحدات العاصفة ( SA ) .
ــ المترجم ــ

وكان ان وافق الرئيس على منح هتلر الصلاحيات الاستثنائية المطلوبة (حيث حمل الدكتور مايسنر امين سر رئاسة الجمهورية رغبة الرئيس الى مجلس الوزراء بنفسه) وتجاوز هتلر بذلك التحديدات التي فرضها الدستور.

لم تتغير شخصية هتلر خلال أسابيع قليلة وانما تغيرت بصورةتدريجية خلال سنوات وكانت التسعة عشر شهرا الاولى من عهده التي انتهت بواقعة ٣٠ حزيران ١٩٣٤ فترة تجريبية انتهت بذلك الحد الفاصل وبحلول عام ١٩٣٧ لم يجتمع مجلس الوزراء ولا مرة حتى انتهاء فترة حكمه وصار يتخذ القرارات الحاسمة كالحرب والسلام لوحده دون معرفة اغلب الوزراء وكان هذا بعد تشكيله للوزارة بأربع سنوات. وأغرب ما بالامر ان هتلر لم يأت للسلطة نتيجة لثورة معلنة وانما وصل الى السلطة من خلال الاضطراب البرلماني الذي شهدته المانيا قبل توليه منصب المستشار .

ان التطور التأريخي الذي أدى الى مجيء هتلر للحكم اعقبه تطور آخر ربما يمكننا بالقاء الضوء عليه بيان السبب الذي جعلنا نرضخ وبصورة تدريجية لتقبل حكمه المطلق لألمانيا.

ألا انني اشك بوجود خطة مدبرة سار هتلر بموجبها حتى ادرك حالة الاستبداد التي اشتهر بها. وأظن بأن طبيعته القلقة استهوتها مغريات كثيرة كالتأييد الشعبي الذي ابدته اغلبية ابناء الشعب الالماني دون التزامه بشروط معينة لتلك الجماهير وعدم وجود مقاومة عمالية والتزلف الذي لقيه من بطانته. وعدم وجود أية مقاومة لنظامه من القوى الشعبية وافتقار العناصر المحافظة في حكومته للقدرة على مقاومة اهوائه. والانتصارات الباهرة التي حققها في ميدان السياسة الخارجية والتي فشل اسلافه في تحقيقها واخيرا وليس آخرا حبه الشديـد للسطوة الذي أدى به الى عدم التورع عن زج المانيا بحرب عالمية.

لقد اوجزت كل هذه العوامل لكي ابين الاسباب التي لمستها عندما عملت نائبا له خلال الفترة من ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ حتى استقالتي في تموز ١٩٣٤.

# الفصل السابع عشر
# قانون الصلاحيات الاستثنائية

**منهج الائتلاف . كتلة الانتخابات اسود ـ ابيض ـ احمر[1] . عرضت وجهة نظري . حريق مبنى مجلس النواب . يوم ٥ آذار . قانون الصلاحيات الاستثنائية . نيابة المستشار .**

كانت ليلة ٣٠/٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ ليلة قاتمة الظلمة وقد نائت فوق برلين بطبقة كثيفة من الغيوم الزرقاء عندما مرت مواكب الاحتفالات التي بدت بأرتال لا نهاية لها من حملة المشاعل ذوي الصفة شبه العسكرية الذين كانوا اعضاء في منظمات الخوذة الفولاذية ووحدات العاصفة وقطعات الحماية[2]. بينما اصطف الآلاف من سكان برلين وهم يشهدون هذا المنظر غير المألوف . وكان انطلاق المواكب من بوابة براندنبورغ[3] ومرورها على

(١) هذه هي الوان العلم الالماني في العهد الامبراطوري . ـ المترجم ـ
(٢) المعروفة بالمختصر المشهور (SS) .
(٣) تعتبر بوابة براندنبورغ من اشهر معالم برلين واصبحت الآن في برلين الشرقية ولو انها تطل على برلين الغربية أيضا .

ـ المترجم ـ

امتداد شارع فيلهلم. ولما اقتربت طلائع تلك المواكب من الجناح الشمالي لمبنى دار المستشارية هب الرئيس فون هندنبورغ واقفا وقفة اجلال لاولئك الشباب المتحمسين . وعلى بعد مائة متر عنه وقف هتلر في شرفة من الشرفات الصغيرة وقد تراجعت قليلا عن الشرفة وبقيت بنفس الغرفة لكي اتيح لهتلر وغورنغ فرصة الوقوف في الواجهة.

لقد كان فون هندنبورغ يولي منظمة الخوذة الفولاذية الكثير من عطفه لأنه خبرها قوة مقاتلة منضبطة تطوع افرادها للدفاع عن الوطن ازاء البولنديين طوال سنة ١٩٢٠.

ولم نعتبر القوات شبه العسكرية التي كانت تدفق امامنا قوات ذات صفة ثورية . وانما اعتبرناها قوة احتفالية تقدم تحية للرئيس الذي يمثل الجيل القديم.

أما هتلر فقد بدى في احسن حالاته بعد ان حقق حلمه الذي انتظره طويلا وقد فاض شعوره بالسرور على لسانه فأنطلق يحدثني قائلا:

« اية مهمة عظيمة تنتظرنا يا سيد فون پاپن»

فأجبته بصورة عفوية تلقائية:،

« سنحاول ايجاد الحلول المناسبة لها سوية يا سيد هتلر».

ولم يخطر على بالي ان المتحدث معي بهذه البساطة سيكون أشهر مستبد في العالم.

بدى لي هتلر واعوانه المقربون مأخوذين بسحر الاحتفال الذي لم ارغب انا وزوجتي بالبقاء حتى انتهائه وانما تسللنا عائدين الى منزلنا بينما استمر مرور المواكب الى ساعة متأخرة بعد منتصف الليل.

واجتمعنا في صباح اليوم التالي لكي نضع منهج العمل الذي ننفذ به اهداف الأئتلاف الوزاري. وقد استهل هتلر حديثه بجعل الوحدة الوطنية للشعب الألماني واستعادة ثقته بنفسه واحياء القيم الروحية السائدة فيه الهدف الأول لحكومته . اما اعادة انشاء الاقتصاد فقد قال انه سيحاول

تنفيذه باعداد خطتين متعاقبتين امد كل منهما اربع سنوات. وقد تطرق بهذه المناسبة لاول مرة الى ضرورة حصول الحكومة على صلاحيات استثنائية. وسرعان ما خطرت في ذهني مقارنة سريعة بلجوئه للأساليب السوفيتية في وضع خطط تنفذ على مدى سنوات عديدة لكنني وجدت حله صائبا في معالجة هذه القضية فأيدته فيما اقترح.

وأردت من جانبي ايجاد تكتل يضم العناصر المحافظة في الوزارة لكي اضمن التعاون المشترك لمواجهة النازيين فأعتمدت القيم المسيحية لأجعل من الدين رابطة أحافظ بها على معنويات اصدقائي المحافظين والتأكيد على اعتبار الأسرة الخلية الاساسية لتكوين شعبنا وبنية الدولة وعليه فقد جعلت الأسرة الوحدة الاجتماعية الاكثر جدارة برعاية الدولة وحمايتها. أما بصدد السياسة الخارجية فقد أردت ان تكون دولتنا حريصة على حفظ السلام مع الاحتفاظ بمكانة مشابهة لمكانة الدول الاوربية الاخرى في المجتمع الدولي والتأكيد على تجنب الاشتراك بأي تكتل دولي عدواني من شأنه اثارة المشاكل وتعريض المانيا للخطر.

وقد ابدى هتلر ترحيبا بهذه الآراء وأشار الى اننا سنكون محظوظين اذا ما استجاب العالم الى النداءات المخلصة لنزع السلاح.

ثم تحول حديثنا الى الانتخابات الجديدة التي تقرر اجراؤها في ٥ آذار ١٩٣٣ فأوضحت لهتلر بأنني سأحاول تأليف كتلة من جميع أعضاء الحكومة الذين لا ينتمون لحركته واستقطاب مؤيديهم لاسناد الحكومة . لكنه ظهرت عليه امارات المفاجأة وقال لي انه يفضل عدم تأليف مثل هذا التكتل.

فأجبته بتعذر ذلك بعد ان تقرر تأليفه وانه يمثل حركته بينما نمثل نحن وجهة نظرنا . ولكنني مع ذلك شديد الرغبة في مواصلة التعاون معه لانجاز مهماتنا الوطنية . فلم يظهر على وجهه ما يشير الى رضاه عن مقترحي وهكذا لم يعد يتطرق لبحث هذا الموضوع.

قدرت آنذاك بأنني اذا ما أردت التصدي للحركة النازية بصورة جدية

فلابد لي من تحشيد جهود جميع الاحزاب الأخرى التي أصبحت بموقف ضعيف بعض الشيء نظراً لأن عددها يبلغ الثلاثين حزبا وهذا اسطع دليل على مدى تشتت الافكار السياسية في المانيا آنذاك وتعذر تطبيق المباديء التي كنا نؤمن بها. ومع ذلك فقد شرعت بالاتصال مع زعماء تلك الاحزاب بدئا بهوغنبرغ لكي نتوصل لاعداد قائمة مرشحين موحدة ننافس بها النازيين في الانتخابات. وكانت حصيلة ذلك ان اعددنا رجالا مجربين اكفاء من الشيوخ ازاء النازيين الشباب المتدفقين حماسة. كما أحجم بعض زعماء الاحزاب عن منافسة الحزب النازي لأنهم لم يشاؤوا ان يكونوا ضحايا لغضب هتلر.

وكان النجاح الوحيد الذي تمكنت من تحقيقه هو توطيد التعاون في المستقبل مع العناصر المناهضة للنازية. وكان ان انشأنا الكتلة الانتخابية اسود ابيض احمر التي خضنا بها انتخابات ٥ آذار ١٩٣٣ والتي تمخضت عن فشلنا الذريع. وكنت قد ذكرت آنفا الأسباب التي حدت بالشعب الالماني لتفضيل الحركة النازية على التكتل الديني المحافظ.

وابرز دليل على ذلك ما حصل لمنظمة (الخوذة الفولاذية) شبه العسكرية التي كانت تحظى باعجاب ورعاية الاوساط الدينية والمحافظة الا ان أغلب رجالها ادلوا بأصواتهم في انتخابات ٥ آذار ١٩٣٣ لصالح القوائم النازية. وأظن اننا كان علينا ان لا نتوقع تصويت رجال (الخوذة الفولاذية) لصالحنا بعد ان ساروا في مواكب الاحتفالات لحملة المشاعل ابتهاجا بوصول هتلر الى

وكنت قد عرضت برنامجي الانتخابي في سلسلة من الخطب التي القيتها في طول المانيا وعرضها حيث افتتحت مساهمتي بالمعركة الانتخابية بلقاء نظمته في جامعة برلين يوم ٢١ شباط ١٩٣٣ ودعوت له الطلبة من جميع الميول والاتجاهات السياسية وحاولت توضيح اهمية التمسك بالقيم الروحية من اجل خدمة مجموع الشعب الالماني والمناداة بالحق والحرية.

وقد يتهمني البعض بالترويج للرجعية والعودة الى القرون الوسطى لكنني وجدت في الاهتمام بالقضايا الروحية مصدرا جيدا لمناهضة المادية

التي طغت على القيم الاخلاقية والتي لم تتورع عن تزييف مفـاهيم الحق والحرية•

والآن وبعـد أن وضعت الحرب العالميـة الثانية أوزارها يمكنني تأكيد ما سبق ان قلته امام طلبة جامعة برلين آنذاك:

« في القضايا التأريخية الكبرى لا توجد خطيئة روحية ولكن توجد خطيئة تأريخية »•

وكنت اعني بذلك خطيئة الماركسية التي سعت لتحويل حياتنا الى حياة آلية •

والمؤسف ان التصدي للشيوعية في المانيا لم يكن ممكنا بغير الاعتماد على النازية•

ثم اني تطرقت في حملتي الانتخابية الى قضيـة تصنيف البشر وفقا لعروقهم وهي القضية التي لوثت سمعة الشعب الالماني في المجتمع الانساني فقلت في خطابي الذي ألقيته بمدينة غلايفتز :

« نحن نقف ضد البحوث المتعلقة بالاجناس وضـد فكرة خصائص الأقزام المبنية على أسـاس عرقي • ولا نريد لشعبنا أن يكون بدعوى النقاء بعيدا عن العلاقات الطبيعية مع الشعوب الاخرى• ثم ان حبنا لشعبنا ينبغي ألا يكون حافزا لكره الشعوب الاخرى أو الاجناس الاخرى • فهذه قضية حاسمة لأن التفرقة العرقية تتناقض مع المفاهيم المسيحية وهي بالتالي ستجرنا الى نزاع مع الدين المسيحي ذلك لأن الدين لا يفرق بين الناس على أسـاس عرقي وليس لنا أن تتخلى عن الديانة المسيحية لكي نستعيض عنها بديـانة جديدة تؤمن بالشعب النوردي الألماني»•

أما سياستنا الخارجية فكان هدفها الاول تحقيق سيـادتنا في جميع المجالات الدولية • وقد كررت ما سبق ان ذكرته في مؤتمر لوزان بوجوب محاولة التوصل الى تفاهم وعدم الاعتراف بالتواقيع التي وقعها ممثلو المانيا تحت ظروف الاكراه وقلت ان سياستنا يجب ان تبنى على أسس المحافظة

على السلام، ولكي تكون سياسة المانيا الخارجية موحدة قوية فلابد انتمثل المانيا برمتها دون ان تؤثر على الحكم الذاتي لأي من الاقاليم الالمانية.

ان هذا العرض الموجز للخطوط العامة لسياستنا لا يمكن أن يوضح الصورة المطلوبة للنهج السياسي الذي اتبعته، ألا انه يعطي للقاريء فكرة عن مدى رصانة الافكار المتعارضة مع المفاهيم التي طبقها الحزب النازي ابان عهد هتلر . وكانت نقطة ضعفي تكمن في عدم استطاعتي ممارسة النقد المباشر للحكومة التي كنت مشتركا معها بتحمل مسؤولية الحكم.

وكل ما كنت قادرا على محاولة تنفيذه هو استمالة الناخبين بعرض الجوانب الايجابية من برنامجي الانتخابي، ولربما اعرض عنا الناخبون لأنهم استهوتهم النواحي المغرية من البرامج النازية او انهم قارنوا بين الجوانب السلبية من دعايتنا الانتخابية والجوانب الايجابية للدعايات المنافسة لنا. أو اننا لم تتصرف بذكاء يلفت انظارهم الينا . ولقد تصور الكثيرون ان هتلر تصنع الميل للاتجاه المحافظ فأستمال بذلك كل الاصوات التي كنت آمل الحصول عليها.

في مساء ٢٧ شباط ١٩٣٣ اقمت دعوة عشاء على شرف الرئيس فون هندنبورغ وفجأة شاهدنا من شباك النادي المطل على ركن شارع فوس السنة اللهب تشب ببناية مجلس النواب . فهب المشير من مجلسه وصرنا نراقب النيران والدخان المنبعث من الحريق الرهيب، ثم رجوت المشير ان اصحبه الى داره لكي أسرع بعدئذ للذهاب الى مجلس النواب فأحيط بجوانب القضية في موقع الحادث . ألا انه ابدى قلة اكتراث لما حدث ولكنه عاد فأبدى رغبته في الحصول على تفاصيل القضية.

عندما وصلت الى بناية البرلمان وجدت ان الشرطة طوقتها ولما وصلت الى مدخل نصف محترق صادفت هرمان غورنغ الذي كان يشغل منصبي وزير الداخلية ورئيس مجلس النواب وكان يشرف على فعاليات السيطرة الضرورية علىالموقف، وقد قال لي آنذاك:

« ان هذا العمل لا يمكن أن يكون الا محاولة اغتيال شيوعيـة ضد حكومتنا الجديدة ».

ولما سيطرت قوة اطفاء الحريق على النيران تماما غادرت المكان وقلت لغورنغ ان هذا الحريق اذا لم يكن مجرد حـادث فأنه لابد أن تكون له أسباب سياسية.

وقد علمت ان الشرطة القت القبض في مكان الحـادث على شيوعي أجنبي، ولم اتردد ابدا في تأييد وجوب اتخاذ اجراءات صارمة ضد العناصر التي تثبت اداتنها في القيام بهذا العمل. وقد أخبرنا هرمان غورنغ في جلسة مجلس الوزراء باكتشاف مبرزات جرمية كثيرة بمنزل ليبكنشت عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني من بينها قوائم بأسماء الزعماء السياسيين المقرر تصفيتهم في حالة نشوب ثورة شيوعية وكان اسمي بطبيعة الحال من ضمن الاسماء المذكورة في تلك القوائم.

كان القاء القبض على الشيوعي الهولندي فان دير لوبه مثار جدل استمر فترة طويلة كما ان البعض اشار الى احتمال تدبير النازيين لتمثيلية احراق البرلمان الالماني من أجل ايجاد مبرر لتصفية خصومهم والآن وبعد ان انقضى ذلك العهد فانني لا اتصور اقدام الحكومة على زج نفسها في صراع مصيري مع حزب قوي كالحزب الشيوعي وهي لا تزال في اول عهدها بالحكـم وتعريض الدولة كلها للخطر.

ولحد يوم الناس هذا لم يثبت بشكل قاطع تدبير الحريق المذكور من قبل جهة معينة. وعندما اعتقلت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وارسلت الى معسكر الاعتقال في ريغنسبرغ كان معي في زنزانتي المدير السابق لمكافحة الاجرام بوزارة داخلية بروسيا ويدعى هايسيغ. وقد قال لي الرجل بأنه كان أول من وصل من المسؤولين الى البرلمان بعد الحريق. فتأكد له من التحقيقات التي أجراها ان فان دير لوبه قام بنفسه بجميع الاستحضارات الضروريـة للقيام باحراق بناية البرلمان وانه جلب من هولندا كل ما يحتاجه من المواد الحارقة ويرى هايسيغ ان فان دير لوبه كان شيوعيا متطرفا يحب الشهرة

وشغوف باشعال النيران وقد سجلت له الشرطة الالمانية سوابق عديدة منها محاولة احراق دار البلدية في شونبيرغ ومحاولة احراق مؤسسة العمل ببرلين ومحاولة احراق قصر برلين • وعليه فانه يرى ان فان دير لوبه قام باحراق بناية البرلمان بتدبير ذاتي انفرد به وحده دون أي ايحاء من الحزب الشيوعي او من الحزب النازي•

ويبدو وفقا لهذه التحقيقات الجنائية المحضة ان النازيين استغلوا الحادث الى ابعد الحدود وركزوا دعاياتهم على توجيه التهم للحزب الشيوعي بغية الايقاع بأعضائه والقضاء على وجوده في المانيا • وتشير التحقيقات الجنائية المستفيضة الى استغلال هذه القضية سياسيا من قبل كل من هرمان غورنغ ويوسف غوبلز• ويبدو ان المستشار العدلي للدولة الالمانية فوغت ـ وهو وصولي معروف ـ أراد أن يثبت جدارته في الأوساط النازية فتطرف في اتخاذ الاجراءات الشديدة ضد الشيوعيين الألمان •

وبعد نشوب الحريق المذكور مباشرة سرت اشاعات واسعة في جميع ارجاء العالم وكلها تشير الى ان الحريق لم يقم به فان دير لوبه وانما تم بتدبير من هرمان غورنغ وقد ساعده في تنفيذه بضعة افراد من وحدات العاصفة وقائد وحدات العاصفة لمنطقة برلين أرنست[٤]• ولم يكن بالامكان خلال عهد هتلر التحري عن مدى صحة هذه المزاعم بطبيعة الحال• الا ان الشهود في محاكمات نورمبرغ حاولوا بذل قصارى جهودهم لألقاء التبعة على هرمان غورنغ[٥]• وبعد ان انتهى الجميع من اقوالهم قال غورنغ للفريق دونوڤان رئيس الخدمات السوقية الامريكية:

« ينبغي أن تصدقوا وتتيقنوا بأنني وانا مشرف على الموت سوف لن اكذب للتنصل من مسؤولياتي • وعليه فانني اؤكد لكم بأنني لم أقم بأدنى

(٤) قتل كارل ارنست ضمن من شملتهم تصفية هتلر لزمرة روهم في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ •

ـ المترجم ـ

(٥) حكم على مشير الدولة هرمان غورنغ بالاعدام الا انه انتحر قبيل تنفيذ الحكم •

ـ المترجم ـ

فعالية فيما يخص حريق دار البرلمان»[٦].

وعلى أية حال فان الحزب النازي استطاع ارهاب شركائه المحافظين وتحقيق التفوق الساحق عليهم بعد ان سدد ضربة قاصمة مضـادة للحزب الشيوعي قبل ان تتاح للشيوعيين فرصة التعرض عليه. ولربما كان حريق المجلس تمثيلية متقنة أو استغلال بارع استفاد منه رجل الدعاية النازي الماهر يوسف غوبلز الذي اتقن العمل من وراء الستار فحقق نجاحا مذهلا ظلل به مشاهديه من ابناء الشعب الالماني الذين غابت عنهم الحقيقة.

خاض الناخبون الالمان الانتخابات الجديدة في ٥ آذار ١٩٣٣ وهي انتخابات فريدة في تأريخ الشعب الالماني من حيث النتائج التي تمخضت عنها . إذ بينما كان عدد المصوتين الى جانب هتلر في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ مجرد ١١ر٧ مليون ناخب اصبح هؤلاء في الانتخابات الجديدة ١٧ر٢ مليون ناخب فأرتفع عدد المقاعد البرلمانية التي كسبها النازيون من ١٩٥ مقعد الى ٢٨٨ مقعد . ولم تحصل اية تغييرات تذكر على المقاعد التي كسبتها احزاب اليسار والوسط حيث حصل الاشتراكيون الديموقراطيون على ١١٩ مقعد أي بخسارة مقعدين وحصل الحزب الشيوعي على ٨١ مقعد أي بخسارة ٨ مقاعد بينما كسب حزب الوسط ثلاثة مقاعد فقط.

ولقد ثار فيما بعد كثير من اللغط فزعم الزاعمون ان النازيين لم يحققوا تلك النتائج الانتخابية الا بتأثير الارهاب وبتزييف الانتخابات. وهذا خطأ لا شك فيه. فلربما تأثر الناخبون بفرض حالة الطوارىء في اقليم بروسيا اعتبارا من ٢ شباط ١٩٣٣ مما حدد نشاط احزاب المعارضة في ذلك الاقليم فقط الا ان الاقاليم الالمانية الاخرى كانت خاضعة لوزير داخلية نظام ڤايمار.

(٦) اكدت عقيلة هرمان غورنغ الثانية السيدة ايمي غورنغ في كتابها ( وقفت الى جانب زوجي ) بأن زوجها كان شديد الوفاء لزوجته الاولى البارونة كارين فون فوك التي توفيت بالسـرطان عام ١٩٣١ وانه كان يحتفظ بمقتنياته الخاصة ومنها مجموعة صورها العزيزة على قلبه في مكتبه ببناية البرلمان وكان لاحتراقها مع ما احترق في الحادث المذكور رنـة اسى ظل يذكرهـا بحسرة وتقول انه ليس من المعقول ان يقوم بتدبير احراق البرلمان ويغفل نقل تلك الصور الاثيرة . ـ المترجم ـ

وثمة دليل آخر على نظافة تلك الانتخابات وأعني به حصول الحزب الاشتراكي الديموقراطي وحزب الوسط على نفس العدد الذي كسباه تقريبا من مقاعد البرلمان منذ ثلاثة عشر عاما من ذلك التأريخ.

حصلت كتلتي السياسية في تلك الانتخابات على ٣ر١ مليون صوت أي اننا كسبنا ٢٥ مقعدا في البرلمان الجديد بينما قفزت نسبة النازيين الى ٤٧٪ من جميع مقاعد البرلمان فحققوا بذلك اغلبية واضحة وتفوقوا على جميع الاحزاب.

ولست ادري من الذي اوحى لهتلر بفكرة الاحتفال بافتتاح المجلس الجديد في كنيسة حامية پوتسدام. اذ مما لا شك فيه انه حاول اضفاء مسحة من التقاليد الاحتفالية على ذلك الافتتاح لاسباب دعايوية محضة. ولعل مصدر الفكرة هو ما درج عليه ملوك بروسيا ثم امبراطوري المانيا بعدهم عندما كانوا يفتتحون مجالسهم النيابية باحتفالات ذات صبغة دينية.

ولشد ما استغربت من تصرف هتلر بتسلله من القاعة التي اقيم بها القداس لرغبته في البقاء بعيدا عن سماع الطقوس الكنسية فخففت ورائه محذرا من تعريضه نفسه وبالتالي حركته للنقد اللاذع بسبب هذا التصرف لأنه يمثل الامة برمتها في الاحتفال المذكور . وكان تصرفه قد نم عن اول حادث من نوعه أثرته عنه وتكرر فيما بعد في مناسبات مشابهة.

وتساءلت مع نفسي آنذاك . أهو التهيب من المجتمع أم الامتهان للكنائس ؟ ولو قرأنا الآن (أحاديث هتلر على المائدة) لوجدنا انه طالما استهزأ بالكنيسة مما يفسر لنا سر نفوره من حضور القداس في كنيسة حامية پوتسدام. وعلى ذكر (أحاديث هتلر على المائدة) فان المتمعن بدراستها يجدها حافلة بالمغالطات التأريخية . وواضح انه كان يمقت الكنيسة لكن خشيته من التعرض للنقد كان السبب في احجامه عن ذكر ذلك جهراً.

بدى هتلر اكثر غطرسة بعد ظهور نتائج الانتخابات وكان سروره قد فاق الحدود لذلك النصر الانتخابي. الا انالذي كدره هو عدم تضامن كتلتنا

السياسية في منهاجها السياسي مع حزبه. وقد أظهر لي دقة معلوماته بشأن فحوى خطاباتي الانتخابية مع تحفظه بصدد بعض الآراء التي اوردتها . اذ قال لي بهذه المناسبة:

« انك جندي قديم يا سيد فون پاپن . وانت تعرف القواعد القديمة التي تنص على وجوب الهجوم بأقوى كتيبة متيسرة. فاذا ما هجمنا سوية عندئذ سوف لن يتمكن احد من منازعتنا حول النجاح الذي سنحققه».

ثم ان هتلر ما لبث ان طالب بمنحه صلاحيات استثنائية تتيح له امكانية تطبيق الاصلاحات الاقتصادية التي اقترحها.ولم يحاول أبدا اخفاء نواياه بصدد الحصول على صلاحيات استثنائية. اذ كان على الاحزاب الاخرى ان تأخذ في حساباتها ان هتلر كان يسعى لاستصدار قانون الصلاحيات الاستثنائية منذ تشرين الثاني ١٩٣٢ أي قبل وصوله للحكم . وقد أدركنا أنا وأصدقائي من المحافظين ورجال الكنيسة بأنه اذا ما حصل على تلك الصلاحيات فسيحصل على ميزة اضافية جديدة بعد ان حاز اكثر من ثلثي مقاعد البرلمان.

ولقد طالب هتلر بالصلاحيات بكل وضوح في خطابه الذي القاه امام البرلمان يوم ٢١ آذار ١٩٣٣ ولما اقترع البرلمان على هذا الطلب ايده الأب كاس ممثل حزب الوسط ورتر فون ليكس ممثل حزب الشعب الباڤاري والسيد ماير ممثل حزب الدولة والسيد زمپفن دويرفر ممثل الحزب المسيحي الاجتماعي وبعد التلاوة الثالثة للمقترح أعلن رئيس المجلس هرمان غورنغ اقرار الطلب بتصويت ٤٤١ نائب لصالح هتلر مقابل ٩٤ نائب أي انه حصل على نسبة ثلثي الاصوات اللازمة . ثم اعلن غورنغ عن تأجيل التئام المجلس الى أجل غير مسمى.

ومما لا شك فيه ان حصول هتلر على الصلاحيات الاستثنائية المتتالية اوصله الى الحكم المطلق والغى دور الدستور وانهى دور البرلمان . ويتحمل وزر هذه الخطيئة جميع النواب الذين صوتوا لصالح هتلر شأنهم في ذلك شأن الوزراء الذين اعدوا لوائح الصلاحيات الاستثنائية.

تبين لي ان منصب نائب المستشار كان منصباً عديم الاهمية . فقد أوجد هذا المنصب خصيصا لي وقبلت تسنمه لكي أتمكن من خلاله قـدر المستطاع من السيطرة على تأثير هتلر المتوقع على الحكومة وتحديد فعالياته . الا ان هذا المنصب لم يتح لي أية فرصة للتأثير على الوزراء بدرجة قلت ام كثرت. اما العاملين معي في مكتبي فكانوا رجالا قلائل ولكنهم تميزوا بالكفاية الى ابعد الحدود اذ كان الدكتور زابات مديرا لمكتبي بدرجة وكيل وزارة وهو موظف كفوء يتمتع بخبرة ممتازة. وكان مستشاري القانوني السيد فون سافيغني رجلا حصيفا متمكنا من مهنته لدرجة كانت تعتمد معها الوزارات الأخرى على مشورته القانونية في مختلف اللوائح فيبدي بها آرائه السديدة التي لا ترد. وكان مدير ادارة الصحافة في مكتبي السيد فون بوسه الذي اورده موقفه المعارض لهتلر حتفه فقتل في تصفية يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤وكان معاونه البارون ڤيلهلم فون كيتيلر وهو عدو لدود للنازية وسأتحدث عنه في فصل لاحق باسهاب عندما اتطرق لواقعة وفاته في آذار ١٩٣٨ .

وكان معـاوناي الشخصيـان السيد فون تشيرشكي الذي فر الى بريطانيا عام ١٩٣٥ بعد ان شعر بتهديد حياته نتيجة لمضايقة شرطة الدولة السرية له .. وغراف كاغينيك الذي ادى به اخلاصه الى الاصطدام بالنظام النازي فلقي مصيره المحزن وسأتفصل في بحث واقعته في فصل لاحق.

لقد كان اخلاص تلك الزمرة العاملة في مقر نائب المستشار للوطن مدعاة لجعلها الملاذ الوحيد للتدخل في كثير من القضايا ومناقشة هتلر او غورنغ او فريك او غيرهم بغية التوصل الى تسوية بشأن التجاوزات القانونية او الانسانية . وكانت حصيلة ذلك ان افلحنا في ايجاد الحلول لكثير من المشاكل كما أننا أخفقنا أيضا في التوصل الى حل أو تسوية لكثير من القضايا .

لقد كان بودي ان استرسل في بحث الكثير من الامثلة على ما ذكرت

لكن المؤسف هو ان اوراقي اصاب بعضها الحريق او الفقدان كما انني نسيت التفاصيل الدقيقة لتلك الوقائع . لكنني أؤكد ان أغلب التدخلات التي اثمرت كانت اما لتخليص اناس من معسكرات الاعتقال او لكف الاذى عن منظمات ثقافية أو علمية أو سياسية أو دينية. ونظرا لتسلط النازيين على الصحافة آنذاك بصورة مطلقة فقد كنا نستعين بالصحافة الاجنبية لعرض وجهات نظرنا المناهضة لهتلر ونظامه.

لقد كنا نشكل نواة مقاومة هتلر بصورة فعلية ولم نكن من اولئك الذين يخشون من الافصاح عن آرائهم حتى لأقرب الناس اليهم ويكنون حقدهم على هتلر في قلوبهم ولكنهم لا يسمعون صوتهم حتى لأقرب الناس اليهم[٧] .

(٧) هذه ايمائة تنديد بالدكتور اديناور الذي ناصب المؤلف العداء .
ــ المترجم ــ

# الفصل الثامن عشر
# معاهدة مع البابا

**زيارتي لروما . محادثة مع البابا بيوس الحادي عشر . معارضة المتزمتين.مشاكل اجتماعية . الغاء صراع الطبقات.مشكلة اليهود. علم الصليب المعقوف . لون بلومبرغ المعروف . غوبلز يدخل في الحكومة . المشكلة البروسية . استقالتي من منصب حاكم بروسيا العام . معسكر الاعتقال . السياسة الخارجية . انسحاب المانيا من عصبة الامم . قضية النمسا . مشكلة السار .**

بذلت قصارى جهودي لأرساء الحكومة الجديدة على أسس مسيحية . وفكرت آنذاك بأنني اذا ما نجحت في هذا السبيل فستسهل علي بقية الأمور. ووجدت عند شروعي بمحاولتي هذه ان من المناسب عدم الاكتفاء بالتطمينات التي يقوم بها هتلر وانما الاعتماد على ضمانات قانونية جازمة لتأكيد حقوق الكنيسة المسيحية لاسيما بعد ان تفاقمت موجة الألحاد التي قام بها جناح متطرف من الحزب النازي. وعليه فقد قررت قضاء عطلة عيد الفصح في روما للتحري بصورة شخصية عن مدى امكانية التوصل لاتفاقية بين الفاتيكان والمانيا.

لم تكن هناك اية معاهدة بين الفاتيكان والمانيا منذ عهد الاصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر. وكانت بعض الاقاليم الالمانية ذات الاغلبية الكاثوليكية قد عقدت معاهدات مع الفاتيكان امثال اقليم باڤاريا. كما ان اقليم بروسيا ذو الاغلبية البروتستانتية كانت له اتفاقية مشابهة مع الكرسي البابوي. وكان حزب الوسط قد حاول في عهد حكومة ڤايمار اكثر من مرة التوصل الى تفاهم مشابه مع الكنيسة الكاثوليكية.

استقبلني موسوليني الذي عرفته بتلك المناسبة لأول مرة بحفاوة واضحة بدئا من وصولي للحدود الايطالية رغم الصفة الشخصية لزيارتي وأبدى استعداده لتسهيل اقامة علاقات جديدة بين المانيا والفاتيكان. وكان موسوليني قد أقام هو الآخر علاقات طيبة بين حكومته والكرسي البابوي .

وقد بدى لي موسوليني من عيار آخر يختلف تمام الاختلاف عن هتلر. فجرمه الأميل للربعة وسلاطة لسانه ونظراته المتعالية تجعل منه شخصية متسلطة بشكل واضح. بينما تعطيك شخصية هتلر شعورا بعدم اطمئنان واضطرار على التوجس . لقد كان موسوليني فظاً يحاول فرض شخصيته على الآخرين من أنداده .

كان أمين سر دولة الفاتيكان الكاردينال اويغينيو پاتشيلي ( الذي صار فيما بعد البابا بيوس الثاني عشر) قد مثل دولة الفاتيكان لدى المانيا طوال أحد عشر عاما . اذ اشتغل في أول الأمر في اقليم باڤاريا ثم في المانيا برمتها . وقد خدم الى جانبه بعد الحرب العالمية الثانية الأب الدكتور كاس الذي استقال من زعامة حزب الوسط في المانيا وآثر العمل لدى مقر دولة الفاتيكان في كنيسة بطرس.

بعد ان اجريت محادثاتي التمهيدية مع الكاردينال پاتشيلي استقبلني البابا پيوس الحادي عشر وحظيت انا وزوجتي بعطف قداسته وحنانه الأبوي واسبغ علينا فيض من بركاته وتمنياته لنا بالسعادة والحظ واعرب عن سروره بوصول هتلر الى الحكم لأنه وجد في ذلك الدليل على انتصار القوى المناهضة للشيوعية في المانيا. وسرعان ما اعد الفاتيكان الخطوط العامة للمعاهدة

المقترحة فأخذت مسودتها ورجعت بها الى برلين ثم خول الفاتيكان رئيس اساقفة فرايبورغ الدكتور غروبير فتعاونا أنا واياه بأفضل ما يمكن انيكون التعاون في هذا السبيل .

تقبل هتلر مقترحي بموافقة فورية أذهلتني . وكان أفضل ما في الاتفاقية هو منح الحرية التامة لمدارس الكنيسة الكاثوليكية وللمرة الأولى في المانيا كلها .

ولكي يدلل هتلر آنذاك على صدق نواياه تجاه الكنيسة رجاني ان أمثله رسميا في احتفال افتتاح مقر القاصد الرسولي بمدينة ترير وقد شارك معي في ذلك الافتتاح الرسمي عدد كبير من قادة الحزب النازي وقام رجالوحدات العاصفة بتنظيم الاحتفال واستقبال المدعوين.

وعلى اية حال فان الكاردينال پاتشيلي امين سر دولة الفاتيكانومساعده الدكتور كاس اعتبرا الاتفاقية المعقودة مع المانيا مكسبا كبيرا لأنها وحدت جهود الكنيسة الكاثوليكية مع جهود المانيا ضد موجة الالحاد التي كانت تهدد اوربا من الشرق.

ثم ان هتلر ابدى موافقته على التعجيل باتخاذ الاجراءات اللازمة لاقامة علاقات دبلوماسية طبيعية مع الفاتيكان وكلف وزارة الخارجية باتخاذ ما يقتضي لتنفيذ ذلك . وكان ان مثل وزارة الداخلية في المحادثات التمهيدية التي اجريت في تموز ١٩٣٣ مستشار وزارة الداخلية الدكتور بوتمان . وكان هذا الموظف القدير قد قدم لي افضل اسناد ممكن في هذا السبيل.

عندما سافرت الى روما ثانية في مطلع تموز ١٩٣٣ لوضع تفاصيل الاتفاقية المعقودة مع الفاتيكان بدأت محاولات الاحباط الجدية من بعض العناصر المهمة في الحزب النازي. وكانت حصيلة تلك المحاولات ان اراد هتلر اجراء بعض التغييرات على المسودة المقترحة الا انني افلحت في اقناعه بقبولها كما وضعت.

كنت أشاهد موسوليني كثيرا خلال وجودي في روما . وقد شجعني على التعجيل بابرام المعاهدة المقترحة مع الفاتيكان . وقال ان عقد الاتفاقية مع

الفاتيكان من شأنه ان يعزز مكانة المانيا في الاوساط الدولية • فرجوته بدوري ان يوعز لسفيره ببرلين كي يقول لهتلر كلاما بهذا المعنى• وقد وضح لي ان الدكتور يوسف غوبلز وزميله السيء الصيت راينهارد هايدريش[1] هما اللذين كانا وراء محاولات الاحباط المتعمدة لهذه الاتفاقية • فأضطررت على التحدث هاتفيا الى هتلر وقلت له ان الفاتيكان سوف لا يعترف به ندأ في الاتفاقية المقترحة ما لم يتخذ الاجراءات الفورية لوضع حد للمحاولات السرية التي يقوم بها بعض كبار النازيين من أجل احباط مشروع الاتفاقية • فطلب الي التأكيد للكاردينال امين سر دولة الفاتيكان بأنه سيمنع جميع محاولات التدخل غير المسؤولة•

في ٨ تموز ١٩٣٣ تم التوقيع بالاحرف الاولى على الاتفاقية المقترحة وفي ٢٠ تموز ١٩٣٣ تم التوقيع الرسمي على الاتفاقية باحتفال اقيم في مقر أمانة سر دولة الفاتيكان • ولم اكن سعيدا بعقد الاتفاقية المذكورة فحسب وانما كنت وطيد الامل بأنني نجحت في وضع الاسس القويمة لانشاء علاقات جديدة مع الفاتيكان • وكان شعور البابا وأمين سر الفاتيكان مشابها لشعوري• لأنهما فرحا كثيرا معي في تحقيق امنية عزيزة علينا هي اتاحة الفرصة للشبيبة الالمانية لتلقي العلوم الدينية في المدارس الخاصة بالكنائس لاسيما وان المنع الذي فرضته الدولة الالمانية كان مؤلما لنفوسنا بعد ان درج الالمان على تلقي العلوم الدينية في تلك المدارس منذ مئات السنين ولأننا كنا نرى مدى أهمية هذه الدراسة لشعوب وسط اوربا•

علمت فيما بعد بعض تفاصيل المحاولات المضادة لتوقيع الاتفاقية ومنها ان الدكتور غوبلز راجع هتلر وقال له انه يجب ان يبذل قصارى جهوده لتفادي التوقيع على هذه الاتفاقية (الشيطانية) ولكنه لم يدرك ان هتلر كان بحاجة ملحة لكسب ود الاوساط الدينية وانه كان حريصا على عدم اثارة

(١) كان راينهارد هايدريش نائبا لمدير الشرطة السرية ثم عين حاكما عاما لبوهيميا ومورافيا ( تشيكوسلوفاكيا بعد ضمها لالمانيا ) ولما اغتاله تشيكيان انتقم لمقتله النازيون بابادة سكان قرية ليديس عن بكرة أبيهم • — المترجم —

الشعب الالماني لأسباب دينية وتأليب المتدينين منهم ضده • ثم انني حاولت عقد اتفاقية مشابهة مع الكنيسة البروتستاتية الا ان المؤسف هو ان البعض حاول اتهامي بجعل الكنيسة مرتبطة بالحزب النازي • ولعل ما قاله الپاپا پيوس الثاني عشر (وهو الكاردينـال پاتشيلي الذي حاز منصب الپـاپا بعدئذ) اصدق دليل على برائتي من تلك التهمة الظالمة•

« ان الاتفاقية التي عقدتها المانيا مع الفاتيكان في عام ١٩٣٣ كانت محاولة لتحديد الحقوق القانونية للكنيسة قـد حققت الغرض المنشود منهـا رغم المحاولات المتعددة التي جرت لاعاقة تنفيذها• ومع ان الكثير من بنود تلك الاتفاقية قد أهملت أو تم التجاوز عليها الا أن البنود الأخرى التي لم تنقض كانت كافية لتسيير مصالح الكنيسة في المانيا آنذاك »•

اضف الى ذلك كله انني مارست طوال فترة وجودي في الحكومة أي لغاية ٣٠ حزيران ١٩٣٤ تأثيرا كافيا على هتلر لكي احقق تطبيق اكبر عدد ممكن من بنود الاتفاقية الموقعة مع الفاتيكان وضمان احترامها•

ولكي اقاوم فعاليات الاحباط المتوقعة فانني كنت قد انشأت « اتحاد العمال الكاثوليك الالمان » منذ سنة ١٩٣٣ وجعلت مقره ببرلين وحددت مهمته بالتصدي لأية نشاطات مناهضة لمصالح الكنيسة الكاثوليكية وانتدبت لرئاسة الاتحاد غراف تون • وبعد ان حصل انقلاب روهم الفاشل احتلت شرطة الدولة السرية مقر الاتحـاد والقي القبض على غراف تون ونقلـت اضبارات الاتحاد الى مكان مجهول بحيث اصبحت مواصلة فعاليات الاتحاد أمرا متعذرا فأعلنت بدوري حل الاتحاد المذكور •

الا انني استمررت على معالجة بعض القضايا بين آونة وأخرى بعـد خروجي من الحكومة ولكن فعالياتي هذه اصبحت غير ممكنة بعد وصول مارتن بورمان الى منصب مدير مكتب مستشارية الحزب النـازي وبعـد أن تجلى استبداد هتلر يوما بعد يوم وأظهر خبيئة امره بمناهضة الدين المسيحي بشكل سافر• وأصبحت انا بلا حول ولا قوة•

وكنت قد نجحت في عقد اتفاقية مشابهة بين حكومة المانيا والكنيسة البروتستانتية ولكن هذه الاتفاقية لم تحقق ما يستحق الذكر لأن تدخل النازيين لتعويق تنفيذها كان اشد من تدخلهم لتعويق تنفيذ الاتفاقية المعقودة مع الفاتيكان.

كانت المشكلة الاولى التي عالجتها الدولة الالمانية في عام ١٩٣٣ هي المشكلة الاجتماعية . اذ كان في المانيا ملايين العمال العاطلين الذين يبحثون عن عمل يقيمون به أودهم. وكنت قد وضعت ابان عهد حكومتي في عام ١٩٣٢ نظاما للتطوع للعمل يعمل بموجبه كل شاب وشابة لمدة سنة واحدة في أحد المشاريع الحكومية فتم تهافت الشباب على تسجيل اسمائهم في مكاتب العمل مما خفف الى حد كبير من أزمة البطالة المستشرية في البلاد من جهة ورفع من معنويات اولئك الشباب من جهة أخرى واتاح للدولة الالمانية فرصة تنفيذ مشروع طرق السيارات الواسعة[٢] مما حسن ارتباط اجزاء البلاد بمواصلات ممتازة. كما ان اجتماع الشباب بالشابات في هذا المجال اتاح فرص الزواج بنسبة أعلى وكانت حصيلة هذه الفعاليات اجتثاث معضلة البطالة من عروقها مما صرف الشعب الالماني عن توجيه الانتقادات للنظام النازي بسبب انشغاله بشتى الفعاليات الانتاجية.

وقد لاقت معالجة المشاكل الاجتماعية ورفع مستويات الطبقة العاملة ومنحها نفس حقوق الطبقات الاخرى في المجتمع استحسانا قويا بطبيعةالحال سواء في الوطن أو في البلدان الاجنبية .

وأرادت الحكومة الالمانية جعل يوم الاول من مايس «يوم العمل» ولم تقتصر الاحتفالات على العمال وحدهم وانما جعلته عيداً عاما للشعب العامل وأرادت أن تقيم احتفالا يسير به العامل الى جانب الموظف ورجل الاعمال والفلاح والتاجر لكن الحكومة اقدمت على اجراء مفاجيء في ذلك

(٢) تعتبر طرق السيارات الخارجية ذات الممر الواحد المسماة Autobahn من أفضل طرق السيارات في العالم وقد حذت كثير من الدول حذو المانيا في مد هذه الشبكة المتكاملة ولا تزال المانيا تنشيء طرق السيارات هذه باتجاهات جديدة . — المترجم —

اليوم بالذات عندما أعلنت حل نقابات العمال ولم تدرك الحكومة الالمانية آنذاك مدى النتائج المترتبة على ذلك الاجراء المغلوط.

لاحظت في تلك الفترة ان عداء الحزب النازي لليهود اصبح سافرا وعنيفا بصورة متفاقمة لدرجة صرنا نحن المحافظين نخشى من الانفجار المضاد للضغط المتواصل الذي تعرض له اليهود على الرغم من وضوح صورة التعامل الجشع لأرباب المهن الحرة من اليهود كالمحامين والاطباء والصحفيين وتسلطهم المقرف على الكثير من المرافق الثقافية الحيوية كالمسرح والسينما والصحافة حيث كان المجتمع الالماني دائم الشكوى من نشاطاتهم غيرالمشروعة ومهارتهم في طمس الحقائق. وقد اعترف اليهود انفسهم بجرائم الكثيرين منهم الذين خانوا الوطن الالماني وساهموا في نكبة عام ١٩١٨ في محاولة منهم لاستعادة مكانة اليهود بالمجتمع الالماني وتصحيح النظرة التي تجلت عنهم بوضوح[٣].

وقد عملت خلال فترة وجودي بمنصبي نائبا للمستشار التي امتدت لغاية ٣٠ حزيران ١٩٣٤ على اعاقة اقرار أية قوانين او نظم من شأنها الحاق الاذى باليهود حيث صدر ما يسمى(قانون نورمبرغ) والمناهض لليهود بصورة سافرة في ايلول ١٩٣٥ وهو قانون يندي له الجبين وكان فاتحة عهد اضطهاد اليهود في المانيا بصورة رسمية.

في ١١ آذار ١٩٣٣ صارحني هتلر بأنه تقدم برجاء للرئيس فون هندنبورغ لكي يسمح برفع العلم النازي في جميع ارجاء المانيا بمناسبة يوم الابطال الذي يصادف يوم الاحد التالي. فأعترضت قائلا ان معنى هذا ان يحل

---

(٣) من الحقائق المذهلة التي تكشفت بعد الحرب العالمية الثانية ان الصهيونية العالمية تعاونت مع النازية واستفادت من المبالغة في عرض مآسي اليهود وابادتهم بصورة منظمة استدرارا لعطف الحلفاء المنتصرين مما ساعد كثيرا في العزف على اسطوانة الظلم الذي اصاب اليهود الى يوم الناس هذا بقصد الحصول على المكاسب تلو المكاسب على حساب الشعب العربي الفلسطيني حتى أقاموا دولة العدوان في فلسطين ثم حصلوا على التعويضات المالية من حكومة المانيا الاتحادية واستمروا على التظلم وممارسة ظلم العرب بالوقت نفسه.
ـ المترجم ـ

العلم الموســوم بالصليب المعكوف بدلا عن علم المانيا ذي الالــوان الاسود والابيض والاحمر وقلت له ان حكومة ڤايمار كانت قد ارتكبت نفس الخطيئة عندما ابدلت علم المانيا الذي هتف له ابناء الشعب وسقط في سبيله مليونا جندي شجاع في الحرب العالمية الأولى لأنها أرادت الاستعاضة عنه بعلم ثورة ١٨٤٨ .

والمؤسف انني لم احظ بتأييد أي عضو من اعضاء الحكومة . فتوجهت نحو فون بلومبرغ[٤] لأنني توســمت أن يولي الموضوع اهتمامه بســبب العلاقة الوطيدة التى تربط الجيش بالعلم. لكنني اكتشفت ـ والمفاجأة تأخذ مني كل مأخذ ـ ان فون بلومبرغ لا يولي العلم الوطني ادنى اهتمام. وقد فاجأني بأنه يعتبر علم الصليب المعكوف رمزاً للدولة الالمانية . فلم يبق أمامي والحالة هــذه سوى اللجوء للرئيس فون هندنبورغ الذي كان رأيه بطبيعة الحال مطابقا لرأيي . ولكنه عندما فوتح بالموضوع من قبل هتلر وفون بلومبرغ وافق على رفع العلمين معا جنبا الى جنب . الا انني رغم ذلك عدت الى طرح الموضوع على مجلس الوزراء وطلبت استحصال موافقة البرلمان ولكن هذه الجهود لم تثمر هي الاخرى.

كانت تجربتي الفاشلة مع فون بلومبرغ الاولى من تجارب اخرى اعقبتها بعدئذ. فقد كانت الشائعات التي ترددت في ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٣ باحتمال وقوع انقلاب عسكري مدعاة لزيادة شك هتلر بولاء رئيس اركان الجيش الفريق الاول فون هامرشتاين اكوورد مما عزز موقف الوزير فون بلومبرغ في نظر هتلر . ولم يتحدث معي هتلر مطلقا بهذا الشأن لأنه خشي من وصول القضية الى اسماع الرئيس فون هندنبورغ طالما هو غير متأكد تماما من اسناد فون بلومبرغ له. ثم مــا لبث هتلر ان تقــدم للرئيس باقتراح اقــالة فون هامرشتاين اكوورد ورشح الفريق فون رايخناو بديلا له وكان الاخير يشغل

---

(٤) كان فون بلومبرغ وزيرا للدفاع . ـ المترجم ـ

منصب رئيس اركان حامية كونيغسبرغ[٥]، وهو معروف بميوله النازية منذ أمد بعيد لكن الرئيس لم يعطه اجابة فورية لأنه آثر استشارتي فيما بعد وقد قلبت معه الموضوع على كل الاوجه في مناقشة مستفيضة خلاصتها ان الرئيس فون هندنبورغ كان يحب الفريق الاول فون هامرشتاين اكوورد ويحنو عليه حنو الوالد المشفق ويقدره كجندي باسل الا أن فكرته عنه اعتراها الكثير من التغير بعد أن انساق فون هامرشتاين اكوورد وراء فون شلايخر خلال شهري كانون الاول ١٩٣٢ وكانون الثاني ١٩٣٣! ولكن الرئيس لم يشأ استبدال فون هامرشتاين اكوورد بفون رايخناو وقال لي في تلك المناقشة بكل صراحة:

« كلا ان فون رايخناو غير مقبول بالنسبة لي أبدا • فهو لم يتعلم اسلوب قيادة الضباط بعد ــ ولم يكن فون رايخناو قد تسنم منصب آمر لواء بعد ــ فكيف يمكنني أن أعهد له بادارة الجيش الالماني برمته ؟ » •

ثم استعرضنا مختلف اسماء قادة الجيش الالماني الكبار حيث كنت على معرفة وطيدة بجميع اولئك السادة الذين خدمت معهم في السلم والحرب طوال عشرين عاما ولمست سجايا كل منهم عن كثب فوقع اختياري منهم على الفريق البارون فون فريتش الذي اقترحت اسمه على الرئيس فون هندنبورغ وكان فون فريتش وفون هامرشتاين اكوورد زميلاي في أكاديمية الحرب طوال ثلاثة أعوام • وقد ألفت فون فريتش رجلا جديا ذي خصال حميـدة اضافة لكونه جنديا باسلا •

أما وزير الدفاع فون بلومبرغ فكان قد اتخذ قرارا آخر عندما قال لي :

« اخبر الرئيس فون هندنبورغ بأنني سـأستقيل في حالة عدم تعيين فون رايخناو رئيسا للاركان » •

فأجبته على التو بأن منصب الوزارة منصب سـياسي وله ان يتقـدم باستقالته متى شاء ولأي سبب •

---

(٥) كانت كونيغسبرغ عاصمة لبروسيا الشرقية وقد أصبحت الآن ضمن الجزء الذي استولى عليه الروس من هذه المقاطعة اثر الحرب الثانية حيث ابدلوا تسميتها الي ( كالينينغراد ) •

ــ المترجم ــ

وانني لشديد الأسف لأن الرئيس فون هندنبورغ لم يقبل استقالة فون بلومبرغ آنذاك . وقد اتخذ الرئيس قراره بتعيين البارون فون فريتش رئيسا لاركان الجيش الألماني خلفا للفريق فون هامرشتاين اكوورد .

وقد اثبت الرجل جدارة تدل على حسن اختياره للمنصب وخدم الجيش الالماني بمنتهى الاخلاص رغم انه تعرض لدسيسة قذرة دبرها له هملر في كانون الثاني ١٩٣٨ فازيح عن منصبه[٦] ولو بقي الرجل بمنصبه فترة أطول فلربما تعاون مع بيك من أجل تفادي كارثة الحرب العالمية الثانية[٧] .

شرع هتلر بتحطيم الأغلبية الوزارية المناهضة للنازية في ٣١ آذار ١٩٣٣ عندما دعا لرفع مستوى الدعاية لألمانيا في الخارج ورشح صديقه الدكتور يوسف غوبلز لتولي منصب وزير الدعاية. ولم يدرك أي منا آنذاك مدى اللعبة التي شرع بها لجعل أعضاء الوزارة جميعهم من النازيين . وعليه فما ان تسنم غوبلز هذا المنصب الا وباشر بتسخير الفن والصناعة والاقتصاد لأغراض الدعاية المحضة .

وسرعان ما أدركنا ـ نحن أعضاء الحكومة ـ ان زميلنا الجديد يتمتع بخبرة ومهارة وقدرة تنظيمية جيدة .

وقد لمست في هذه الفترة ان هتلر كان ذكيا لدرجة تمكن معها من كسب تأييد الأعضاء المحافظين في حكومته في مناسبات عديدة لأنه يتمتع بقابلية ممتازة

---

(٦) اتهم الفريق الاول البارون فون فريتش بقضية اخلاقية اثبت التحقيق الذي جرى بعدئذ بطلانها ولما نشبت الحرب العالمية الثانية كتب فون فريتش رسالة الى القائد الاعلى للقوات المسلحة يطلب فيها الاشتراك بالحرب فاعيد برتبته السابقة قبل توليه رئاسة اركان الجيش فحصلت الموافقة وعاد الى الخدمة بمنصب آمر مدفعية الفرقة ١٢ وقد قتل بصلية رشاش عند اجتياح وارشو في ١٧ أيلول ١٩٣٩ وأبنه رئيس الاركان فيلهلم كايتل في الامر اليومي مشيدا بأفضاله .

ـ المترجم ـ

(٧) يشير المؤلف هنا الى احتمال تعاون بيك مع البارون فون فريتش للقضاء على هتلر حيث اشترك الاول في المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر في ٢٠ تموز ١٩٤٤ واعدم مع الكثيرين من شركائه .

ـ المترجم ـ

للاقناع كما انه دأب على قطع المناقشات التي لا يحقق بها مقاصده والتوصل بعدئذ الى تسوية ترضيه نتيجة لمناقشة لاحقة يجريها مع الوزير المختص •

ولما كنت أنا بدون ديوان فلم يكن بمقدوري سوى عرض المسائل المهمة مبينا وجهة نظري بشأنها • ولم يكن بمقدوري أيضا القيام بأية فعالية بصفتي الرسمية ( نائب المستشار ) لأنه لم يكلفني قط بتمثيله في أية مناسبة •

كما ان الدستور لم يشر الى وجود نائب المستشار ولم يحدد صلاحياته وعليه فقد كنت بموقف اوهن من مواقف زملائي الوزراء • وقد تقوقع هؤلاء ضمن اختصاصاتهم بصورة جامدة الى أبعد الحدود فوزير الدفاع فون بلومبرغ كان مقتصر النشاط على كل ما يتعلق بالقضايا العسكرية البحتة ولم يعرض أي رأي أو يشترك بأية مناقشة تخص موضوعا غير عسكري •

وكان هذا أيضا حال البارون فون نويرات وزير الخارجية[8] الذي برع في بحث الأمور المتعلقة بالسياسة الخارجية اما ما يتعداها فلا • ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى البارون فون ايلتس روبيناخ[9] وزير البريد وسكك الحديد الذي دأب على بحث مختلف جوانب كل قضية قبل اقرارها • كما ان وزير العمل فرانز زيلدته كان يفتقر للتجربة السياسية الكافية للخوض بأي موضوع يخرج عن اختصاص وزارته وكان افتقاره لأي تصور سياسي مدعاة احتواء هتلر له واستمالته الى جانبه كليا •

والحق يقال ان وزير العدل الدكتور غويرتنر كان شديد الحرص على تطبيق العدالة والتمسك بالنصوص القانونية الا ان هتلر لم يأبه له وكان يتجاهل محاولاته اليائسة للتشبث بآرائه في مختلف المسائل وقد خاض الرجل

---

(8) اقيل البارون فون نويرات من الوزارة عام ١٩٣٩ وحل محله فون ريبنتروب الذي كان سفيرا لبلاده بلندن •
ولما خسرت المانيا الحرب أحيل الاول الى محاكمات نورمبرغ لمجرمي الحرب وتوفي بالسجن متأثرا بمرض عضال •
ـ المترجم ـ

(9) كان وزيرا للمواصلات في وزارة فون پاپن •
ـ المترجم ـ

صراعات مريرة في سبيل الحفاظ على الحرية الفردية للمواطن الألماني ووضع حد لتجاوزات رجال وحدات العاصفة .

ومع ان وزير المالية غراف شفيرين كروسيك[١٠] قد حـاز اعجاب هتلر لاحاطته الواسعة بشؤون بريطانيا مع كونه واجهـة جيـدة لتحسين علاقات حكومتنا الجديدة بحكومتها الا أنـه لم يكن بنظري ذلك الرجل الذي يمثل المحافظين الالمان باتخاذ القرارات الحاسمة او التصدي لهتلر . ولذلك فقد بقي في حكومة هتلر من يومها الاول الىيومها الأخير حيث تولى بعدسقوطهاوزارة الخارجية في حكومة أمير البحر دونيتز التي حكمت اسميا بضعة أيام وشهدت انهيار المانيا التام . وكنت قد سألته ــ بصفته صديقي المخلص ــ في عام ١٩٤١ عن رأيه بمستقبل الحرب فأجابني آنذاك :

« لقد كان هتلـر على حق في كل ما فعل آنفـا فلم لا يكون كذلك مستقبلا ؟ »

في هذه المرحلة من تأريخ المانيـا كان اكثر اصدقائي يولون النازية كل عواطفهم حتى صديقي البارون فون ايلتس ــ وهو كاثوليكي متحمس ــ كان من المعجبين بهتلر الى اقصى الحدود .

ويذكر فرانسوا پونسيه[١١] ان غراف شفيرين كروسيك عنـدما سمع بحادث حرق البرلمان هتف بسرور :
« الحمد لله الذي أحرق ذلك الكوخ » .

لاحظت في مطلع اشتغالنا بعد تشكيل حكومة هتلر ان جميع أعضـاء الحكومة كانوا حريصين على التقرب من رئيس الحكومة الجديد والتزلف اليه وعدم توجيه اي نقد للحكومة لتهيبهم من شـدة بأسه وعنفـه مع خصومه السياسيين ولبراعته في عزل خصومه السياسيين وتقييدهم من الناحيةالانسانية

(١٠) كان غراف شفيرين كروسيك وزيرا للمالية أيضا في وزارة فون پاپن .
ــ المترجم ــ

(١١) كان فرانسوا پونسيه سفيرا لفرنسا ببرلين وهو من الذين عاصـروا فترة حكم هتلر حتى نشوب الحرب العالمية الثانية وتميز بتقديراته السياسية الصائبة .
ــ المترجم ــ

على الاقل . وسرعان ما وجدنا أنفسنا بصورة تدريجية خصوما الداء لخصومه السياسيين الذين صاروا يشعرون من جانبهم نحونا نفس الشعور .

أما الوزراء النازيون فكان منهم ڤيلهلم فريك وهو رجل بلا وزن لأنه كان موظفا من موظفي الدولة القدماء المجبولين على الطاعة والنظام ولم يكن يتكلم الا اجابة عن سؤال يوجه اليه . الا أن الوزراء المحافظين الثمانية كانوا حذرين جدا من التعامل مع الوزيرين النازيين الآخرين هرمان غورنغ ويوسف غوبلز فهما ثائران من طراز رجال الثورة الفرنسية ولهم الحق في هذا الحذر لأن هذين السيدين كانا يعالجان كل قضية بوسائل ثورية لم نكن نألفها وكانا يتدفقان حماسا وشدة .

ولست أنسى يوم اختلاف أولهما معي بوجهات النظر حيث استدعيته وقلت له انه في حالة عدم انسجام آرائنا يمكنه تقديم استقالته فاستشاط غضبا وضرب المنضدة بقبضته قائلا :

« لن أخرج من هذا المنصب الا محمولا » .

الا ان غوبلز كان يختلف مع غورنغ من حيث طريقته في ادراك أهدافه فهو يحقق مقاصده بالاقناع والتروي ويتبع سياسة النفس الطويل وقد نجح في استمالة الكثيرين من زملائه بوسائله الودية مع تمسكه الشديد بآرائه وايمانه بها .

في ٢٧ نيسان ١٩٣٣ أعلن الوزير فرانز زيلدته عن انضمامه للحزب النازي فتحول بذلك وزير محافظ الى وزير نازي مما غير حالة التوازن السابق لصالح النازيين . وفي ٢٩ حزيران ١٩٣٣ استقال وزير الزراعة هوغنبرغ رغم محاولاتي المتعددة لاثنائه عن رغبته فحل محله في الوزارة ڤالتر داريه وكان هذا عضوا قديما في الحزب النازي .

وهكذا تحولت الموازنة كليا لصالح النازيين على حساب المحافظين . وفي هذه المرحلة تحول عدد كبير من المحافظين وغيرهم الى صفوف النازية . والآن ربما يتسائل البعض عن أسباب هذا التحول فاجيبهم قائلا بأن العهد

الذي عاشه هؤلاء كان عهد الافكار السياسية المتضاربة ولكل امرىء الحق في اتباع النهج السياسي الذي يؤمن بصوابه •

وبينما كان موقفنا نحن المحافظين في تدهور مستمر وجـدت ان العبء الذي تفاقم بعد ٥ آذار ١٩٣٣ لادارة النضال ضد النازية قد وقع على كاهلي لا سيما بعد ان استطار شر عصابات وحدات العاصفة وشرطة بروسيا التي كانت بقيادة هرمـان غورنغ حيث سـيطرت هاتان القوتان على الشارع واخـذتا تقضيان على خصوم النازية وتشيعان الذعر في نفوس المواطنين الالمان في كل مكان من بلادنا •

وكنت لا أزال في الفترة بين ٥ آذار و ٧ نيسان ١٩٣٣ قومسيرا عاما لولاية بروسيا ورئيسا لوزرائها بصورة رسمية • وبعد حرق البرلمان الالماني شـرعت الشرطة الالمانية بتعقيب الشيوعيين واستئصال شأفتهم بمعاونة حرس الحماية• وكثيرا ما اصطدمت بغورنغ بعد ٥ آذار ١٩٣٣ عنـدما افهمته مرارا بأنني لن اسمح بأي تعيين في المناصب المهمة للشرطة البروسية ما لم احصل على قنـاعة تامة بضرورة تسمية الشخص المرشح للمنصب المقترح الا ان غورنغ كان دائم التمرد على أوامري وكانت حصيلة هذا التناقض بيني وبينه ان ضعف مركز مدير شرطة برلين أمير البحر فون ليفتسوف ومدير شرطة منطقة الروهر العقيد فون هايده كامبف • وفي هذه المرحلة أفلح غورنغ بتسديد ضربة قوية لي عندما تمكن من استمالة مدير مكتبي غريتسباخ الذي تحول للعمل بمكتب غورنغ فبقي معه سنين طويلة •

وكنت قد اقترحت على الرئيس في ٦ شباط ١٩٣٣ اعادة اجراء الانتخابات من أجل تحسين موقفنا السياسي في اقليم بروسيا الشـرقية وقد جرت هـذه الانتخابات في ٥ آذار ١٩٣٣ وتمخضت عن حصول النازيين على ٢١١ مقعدا بينما حصلت كتلتي السياسية على ٤٣ مقعدا فكونا معا الائتلاف الحكومي •

ولو كنت قد جمعت كل الفئات السياسية ـ عدا الشيوعيين ـ مع كتلتي لما تجاوز مجموعنا ٢٠٠ مقعد فقط ولبقى النازيون متفوقين علينا بـ ١١ مقعدا وهكذا لم أجد أمامي أي مسلك آخر سوى الاستمرار على الائتلاف السابق•

لم تنشأ في عهدي أية معسكرات للاعتقال في ولاية بروسيا ولما صدر قانون انشاء شرطة الدولة السرية[12] في ٢٦ نيسان ١٩٣٣ عين رودولف ديلز مديرا لتلك المنظومة وقد كتب الرجل في مذكراته بأن جهازه حرص على التمسك بالقوانين المرعية طوال فترة اشتغاله وقال ان غورنغ اختاره لهذا المنصب بسبب خبرته السابقة في الاشتغال بالشرطة لمدة طويلة • وقال انه بذل قصارى جهوده لاقناع غورنغ بالالتزام بالقوانين ولكن دون جدوى •

وعلى الرغم من كثرة اللغط الذي انتشر بعد الحرب العالمية الثانية عن معسكرات الاعتقال فانني أعتقد بأن الممارسات اللا قانونية لم تحصل قبل عام ١٩٣٤ ولم أعلم بتفاصيل الافعال التي قام بها رجال شرطة الدولة السرية أو ما حدث في معسكرات الاعتقال من أعمال منافية للقوانين الا في محاكمات نورمبرغ بعد عام ١٩٤٥ • والمؤسف ان موجة العنف التي مارسها رجال شرطة الدولة السرية في معسكرات الاعتقال شملت البعض من أخلص اصدقائي امثال الجراح النطاسي زاوربروخ والشاعر يوهست وعالم الاقتصاد المشهور هيالمار شاخت •

وفي مطلع سنة ١٩٣٤ عزل مدير الشرطة رودولف ديلز وحل محله هاينريش هملر يعاونه راينهارد هايدريش[13] •

---

(١٢) هي المنظومة التي اشتهرت بعدئذ باسم Gestapo وهذا مختصر لعبارة (Geheim Staats Polizei) وقد رأسها هاينريش هملر فطارت شهرتها بعد ان أصبحت جهاز قمعي من الطراز الاول سيطر على اوربا المحتلة بقبضة من حديد . — المترجم —

(١٣) عين هايدريش بعدئذ حاكما عاما لبوهيميا ومورافيا ( وهما اقليما تشيكوسلوفاكيا بعد ضمها لالمانيا ) وقد اغتاله التشيكيون يوم ١٩ مايس ١٩٤٢ بالقاء رمانة انكليزية الصنع على سيارته المكشوفة ببراغ فانتقم الالمان لمقتله بأبادة آلاف من ابناء تشيكوسلوفاكيا المناهضين لالمانيا ومنهم القاتلان اللذان اغتالا هايدريش ثم قتلوا سكان قرية ليديس يوم ٩ حزيران ١٩٤٢ عن بكرة ابيهم انتقاما لاغتيال هايدريش •

— المترجم —

وكان نهج السياسة الخارجية لحكومة هتلر ابان فترة الأئتلاف واضحا تمام الوضوح ويتلخص برغبتنا في استعادة سيادة المانيا الكاملة والمساواة في التسلح مع الدول الاخرى وكسب حقنا في وضع الاسس الدفاعية لبلادناوازالة جميع التحديدات المفروضة على المانيا نتيجة لخسرانها الحرب العالمية الاولى والتعاون مع الاقطار الاوربية الاخرى لتحقيق السلام في اوربا •

وكانت تصريحات هتلر الرسمية لا تتجاوز هذا الاطار • وقد عرض هذا النهج على البرلمان الالماني في مايس ١٩٣٣ فأيدته جميع الاحزاب ومنها الحزب الأشتراكي الديموقراطي والزعيم السياسي سيفرينغ الذي أعلن فيما بعد ( وبالتحديد في عام ١٩٤٧ ) بأنه توقع منذ ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ بأن هتلر سائر بالمانيا نحو الحرب • والمؤسف انه لم يكن السياسي الوحيد الذي صحح موقفه وصرح خلاف ما كان يعتقده صوابا في عام ١٩٣٣ •

والى جانب المعضلات الرئيسية التي كنا بصددها آنذاك صادفتنا ازمة استأثرت بالكثير من اهتمامنا ألا وهي مشكلة الاقليات القومية • فقد أعلن الرئيس الامريكي وودرو ويلسون مبدأه المشهور ذي النقاط الاربع عشر الا أن النظرية لا تنطبق على كل أقلية قومية • فهذه بادرة تؤثر على نهوض الأمم التي تنشد الارتقاء وتشتت جهودها • ثم ان بعض هذه الاقليات القومية ابدت شططا في المطالبة بحقوقها وأدت مغالاتها الى بروز خطر كبير أحدق بالسلام في وسط اوربا • ولم يكن هتلر هو الذي اوجد هذه المشكلة ولكنه تصدى لاعتراضات التشيك ومطامع البولنديين وهم السعاة الحقيقيون لاثارة الحرب العالمية الثانية •

وجدت لزاما علي في تلك الفترة ان اوضح لهتلر اسس المنهج الواجب اتباعه وكانت حصيلة محادثتي معه ان أعلن امام مجلس النوّاب في مايس ١٩٣٣ احترام حكومته لحقوق الاقليات القومية سواء في المانيا أو خارج المانيا • ولو التزم هتلر بكلامه هذا لما اخل بالعهد الذي قطعه لتشامبرلن رئيس وزراء بريطانيا في ١٥ آذار ١٩٣٩ ولما حاول القضاء على وجود تشيكوسلوفاكيا•

وفي ٢٥ مايس ١٩٣٣ تحدثت الى ممثلي اربعين الفاً من الاقليات القومية الالمانية محاولا ايجاد السبيل للتفاهم والتعاون مع ابناء جلدتهم تجنبا لأي خطر يهدد السلام في اوربا.

وكان على السيد ويلسون ان يدرك بأن الحق الذي اعطاه للاقليات ينطبق على جميع الشعوب واذا أخذنا الشعب الالماني بوضعه الراهن بعد الحرب العالمية الثانية للاحظنا ان هذا الشعب تعيش مجموعات منه فيما لا يقل عن ٢٠ دولة ومعنى هذا ان لكل الاقليات الالمانية حقوقاً أعلنها السيد ويلسون في بيانه المشهور الذي أصدره قبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى. كما انثلث الشعب الالماني يعيش الآن خارج حدود الوطن الالماني.

وهذه النسبة الكبيرة تبرر المطالبة بحقوق الملايين الكثيرة من الالمان التي أضطرت على العيش كأقليات في أقطار عديدة . وانني أرى بأن تمزيق المانيا وجعلها مقسمة على غرار دويلات البلقان من شأنه ان يحرم البشرية من المنافع المترتبة على وحدة الامة الالمانية ويحرمها كذلك من المزايا الاقتصادية والصناعية ويعقد العلاقات الانسانية فالوحدة هي الأمل الوحيد لتقدم الامم وازدهار حضارتها.

والآن وبعد حصول كارثة انهيار المانيا في الحرب العالمية الثانية شرع الحلفاء الغربيون بتحقيق الحل الاوربي الذي سبق ان ناديت به مراراً.

في هذه الفترة توصل هتلر الى قرار الكف عن التوسل بعصبة الأمم من اجل استحصال الموافقات على اعادة تسليح المانيا والاعراب عن غضبنا بالامتناع عن المساهمة في أي مؤتمر يعقد للبحث في موضوع التسلح مستقبلا . وقد ايدته في رأيه هذا الا انني ابديت اشد مقاومة في موضوع قطع علاقات المانيا بعصبة الامم وبذلت كل ما املك من طاقة ومن جهدلاقناع هتلر بالتراجع عن قرار انسحاب المانيا من عصبة الامم ولكن محاولاتي ذهبت ادراج الرياح وعلى الرغم من تأييد وزير الخارجية البارون فون نويرات لآرائي وتأكيده للاخطار التي تنطوي على انعزال المانيا عن المجتمع الدولي الا انه لم يتجاسر على عرض آرائه هذه على مسامع هتلر ولما طلبت

الى البارون فون نويرات مرافقتي الى ميونيخ للاشتراك معي في محاولة ثني المستشار هتلر عن قراره بانسحاب المانيا من عصبة الامم اعتذر متهيباً من غضب هتلر • وعليه فقد سافرت وحدي بالقطار فوصلت ميونيخ مساء يوم جمعة وتوجهت مساء السبت الى منزل هتلر الذي كان منزلا ظاهر البساطة الى درجة ملفتة للنظر فتحدثت اليه عن كثب زهاء الساعة فتذرع بعدم قدرته على الاخلال بقرار اتخذه الحزب النازي لأن ذلك من شأنه اضعاف مركزه الشخصي• لكنني الحفت في الطلب وعرضت المسببات لدرجة جعلته يعد بالتمعن بالقرار في هدأة الليل على امل موافاتي بقراره الحاسم في صباح اليوم التالي•

وفي صباح يوم الاحد وافاني هتلر للفندق ـ وكنت اقيم في فندق الفصول الاربعة ـ وتلقاني بنظرات براقة على عتبة غرفتي قائلا:

« الآن يا عزيزي السيد فون پاپن اصبح من الواضح لي تماما بأنني ليس امامي أي خيار سوى ترك عصبة الامم • فهذا انفصال لا رجعة عنه وكل ما سواه هباء »•

فوجدت ان اية محاولة اخرى بهذا الصدد ستكون عديمة المعنى•

ولقد حاول هتلر كسب تأييد الشعب الالماني لهذا القرار الحاسم المتعلق بالسياسة الخارجية•فتقدم باستفتاء شعبي عام في ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ عن مدى تأييد الامة الالمانية لهذه الخطوة السياسية • ووجدت لزاما علي تأييد هذه الخطوة بعد ان اصبحت امرا واقعا لا مفر منه فأقيم احتفال شعبي كبير حضره الرئيس فون هندنبورغ والمستشار هتلر ووزير الخارجية البارون فون نويرات ودعوا فيه للسلام واعقب ذلك احتفال آخر برعاية المستشار في مدينة ايسن امام ممثلي نقابات العمال القيت به خطابا اوضحت به اهداف حكومتنا السلمية من الانسحاب من عصبة الامم•

وسرعان ما تعاقبت اخطاء هتلر السياسية مما اضطرني الى توجيه نقد مباشر لاعمال الحكومة في اجتماع عقد بمدينة ماربورغ• وكان اشد

ما سائني تدهور العلاقات الالمانية ـ النمسوية بصورة مضطردة لدرجة أعاقت تعاون الدولتين الناطقتين بالالمانية . ووقعت وطأة المعضلة على كاهل وزارة الخارجية الالمانية وكانت فعاليات النازيين النمسويين هي الدافع الاول لتدهور العلاقات الرسمية بين الدولتين.

وكان هتلر قد عين السيد تيو هابشت رئيسا للحزب النازي النمسوي وفتح له مقرا في ميونيخ فجد هذا بالعمل من اجل تحقيق الوحدة المنشودة لا بالاقناع والتنظيم وانما باللجوء للعنف والارهاب.

في ١٠ أيلول ١٩٣٣ اقيم بفينا احتفال كبير بمناسبة مرور مائتين وخمسين عاما على الانتصار الكبير الذي حققته النمسا على العثمانيين . وقد اقترحت على هتلر استغلال هذه المناسبة وارسالي الى ڤينا بقصد اعادة المياه الى مجاريها واستئناف العلاقات الرسمية الوثيقة مع النمسا . لكنني صادفت القليل من الحماس لهذه الفكرة في اوساط الحكومة وكان ان رفضها هتلر هو الآخر . ثم ما لبث هتلر ان القى خطابا في يوم ١٠ أيلول ١٩٣٣ نفسه في قصر الرياضة قال فيه:

« ان التأريخ المأساوي للامة الالمانية الذي لم يعتبر الساسة الالمان من خصائصه بسبب قصر نظرهم لأنهم لم يتفهموا روح التطور التأريخي او لأنهم يوجهون اهتماماتهم نحو منافع صغيرة رهينة بالوقت الحاضر ومن المؤسف ان الاحتفال المقام اليوم في ڤينا ما هو الا جزء من التضليل الذي يمارسه اولئك الساسة ازاء الامة الالمانية برمتها».

في ايلول ١٩٣٣ حاول الاشتراكيون الديموقراطيون النمسويون اغتيال المستشار النمسوي الدكتور دولفوس. ولكنهم فشلوا في تلك المحاولة. وقد وجدت انا واصدقائي ان هذه مناسبة جيدة لتحسين العلاقات الالمانية النمسوية فتقدمنا الى هتلر باقتراح لارسال برقية للاعراب عن تهانيه الحارة بمناسبة نجاة المستشار النمسوي من محاولة الاغتيال اذ لابد ان تكون هذه البرقية ايماءة كريمة لازالة التوتر القائم بين الدولتين . وكان وزير الخارجية البارون فون نويرات متمتعا باجازته آنذاك ولكي أعطي لمقترحي هذا وزنا

اكثر فقد رجوت وزير الدفاع الفريق الاول فون بلومبرغ اسنادي في هذه الفكرة وكان أن وافق الرجل وطار معي في اليوم التـالي برختسغادن حيث صحبنا مرافق وزير الدفاع وفريتز فون تشيرشكي. وكان هتلر قد ارجأ الاحتفال بيوم الرياضة المزمع اقامته في شتوتغارت الى اليوم التالي. ولما وصلنا الى موئل هتلر اقترح علينا مرافقته بالسيارة الى تيوركنهـايم القريبة من شتوتغارت . ثم ما لبث البارون فون نويرات ان قطع اجازته بناء على رغبة هتلر والالتحاق بنا وحضور احتفال يوم الرياضة.

وقد اوضحت انا وفون بلومبرغ خطتنا لهتلر فرحب بالمقترح وقال :
« اذاً أرى ان من الضروري ارسال برقية التهنئة حالا. ما رأيك يا سيد فون نويرات ؟».

فقال فون نويرات ان فكرة المقترح جديدة عليه تماما . ثم رحب فون نويرات بكل ما من شأنه اعادة العلاقات الالمانية النمسوية الى حالتها الطبيعية لكنه اردف قائلا :

« لكنك بعملك هـذا ستضرب الحزب النازي النمسوي من الخلف يا سيادة المستشار ».

فامتقع وجه هتلر والتفت نحوي ونحو فون بلومبرغ قائلا :
« ان لوزير الخارجيـة رأي وجيـه ولابد أنكما تقـدران رأيه أيهـا السيدان ».

ولما حاولنا ايضاح وجهة نظرنا لم تنفع معه حججنا وما لبث ان نهض وغادر المكان غاضبا.

ان العودة الى تطورات السياسة الخارجية الالمانية خلال السنة الاولى من عهد هتلر تجعلنا نشعر بخيبة الامل حتى في معالجة قضية اقليم السار التي كانت بذرة نشوء العلاقات السياسية المبنية على سوء الظن بين المانيا وفرنسا. وكانت علاقاتي الوطيدة مع اهالي اقليم السار ـ وهو أمر يعرفه هتلر حق المعرفة ـ السبب الذي حدى به لتسميتي المسؤول المباشر عن كل القضـايا المتعلقة بموضوع اقليم السار . وهكذا وجدت لنفسي ما يشغلني بصورة

رسمية لأول مرة في ذلك العهد واصبح بمقدوري معالجة القضايا المذكورة مع الوزراء المعنيين بشكل مباشر . وكانت أول قضية عالجتها بصفتي الجديدة من القضايا العويصة التي اصطدمت بها بالحزب النازي. ذلك لأن الكاثوليك كانوا يشكلون أغلبية السكان هناك وكان الحزب الاشتراكي الديموقراطي قويا بينما كان تمثيل الشيوعيين ضعيفا . وكانت جميع الاحزاب تتمتع بكامل حريتها السياسية . ومن الطبيعي ان المحافظ الالماني ــ وهو نازي متحمس ــ كان منحازا للنازيين الى درجة التطرف المفضوح مما جعلني اتحسب من مغبة نشاطاته خشية ان تؤدي الى نتائج معكوسة لاسيما وان الرجل شرع باللجوء الى الوسائل الارهابية. ولما كنت على ثقة من ان النتائج ستكون لصالحنا فلم اشأ ان يقال عنا بأننا حققنا الحاق اقليم السار بألمانيا نتيجة للتهديدات او الوسائل القسرية الاخرى. وعليه فقد رجوت هتلر تبديل ذلك المحافظ فورا واعطاء الحرية السياسية للاحزاب العاملة في منطقة السار حتى ظهور نتائج التصويت.

وكان من رأيي آنذاك اننا يجب ان نتوصل الى تفاهم بشأن السار مع فرنسا لأننا لابد ان نتودد لجارتنا لكي نخفف من وطأة المرارة التي ستصيبها بعد اعلان نتيجة التصويت المؤكدة لصالحنا .وكان ان اقترحت عدم استثارة فرنسا وعدم اعطائها أية ذريعة لتأجيل التصويت المقرر اجراؤه في عام ١٩٣٥.

ولقد تبين لي آنذاك بأن وزارة الخارجية الفرنسية كانت على بينة من حقيقة الموقف السائد لكنها كانت تأمل الحصول على نسبة عالية من الاصوات بسبب تخوف السكان من هتلر او المطالبة باعلان الاقليم منطقة دولية محايدة بين البلدين . وقد كتب السيد ريجيه دي ڤيراي امين سر لجنة مايري المعروفة في كتابه الموسوم (١٩٣٥ــسلام مع الالمان؟) قائلا:

« لم تعد للفرنسيين منذ احتلالهم لاقليم الروهر(١٤) بصيرة تريهم حقيقة الطبائع الالمانية وشكوك الالمان بشأن اقليم السار.

وكان تصورنا في فترة ارتقاء هتلر ووصوله للسلطة ان الالمان سوف يحصلوا على نسبة ٩٥٪ من الاصوات عند الاقتراع بشأن السار وكان المستشار الألماني الأسبق فون پاپن قد اقترح في آب ١٩٣٢ عقد اتفاقية المانية ــ فرنسية بشأن السار.

لقد كان يبغي عدم ايجاد أية حساسية بين البلدين بسبب أرض معينة. فهو يعلم ان الأقليم الماني بأرضه وسكانه وعليه فقد آثر التوصل الى ترضية مع فرنسا. وابدى استعدادا لاعطاء فرنسا نسبة مقنعة من منتجات الاقليم المذكور لقاء اعترافها باعتباره جزءا من الوطن الالماني. ولم يفكر احد بالطلبات الالمانية السابقة ..».

ولقد قبل هتلر بالمقترح الذي عرضته عليه للتوصل الى اتفاقية وديةمع فرنسا فكتب مرة:

« لا يمكن للمرء ترك سكان السار يعانون من ضغطين متناقضين يمثل كلا منهما نظام دولة كبرى وهم على ارضية منزلقة يتهددهم الخوف على مصيرهم ولذا فان لسكان السار الكلمة الاخيرة في تقرير مصيرهم ».

وكان السيد ريجيه دي ڤيبراي مدركا لحقيقة الموقف وقد ذكر بأن

---

(١٤) تدهورت قيمة المارك الالماني منذ عام ١٩٢١ نتيجة للتضخم فاصبحت قيمة الدولار ٧٥ ماركا وفي عام ١٩٢٢ صار ٤٠٠ ماركا وفي ١٩٢٣ صار ٧٠٠٠ ماركا مما حدا بالحكومة الالمانية ــ حكومة ڤايمار ــ استمهال الحلفاء لها بارجاء تسديد اقساط التعويضات المفروضة عليها فرفضت فرنسا ذلك ولما تأخر ارسال شحنات الخشب الالماني الى فرنسا امر رئيس الوزراء الفرنسي بوانكاريه ( الذي كان رئيسا للجمهورية الفرنسية ابان الحرب العالمية الاولى ) باحتلال اقليم الروهر الصناعي في كانون الثاني ١٩٢٣ الى ان يسدد الالمان اقساط التعويضات المقررة اثمانها من المواد العينية بينما تدهور المارك الالماني بعد احتلال الروهر فبلغت قيمة الدولار الواحد ١٨٠٠٠ مارك وفي تموز ١٩٢٣ صار سعر الدولار الواحد ١٦٠ الف مارك وفي آب ١٩٢٣ وصل سعر الدولار الواحد مليون مارك الماني. ــ المترجم ــ

موضوع السار كان يمكن ان يكون مجالا جيدا لوضع اسس علاقات المانية فرنسية ودية ولذا فقد ابدى اسفه الشديد لأن الفرنسيين اهملوا كل المقترحات الالمانية في هذا السبيل.

واني اذ استشهد بآراء هذا الفرنسي الوطني فلابد ان اشير الى خطأ تقديرات السفير الفرنسي ببرلين آنذاك السيد فرانسوا پونسيه والتي ظهرت بمذكراته التي نشرت بعد الحرب العالمية الثانية. واخشى ما أخشاه هو ان يسترسل الرجل بممارسته نفس الاخطاء بعد تعيينه عام ١٩٥٢ بمنصب الحاكم السياسي الفرنسي للقطاع الذي تحتله فرنسا من المانيا المندحرة.

في كانون الثاني ١٩٣٤ زار السيد انطوني ايدن[١٥] برلين وقد حاولت من جانبي كسب تأييده لخططي بشأن اقليم السار فأقترحت مساهمة بريطانيا في ازالة التوتر الفرنسي ـ الالماني وكان معنا السيد جيوفري نوكس ممثل بريطانيا في اللجنة الدولية لادارة اقليم السار لكن الوزير البريطاني أجاب اجابة فاترة بقوله ان القضية لا تهم بريطانيا لأنها من اختصاص عصبة الامم ولم استغرب منه هذا الرد وفي ٢ حزيران ١٩٣٤ قدمنا مذكرة الى اللجنة الثلاثية في عصبة الامم طلبنا فيها منع ممارسة اية ضغوط او تهديدات على الاشخاص بقصد التأثير على تنائج التصويت الشعبي في اقليم السار وحملهم على مناهضة المانيا . والطريف ان السيد جان لويس بارثو وزير خارجية فرنسا آنذاك قدم مذكرة الى عصبة الامم في ٣١ آب ١٩٣٤ يرجوها ارجاء موعد الاقتراع أو التحفظ عليه في حالة تغير الموقف السياسي لالمانيا.

وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٤ قدمت المانيا عرضا ـ بناء على مقترحات اللجنة المالية التي كنت ارأسها ـ الى عصبة الامم تقر بموجبه الحكومة الالمانية بالمحافظة على الحقوق المالية وحقوق الملكية للافراد والشركات وكذلك حقوق التقاعد والالتزامات الاقتصادية الاخرى لسكان اقليم السار . كما وجب علينا دفع مبلغ ٩٠٠ مليون فرنك ذهب الى فرنسا لقاء مناجم الفحم الالمانية التي في اقليم السار.

---

(١٥) كان ايدن وزيرا لخارجية بريطانيا . ـ المترجم ـ

ولما جرى التصويت في ١٣ كانون الثاني ١٩٣٥ تمخض عن اقتراع ٤٪ فقط لصالح فرنسا.

ولست افهم لماذا يحاول الناس الاستحواذ على بلدان الآخرين . ولقد اثبت التصويت ان الســار كانت وستبقى المانية[١٦] وبذلك اختتم فصل مأساوي من التاريخ الالماني استمر خمسة عشر عاما من المعاناة والقلق بشأن هذا الاقليم . وانني لآمل ان نعالج امثال هذه القضايا بنفس الطريقة الحرة احقاقا للحق وضمانا لتوطيد حسن العلاقات بين البلدان المتجاورة.

(١٦) لا يزال اقليم السار من اقاليم المانيا الاتحادية حتى يوم الناس هذا .
ـ المترجم ـ

رقم الايداع ١٤٢١
في المكتبة الوطنية
بغداد لسنة ١٩٨٥

دار افاق عربية للصحافة والنشر

تصميم وطبع دار آفاق عربية للصحافة والنشر

منشورات مكتبة التحرير ١٩٨٥ ٣٫٥٠٠ ديناراً